التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

يطبع للمرة الأولى اعتمادًا على نسخ خطية من
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبد العزيز بن سطام آل سعود   أ.د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء الثالث

البقرة ٦٧ - البقرة ١٩٥

دار المصور العربي
مصر - الاسكندرية



التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

باقي تفسير سورة البقرة



٦٧- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ الآية. قال الليث[١]: القوم الرجال دون النساء، ومنه قوله ﷻ: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات: ١١] أي رجال من رجال، ثم قال: ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾ قال زهير[٢]:

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ[٣] أَدْرِي   أَقَوْمٌ آل حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ[٤]

وقوم كل رجل: شيعته وعشيرته[٥].

وقال أبو العباس: القوم والنفر والرهط معناه الجمع، ولا واحد لها من لفظها، وهم الرجال دون النساء[٦]. والمراد بالقوم هاهنا شيعة موسى وأتباعه. وقد يذكر القوم فيدخل فيه النساء كقوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١] وكان مرسلاً إلى الإناث والذكور جميعا، وجاز ذلك لأن

---

(١) هو: الليث بن المظفر، وقيل: ابن ، وقيل: ابن رافع بن يسار الخرساني، وكان بارعا في الأدب، بصيرًا بالشعر والغريب والنحو، وكان كاتبا للبرامكة. ينظر: «بغية الوعاة» ٢/ ٢٧٠، و«معجم الأدباء» ١٧/ ٤٣.

(٢) هو: زهير بن أبي سلمة بن رباح، شاعر جاهلي، نت نزينة من الطبقة الأولى من فحول «الشعراء الجاهليين»، كان له من الشعر ما لم يكن لغيره، توفي سنة ١٣ قبل الهجرة. ينظر: «الشعر والشعراء» ١/ ٦٩، «الأعلام» ٣/ ٥٢.

(٣) في (أ)، (ج): (أخاك)

(٤) البيت من قصيدة قالها زهير في هجاء بيت من كلب من بني عليم. ورد في «تهذيب اللغة» (قام) ٣/ ٢٨٦٣، و«مجمل اللغة» (قوم) ٢/ ٧٣٨، «المقاييس» (قوم) ٥/ ٤٣، و«المعاني الكبير» ١/ ٥٩٣، و«المخصص» ٣/ ١١٩، و«مغني اللبيب» ١/ ٤١، ١٣٩، ٢/ ٣٩٣، ٣٩٨، و«الهمع» ٢/ ٢٣٠، ٤/ ٥٤، ٣٧٦، و«معاهد التنصيص» ٣/ ١٦٥، و«اللسان» (قوم) ٦/ ٣٧٨٦، و«فتح القدير» ١/ ١٣٥.

(٥) انتهى كلام الليث. «تهذيب اللغة» (قام) ٣/ ٢٨٦٣، وانظر: «الزاهر» ٢/ ١٦٩، «اللسان» (قوم) ٦/ ٣٧٨٦.

(٦) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» عن المنذري عن أبي العباس (قام) ٣/ ٢٨٦٣، وانظر: «اللسان» (قوم) ٦/ ٣٧٨٦.

الغالب من أمر[١] النساء اتباع الأزواج فاكتفى بهم منهن لغلبتهم عليهن[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾ البقرة واحدة[٣] البقر. الأصمعي: يقال: رأيت لبني فلان بَقَرًا وبَقِيرًا وبَاقُورَةً وبَاقِرًا[٤] وبَوَاقِرَ، كله جمع البقر، وأنشد[٥]:

بَوَاقِرُ جُلْحٌ أَسْكَنَتْهَا الْمَرَاتِعُ[٦]

وقال آخر[٧]:

خَلَقًا كَحَوْضِ الْبَاقِرِ الْمُتَهَدِّمِ[٨]

ويقال لجماعة البقرة: بيْقُور[٩] أيضا، وقال أمية[١٠]:

---

(١) (من أمر النساء) ساقط من (ب).

(٢) ذكره ابن الأنباري في «الزاهر» ٢/ ١٧٠.

(٣) في (ب): (واحد).

(٤) في (ج): (باقر).

(٥) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (قال: قال أبو نصر: قال الأصمعي... ثم ذكره، وفيه: وأنشدني ابن أبي طرفة. (بقر) ١/ ٣٧٠، وانظر: «جمهرة أمثال العرب» ١/ ٢٧، «الصحاح» (بقر) ٢/ ٥٩٤، «مقاييس اللغة» (بقر) ١/ ٢٧٨.

(٦) في (ب): (المرابع). والبيت لقيس بن العَيْزَارَة. وشطره الأول:

فَسَكَّنْتُهُمْ بِالْقَوْلِ حَتَّى كَأَنَّهُمْ

و(الجُلْح): البقر لا قرون لها، (أسكنتها المراتع): طابت أنفسها بالمرعى فسكنت. ورد البيت في «شرح أشعار الهذليين» ٢/ ٥٩٠، «تهذيب اللغة» (بقر) ١/ ٣٧٠، «مقاييس اللغة» ١/ ٢٧٨، «اللسان» (بقر) ١/ ٤٢٣، و(جلح) ٢/ ٦٥١.

(٧) هو الحارث بن خالد المخزومي كما في «جمهرة أمثال العرب» ١/ ٢٧٠.

(٨) البيت بتمامه:

مَالِي رَأَيْتُكَ بَعْدَ أَهْلِكَ مُوحِشًا قَفْرًا كَحَوْضِ الْبَاقِرِ الْمُتَهَدِّمِ

ورد البيت في «جمهرة أمثال العرب» ١/ ٢٧٠، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٨٤ أ، والسجاوندي في ص ٥٣، و«البحر المحيط» ١/ ٢٥٤.

(٩) «تهذيب اللغة» (بقر) ١/ ٣٧٠، وانظر: «جمهرة أمثال العرب» ١/ ٢٧٠.

(١٠) هو: أمية بن أبي الصلت.

. . . . . وعَـالَـت الْـبَـيْـقُـورَا[١]

وقيل: إن أصل الحرف من الْبَقْر الذي هو الشقّ، يقال: بقر بطنه إذا شقّه وفتحه، وكان يقال لمحمد بن علي بن الحسين[٢] رضي الله عنهما "الباقر"، لأنه بقر العلم وعرف أصله، أي شقه وفتحه[٣].

والْبَقِيرُ: ثوب يشق فتلقيه المرأة في عنقها من غير كُمَّيْن ولا جيب[٤].

والبقر جنس شأنها أن تشق الأرض في الْكِرَاب[٥].

---

(١) تمامه:

سَـلْـعٌ مَّـا وَمِـثْـلُـهُ عُـشَـرٌ مَّـا   عَـائِـلٌ مَّـا وَعَـالَـتِ الْـبَـيْـقَـورَا

و(السلع): نبت، و(عائل): من قولهم: عالني أثقلني، و(عالت البيقورا): أي أثقلت هذه السنة البيقور بالهزال. قال في مغني اللبيب: قال عيسى بن عمر: لا أدري ما معناه، ولا رأيت أحدا يعرفه، وقال غيره: كانوا إذا أرادوا الاستسقاء في سنة الجدب عقدوا في أذناب البقر وبين عراقيبها السَّلْع والعُشَر، وهما ضربان من الشجر، ثم أوقدوا فيها النار وصعدوا بها الجبال، ورفعوا أصواتهم بالدعاء. «مغني اللبيب» ١/ ٣١٤، وانظر: «جمهرة أمثال العرب» ١/ ٢٧٠، «تهذيب اللغة» (بقر) ١/ ٣٧٠، و(سلع) ٢/ ١٧٣٣، «الأزهية» ص ٨١، «اللسان» (بقر) ١/ ٣٢٤، و(علا) ٥/ ٣٠٩٠.

(٢) في (ب) (الحسين الباقر). وهو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو جعفر، الباقر خامس الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية، كان ناسكًا عابدًا، توفي سنة أربع عشرة ومائة، وقيل: ثماني عشرة. انظر: «حلية الأولياء» ٣/ ١٨٠، «تهذيب التهذيب» ٥/ ٣٠٩٠.

(٣) «تهذيب اللغة» (بقر) ١/ ٣٦٩، «الصحاح» (بقر) ٢/ ٥٩٥. وذكر ابن فارس أن (الباء، والقاف، والراء: أصلان: الأول: البقر، والثاني: التوسع في الشيء وفتح الشيء، قال: وزعموا أنه أصل واحد وسميت البقر لأنها تبقر الأرض، قال: وليس ذلك بشيء. انظر: «مقاييس اللغة» ١/ ٢٧٧-٢٨٠.

(٤) ذكره في «تهذيب اللغة» عن أبي عبيد عن الأصمعي ١/ ٣٦٩.

(٥) (الكراب): بياض في: (ب). و(الْكِرَابُ): هو حرث الأرض وقلبها. انظر: «اللسان» (كرب) ٧/ ٣٨٤٧.

وقوله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ يقرأ بالتخفيف والتثقيل[١]، وذلك[٢] أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم[٣]، فمن العرب من يثقله، ومنهم من يخففه، نحو: العُسْر واليُسْر والحُكْم[٤] والرُّحْم[٥]، وكذلك ما كان على فُعُل من الجموع قد استمر فيه الوجهان نحو: الكتب، والرسل وحتى جاء ذلك في العين إذا كانت واوا نحو:

.... سُـوُكَ الإِسْـحِـلِ[٦]

وقوله:

---

(١) قرأ حفص بضم الزاي من غير همز، وحمزة بإسكان الزاي، وبالهمز في الوصل، فإذا وقف أبدل الهمزة واواً اتباعا للخط. وبقية السبعة بالضم والهمزة. التيسير ص ٧٤، وانظر: «السبعة» ص ١٥٨، و«الحجة» لأبي علي ٢/ ١٠٠.

(٢) في (ب): (وكذلك).

(٣) في «الحجة» لأبي علي: (قال أبو الحسن: زعم عيسى أن كل اسم على ثلاثة أحرف أوله مضموم.... الخ) نقل عن أبي علي بتصرف. «الحجة» ٢/ ١٠٥.

(٤) في (أ)، (ج): (الحلم)، وأثبت ما في (ب) لأنه يوافق ما في «الحجة» ١/ ١٠٥.

(٥) عند تثقيلها يقال: (العُسُر)، (اليُسُر)، و(الحُكُم)، و(الرُّحُم). وهذا آخر ما حكاه أبو علي عن أبي الحسن عن عيسى. انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٧٨، و«الحجة» ١/ ١٠٥، وانظر: «الكشف» لمكي ١/ ٤٤٨، و«حجة القراءات» لابن زنجلة ص ١٠١.

(٦) البيت لعبد الرحمن بن حسان، وتمامه:

أغَـرُّ الـثَّـنـايـا أحـمُّ الـلِّـثـا ت تَـمْـنَـحـهُ سُـوُكُ الإِسْـحِـلِ

(الأحم): الأسود، و(اللثات): جمع لثة وهي ما حول الأسنان، (سوك): جمع مسواك، و(الإسْحِل): شجر يستاك به. ورد في «الحجة» ٢/ ١٠٥، «المقتضب» ١/ ١١٣، «المخصص» ١١/ ١٩٢، «الصحاح» ٤/ ١٥٩٣، «المنصف» ١/ ٣٣٨، «شرح المفصل» ١٠/ ٨٤.

وفـي الأَكُـفِّ الـلامِـعـاتِ سُـوُر[١]

وأما فُعْل في جمع أفعل نحوأحْمر وحُمْر، وكأنهم ألزموه الإسكان للفصل بين الجمعين، وقد جاء فيه التحريك في الشعر[٢].

ومعنى قوله: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ قال أبو زيد: هَزِئتُ به[٣] هُزْءًا وَمهْزَأَةً، وهذا لا يخلو من أحد أمرين[٤]، أحدهما: أن يكون المضاف محذوفا؛ لأن الهُزْءَ حَدَثٌ، والمفعول الثاني من هذا الفعل يكون الأول كقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١] ويكون التقدير: أتتخذنا أصحاب هزء. أويكون جعل الهُزْءَ المهزوءَ به مثل الخلْق[٥] والصيد. وقوله[٦]: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة: ٥٧] لا يحتاج فيه إلى تقدير

---

(١) البيت لعدي بن زيد كما في «الكتاب» وشطره الأول:

عـن مُـبْـرِقَـاتٍ بـالـبُـرِيْـنِ تـبـدو

(المبرقات): النساء المتزينات، و(البُرين): جمع برة وهو الحلي، و(سُوُر) جمع سوار. والبيت من «شواهد» سيبويه ٤/ ٣٥٩، و«شرح شواهده» للسيرافي ٢/ ٤٢٥، «المخصص» ٤/ ٤٦، و«المنصف» ١/ ٣٣٨، و«الحجة» ٢/ ١٠٥، و«شرح الكافية» لابن مالك ٤/ ١٨٣٧، «شرح المفصل» ٥/ ٤٤، ١٠/ ٨٤، ٩١، و«الهمع» ٦/ ٩٤، «اللسان» (لمع) ٧/ ٤٠٧٤.

(٢) «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٠٦، وانظر «الكشف» لمكي ١/ ٤٤٨.

(٣) (به): ساقط من: (ب)، وليس في «الحجة»، وفي الحاشية: (في ط: هزئت به) «الحجة» ٢/ ١٠٤.

(٤) في «الحجة» بعد أن ذكر كلام أبي زيد: قال أبو علي قوله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ فلا يخلو من أحد أمرين..) ٢/ ١٠٤.

(٥) قوله: مثل الخلْق والصيد، أي في نحو قوله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ ونحو ذلك. انظر: «الحجة» ٢/ ١٠٤.

(٦) في (ب): (وقال).

محذوف، لأن الدِّين[١] ليس بعين.

وقول موسى: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ في جواب: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ يدل على أن الهازئ جاهل[٢]، ومعنى ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ﴾ أي: أمتنع به وألجأ إليه، ومصدره العَوْذ والعِياذ[٣]. وتقول العرب: أطيب اللحم عُوَّذه، أي الذي عاذ بالعظم، وناقة عائذ: يعوذ بها ولدها، وجعلت عائذًا وهي معوذ بها، وجمعها عُوذ، وهي الحديثات النتاج، وذلك أن الولد يعوذ بها إذا[٤] كان حديثا، فإذا شبّ الولد لم يعذ بالأم، فلهذا يفسر العُوذ بالحديثات النتاج[٥] والأصل ما ذكرنا، ومنه قول لبيد:

فالِعينُ سَاكِنَةٌ على أَطْلائِهَا[٦] عُوذًا تأَجَّلُ بِالغَضَاءِ بِهَامُهَا[٧]

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ الجهل نقيض العلم، ويقال: استجهلت الريحُ الغصنَ إذا حركته فاضطرب، والمجهلة: الأمر يحملك

---

(١) في (ب)، (ج): (الذين) تصحيف.

(٢) انتهى من «الحجة» ٢/ ١٠٤، ١٠٥.

(٣) انظر: «مقاييس اللغة» (عوذ) ٤/ ١٨٤، «اللسان» (عوذ)٥/ ٣١٦٢.

(٤) في (أ)، (ج): (إذ)، وأثبت ما في: (ب)، لأنه أنسب للسياق.

(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (عاذ) ٣/ ٢٢٧٣، «الصحاح» (عوذ) ٢/ ٥٦٧، «اللسان» (عوذ) ٥/ ٣٧٦٣.

(٦) في (ب): (أطلابها).

(٧) قوله: (العين): البقر، لكبر عيونها، و(أطلائها): أولادها، والمفرد: طلا و(عوذا): حديثات النتاج، و(تَأَجَّل): تسير أو تتجمع إجْلاً إجْلاً، أي قطيعا. و(البِهَام): أولاد الضأن، واستعاره لبقر الوحش. «شرح ديوان لبيد» ص ٢٩٩، «مقاييس اللغة» (عوذ) ٤/ ١٨٤، «شرح القصائد المشهورات» للنحاس ص ١٣٣، «اللسان» (أجل) ١/ ٣٣، و(بهم) ١/ ٣٧٦.

على الجهل[١]، ومنه الحديث: « **الولد مجهلة مبخلة**[٢] **مجبنة**[٣]».

وكان حقه[٤] أن يقول: (فقال أعوذ بالله) لأنه عطف على ما قبله، قال الفراء: وهذا في القرآن كثير بغير الفاء، وذلك أنه جواب يستغني أوله عن آخره بالوقفة عليه، فكأنّ[٥] حسن السكوت[٦] يجوز به طرح الفاء. وأنت تراه في رؤوس[٧] الآيات لأنها فصول حسناً[٨]، من ذلك[٩] قوله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ﴾[١٠] [الحجر: ٥٧، ٥٨، والذاريات:

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (جهل) ١/ ٦٨٠، «اللسان» (جهل) ١/ ٧١٣.

(٢) (مبخلة): ساقط م:ن (ب).

(٣) أخرجه ابن ماجه بسنده (عن يعلى العامري أنه قال: جاء الحسن والحسين يسعيان إلى النبي ﷺ فضمهما إليه، وقال: «**إن الولد مبخلة مجبنة**». قال في «الزوائد»: إسناده صحيح، رجاله ثقات. «سنن ابن ماجه» كتاب الأدب، باب: بر الوالد والاحسان إلى البنات. وبهذا اللفظ ذكره السيوطي في «جمع الجوامع» وعزاه لابن ماجه وابن أبي شيبة والطبراني في «الكبير»، «جمع الجوامع» في ١/ل/ ٢١٦. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»، ولفظه: «**أن الولد مبخلة مجهلة مجبنة**» قال: رواه البزار ورجله ثقات. «مجمع الزوائد»، كتاب: البر والصلة باب ما جاء في الأولاد ٨/ ١٥٥.

(٤) قوله: (وكان حقه أن يقول..) هذه العبارة لا تليق بمكانة كتاب الله الذي هو في قمة الفصاحة والبلاغة، مع أن عموم القاعدة التي ذكر منقوض بكلام الفراء الذي أورده.

(٥) في (ب): (وكان) وفي «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٣: (فكأن) وهو أولى.

(٦) في (أ): (السكون) والصحيح بالتاء كما في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٤.

(٧) في (ب): (فصول).

(٨) كذا في جميع النسخ، وكذا في «معاني القرآن» للفراء وفي حاشيته: في ش، ج (حسنة) ١/ ٤٤.

(٩) (من ذلك): ساقط من: (ب).

(١٠) قوله: (قالوا إنا أرسلنا) ساقط من: (ج).

٣١، ٣٢]. والفاء حسنة مثل قوله: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [هود: ٢٧، المؤمنون: ٢٤]، ولوكان على كلمة واحدة لم تسقط العرب منه الفاء، من ذلك[١]: قمت ففعلت، لا يقولون: قمت فعلت، ولا قلت قال[٢]، حتى يقولوا: قلت[٣] فقال وقمت فقام، أو قلت[٤] وقال، لأنها نسق وليست باستفهام يوقف عليه، قال: وأنشدني بعض العرب.

لَـمَّـا رأَيْـتُ نَـبَـطَـا أَنْـصَـارا شَـمَّـرتُ عَـنْ رُكْـبَـتِـيَ الإِزَارَا
كُنْتُ لَهَا مِنَ النَّصَارى جَارَا[٥]

[لم يقل: فكنت، ولا وكنت][٦].

٦٨- وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ الآية إنما سألوا ما هي، لأنهم لم[٧] يعلموا أنّ بقرةً يحيا بضرب بعضها ميّتٌ، قاله[٨] الزجاج[٩].

---

(١) (ذلك) ساقط من (ب).

(٢) زيادة لازمة من «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٤.

(٣) قوله: (حتى يقولوا قلت) ساقط من (ب).

(٤) قوله: (أو قلت وقال) ليست في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٤.

(٥) سبق هذا الرجز. انظر تخريجه عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾. وبه ينتهي ما نقله من كلام الفراء. انظر: «المعاني» ١/ ٤٣، ٤٤، «تفسير الطبري» ١/ ٣٣٧.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من: (ب).

(٧) في (ب): (ما علموا).

(٨) في (ب)، (ج): (قال).

(٩) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٢. والحقيقة أن هذا السؤال تعنت منهم لسوء أخلاقهم مع نبي الله وجفائهم. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٤٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٢أ، «تفسير ابن كثير» ١/ ١١٧.

ويقال: بيّن الشيءَ وأبانه إذا[١] أزال الإشكال عنه، والأصل فيه معنى التفريق، والبيان سمي بياناً لأنه التمييز عما يلتبس، والتبيين هوالتمييز الذي يقع به التعريف[٢]. وترى هذا مستقصًى[٣] عند قوله: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة:٦٨].

وموضع (ما) رفع بالابتداء، لأنه بمعنى الاستفهام، معناه: أي شيء هي؟ والاستفهام لا يعمل فيه ما قبله[٤]، وبيان هذه المسألة يذكر[٥] عند قوله: ﴿مَا لَوْنُهَا﴾ [البقرة: ٦٩].

وقوله تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ﴾ قال الفراء: الفارض: الهرمة، يقال من الفارض: فرَضَت وفرُضَت، ولم يسمع بِفَرَضَ[٦]، ونحو ذلك قال قتادة[٧].

وقال الكسائي: الفارض: الكبيرة العظيمة، قد فرَضت تفرُض فُروضًا.

ثعلب عن ابن الأعرابي: الفارض: الكبيرة.

---

(١) في (ب): (وإذا).

(٢) انظر: «مقاييس اللغة» (بين) ١/ ٣٢٧، «الصحاح» (بين) ٥/ ٢٠٨٢.

(٣) في (ب): (مستقص).

(٤) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١٨٥، و«إعراب المشكل» ١/ ٥٢، و«الإملاء» ص ٤٢، «البحر المحيط» ١/ ٢٥١.

(٥) (يذكر): ساقط من: (ب).

(٦) في (ج): (تفرض)، وفي (أ) غير معجمة، والكلام بهذا النص في «تهذيب اللغة» (فرض) ٣/ ٢٧٧٢، وفي «معاني القرآن» للفراء: (والفارض: قد فرضت، وبعضهم: قد فرضت، وأما البكر فلم نسمع فيها بفعل) ١/ ٤٥.

(٧) وكذلك قال ابن عباس وأبو العالية والسدي، انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٤١، و«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٤١٢.

وقال أبو الهيثم: الفارض: المسنة[١].

أبو زيد: بقرة فارض: عظيمة سمينة، والجميع فوارض[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ قال الليث: البكر من النساء: التي لم تمس، والبكر من الرجال: الذي لم يقرب النساء بعد، والبكر: أول ولد الرجل غلاما كان أو جارية، وبقرة بكر: فتية لم تحمل، والبكر من كل أمر: أوله[٣]، وأصل هذا الباب أول الأمر، فالبكارة أول حال النساء، وهي بكر في أول حالها، والباكورة أول ما يدرك من الثمار، والبُكرة أول النهار[٤].

قال الزجاج في قوله: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾: أي: ليست بكبيرة ولا صغيرة، قال: وارتفع (فارض) بإضمار هي[٥].

وقال الأخفش: ارتفع على الصفة للبقرة، والوصف بالنفي صحيح، لأنه يرجع في التحقيق إلى أنه يختص بما ينافي ذلك الوصف، تقول: مررت برجل لا قائم ولا قاعد، أي: برجل[٦] مختص بصفة تنافي القيام والقعود[٧].

---

(١) قول الكسائي وابن الأعرابي وأبي الهيثم في «تهذيب اللغة» (فرض) ٣/ ٢٧٧٢، وانظر: «اللسان» (فرض) ٦/ ٣٣٨٧.

(٢) ذكره في «اللسان» (فرض) ٦/ ٣٣٨٨.

(٣) «تهذيب اللغة» (بكر) ١/ ٣٧٥-٣٧٧.

(٤) انظر: «مقاييس اللغة» (بكر) ١/ ٢٨٧، «تهذيب اللغة» (بكر) ١/ ٣٧٥-٣٧٧، «اللسان» (بكر) ١/ ٣٣٣.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ١٢٢.

(٦) في (ب): (رجل).

(٧) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٧٩. ذكر قوله بمعناه.

وقوله تعالى: ﴿عَوَانٌ﴾ قال الفراء: انقطع الكلام عند قوله: ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾، ثم استأنف فقال: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾. قال: والعوان يقال منها: عوَّنت تُعوّن تعْوينًا(١).

وقال أبو الهيثم: العوان: النَّصَف التي بين الفارض -وهي المسنة- وبين البكر وهي: الصغيرة(٢).

أبو زيد: بقرة عوان: بين المسنة والشابة(٣)، وقد عانت تعون عُووناً إذا صارت عواناً(٤).

وقال الأخفش: العوان التي نتجت مرارا، وجمعها عُون(٥).قال ابن(٦) مقبل:

وَمَأْتَمٍ كالدُّمَى حُورٍ مَدَامِعُها لَمْ تشقَ بالعَيْشِ أَبْكَارًا وَلَا عُونًا(٧)

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ٤٤، ٤٥، «تهذيب اللغة» (عان) ٣/ ٢٢٩٢، ولم يرد فيهما (تعون تعوينا).

(٢) «تهذيب اللغة» (عان) ٣/ ٢٢٩٢، وانظر: «اللسان» (عون) ٥/ ٣١٧٩.

(٣) في (ب): (الشاب).

(٤) المرجع السابق.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٨٣ ب، والبغوي في «تفسيره» ١/ ٨٣، ولم أجده في «معاني القرآن» للأخفش.

(٦) (ابن): ساقط من: (ج).

(٧) (المأتم): جماعة النساء، و(الدمى): الصورة أو التمثال، شبه النساء بجمالهن بالدمى، لم يشقين بالعيش وهن أبكار، أو عون عند أزواجهن، ويروى البيت (لم تيأس) بدل (لم تشق)، وورد البيت في «تفسير الطبري» ، «الزاهر» ١/ ٢٦٣، و«جمهرة أشعار العرب» ص ٨٥٩، «تهذيب اللغة» (أتم) ١/ ١١٤، «اللسان» (أتم) ١/ ٢٠.

وقال ابن الأعرابي: العَوَان[١] من الحيوان السن بين السنين لا صغير ولا كبير[٢].

قال[٣]: ويقال في الجمع: عُون، فرس عَوان، وخيل عُون، على فُعْل، والأصل عُوُن فكرهوا إلقاء ضمة على الواو فسكنوها، وكذلك يقال: رجل جواد وقوم جُود، قال زهير:

نَحُلُّ[٤] سُهُولَها فإذا فَزِعْنا جَرَى مِنْهُنّ بالآصال عُونُ[٥]

فزعنا: أغثنا مستغيثًا.

قال[٦]: وامرأة عوان: ثيب. وحرب عوان: كان قبلها حرب، كأنه قوتل فيها مرتين.

قال ابن عباس: عوان: بين[٧] الصغيرة والكبيرة، وهي أقوى ما

---

(١) في (أ)، (ج): (العون)، وما في (ب) يوافق «تهذيب اللغة».

(٢) كلام ابن الأعرابي أورده الأزهري عن ثعلب عن ابن الأعرابي، «تهذيب اللغة» (عان) ٣/ ٢٢٩٢، وانظر: «اللسان» (عون) ٥/ ٣١٧٩.

(٣) نسب الواحدي الكلام لابن الأعرابي، وهو في «تهذيب اللغة» منسوب لأبي الهيثم حيث قال: (وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم قال: العوان النصف.. ثم قال: قال: ويقال: فرس عوان . .إلخ)، «تهذيب اللغة» (عان) ٣/ ٢٢٩٢.

(٤) في (أ) (ج): (يحل)، وفي (ب) غير منقوط، وبالنون ورد في جميع المصادر.

(٥) قوله: (جرى منهن): أي من خيلهم، وقد روي شطره الأخير:

جَرتْ بهم إلى المِضمارِ عُون

ورد البيت في «تهذيب اللغة» (عان) ٣/ ٢٢٩٢، «المخصص» ٨/ ٥١، «اللسان» (عون) ٥/ ٣١٧٩، و«ديوان زهير» ص ١٠٢.

(٦) أي ابن الأعرابي. انظر: «تهذيب اللغة» (عان) ٣/ ٢٢٩٢.

(٧) في (ج): (من).

يكون من البقر[١] وأحسن ما يكون[٢].

وقال مجاهد: عوان: وسط قد ولدت بطنا أوبطنين[٣].

وفائدة قوله: (عوان)، بعد ما نفي أن تكون[٤] بكراً وأن تكون[٥] فارضاً، هوأنه احتمل أن تكون عجلاً أو جنيناً، فقال: عوان، لإزالة اللبس ونفي الاحتمال.

وقوله تعالى: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ و(بين) لا تصلح[٦] إلا لشيئين[٧] أولأكثر، وإنما صلحت من ذلك وحده؛ لأنه في مذهب الاثنين[٨]، والاثنان[٩] قد يجتمعان بـ ذلك وذاك ألا ترى أنك تقول: أظن زيدا أخاك، وكان زيد أخاك، ولا بد لـ (كان و أظن)[١٠] من شيئين، ثم تقول: قد كان ذاك وذلك، وأظن ذلك وذاك[١١]، فيكون جائزا.

---

(١) في (أ): (البقرة) وما في (ب)، (ج) يوافق رواية ابن عباس في الطبري.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» عن الضحاك عن ابن عباس ٢/ ١٩٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٤١٣، وانظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ١١٨، «الدر المنثور» ١/ ١٥١.

(٣) أخرجه الطبري ٢/ ١٩٥، وابن أبي حاتم ١/ ٤١٤.

(٤) في (أ): (يكون) في المواضع الثلاثة وأثبت ما في (ب)، (ج) لمناسبته للسياق.

(٥) في (ج): (أو تكون).

(٦) في (أ)، (ج): (يصلح) وما في (ب) موافق لـ«معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٥، والكلام منقول منه.

(٧) في «معاني القرآن»: (لا تصلح إلا مع اسمين فما زاد).

(٨) في (ب): (الاثنتين).

(٩) في «معاني القرآن» (والفعلان).

(١٠) في (ب): (ولأظن).

(١١) (ذاك): ساقط من: (ب).

والاسمان اللذان ضمهما ذلك: الهرم والشباب[١]، كأنه قيل: بين الهرم والشباب[٢]، وجاز أن يتضمن ذلك اسمين، لأنه أتى به على مذهب الفعل وأنت تقول في الأفعال: إقبالك وإدبارك يشق علي، فتوحد فعلهما بعدهما، ولا تقول: أخوك وأبوك يزورني لأن الأفعال وإن اختلفت حركاتها جنس واحد، وليست كالأسماء التي يخالف بعضها بعضا، كذلك هاهنا أريد بين الهرم والشباب[٣].

ومما يجوز أن يقع عليه (بين) وهو واحد في اللفظ ويؤدي عن الاثنين[٤] فما زاد قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٣٦] ولا يجوز: لا نفرق بين رجل منهم، لأن أحدا لا يُثنى كما يثنى الرجل ويجمع، فإن شئت جعلت أحدا[٥] في تأويل اثنين، وإن شئت في تأويل أكثر من ذلك، قال الله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] وتقول: بين أيهم المال، وبين من قسم المال، فتجرى[٦] (من وأي) على[٧] مجرى أحد لأنهما قد يكونان لواحد. وجميع[٨] هذا قول الفراء[٩]، ونحو هذا قال

---

(١) في (أ، ج): (الشاب) في المواضع الثلاثة، وما في (ب) موافق لـ«معاني القرآن» ١/ ٤٥.

(٢) انظر الحاشية السابقة.

(٣) انظر الحاشية السابقة.

(٤) في (ب): (اثنتين).

(٥) في (ب): (واحد).

(٦) في (ج): (في فتجري).

(٧) (على): ساقط من: (ب).

(٨) في (ب): (لواحد ولجمع).

(٩) انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٥، وقد نقل كلام الفراء بتصرف، وانظر «تفسير الطبري» ١/ ٣٤٤.

الزجاج فقال: معنى: ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ بين البكر والفارض، وإنما جاز بين ذلك وبين لا يكون[١] إلا مع اثنين لأن[٢] ذلك ينوب عن الجمل تقول: ظننت زيدا قائما، فيقول القائل: قد ظننت ذاك، وظننت ذلك[٣].

قال أبو علي[٤]: اعلم[٥] أن بين اسم يستعمل على ضربين: مصدر وظرف، وهما عندي وجميع بابهما يرجع إلى أصل واحد، وهوالافتراق والانكشاف.

فأما الذي هو مصدر[٦] فقالوا: بان الخليطُ بيناً أي فارق، وقد بِنْتُه أي: فارقته، أنشد أبو زيد:

كَـأَنَّ عَـيْـنَـيَّ وَقَـدْ بَـانُـونِـي غَـرْبَـانِ فـي جَـدْوَلٍ مَـنْـجَـنُـونِ[٧]

والمعروف: بان عني، فأما هذا فيتجه على أنه أراد الحرف فحذفه

---

(١) في (ب): (لا تكون).

(٢) (لأن): ساقط من: (ج).

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٣، وانظر ما سبق ص ١٠٣٧، ١٠٣٨.

(٤) ورد كلام أبي علي في كتاب «الإغفال فيما أغفله الزجاج في كتاب معاني القرآن» نقل عنه الواحدي طويلا بتصرف، وقد أثبت الفروق الهامة في أما كنها، «الإغفال» ص ٢١٤.

(٥) (اعلم): ساقط من: (ب).

(٦) في (ب): (المصدر).

(٧) قوله: (بانوني): فارقوني، (غربان): مثنى غرب، وهي: دلو عظيمة، (جدول): نهر صغير، (منجنون): الدولاب، وهو ما يستقى به الماء، فارسي معرب. ورد البيت في «نوادر أبي زيد» ص ٢٦٢، «الإغفال» ص ٢١٤، «الخصائص» ٢/ ١٤٩، «المنصف» ٣/ ٢٤، «المخصص» ١٢/ ٣٨، «اللسان» (بين) ١/ ٤٠٤، و(منجنون) ١/ ٤٢٧٣.

فلما حذف الحرف أوصل الفعل[١]. وقولهم: بان الأمر وأبان، إنما معناه: انكشف، وفارقه ما كان غشيه من الإشكال بغيره والالتباس بسواه.

وقال أبو زيد: البَيُون: البئر الواسعة الرأس الضيقة الأسفل، إذا قام الساقي على شفتها لم ير الماء، وأنشد:

إِنَّكَ إِنْ دَعَوْتَنِي ودُونِي زَوْرَاءُ ذاتُ مَنْزَعٍ بَيُونِ
لَقُلْتُ لَبَّيْهِ لِمَنْ يَدْعُونِي[٢]

وهذا أيضًا مما ذكرنا[٣]؛ لأن أعلى البئر فارق أسفلها لانهياره بورود السابلة عليها[٤] والمستقين[٥] منها.

ولهذا المعنى الذي ذكرنا في أصل هذه الكلمة أضيف (بين) إلى ما دل على أكثر من الواحد في الأسماء، ولم يضف إلى الاسم المفرد الدال على الواحد، لأن ذلك ممتنع في معناه.

---

(١) بمعناه في «الإغفال» ص ٢١٥.

(٢) الرجز لم يعرف قائله، ومعنى: (زوراء): الأرض البعيدة الأطراف. (المنزع): الموضع الذي يصعد فيه الدلو إذا نزع من البئر، فذلك الهواء هو المنزع. يقول: لو ناديتني وبيني وبينك أرض بعيدة، ذات ماء بعيد المتناول، أجبت. فلا تردني عن إجابتك الصعاب، وردت الأبيات في «تهذيب اللغة» (بان) ١/ ٢٦٦، «المخصص» ١٠/ ٣٦، ١٦/ ١٤٧، «الإغفال» ص ٢١٥، «الهمع» ٣/ ١١٣، «شرح ابن عقيل» ٣/ ٥٢، «أوضح المسالك» ١٤٤، «مغني اللبيب» ٢/ ٥٧٨، «الخزانة» ٢/ ٩٣، «اللسان» (لبب) ٧/ ٣٩٨٠، و(بين) ١٣/ ٦٤، ووقع اختلاف يسير في رواية بعض ألفاظها.

(٣) في «الإغفال»: (ذكرناه).

(٤) (عليها): ساقط من (ب).

(٥) في (ج): (المستبين).

ألا ترى أنك لو قلت: اجتماع زيد[١]، وجمعت زيداً، لم يسغ[٢] حتى تضيف إليه ما تريد[٣] به على الأفراد.

هذا أصل (بين) في اللغة، ثم لا يمتنع أن يتسع فيه كما اتسع في غيره، فيستعمل لغير هذا المعنى. مما اتسع فيه أنه استعمل بمعنى الوصل[٤]، وهوضد الافتراق، وقد بينا أن أصله راجع إلى الافتراق، وإنما جاز استعماله بمعنى الوصل في قوله: ﴿لَقَد تَقَطَّع بَيْنُكُم﴾ [الأنعام: ٩٤] على قراءة من رفع[٥]، لأنه قد كثر استعمالها ظرفًا بين الشيئين ومع الشيئين اللذين بينهما ملابسة ومخالطة، فصار لذلك بمنزلة الوصلة والاقتراب بين الشيئين. وهذا الاتساع إنما هوفي المستعمل ظرفا دون التي هي مصدر، لأنه في الاستعمال أكثر.

وهذا التوسع في الظروف كثير، والذي استعمل ظرفا أصله الذي هومصدر ؛ لأن المصادر قد استعملت ظروفاً في مواضع كثيرة، والأسماء التي تستعمل تارة ظروفاً وتارة أسماءً لا تمتنع أن تكون مشتقة مثل: خلف وأمام وقدام وأعلى وأسفل ووسط كلها مشتقة، وهي مع ذلك ظروف وقد استعملت أسماءً كما[٦] استعملت ظروفاً، وكذلك بين في نحوقوله: ﴿وَمِنْ

---

(١) في (ب): (زيدا).

(٢) (يسغ): مكانها بياض في (ب).

(٣) في «الإغفال» : (ما يؤيد به..) ص ٢١٧.

(٤) «الإغفال» ص ٢١٧ - ٢١٩، نقل كلامه بتصرف.

(٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعامر وحمزة وعاصم في رواية أبي بكر بالرفع، وقرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية حفص بالنصب. انظر: «السبعة» ص ٢٦٣، و«التيسير» ص ١٠٥.

(٦) في (ب): (كلما).

بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥] قد استعملت اسما. كما استعملت ظرفا[١] نحو: بينهما مال، وفي قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] في قراءة من نصب[٢]، لأن المعنى: لقد تقطع الاشتراك[٣] بينكم.

وأما ما لزم[٤] الظرفية وبعد عن التمكن كإذ ونحوه فيمتنع اشتقاقه[٥].

هذا هوالكلام في بين. فأما ما يقع بعده فهوعلى ضربين[٦]: اسم وجملة. والاسم المفرد الذي بعده لا يخلو من أن يكون دالا على واحد أوأكثر من الواحد. فإن كان دالا على الواحد غير دال[٧] على أكثر منه عطف عليه اسم آخر، وكان العطف بالواو دون غيرها من الحروف العاطفة، [وذلك قولنا: المال بين زيد وعمرو. وإنما كان العطف بالواولما فيما من معنى الاجتماع، ولأن ذلك حقيقتها وأصلها وليس ذلك موجودا في شيء غيرها من الحروف العاطفة[٨]]، وفي العطف على الاسم المفرد بعد (بين) يحتاج إلى ما يدل على معنى الاجتماع. لما قدمنا ذكره في معنى

---

(١) في (ب): (قد استعملت ظروفًا).

(٢) قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم كما سبق.

(٣) في (أ)، (ج): (لقد تقطع بينكم الاشتراك بينكم) زيادة بينكم وليست في «الإغفال» ص ٢١٨.

(٤) في (أ)، (ج): (وأما لزم)، وفي (ب): (وأما ما لزوم).

(٥) قال أبو علي: (فالقول: أن ما كان منها يستعمل تارة اسما، وتارة ظرفا، فلم يلزم الظرفية، فيبعد بذلك عن المتمكنة، كإذ ونحوه، ولا يمتنع أن تكون مشتقة كسائر الأسماء التي لا تكون ظروفا) «الإغفال» ص ٢١٨.

(٦) «الإغفال» ص ٢١٩.

(٧) في (ب): (وغير ذاك).

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(بين) فلو عطف فيه على الاسم المفرد بحرف غير الواو لبقيت إضافتها كأنها إلى المفرد.

ألا ترى أنك لوجعلت موضع الواو الفاء لكان -لما فيها من معنى إتباعه الثاني الأول- لا يكون مجتمعا مع المعطوف عليه، وإذا لم يجتمع معه حصلت الإضافة إلى مفرد دال على واحد، وإضافتها إلى الواحد ممتنع. والذي يدل على أنه حيث تريد[١] الاجتماع لا يجوز العطف بغير الواو[٢] أنك لوقلت: مررت بزيد أخيك وصاحبك، وأنت تريد نعته بالأخوة والصحبة جميعًا[٣] كان العطف بالواو دون سائر أخواتها، إذ[٤] كان الغرض أنه مستحق لهما[٥] معًا. وكذلك الأفعال التي لا تقع إلا من فاعلين لا يكون العطف فيه لأحد الفاعلين على الآخر إلا بالواو دون غيرها، لأنك لوعطفت فيها بغير الواو، لصارت كأنها مسندة إلى فاعل واحد، وذلك فيها فاسد، وذلك نحو الاشتراك والاختصام[٦] والاقتتال وما أشبه هذا. وما امتنع من العطف بالفاء، فهو من (ثم) أشد امتناعًا إذ[٧] كان معناها من معنى الاجتماع أبعد، وإلى الافتراق أقرب لما يدل عليه من التراخي والمهلة[٨].

---

(١) في (ب): (يريد).
(٢) «الإغفال» ص ٢٢٠، نقل كلامه بتصرف.
(٣) في (ب): (حصل).
(٤) في (ب): (اذا).
(٥) في (ب): (لها جميعا).
(٦) في «الإغفال»: (الاختصاص) ص ٢٢٠.
(٧) في (ب): (اذا).
(٨) «الإغفال» ص ٢٢١.

فإن قيل[١]: أليس قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ [النور: ٤٣] فأضاف (بين)[٢] إلى اسم مفرد؟ قيل: الهاء فيه ضمير يعود إلى اسم يراد به الجمع، فجاز إضافة (بين) إليه من حيث جاز إضافته إلى الاسم الذي هذه[٣] الهاء عائدة إليه، وذلك قوله: ﴿سَحَابًا﴾[٤] ألا ترى أن سحاباً جمع سحابة.

فأما قوله[٥]: بيني وبينه مال، فمذهب سيبويه فيه أن (بين) الثاني متكرر للتأكيد، ومعناه عنده[٦]: بيننا. قال: وهومثل قولهم: أخزى الله الكاذب منِّي ومنك وإنما هو: منا[٧]، وكقول القائل[٨]:

فأيِّي ما وأيُّك كان شرًّا فَقِيدَ إلى المقَامَةِ لاَ يَرَاهَا[٩]

---

(١) «الإغفال» ص ٢٢٦.

(٢) (بين): ساقط من (ب).

(٣) في (ج): (هو هذه).

(٤) سياق الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ [الآية، النور: ٤٣].

(٥) في (ب): (قولهم).

(٦) في «الإغفال» : فمذهب سيبويه فيه أن (بين) الثاني متكرر للتأكيد، كما يكرر الشيء له، ومعناه عندنا: بيننا.. ص ٢٢٧.

(٧) انظر: «الكتاب» ١/ ٢٠٤.

(٨) هو العباس بن مرداس.

(٩) معنى البيت: يقول من كان منا شرًّا أعماه الله في الدنيا فلا يبصر مجلسه، وقيل: مات على عماه فيقاد إلى موضع إقامة الناس في العرصات، و(المُقامة): بفتح الميم وضمها: المجلس ومكان اجتماع الناس. انظر: «الكتاب» ٢/ ٤٠٢، «شرح أبيات سيبويه» للسيرافي ٢/ ٩٣، و«شرحها» للنحاس ص ١٥٥، «الإغفال» ص ٢٢٧، «تهذيب اللغة» (أى) ١/ ٢٤٢، «اللسان» (قوم) ٦/ ٣٧٨٧، و(أيا) ١/ ٢٤٢، «أمالي القالي» ٣/ ٦٠، «شرح المفصل» ٢/ ١٣١، «الخزانة» ٤/ ٣٦٧، «البحر المحيط» ٤/ ٢٢٦.

إنما هو فأينا، كذلك هاهنا المعنى بيننا، وكرر للتأكيد. وأما قوله تعالى: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ فأضاف[1] (بين) إلى ذلك من حيث جاز إضافته إلى القوم وما أشبه ذلك من الأسماء التي تدل على الكثرة وإن كانت مفردة، وإنما جاز أن يكون قولنا: (ذلك) يراد به مرة الانفراد ومرة الجمع والكثرة لمشابهته الموصولة كـ (الذي وما).

ألا ترى أن القبيلين يشتبهان في دلالة كل واحد منها على شيء بعينه. ألا ترى أن (الذي) لا يدل على زيد دون عمرو، و(ما) لا يدل على الفرس دون الحمار، وكذلك (من)، فكان[2] قولنا (ذلك) وسائر المبهمة كذلك، فلما كان (الذي وما ومن) على ما وصفنا من الدلالة على الجموع والإفراد، وكانت تفرد والمراد في إفرادها الجمع في نحوقوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٣] و﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧] و﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ونحو ذلك مما يكثر تعداده، وكانت المبهمة مثلها في أنها لا تخص[3] بالدلالة نوعاً ولا شخصاً بعينه، أجري مجراها في أن المراد فيما استعمل منه مفرداً قد يكون الجماعة[4].

وهذا واسع مستحسن في جميع المبهمة، فمن المبهمة (كم) في قوله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ﴾ [النجم: ٢٦] وقال: ﴿وَكَم

---

(١) في (ب)، (ج): (فأضيف)، وفي «الإغفال»: (فإنما أضيف..) ص ٢٢٨.

(٢) في (ب): (وكان).

(٣) في (ب)، (ج): (لا تختص)، وما في (أ) موافق لـ «الإغفال» ص ٢٢٩.

(٤) في «الإغفال»: (لجماعة) ص ٢٢٩، وعبارته أوضح.

مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا﴾ [الأعراف: ٤] ثم قال: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ وقال: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] وقال: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧][١] وقال: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣].

فهذه الأسماء[٢] حسن فيها هذا، لما لم يكن[٣] لواحد بعينه ولا لنوع وحده[٤]، فكذلك[٥] (ذلك) لما كان مبهماً جاز أن يراد به الواحد مرة، وأكثر من الواحد مرة، وعلى هذا الحد صار فاعلاً لحبَّ في قولهم: [حبذا. ألا ترى أنه موضع يقع فيه الاسم[٦]، كما أن فاعل نعم وبئس عام. وقيل:][٧] حبذا هند، كما قيل: حبذا زيد[٨]، ويدلك على ما ذكرنا من قصدهم بـ (ذلك) الجمع وما زاد على الواحد، أن رؤبة لما قيل له في قوله:

فيه خُطُوطٌ من سَوَادٍ وبَلَقْ كأَنَّه في الجِلْدِ تَوْلِيعُ البَهَقْ[٩]

---

(١) والآية لم ترد في «الإغفال»، وترك الواحدي آيات أخرى استشهد بها أبو علي، انظر: ص ٢٣٠.

(٢) في (ج): (اسماء).

(٣) في (ب): (يكون)، وفي «الإغفال» (تكن) ص ٢٣٠، وهو أولى.

(٤) في «الإغفال» (واحد) ص ٢٣٠.

(٥) في (ج): (وكذلك).

(٦) في «الإغفال» : (الاسم العام).

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (ج)، وثابت في (ب)، و«الإغفال» ص ٢٣٠.

(٨) أي: أنه لم تُغير (حبذا) للتأنيث. انظر «الإغفال» ص ٢٣٠، ٢٣١.

(٩) يروى (فيها) بدل فيه، وقوله (بلق): سواد وبياض، و(التوليع) استطالة البلق ولمعانه، (البهق): بياض رقيق في البشرة. ورد الرجز في «ديوان رؤبة» ص ١٠٤ «مجالس العلماء» للزجاجي ص٢٧٧، «المخصص» ٥/ ٨٩، «تهذيب اللغة» (بهق) ١/ ٤٠٥، «مجمل اللغة» ١/ ١٣٨، «مقاييس اللغة» ١/ ٣١٠، «اللسان» ١/ ٣٧٤،=

وجب أن تقول[١]: كأنها، وإن أردت السواد والبلق وجب أن تقول[٢]: كأنهما.

قال: أردت كأن ذاك[٣]. فعلم بهذا أنهم يقصدون بـ (ذلك) غير المفرد وأنه قصد هذا المعنى، وعليه حمل كلامه.

ويدل أيضًا على أنهم يقصدون بـ(ذلك) إلى[٤] أكثر من الواحد إضافتهم (كلا) إليه، وذلك في قول القائل:

وَكِلاَ ذَلِكَ وَجْهٌ وَقَبَلْ[٥]

ألا ترى أن (كلا) لا يضاف إلى المفرد، فبان أن المراد بـ (ذلك) الزيادة على الواحد. وكذلك[٦] قوله: ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ إنما أضيف

=و«أساس البلاغة» (ولع) ٢/ ٥٢٧، «مغني اللبيب» ٢/ ٦٧٨، «البحر المحيط» ١/ ٢٥١، ٤/ ٢٨٥، ٥/ ٦٤، «الكشاف» ١/ ٢٧٨، «الدر المصون» ١/ ٤٢٣.

(١) في (أ): (يقول)، وما في (ب)، (ج) موافق «للإغفال» ص٢٣١.

(٢) انظر الحاشية السابقة.

(٣) في «مجاز القرآن»: قال أبو عبيدة فقلت لرؤبة: إن كانت خطوط فقل كأنها، وان كان سواد وبلق فقل: كأنهما، فقال: كأن ذاك ويلك توليع البهق. «المجاز» ١/ ٤٤.

(٤) (إلى): ساقط من (ج)، وفي (ب): (الأكثر).

(٥) من قصيدة لعبد الله بن الزِّبَعْرَى، قالها يوم أحد، يتشفى من المسلمين، فرد عليه حسان، والشطر الأول: إنَّ للخَيْرِ وللِشَّرِ مَدًى.
أورد ابن هشام القصيدة في «السيرة» ٣/ ٩٦، وهي في «شعره» ص ٤١، وورد البيت في «الإغفال» ص٢٣٢، «شرح المفصل» ٣/ ٢، و«الهمع» ٤/ ٢٨٣، «البحر المحيط» ١/ ٢٥١، «شرح ابن عقيل» ٣/ ٦٢، «مغني اللبيب» ١/ ٢٠٣، «أوضح المسالك» ١٤٦، «الدر المصون» ١/ ٣٤٨، ٤٢٢.

(٦) في (ب): (فكذلك)، ومثله في «الإغفال» ص ٢٣٢.

(بين) إلى (ذلك) لأن المراد به الزيادة على الواحد.

ألا ترى أنه إشارة إلى ما تقدم من قوله مما دل على الفروض والبكارة.

فأما قول أبي إسحاق: (لأن ذلك ينوب عن الجمل[١]، يقول القائل: ظننت ذاك، والظن يقتضي مفعولين فقام ذلك أوذاك مقامهما)، فهذا خطأ[٢]، ولا يجوز أن يقع ذاك وذلك[٣] موقع الجملة، ولا يجوز أن تكون[٤] نائبة عن الجملة، لأنه لوكان نائبا عنها للزم أن ينوب عنها في صلة (الذي) وأخواتها، وفي وصف النكرات[٥]. ولو[٦] كان (ذلك) نائبًا عن الجمل لما جاز وقوعه في هذه الآية؛ لأن هذا الموضع ليس من مواضع الجمل، ولا من الأماكن التي يتجه فيها دخول الجمل.

---

(١) في «الإغفال» : (فأما قول أبي إسحاق: إنما جاز (بين ذلك)، و(بين) لا تكون إلا مع اثنين فعبارة أطلقها على جهة التسامح.. ثم قال (فأما قوله (لأن ذلك) ينوب عن الجمل، كقول القائل: ظننت ذاك. . . إلخ) نقله بتصرف «الإغفال» ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(٢) قوله: (فهذا خطأ) لم يرد في كلام أبي علي، ونص كلامه: (فلا يخلو(ذلك) في ما ذكره من قولهم: ظننت ذاك أن يكون إشارة إلى المصدر، كما ذهب إليه سيبويه، أو يكون نائبا عن الجمل كما قاله أبو إسحاق، أو يكون إشارة إلى أحد المفعولين اللذين يقتضيهما (ظننت)، لا تحتمل القسمة غير ذلك..) ثم أخذ يفصل هذه الوجوه. انظر: «الإغفال» ص ٢٣٣.

(٣) في (ج): (ذلك و ذاك).

(٤) في (أ)، (ج): (يكون)، وفي «الإغفال» (يكون نائبًا) ص ٢٣٣، وأثبت ما في (ب) لأنه أنسب للسياق.

(٥) «الإغفال» ص ٢٣٣.

(٦) «الإغفال» ص ٢٤١.

ألا ترى أن (ذلك) إشارة إلى البكارة والفروض. فلو كان واقعاً[١] موقعَ جملةٍ ما دلّ عليهما[٢]؛ لأن الجملة يُسنَد فيها الحديثُ إلى المحدَّث عنه[٣]، وليس[٤] واحد من الفروض والبكارة بمسند إلى الآخر. وهذا واضح لمن تأمله.

فأما قولهم: ظننت ذاك، فهو عند سيبويه إشارة إلى المصدر[٥] كأنك قلت: ظننت ذاك[٦] الظنَّ، وإذا كان إشارة إلى المصدر لم يحتج إلى مفعول ثان، كما أنّ (ضربت) وغيره من الأفعال المتعدية إذا عديته[٧] إلى المصدر لم يلزم أن تُعدِّيه إلى مفعول به، فبان أن (ذاك) من قولهم: (ظننت ذاك) لم يقع موقع الجملة[٨].

٦٩- قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَآ﴾ اللون[٩] مرفوع، لأنك لم ترد أن تجعل (ما) صلة، فتقول: يبين لنا لونَها، وقد قرئ

---

(١) في (ب): (واقع).

(٢) في (ب): (عليها).

(٣) في (ب): (عنها).

(٤) قوله: (وليس) ساقط من (ب).

(٥) انظر: «الكتاب» ١/ ٤٠.

(٦) في (ب): (ذلك).

(٧) قوله: (إذا عديته) ساقط من (ب).

(٨) انتهى ما نقله المؤلف عن كتاب «الإغفال» لأبي علي الفارسي بعضه بنصه، وبعضه بتصرف. انظر: «الإغفال» ص ٢١٤ -٢٤١، وقد أطال في النقل عن (بين). ومحل ذلك المطولات من كتب النحو، لا كتب التفسير والله أعلم.

(٩) في (ب): (ما لونها مرفوع).

بها شاذّاً، وهوصواب[١]، ولكنه[٢] أراد[٣]: ادع لنا ربك يبيِّن لنا أي شيء لونُها ؟ ولم يصلح للفعل الوقوع[٤] على (أي) لأن أصله جمع متفرق[٥] من الاستفهام، كقول القائل[٦]: يبين لنا[٧] أسوداء هي أم صفراء ؟ فلما لم يصلح[٨] للتَّبَيُّن أن يقع على الاستفهام في تفرقه لم [يقع][٩] على أي، لأنها

---

(١) لعل المراد من الناحية النحوية، لو ثبتت القراءة به وقد نسب الثعلبي القراءة بالنصب إلى الضحاك ١/ ٨٤/أ، وعبارة الفراء - والكلام بنصه منقول عنه - يقول: (اللون مرفوع، لأنك لم ترد أن تجعل (ما) صلة فتقول: يبين لنا ما لونَها، ولو قرأ به قارئٌ كان صوابا..) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٦. قارن بين كلام الفراء وكلام الواحدي. قال الزجاج: (ولا يجوز في القراءة (ادع لنا ربك يبين لنا ما لونَها) على أن يجعل (ما) لغوا، ولا يُقرأ القرآن إلا كما قرأت القراء المجمع عليهم في الأخذ عنهم) «معاني القرآن» ١/ ١٢٣. وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٤٤، فإنه نقل بعض كلام الفراء بمعناه، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٨٥، و«المشكل» ١/ ٥٢.

(٢) في (ج): (ولكنه القائل يبين لنا أسوداء هي أما صفراء أراد: ادع..) وفيه تكرير جملة لا مكان لها هنا وستأتي بعد.

(٣) ما أحسن صنيع الفراء حينما قال: (ولكنه أراد - والله أعلم - ادع..) «معاني القرآن» ١/ ٤٦.

(٤) في (ج): (للوقوع).

(٥) عبارة الفراء: (لأن الأصل (أي) تفرق جمع من الاستفهام) يريد أن (أيا) نابت عن جمع من الاستفهام متفرق. انظر: «معاني القرآن» للفراء، وحاشيته ١/ ٤٦.

(٦) (القائل): مكرر في (ج).

(٧) في (ب): (سوداء) بسقوط الهمزة.

(٨) في (أ)، (ج): (فإنما يصلح للتبيين..)، وما في (ب) موافق لـ «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٦.

(٩) (يقع) زيادة من «معاني القرآن» ١/ ٤٦، وهي لازمة لتمام الكلام.

جمع ذلك المتفرق، وكذلك ما كان في القرآن مثله. فأعمِلْ في[١] (ما) و(أي) الفعل الذي بعدهما، ولا تُعمِلْ الذي قبلهما إذا كان مشتقًّا من العلم أوفي معناه، كقولك: ما أعلم أيُّهم قال ذلك، ولا أُعلِمَنَّ أيُّهم قال ذلك، وما أدري أيَّهم ضربتَ[٢]. فهو في العلم والإخبار والإنباء وما أشبهها على هذا الوصف، ومنه قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٧] موضع (ما)[٣] رفع[٤]، رفعتها بيوم، كقولك: ما أدراك أيُّ شيء يوم الدين؟ وكذلك قوله: ﴿لِنَعۡلَمَ أَيُّ ٱلۡحِزۡبَيۡنِ أَحۡصَىٰ﴾ [الكهف: ١٢] رفعت (أي) بأحصى، وإنما[٥] امتنعت (أي) من الفعل الذي قبلها، لأنك تجد الفعل غير واقع عليها في المعنى؛ ألا ترى أنك إذا قلت: اسأل[٦] أيُّهم قام، كان المعنى: سل الناس أيُّهم قام، ولوأوقعت الفعل على أي فقلت: اسأل أيَّهم قام، خرجت من معنى الاستفهام، وذاك جائز إن أردته[٧]، تقول: لأضربنَّ أيَّهم قال ذلك، فهنا[٨] (أي) لا تكون[٩] استفهاماً؛ لأن الضرب لا يقع [على

---

(١) (في): ساقطة من (ب).

(٢) من (ب): (ضربت)، ومثله في «معاني القرآن» ١/ ٤٦، وفي غير (ب): (ضرب).

(٣) في «معاني القرآن» (ما الثانية) ١/ ٤٦.

(٤) في (ب): (رفعت).

(٥) في «معاني القرآن» للفراء: (وتقول إذا كان الفعل واقعا على (أي): ما أدري أيَّهم ضربت، وإنما امتنعت من أن توقع على (أي) الفعل الذي قبلها من العلم وأشباهه، لأنك تجد الفعل... إلخ) ١/ ٤٦، ٤٧.

(٦) في «المعاني»: (سل).

(٧) في (ب): (أردت).

(٨) في (ج): (فهاهنا).

(٩) في (أ)، (ج): (يكون).

اسم، ثم يأتي بعد ذلك استفهام ؛ لأن الضرب لا يقع][1] على اثنين.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: ٦٩] مَنْ نصَبَ أيّاً[2] أوقع عليها النزع، وليس باستفهام، كأنه قال: ثم لنستخرجن العاتي الذي هو أشدّ عِتيًا.

وأما الرفع[3]، فأن تجعل مكتفيًا بـ(من) في الوقوع عليها كما تقول: قد قتلنا من كل قوم، وأصبنا من كل طعام، ثم تستأنف أيّاً فترفعها بالذي بعدها، كقوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] وكذلك: ﴿يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[4] [آل عمران: ٤٤].

و[5] قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا﴾[6] ما بعد القول من باب[7] إنَّ مكسور أبدا، كأنك لم تذكر القول في صدر كلامك، وإنما وقع (قلت) في كلام العرب على أن يحكى به ما كان كلاماً يقوم بنفسه قبل دخوله، فيؤدي

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) بالنصب قرأ طلحة بن مصرف، ومعاذ بن مسلم الهراء، وزائدة عن الأعمش، انظر «البحر المحيط» ٦/ ٢٠٩.

(٣) ذكر الفراء وجهين للرفع حيث قال: (وفيها وجهان من الرفع: أحدهما: أن تجعل الفعل مكتفيا بـ (من).. الخ) وذكر الوجه الثاني فقال: (فإن في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ لننزعن من الذين تشايعوا على هذا، ينظرون بالتشايع أيهم أشد وأخبث، وأيهم أشد على الرحمن عتيا..) ١/ ٤٨.

(٤) بهذا انتهى ما نقله المؤلف من الفراء بنصه في الغالب، وبتصرف في بعضه، انظر: «معاني القرآن» ١/ ٤٦- ٤٨.

(٥) (الواو): ساقط من (ب).

(٦) (قال): ساقط من (ب).

(٧) (باب): ساقط من (ج).

مع ذكر (قلت) ذلك اللفظ، تقول: قلت: زيد منطلق، وكذلك إن زيدًا منطلق، إذا حكيته تقول: قلت: إن زيداً منطلق[١]، لا اختلاف بين النحويين في ذلك، إلا أن قوماً من العرب، وهم بنو سُلَيم يجعلون باب (قلت)[٢] كباب (ظننت)، فيقولون: قلت: زيداً منطلقاً، وهذه لغة لا يؤخذ بها في القرآن.

وقوله تعالى: ﴿فَاقِعٌ﴾ هو مبالغة في نعت الأصفر يقال: فَقَعَ فُقُوعًا وهو يَفْقَعُ ويَفْقُعُ. وربما استعمل الفقوع في معنى الحمرة[٣]، قال البُرجُ بن مُسْهِر:

كُمَيْتاً[٤] مِثْلَ ما فَقَعَ الأَدِيم[٥]

أي: اشتدت حمرته، وفاقع يرجع إلى اللون، وهوخبر واسمه اللون، فهو خبر مقدم على الاسم[٦].

---

(١) الكلام بنصه في «معاني القرآن» للزجاج وفيه: (تقول: قلت: زيد منطلق. كأنك قلت: زيد منطلق، وكذلك: إن زيدا منطلق، لا اختلاف بين النحويين..) «معاني القرآن» ١/ ١٢٣.

(٢) في «المعاني»: (باب (قلت) اجمع كباب (ظننت)) ١/ ١٢٣.

(٣) أكثر المفسرين على أن ﴿فَاقِعٌ﴾ في هذه الآية صفة للأصفر. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٤٥- ٣٤٦، «غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٥٣، ٥٤، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٧٩، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٤، «الكشاف» ١/ ٢٨٧، وانظر: مادة (فقع) في «الصحاح» ٣/ ٢٥٩، «اللسان» ٦/ ٣٤٤٨.

(٤) كذا في جميع النسخ، وفي «اللسان» (كميت)، وكذا في «التاج».

(٥) ورد البيت في اللسان، وصدره:

تَـراهـا فـي الإنـاء لـهـا حُـمَـيًّا

«اللسان» (فقع) ٦/ ٣٤٤٨، و«التاج» (فقع) ١١/ ٣٤٩.

(٦) في إعراب (فاقع) وجوه: الأول: (فاقع) خبر مقدم، و(لونها) مبتدأ مؤخر، =

ومعنى ﴿تَسُرُّ ٱلنَّـٰظِرِينَ﴾: تعجبهم بحسنها[١].

٧٠- قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ أي[٢]: أسائمة أم عاملة[٣]؟ ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ ذكَّر الفعل لتذكير[٤] اللفظ كقوله: ﴿نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] وكلُّ جمعٍ حروفُه أقلُّ من حروف واحده جاز تذكيره مثل: بقر ونخل وسحاب، فمن ذكَّر ذهب إلى لفظ الجمع، ولفظ الجمع مذكر، ومَن أنَّث ذهب إلى لفظ الجماعة[٥]، قال الله تعالى: ﴿يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ [النور: ٤٣] وقال: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ﴾ [ق: ١٠]، وقال الزجاج: معناه جنس البقر تشابه علينا[٦].

﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى وصفها[٧]، وقيل: إلى القاتل[٨].

= والجملة صفة، والثاني: (فاقع) صفة للبقرة، و(لونها): فاعل فاقع، والثالث: (فاقع) صفة، و(لونها) مبتدأ خبره (تسر الناظرين) انظر: «البيان» ١/ ٩٣، «الإملاء» ١/ ٤٢، «البحر المحيط» ١/ ٢٥٢، «الدر المصون» ١/ ٤٢٤.

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٤٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٤أ.

(٢) في (ب): (قوله) يبين لنا ما هي (أي..).

(٣) الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٨٤ أ، وانظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٧٨، و«البغوي» ١/ ٨٣.

(٤) في (ج): (للذكير).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٥٠، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٧، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٤ أ.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ١٢٨.

(٧) الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٨٤ب، وانظر «تفسير الطبري» ١/ ٣٥٠، «تفسير أبي الليث» ١/ ١٢٨.

(٨) انظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ١٢٨، «الكشاف» ١/ ٢٨٨، «البحر المحيط» ١/ ٢٥٤.

قال رسول الله ﷺ: «وأيمُ اللهِ لولم يستثنوا لما بُيِّنَتْ لهم آخر الأبد»[(١)].

٧١- قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ الذلول: المذللة بالعمل، و﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: تقلبها للزراعة[(٢)]. ومعنى الإثارة: تفريق الشيء في كل جهة، يقال: أثرت الشيء واستثرته، إذا هيجته. قال[(٣)]:

إِذا كَانَ فِي صَدْرٍ[(٤)] ابنِ عمِّك إِحْنَةٌ
فلا تَسْتَثِرْها سوف يَبْدُو دَفِينُهَا[(٥)]

ويقال: ثار الشيء إذا ارتفع عن مكانه، يقال: ثار الغبار، ثار الدخان، وثار الدم في وجه فلان، وثَوَّرْتُ كدُورةَ الماء فثار، ومنه الثور لأنه يثير الأرض[(٦)].

---

(١) أخرجه الطبري عن قتادة وابن جريج مرسلا، قال شاكر -عن الأثر عن ابن جريج: لا تقوم به حجة. «الطبري (مع حاشية شاكر)» ٢/ ٢٠٥، ٢٠٦، وبمعناه عند «تفسير ابن أبي حاتم» عن أبي هريرة، قال المحقق: إسناده ضعيف. «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٤٢٠، وذكر ابن كثير رواية ابن أبي حاتم، وقال: ورواه الحافظ أبو بكر من مردويه في «تفسيره» من وجه آخر، ثم ذكره، وقال وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة. «ابن كثير» ١/ ١١٨، وقد تناقل المفسرون هذه الروايات بدون سند، وقد جمع بعضها السيوطي في «الدر» ١/ ١٥٠، والشوكاني في «فتح القدير» ١/ ١٥٦.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢١٢ و«تفسير الثعلبي» ١/ ٨٤ب، و«تفسير أبي الليث» ١/ ٣٨٨.

(٣) نسبه المرتضى في أماليه، إلى أبي الطمحان، ونُسب في اللسان إلى الأقيبل القيني.

(٤) في (أ)، (ج): (صد)، وأثبت ما في (ب)، لأنه يوافق المصادر الأخرى التي ورد بها البيت.

(٥) البيت في «أمالي المرتضى» ١/ ٢٥٩، «مقاييس اللغة» (أحسن) ١/ ٦٧، «الفائق» ١/ ٢٧، «اللسان» (أحن) ١/ ٣٥.

(٦) «تهذيب اللغة» (ثار) ١/ ٤٦٧، انظر: «الصحاح» (ثور) ٢/ ٦٠٦، «معجم مقاييس اللغة» (ثور) ١/ ٣٩٥.

وقوله تعالى: ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ صفة لذلول[١]، والنكرة مع صفتها شيء واحد، ولذلك[٢] قلنا: إن المراد بقوله: ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ النفي لا الإثبات، لأنه نفي أن تكون مثيرة للأرض[٣]، والنفي دخل على أول الكلام، فانتفى ما كان ينضم إليه، والصفة للنكرة كالصلة للموصول، ولوقلت: فلان ليس بالذي يأتيني كنت نافياً للإتيان. ألا ترى إلى[٤] قول طرفة:

لا كَبِيـرٌ[٥] دالـفٌ مـن هَـرَمٍ أرْهَبُ اللَّيْلَ ولا كَلُّ الظُّفُرْ[٦]

أراد أنه لا يدلف من الهرم ولا يرهب الليل، ولم يرد الإثبات.

---

(١) وقيل: في موضع الحال من المضمر في (ذلول)، أو حال من (ذلول) أو حال من بقرة، أو صفة لها، أو مستأنفة، فيكون الوقف على (ذلول)، والقول الأخير مردود عند كثير من العلماء، وسيذكره الواحدي.
انظر: «إعراب المشكل» ١/ ٥٣، «الكشاف» ١/ ٢٨٨، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٤٦، «الإملاء» ١/ ٤٢، «البحر المحيط» ١/ ٢٥٥، «الدر المصون» ١/ ٤٢٩، ٤٣٠.

(٢) في (ب): (وكذلك).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٤، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٨٦، «الإملاء» ١/ ٤٢.

(٤) في (ب): (في).

(٥) في (ب): (كثير).

(٦) قوله: (دالف): الدالف هو الذي يقارب الخطو ويمشي مشي المقيد، (الهَرَم): أقصى الكبر، كَلُّ الظفُر) أي: ظفري غير كليل، كناية عن قوته وبطشه، وكليلُ الظفَّر: المهين الذي لا يؤبه له. ورد البيت في ديوان طرفة ص ٧٥، «مقاييس اللغة» (ظفر) ٣/ ٤٦٦، وفيه (لا كليل دالف)، وورد الشطر الثاني في «اللسان» (ظفر) ٥/ ٢٧٤٩، وفيه (لست بالفاني ولا كل الظفر).

قال ابن الأنباري[١]: غلط أبو حاتم في هذا[٢]، لأنه قال: الوقف جيد على قوله: (ذلول)[٣]، ثم يبدأ بـ (تثير[٤] الأرض)، وقال: إن الله تعالى وصف هذه البقرة بما لا يعرفه الناس وصفاً لغيرها من البقر، فجعلها تثير الأرض ولا تسقي الحرث على خلاف ما نشاهد من بقرنا.

وقد أبطل[٥] الفراء وغيره من كبار النحويين هذا الوقف[٦]، وردّ عليه هذا الاختيار بأن البقرة متى أثارت سقت، وغير جائز أن يُدّعى أعجوبةٌ في حرف من القرآن لم تؤثر[٧] عن أهل العلم ما ادعاه، فلا يقبل[٨] عنه ذلك، مع ما ذكرنا أنه لا يصح من[٩] طريق النحو أن المراد منه الإثبات. وموضع (تثير) رفع في التأويل لأنه نعت لذلول، والمعنى: أنها بقرة لا ذلول مثيرة للأرض، أي: ليست كذا ولا كذا، أي: لا توصف بالتذليل ولا بإثارة الأرض، كما تقول في[١٠] الكلام: عبد الله ليس بعاقل حازم، وزيد ليس

---

(١) انظر: «إيضاح الوقف والابتداء» ١/ ٥٢١.

(٢) في (ب): (في هذه الآية) بدل (في هذا لأنه).

(٣) قال النحاس (ليس بقطع طاف وزعم الفراء: أنه ليس بقطع). «القطع والائتناف» ص ١٤٨، وانظر: «تفسير القرطبي» ١/ ٣٨٤.

(٤) قوله: (بـ (تثير) ساقط من (ب).

(٥) (أبطل): ساقط من (ج).

(٦) انظر: «إيضاح الوقف والابتداء» ١/ ٥٢١، «القطع والائتناف» ص ١٤٨، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٨٥.

(٧) في (ب): (يؤثر).

(٨) في (ج): (فلا يقبل).

(٩) (من): ساقط من (ب).

(١٠) (في الكلام): ساقط من (ب).

بآكل شارب، فتنفي[١] عنه الفعلين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْقِي ٱلْحَرْثَ﴾ دخلت (لا) لأنه معطوف على قوله: (ذلول) فلما كان فيه حرف النفي أدخل أيضا فيما انعطف عليه[٢].

[وجاز عطف الفعل على الاسم، لأن فيه معنى الفعل كأنه قيل: لم تُذلَّل، والاسم إذا كان مبنياً على الفعل][٣] جاز عطف الفعل عليه، كما تقول: زيد صائم ويصلي، ويجوز أن تكون (لا) مستأنفة، يراد بها: لا ذلول تثير الأرض، وليست تسقي الحرث.

قال أبو العباس: والحرث كل موضع ذللته من الأرض ليزرع[٤] فيه، ويقال له عند غرسه وبذره إلى حيث بلغ: حرث. فمعنى الحرث: الأرض المهيأة للزرع[٥]، ومنه قوله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] على التشبيه بالأرض التي[٦] قد هُيِّئت للزرع. فأما الزرع فإنما هو النماء، من ذلك قولك للصبي: زرعه الله[٧]، ويوضح هذا قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا

---

(١) في (أ): (فينفى) وفي (ج): (فينتفي).
(٢) وأجاز الزمخشري أن تكون (لا) مزيدة، لتأكيد النفي في الأولى. انظر «الكشاف» ١/ ٢٨٨، قال أبو حيان: (ووافقه على جعل الثانية مزيدة صاحب المنتخب، وما ذهب إليه ليس بشيء، لأن قوله: (لا ذلول) صفة منفية بلا، وإذا كان الوصف كان الوصف قد نفى بـ (لا) لزم تكرار (لا) النافية لما دخلت عليه....) «البحر» ١/ ٢٥٥، وانظر «الدر المصون» ١/ ٤٣٠.
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (ج)، وأثبته من (ب) لأن استقامة السياق تقتضيه.
(٤) في (ب): (لتزرعه).
(٥) انظر: «تهذيب اللغة» (حرث) ١/ ٧٧٤، «الصحاح» (حرث) ١/ ٢٧٩، «جمهرة أمثال العرب» ٢/ ٣٤، ٣٥، «مقاييس اللغة» (حرث) ٢/ ٤٩، «اللسان» (حرث) ٢/ ٨١٩.
(٦) في (أ)، (ج) (الذي)، وأثبت ما في (ب) لأنه أصوب.
(٧) انظر: «تهذيب اللغة» (زرع) ٢/ ١٥٢٤، «اللسان» (زرع) ٣/ ١٨٢٦.

تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾ [الواقعة: ٦٣، ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ قال قتادة، والربيع، وابن عباس: أي من العيوب[١].

وقال الحسن: من أثر العمل[٢].

وقال مجاهد: من الشية[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ الوشى في اللغة معناه[٤]: خلط لون، وكذلك في الكلام يقال: وشيتُ[٥] الثوب أشِيه وَشْيًا وشِيَةً[٦]. والشية مما نقص منه الواو[٧]، وعوض فيه الهاء كالدية من وَدَيْتُ، والعِدة من وَعدتُ[٨]، ويجوز أن يكون[٩] الشية مصدراً، يقال: وَشَيْتُ أشي شِيَةً[١٠]

---

(١) ذكر الطبري في «تفسيره» عنهم، وعن أبي العالية ١/ ٣٥٢، وذكره «ابن أبي حاتم» عن قتادة، وأبي العالية، والربيع ١/ ٤٢٣، انظر: «تفسير الماوردي» ١/ ٣٦٥، «الدر المنثور» ١/ ١٥٢.

(٢) في الثعلبي عن الحسن: مسلمة القوائم ليس فيها أثر العمل، ١/ ٨٤ ب، وذكره «الماوردي» ١/ ٣٦٥.

(٣) ذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٥١- ٣٥٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٤٢٣، وانظر: «الدر» ١/ ١٥٢.

(٤) (معناه) ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (وشية).

(٦) بنصه في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٤، وانظر «تهذيب اللغة» (وشى) ٨/ ٤٨٤٧.

(٧) (الواو): ساقطة من (ج).

(٨) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٨٢، والطبري في «تفسيره» ١/ ٣٥٢، و«تفسير القرطبي» ١/ ٣٨٦.

(٩) في (ب): (تكون).

(١٠) في (ب): (وشية).

ووَشْيا[١].

قال الزجاج: أي[٢] ليس فيها لون يفارق سائر لونها[٣].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ الآن هوالوقت الذي أنت فيه، وهوحد الزمانين[٤]، حد الماضي من آخره وحد الزمان[٥] المستقبل من أوله[٦].

وذكر الفراء في أصله قولين[٧]:

أحدهما: أن أصله (أوان)[٨] حذفت منه الألف وغيرت واوه إلى الألف ثم أدخلت عليه الألف واللام، ولم يخلعا منه كما فعلوا بالذي وتركوه على مذهب الأداة، والألف واللام له لازمة غير مفارقة.

والقول الثاني: أن أصله: آن[٩] ماضي يئِينُ، بني اسماً لحاضر الوقت، ثم ألحق به الألف واللام وترك على بنائه؛ لأن أصله فَعَلَ

---

(١) انظر «الكشاف» ١/ ٢٨٨، و«القاموس» (وشى) ص ١٣٤٣.

(٢) (أي) ساقط من: (أ)، (ج)، وأثبتها من (ب) ومثله في معاني القرآن.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ١٢٤.

(٤) في (ب): (الزمان).

(٥) (الزمان): ساقط من (ب).

(٦) ذكره ابن قتيبة في «تأويل المشكل» ص ٥٢٣.

(٧) «معاني القرآن» ١/ ٤٦٧، ٤٦٨، وقد ذكر كلام الفراء ابن قتيبة في «تأويل المشكل» ص ٥٢٣، ٥٢٤، والأزهري في «تهذيب اللغة» (الآن) ١/ ٩٨، وعبارة الواحدي متفقة مع ما ذكره ابن قتيبة في «تأويل المشكل».

(٨) في (ب): (وان).

(٩) في «معاني القرآن»: (الآن) أصلها من قولك آن لك أن تفعل، أدخلت عليها الألف واللام، ثم تركتها على مذهب (فَعَلَ) فأتاها النصب من نصب (فعل)، وهو وجه جيد كما قالوا..) ١/ ٤٦٨، ومثله في «تهذيب اللغة» ١/ ٩٩.

منصوبة، كما قالوا: نهى رسول الله ﷺ عن قيلَ وقالَ وكثرةِ السؤال[١] وكانتا كالاسمين وهما منصوبتان. ولوخفضا على النقل لهما من حد الأفعال إلى الأسماء في النية لكان صواباً.

قال: وسمعت العرب تقول: أعييتني من شُبَّ إلى دُبَّ، ومن شُبٍّ إلى دُبٍّ مخفوض منون، يذهبون به مذهب الأسماء، والمعنى منذ كان صغيراً يشِبُّ إلى أن دَبَّ كبيرًا[٢].

ومثله (أمس) فإن أصله الأمر من: أمسى يُمسي بُنيَ اسماً للوقت، وألحق به الألف واللام[٣].

قال أبو علي الفارسي[٤]: حكم ما يبنى من الأسماء أن يكون لمضارعته الحرف، فلمضارعته له[٥] ما يجب أن يخرج إلى حكمه كما أن

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٧٧) كتاب (الزكاة) باب (قول الله ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾. عن المغيرة ولفظه: (**إن الله كره لكم ثلاثا**.. الحديث). «الفتح» ٣/ ٣٤، وفي كتاب (الأدب)، باب (عقوق الوالدين)، «الفتح» ١٠/ ٤٠٥، و(٦٤٧٣) وفي كتاب (الرقاق) باب (ما يكره من قيل وقال) الفتح، وفي كتاب (الاعتصام) باب: (ما يكره من كثرة السؤال) الفتح، ومسلم عن أبي هريرة والمغيرة، بنحوه (٧٢٩٢) كتاب (الأقضية) (النهي عن كثرة المسائل)، وأحمد عن أبي هريرة ٢/ ٣٢٧، ٣٦٠، ٣٦٧، وعن المغيرة ٤/ ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٥٠.

(٢) انتهى كلام الفراء، انظر: «المعاني» ١/ ٤٦٧، ٤٦٨، و«تأويل المشكل» ص٥٢٣، ٥٢٤.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (أمس) ١/ ٢٠٠، و«الأزمنة» لقطرب ص ١٠٩، ١١٠.

(٤) «الإغفال» لأبي علي الفارسي ص ٢٥٣. وقد نقل عنه الواحدي طويلا، بتصرف في كلامه بالاختصار والتقديم والتأخير، وسأذكر الفروق الهامة في أماكنها إن شاء الله.

(٥) (له): ساقط من (ب).

نوعاً منها لمشابهتها الأفعال[١] يخرج إلى حكمها[٢] فيمنع ما لا يكون لها من الجر والتنوين. وكذلك (الآن) بني لما فيه من مضارعته الحرف.

وجهة المضارعة تضمنه معنى الحرف، وإذا تضمن الاسم معنى الحرف وجب بناؤه. [وذلك التضمن هو تضمن معنى[٣] التعريف، لأن التعرف حكمه أن يكون بحرف، فلما تضمن معنى الحرف وجب بناؤه][٤]، كما أن خمسة عشر لما تضمن معنى الحرف بني. فإن قيل: كيف تضمن معنى الحرف، والحرف نفسه فيه، ولوجاز بناؤه وفيه الحرف لجاز بناء الرجل ونحوه؟

قيل: الألف واللام في (الآن) ليس كهما في (الرجل)؛ لأن الرجل لا يتعرف[٥] بغير الألف واللام، والآن يتعرف بغيرهما[٦].

والدليل على تعرف (الآن) بغير ما ظهر فيه من الحرفين، أن ما فيه الألف واللام مما يعرف به يلزم أن يكون قبل دخوله[٧] عليه نكرة كرجل، والرجل، وليس (الآن) كذلك. ألا ترى أنه ليس (آن)[٨] منكورا، ثم

---

(١) في (ب): (فقال يخرج).

(٢) قوله: (كما أن نوعا منها لمشابهتها الأفعال يخرج إلى حكمها) ليس في «الإغفال» انظر: ص ٢٥٣.

(٣) في «الإغفال» (تضمن معنى حرف التعريف) ص ٢٥٤.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (لا يعرّف).

(٦) نقله بالمعنى، انظر: «الإغفال» ص ٢٥٤، و«سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٥٠.

(٧) في «الإغفال»: (دخولهما)، وفي حاشيته (ج): (دخولها).

(٨) في (ب): (الآن).

يكتسي التعريف بالحرف كالرجل.

ويراد بـ (الآن) الوقت الحاضر[١]، وما هوأقل القليل، ثم قد تتسع فيه العرب، فتقول: أنا الآن أنظر في النجوم، وأنا الآن أنظر في العلم، وأنا الآن أصل من قطعني[٢]، وليس يراد أنه[٣] في ذلك الوقت اليسير يفعل ذلك، ولكن غرضه أنه في وقته ذلك وما أتى من[٤] بعد، وتطاول، يفعل هذا الضرب من الفعل.

وهذا كقولهم: أنا اليوم خارج، يريد به الذي هو عقيب الليلة. ثم قالوا: أنا اليوم شيخ، وأنا اليوم متماسك، فاليوم أصله لما هو عقيب الليلة ثم يتسع فيستعمل لغير ذلك الزمان. فكذلك (الآن) أصله للوقت الحاضر، ثم قد يتسع فيه.

فإن قلت: فهل تجد الألف واللام في اسم غير هذا، والاسم الذي فيه غير متعرف به[٥]؟

---

(١) تصرف الواحدي في كلام أبي علي بالتقديم والتأخير، وسياق أبي علي أوضح، لترابط الكلام وبناء بعض على بعض. قال: أبو علي: (فإن قال قائل: ما تنكر أن يكون تعريف الآن كتعريف الجنس ؟..) ثم قال: (ومع ذلك فلا يصح في المعنى أن يراد بالآن تعريف الجنس.. لأنه يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون يراد به جميع الأزمنة، أو يراد به الأوقات الحاضرة، أو الآتية..) ثم فصل ذلك، وفي آخره قال: (فكذلك الآن أصله للوقت الحاضر، ثم قد يتسع فيه بعد ..) «الإغفال» ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٢) في (ج): (من قطع).

(٣) في (ب): (وليس أنه يراد).

(٤) (من): ساقط من (ب)، وفي «الإغفال»: (وما يأتي بعد) ص ٢٥٥.

(٥) في «الإغفال»: (بهما).

فالجواب: أن قولهم: (الذي) فيه الألف واللام وليس[١] تعريف الاسم بهما، إنما تعريفه بغيرهما.

والدليل على ذلك: تعريف سائر الموصولات[٢] سوى الذي[٣] ولا ألف ولام فيها. فقد وجدت الألف واللام في هذا الاسم[٤] أيضا لغير التعريف[٥].

ويدل أيضا على أن التعريف في (الذي) ليس باللام، أنّ كثيراً من العرب قد يستعمل موضع (الذي): (ذو)، وهو عندهم معرفة.

أنشد أبو زيد لقيس بن جِرْوة[٦] جاهلي:

لئنْ لَم تُغَيِّرْ[٧] بَعْضَ مَا قَدْ صَنَعْتُمُ
لَأَنْتَحِيَنْ[٨] لِلعَظْمِ ذُوأنا عارِقُه[٩]

---

(١) في (أ)، (ج): (ليس) بسقوط (الواو)، وثابتة في (ب)، و«الإغفال» ص ٢٥٦.

(٢) مثل (من) و(ما) و(أي)، انظر: «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٥٣.

(٣) والتي وبابهما مما فيه (الألف واللام).

(٤) قوله: (في هذا الاسم) أي: الآن كما في «الإغفال» ص ٢٥٧، واختصار الواحدي للكلام جعله محتملًا لأن يراد به (الذي).

(٥) انظر بقية كلام أبي علي في «الإغفال» ص ٢٥٧-٢٦٠.

(٦) هو قيس بن جروة الطائي، ويلقب بـ (عارق الطائي) شاعر جاهلي، انظر أخباره وترجمته في: «الحماسة»، «شرح المرزوقي» ٣/ ١٤٤٦، ١٤٦٦، «المزهر» ٢/ ٤٣٨، «الخزانة» ٧/ ٤٤٠.

(٧) في (ب): (يغير) وكذا يروى في بعض المصادر.

(٨) في (ب): (لا نتحن).

(٩) يروى البيت (فإن): بدل (لئن)، ومعنى (لا نتحين): لأقصدن و لأميلن. (عارقه): من عرق العظم، إذا نهشه بأسنانه. يقول: إن لم تغير ما صنعتم من الظلم، لأميلن إلى كسر العظم الذي أخذت ما عليه من اللحم، وورد في «نوادر أبي زيد» =

فإن قيل: إذا كانت اللام زيادة[١] في الذي غير متعرف بها، فهل يوجد حرف زائد لا يجوز إسقاطه؟ قلنا: قد يكون زائداً لازماً، ألا ترى أنهم يقولون: آثِراً ما[٢]، ولا يسقطون هذا الزائد، ورب[٣] زائد لازم حتى يكون بمنزلة ما هومن نفس الحرف.

ومثل ذلك (مِن) في ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ [الحج: ٤٨] و(ما) في سِيَّما[٤]، فليس لزوم هذا الحرف وامتناع حذفه مما يمنع من الحكم بزيادتها[٥]. ومما يقوي زيادة اللام، ما[٦] أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن[٧]، عن أبي العباس محمد بن يزيد[٨] عن أبي عثمان[٩] قال: سألت الأصمعي عن قول الشاعر:

= ص ٢٦٦ و«الكمال» ٣/ ٢١٩، و«الحماسة» بشرح المرزوقي ٣/ ١٤٤٧، و«الإغفال» ص ٢٦٠، و«شرح المفصل» ٣/ ١٤٨، و«اللسان» (عرق) ٥/ ٢٩٠٩، و«الخزانة» ٧/ ٤٣٨، ١١/ ٣٣٩.

(١) في (ب): (زائدة).

(٢) جعلوا (ما) لازمة وهي زائدة، انظر «الكتاب» ١/ ٢٩٤.

(٣) في (ب): (وب).

(٤) انظر: «الكتاب» ٢/ ١٧٠، ١٧١.

(٥) انظر بقية كلام أبي علي في «الإغفال» ص ٢٦١-٢٦٦.

(٦) (ما): ساقط من (ب).

(٧) في (ب): (الحسين) وفي «الإغفال»: (أبو بكر بن السراج ص ٣٦٦) وهو محمد بن السري، أبو بكر سبقت ترجمته، وليس في نسبه (الحسن أو الحسين). انظر: «طبقات النحويين» ص ١١٢، و«إنباه الرواة» ٣/ ١٤٥، «معجم الأدباء» ١٨/ ١٩٧.

(٨) المبرد، سبقت ترجمته.

(٩) المازني، سبقت ترجمته .

وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمُؤًا وَعَسَاقِلا وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ بَنَاتِ الأَوْبَرِ[١]

لم أدخل اللام[٢]؟ فقال: أدخله زيادة للضرورة، كقول الآخر:[٣]

يَا لَيْتَ أُمَّ العَمْرِو كانَت صَاحِبي[٤]

فكما أن اللام زيادة فيما ذكرنا، كذلك هو في (الآن) زائدة، ولا تستوحشنَّ من قولنا فيها، فقد قال بزيادته سيبويه والخليل في قولهم: مررت بهم الجمّاءَ الغفير نصب على نية[٥] إلغاء الألف واللام نحو: طرًّا

---

(١) البيت من الشواهد النحوية المشهورة، ولم يعرف له قائل، وقوله: (جنيتك): جنيت لك، وقوله: (أكمؤا): جمع كمأ، و(العساقل): نوع منه، وكذا (بنات الأوبر) وهو من رديئه، ورد البيت في «المقتضب» ٤/٤٨، «تهذيب اللغة» (العسقول) ٣/٢٤٣٦، و(جنى) ١/٦٧٤، و(وبر) ٤/٣٨٢٧، «الخصائص» ٣/٥٨، «المنصف» ٣/١٣٤، «الإنصاف» ٢٧٣، «المخصص» ١/١٦٨، ١١/١٢٦، ١٣/٢١٥، ٢١٦، ١٤/١٢٠، «شرح المفصل» ٥/٧١، «مغني اللبيب» ١/٥٢، «شرح ابن عقيل» ١/١٨١، «أوضح المسالك» ١/١٨٠، «اللسان» (سور) ٤/٢١٤٧، و(وبر) ٨/٤٧٥٢.

(٢) في «الإغفال»: (الألف واللام) ص ٢٦٦.

(٣) في «الإغفال»: (فقال أدخلها للضرورة كقول الآخر: باعَدَ أم العَمَرِ من أسيرِهَا ورَوينا عن أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي: ياليت أم العمر..) ص ٢٦٦، ٢٦٧.

(٤) لم يعرف قائل الرجز: وبعده:

مكان من أشتى على الركائب.

ويروى (أم العمر) ورد البيت في «الإغفال» ١/٢٦٧. «المخصص» ١/١٦٨، ١١/٢٢٠، «الإنصاف» ١/٣١٦، «المنصف» ٣/١٣٤، «تهذيب اللغة» (ربع) ٢/١٣٤٧، «الصحاح» (ضرب) ١/١٦٩، «اللسان» (ضرب) ٥/٢٥٦٩، و(وبر) ٨/٤٧٥٢، و(ربع) ٣/١٥٦٣، «شرح المفصل» ١/٤٤.

(٥) (على نية): ساقط من (أ)، (ج).

وقاطبة[١].

وقال به أبو الحسن والأصمعي، وقبله أبو عثمان وأبو العباس وأبو بكر، فلم يدفعوه فيما روينا عنهم في البيت، وأما أبو الحسن الأخفش فإنَّه قال في قولهم: (مررت بالرجل خير منك، ومررت بالرجل مثلك) إن اللام زائدة[٢]، وبعد: فإن حرف التعريف حرف كسائر الحروف التي تلزم معنى، ثم تزاد[٣] في موضع آخر معرًّى من ذلك المعنى، كـ (باء الجر، ومن) وغيرهما، وكما جاءت (ما ولا) زائدتين، ولكل واحد منهما معنى يلزمه إذا لم يزد، وكذلك حرف التعريف[٤].

فإن قيل: إذا كانت اللام زائدة فهلّا جعلت هذا الاسم من الأسماء المنكورة[٥] المبنية كـ (أين وكيف) ونحوه[٦]؟ فالجواب أن هذا الاسم لا يجوز أن يكون كـ (أين) ونحوه من المنكورة[٧] المبنية؛ لأن هذا مختص[٨]

---

(١) انظر: «الكتاب» ١/ ٣٧٥، وفيه: (كقولك: مررت بهم قاطبة، ومررت بهم طرّا) وانظر: «المنصف» ٣/ ١٣٤، «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٥٠-٣٦٨.

(٢) كلام أبي الحسن الأخفش ورد في «الإغفال» ص ٢٦٣، ٢٦٤. وفيه: (الألف واللام) زائدة، وانظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٦٦.

(٣) في (أ): (يزاد) وأثبت ما في (ب)،(ج) لأنه أنسب للسياق، ومثله في «الإغفال» ص ٢٦٨.

(٤) انتهى كلام أبي علي في «الإغفال» في هذه المسألة ص ٢٦٨. ثم عاد إليها مرة أخرى ص ٢٧٧، ونقل عنه الواحدي كما سيأتي.

(٥) في (ب): (المكنوزة).

(٦) «الإغفال» ص ٢٧٧.

(٧) في (ب): (المكنوزة).

(٨) (مختص): ساقط من (ب).

مشار به إلى شيء بعينه، كما أن (هذا) مشار به إلى شيء واحد بعينه من سائرِ ما يحضر[١].

ألا ترى أنك تخص به الوقت الحاضر دون الماضي ودون الآتي، إلا أن يتسع[٢] فيه فالإشارة به والقصد فيه إلى المعين المخصوص يخرجه عن أن يراد به الشائع المنكور[٣] كـ « كيف » وبابه.

قال أبو علي: وأما قول الفراء[٤] إن قولنا: (الآن) يجوز أن يكون الآن[٥] من قولنا: آنَ أن[٦] يفعل كذا، دخلت عليه [الألف واللام مثل شُبَّ[٧] إلى دُبَّ. وهذا قول يفسد في: اللفظ والمعنى، ومن حكم مثله ألا يعرج عليه][٨] أما فساده في اللفظ: فلأن ذلك لا يخلومن أحد أمرين: إما أن يكون فعلاً مجرّداً من الفعل. أويكون فعلًا معه فاعل.

فإن كان فعلاً مجردّاً من الفاعل لزم إعرابه وامتنع حكايته، وذاك مذهب العرب والنحويين جميعا.

---

(١) في «الإغفال»: (ما يخص).

(٢) في (ج): (تتسع)، ومثله في «الإغفال» ص ٢٧٧.

(٣) في (ب): (المكنون لكيف).

(٤) لم يذكر أبو علي الفراء باسمه وإنما قال: (وذكر بعضهم أن قولنا: (الآن) يجوز أن يكون..) «الإغفال» ص ٢٨٣.

(٥) في (ب): (الآن).

(٦) في (ج): (تفعل).

(٧) في «الإغفال» (من شب..) ص ٢٨٣.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ)، (ج)، وأثبته من (ب) ومثله في «الإغفال» ص ٢٨٣، واستقامة السياق تقتضيه.

ألا تراهم سمَّوا[١] العنبر بن عمرو بن تميم[٢]: خَضَّمَ[٣] لكثرة أكله[٤]، فأعربوه ولم يحكوه.

قال سيبويه: وسمعناهم يصرفون رجلاً سُمِّيَ كَعْسَبَ[٥]، وهو فعلل[٦] من الكعسبة، وهي[٧] شدة العدو، وإنما لم يجز حكايةُ الفعل إذا نُقِل فسمّي به من أجل أن الفعل يلزمه الفاعل[٨]، فلا يفارقه. فلوحكي بعد التسمية للزمه الفاعل كما كان يلزمه قبل؛ لأنه لا يخلو[٩] من الفاعل، الحكاية[١٠] فيه إذا سمي به تؤدي إلى خلاف الغرض المقصود؛ لأن

---

(١) في (ب): (ألا تراهم أنهم) وفي «الإغفال» (ألا ترى أنهم سموا) ص ٢٨٣.

(٢) العنبر بن عمرو بن تميم، كان شاعر، وإليه ينسب بني العنبر، انظر «الاشتقاق» لابن دريد ص ٢٠١، ٢١١، و«المزهر» ٢/ ٢٧٥.

(٣) في جميع النسخ (خضما) وفي «الإغفال»: (خضم) ص ٢٨٣. قال سيبويه: ولا يصرفون (خضّم) وهو اسم للعنبر بن عمرو بن تميم. «الكتاب» ٣/ ٢٠٨.

(٤) قال في الصحاح (خضّم) على وزن (بقّم) اسم العنبر بن عمرو بن تميم، يزعمون أنهم سموا بذلك لكثرة الخضم، وهو المضغ. الصحاح (خضم) ٥/ ١٩١٤، وانظر «اللسان» (خضم) ٢/ ١١٧٦- ١١٧٨.

(٥) في «الإغفال» ص ٢٨٢: (يسمى كعسبا). وكذا في «الكتاب» ٣/ ٢٠٦.

(٦) في «الكتاب» (وإنما هو (فَعَلَ) من الكعسبة. قال عبد السلام هارون: (لا يقصد بـ (فعل) الوزن الصرفي، وإلا فهو (فعلل) وإنما يقصد أنه منقول من الفعلية «الكتاب» مع حاشية عبد السلام هارون ٣/ ٢٠٦.

(٧) في (ب): (وهو).

(٨) في (ب): (الفعل).

(٩) (يخلو): ساقط من (ب).

(١٠) في (ب): (فالحكاية).

المُسمي بالفعل لوحكاه في حال[١] التسمية للزمه التسمية بالجملة دون المفرد، إذ الفعل لا يخلو من الفاعل بحال، فلما كان كذلك أزيل[٢] عن الفعلية بإعرابه، وترك حكايته، وصح التسمية به[٣] لذلك دون فاعله. ويدل على امتناع هذه الكلمة أن [تكون][٤] فعلا، دخول لام[٥] التعريف عليها، وهذه اللام دخولها يكون على الأسماء، كما أن التنوين من خواص الأسماء.

ولا يجوز[٦] في قولهم: (الآن)[٧] أن يكون فعلاً معه فاعله غير مجرد منه؛ لأن دخول اللام عليه يمنع ذلك، ألا ترى أن اللام لا تدخل على الجمل كما لا تدخل على الفعل فهذا فساده[٨] من جهة اللفظ.

وأما فساده من جهة المعنى، فقولهم: آن أن تفعل كذا[٩] مقلوب من[١٠] أنى يَأْني وأصل هذه الكلمة في اللغة إنما هوبلوغ الشيء[١١] وانتهاؤه ومكثه وامتداده، فهو خلاف الآن وعكسه. والدليل على صحة

---

(١) (حال): ساقط من (أ)، (ج)، وهو في (ب) «الإغفال» ص ٢٨٤.

(٢) في (ب): (أزيد).

(٣) في (ب): (بذلك).

(٤) في جميع النسخ (يكون) بالياء والتصحيح من «الإغفال» ص ٢٨٤.

(٥) في (ب): (اللام والتعريف).

(٦) «الإغفال» ص ٢٨٨.

(٧) في (ب): (ألا أن يكون).

(٨) أي قول الفراء.

(٩) (آن): ساقط من (ب).

(١٠) في (ج): (عن).

(١١) انظر: «تهذيب اللغة» (أنى) ١/ ٢٢٥، و(الآن) ١/ ٩٩.

القلب في هذا، أنه لا مصدر لـ (آن)، كما أن قولهم: أيس يأيس لما كان مقلوبًا من يئس ييأس[١] لم يكن له مصدر [ولوكان له مصدر][٢] لكان من باب جذب وجبذ[٣]، ولم يكن قلبا.

فإن قلت[٤]: فقد قالوا: الإياس، وقد سمّوا الرجل إياسًا؟

قيل: إن إياساً من إسْتَه إذا أعطيتَه[٥]، وتسميتهم بإياس كتسميتهم بـ (عطية وعطاء)، ومن هذا الباب قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[٦] أي أما بلغ، أما حان. والآن اسم للوقت الذي أنت فيه وهو باق، والباقي غير المتقضي[٧] المنتهي.

وأما قولهم: أعييتني من شُبَّ إلى دُبَّ[٨] فهذا الكلام مخرجه مخرج الأمثال التي تلزم طريقةً واحدةً ووجهاً واحداً، كقولك للرجل: أَطِرِّي

---

(١) في (أ)، (ج): (يأس)، وفي «الإغفال»: (يئس يئيس) ص ٢٨٨.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ)، (ج)، وأثبته من (ب) ومثله في «الإغفال» ص ٢٨٨، والسياق يقتضيه.

(٣) جبذ مقلوب من جذب قلبًا مكانيًا. انظر: «تهذيب اللغة» (جذب) ١١/ ١٥، «اللسان» (جذب) ١/ ٢٥٨.

(٤) في (ب): (وأن).

(٥) في «الإغفال» وقد سموا الرجل إياسا فما تنكر أن يكون غير قلب، فإن إياسا من إسته إذا أعطيته... «الإغفال» ص ٢٨٨ ، وانظر: «اللسان» (يأس) ٦/ ٢٥٩.

(٦) الحديد: ١٦، وفي (ج) زيادة: ﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

(٧) في (ب): (المقتض)، وفي «الإغفال»: (المنقض) ص ٢٩٢.

(٨) قال أبو علي: (.. فإن قلت كيف يكون فيه ضمير الفاعل، وقد يقال: (أعييتني منذ شب إلى دب) ولو كان في هذا ضمير فاعل لوجب أن يكون مذ شببت إلى أن دببت؟ فالجواب: أنه إنما كان كذلك لأنه كلام مخرجه مخرج الأمثال. . . الخ) «الإغفال» ص ٢٨٧.

فَإِنَّكِ نَاعِلة[١]، والصَّيفَ ضيَّعت اللبن[٢]، فمعنى هذا: أنت عندي ممن يجب أن يقال له هذا.

فهذه الأمثال وما شبه بها إنما تقال كما قيلت حيث جرت، ولذلك[٣] أيضًا دخلت (إلى) على الجملة كأنهم جعلوها الوقت[٤]. فأرادوا: أعييتني من وقت الشباب إلى وقت الكبر والدبّ بالعصا[٥].

وأما[٦] قوله: يجوز أن يكون الآن مأخوذا من الأوان فتكون الألف منقلبة عن الواو[٧]، فإن ذلك لا ينبغي أن يجوز، لأن هذه المبنية مشابهة بالحروف[٨] والأصوات [فكما لا يكون[٩] الحروف

---

(١) في جميع النسخ (فاعلة) وفي «الإغفال»: (ناعلة) وهو الصحيح، وفي الحاشية في (ب): (فاعلة). قال العسكري: يضرب مثلا للقوي على الأمر، وأصله أن رجلا كان تله أمتان راعيتان، إحداهما ناعلة والأخرى حافية، فقال للناعلة: أطري، أي: خذي طرر الوادي، فإنك ذات نعلين، ودعى سرارته، أي: وسطه لصاحبتك فإنها حافية. «جمهرة الأمثال» للعسكري ١/ ٥٠، «المستقصي» ١/ ٢٢١، «اللسان» (طرر).

(٢) يضرب مثلا لمن يضيع الأمر، ثم يريد استدراكه في غير وقته، وللمثل قصة مذكورة في كتب الأمثال. انظر: «أمثال العرب» للضبي ص ٥١، «الدرة الفاخرة» ١/ ١١، «جمهرة الأمثال» ١/ ٥٧٥.

(٣) في (ب): (وكذلك).

(٤) كذا في جميع النسخ، وفي «الإغفال» (للوقت) ص ٢٨٧.

(٥) انظر بقية كلام أبي علي ص ٢٨٧.

(٦) (أما): ساقط من (ب).

(٧) «الإغفال» ص ٢٩٥.

(٨) في «الإغفال»: (للحروف) ص ٢٩٥، وهذا أولى بالسياق.

(٩) في «الإغفال» (لا تكون) في الموضعين ص ٢٩٥.

والأصوات][1] مشتقة كذلك[2] لا يكون هذه[3] الأسماء مشتقة[4].

ومعنى قوله: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: بالوصف البين التام الذي دل على التمييز من بين أجناسها[5]، ويقال: جاء مجيئاً وجَيْئةً، ومنه: الجَيْئة[6]؛ لأنه يجيئها الماء فيجتمع فيهما.

[وقوله: ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ في الآية إضمار، أراد: فطلبوها، فوجدوها، فذبحوها][7].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ قال القرظي: لغلاء ثمنها[8].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٢) في (ب): (لذلك).

(٣) في (ج): (هذا).

(٤) هذا آخر ما نقله الواحدي عن أبي علي الفارسي من كتابه «الإغفال» عن (الآن) وقد أطال النقل وتصرف في نقله بالاختصار والتقديم والتأخير، وقد أشرت للفروق الهامة في أماكنها.
انظر: «الإغفال» ص ٢٥٣ - ٢٩٨.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٥٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٤ ب.

(٦) كذا يقال له: (جيئة) وجيأة وكل من كلام العرب. «تهذيب اللغة» (الجيأة) ١/ ٦٨٦، وقال صاحب اللسان: والجِئة والجِيئة: حفرة الهبطة يجتمع فيها الماء، والأعرف: الجِيّة. «اللسان» (جيا) ٢/ ٧٣٩.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من: (أ)، (ج) وأثبته من (ب). انظر معنى الآية في «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٤ ب، «الكشاف» ١/ ٢٨٨، «البحر المحيط» ١/ ٢٥٧.

(٨) ذكره الطبري ١/ ٣٥٤، «ابن أبي حاتم» ١/ ٤٢٦، «تفسير ابن كثير» ١/ ١١٩، وقال: وفي هذا نظر، لأن الثمن لم يثبت إلا من نقل بني إسرائيل. وانظر: «الدر المنثور» ١/ ١٥٢.

وقال وهب: مخافة الافتضاح[١]. وذكرنا ما في (كاد) عند قوله ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾ [البقرة: ٢٠].

قال عكرمة: لو أنهم عمدوا[٢] إلى أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكنهم شدّدوا فشُدِّد عليهم[٣]، وقيل: إن أول من راجع موسى في ذبح البقرة هوالقاتل مخافة أن ينكشف ويفتضح.

٧٢- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ الآية. كان الاختلاف في القاتل قبل ذبح البقرة، وإنما تأخر في الكلام؛ لأن الله ﷻ لما قال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] علم المخاطبون أن البقرة لم تذبح إلا للدلالة على قاتل خفيت عينه عليهم، فلما استقرّ علم هذا في نفوسهم أتبعه بقوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ على جهة التوكيد، لا أنه عرّفهم[٤] الاختلاف في القاتل بعد أن دلّهم على ذبح البقرة[٥]، وقيل: إنه

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٥٥- ٣٥٦، و«ابن كثير» ، وقال: (ذكره ابن جرير، ولم يسنده عن أحد). «تفسير ابن كثير» ١/ ١١٩. الصحيح: أن ابن جرير الطبري ذكره بسنده عن وهب.

(٢) في (ب): (عهدوا).

(٣) ذكره الطبري عنه، وعن عدة من السلف ٢/ ٢٠٤، وانظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ١١٩، «الدر المنثور» ١/ ١٥٢.

(٤) في (ب): (عن فهم).

(٥) وعلى هذا القول يكون قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ مقدّماً في التلاوة، وقوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ مقدّماً في المعنى على جميع ما ذكر من شأن البقرة، ذكر ذلك القرطبي، وقد ذكر في الآية ثلاثة أوجه، هذا أحدها .
والوجه الثاني: أن يكون قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ﴾ في النزول مقدمًا، والأمر بالذبح مؤخرًا .
والثالث: يكون ترتيب نزولها حسب تلاوتها، فكأن الله أمرهم بذبح البقرة حتى=

من المؤخر الذي يراد به التقديم، وتأويله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾، فسألتم موسى فقال لكم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾. وهذا عادة العرب في كلامهم، قال الله جل اسمه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ (١) قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١، ٢] أراد: أنزل على عبده الكتاب قيماً[(١)]. وقال الفرزدق يمدح خال هشام[(٢)]:

وَمَا مِثْلُه في النَّاسِ إلَّا[(٣)] مُملَّكًا أبـو أمِّـهِ حَـيٌّ أبـوهُ يُـقَـارِبُـهْ[(٤)]

أراد: وما مثله[(٥)] في الناس حي يقاربه إلا مملكاً، أبو أم المملك أبوه، فقدّم وأخّر.

= ذبحوها، ثم وقع ما وقع من أمر القتل، فأمروا أن يضرب ببعضها. «القرطبي» ١/٣٧٨- ٣٨٨، وانظر: «البحر المحيط» ١/٢٥٨.

وقد رجح أبو حيان أن الأمر بالذبح متقدم، والقتل متأخر كحالهما في التلاوة، ولا داعي لحمل الآيات عن ظاهرها، بل تظهر الحكمة البالغة في امتحانهم أولا بذبح البقرة هل يمتثلون أم لا؟

(١) انظر: «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٩٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٥ أ، «البغوي» ١/ ٨٤.

(٢) هشام بن عبد الملك بن مروان، أحد خلفاء بني أمية، وخاله هو إبراهيم بن هشام ابن إسماعيل المخزومي القرشي. انظر: «الكامل» ٥/ ١٢٣، «سير أعلام النبلاء» ٥/٣٥١، «الأعلام» ١/ ٧٨.

(٣) (ألا): ساقط من (ب).

(٤) البيت من شواهد البلاغة على التعقيد اللفظي يقول: وما مثله يعني الممدوح في الناس حتى يقاربه، أي: يشبهه في الفضائل، إلا مملكا يعني به هشاما، أبو أمه: أي أبو أم هشام أبوه، أي: أبو الممدوح، فالضمير في (أمه) نلملك، وفي (أبوه) للممدوح. ورد البيت في «المعاني الكبير» ١/٥٠٦، «الخصائص» ١/ ١٤٦، ٣٢٩، ٢/٣٩٣، «الكامل» ١/٢٨، «الصحاح» (ملك) ٤/ ١٦٠٩، «اللسان» (ملك) ٧/ ٤٢٦٦، «معاهد التنصيص» ١/ ٤٣، «الخزانة» ٥/ ١٤٦.

(٥) قوله: (أراد وما مثله) ساقط من (ب).

وأضاف القتل إليهم في قوله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ﴾ وإن كان القاتل واحدًا على ما ذكرنا من مذهب العرب أنهم يضيفون فعل البعض إلى جماعة القبيلة، يقولون للقبيلة: انهزمتم يوم ذي قار وإنما انهزم بعضهم[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ﴾ ينعطف على قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ﴾[٢] [البقرة: ٥٥]، ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا﴾ [البقرة: ٥٠] والذكر مضمر فيها كأنه: واذكروا إذ قتلتم[٣]، ولهذا لم يأت لـ (إذ) بجواب. ومثله قوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾[٤]، وليس شيء قبله تراه ناصباً لصالح، فعلم بذكر النبي وبالمرسل[٥] إليه أن فيه إضمار[٦]: أرسلنا.

ومثله: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. وهذا يجري على مثال ما قال في سورة ص: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا﴾ [ص: ٤٥][٧]، ثم ذكر الذين من بعدهم بغير (واذكر) لأن معناه متفق،

---

(١) سبق بيان هذا عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ الآية [البقرة: ٤٠]، ٢/ ٤٣٣ وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٠، ٩٨، «البحر المحيط» ١/ ٢٥٩.

(٢) في (أ)، (ج): (قتلتم تصحيف).

(٣) كذا في «معاني القرآن» للفراء نقل عنه بتصرف ١/ ٣٥، والمراد أن (إذ) يقدر قبلها (اذكر) في أول موضع وردت فيه وما بعدها عطف عليهما وذلك في قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ [البقرة: ٤٩]. انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٢٦٩، ٢٧٥، ٢٨٩، ٣٥٦.

(٤) الأعراف: ٧٣، هود: ٦١.

(٥) في (ب): (المرسل) بسقوط الواو والباء.

(٦) (إضمار) ساقطة من: (أ)، (ج)، وأثبتها من (ب)، ومثله في «معاني القرآن» ١/ ٣٥، والسياق يقتضيها.

(٧) وفي «معاني القرآن» للفراء: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ﴾.

فجاز ذلك، ويستدل على (أن) في هذه الآية[١] مضمرة أنه قال: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦]، ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡ﴾ [الأعراف: ٨٦] فلما ذكر ههنا (واذكروا)[٢] مع (إذ) علم أنه مراد مع (إذ) وإن حذف[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ﴾ قال ابن عباس: اختلفتم فيها[٤].

وقال الربيع: تدافعتم[٥].

وأصل الدرء: الدفع، يعني: ألقى ذاك على هذا، وهذا على ذاك، فدافع كل واحد عن نفسه[٦]. والتدارؤ والمدارأة مهموزتان.

قال أبو عبيد: وهي المشاغبة والمخالفة على صاحبك[٧].

ومنه حديث قيس بن السائب[٨]: «كان رسول الله صلىٰ الله عليه

---

(١) في «معاني القرآن»: ويستدل على أن (واذكروا) مضمرة مع (إذ) أنه قال: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ١/ ٣٥.

(٢) في (ج): (واذكر).

(٣) انتهى النقل عن الفراء. «معاني القرآن» ١/ ٣٥.

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٥ أ، وانظر: «تفسير البغوي» ١/ ٨٤، «زاد المسير» ١/ ١٠١.

(٥) «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٥ أ، وانظر: «تفسير البغوي» ١/ ٨٤.

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٥ أ. وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٦. «تفسير الماوردي» ١/ ٣٦٧. وذكر الطبري في معنى الآية قولين: الأول: اختلفتم وتنازعتم، والثاني: تدافعتم، قال: وهو أي: القول الثاني قريب من المعنى الأول ١/ ٣٥٦. وذكر ابن فارس: أن (الدرء) مهموز: أصل واحد بمعنى: الدفع. «مقاييس اللغة» (درى) ٢/ ٢٧١.

(٧) «غريب الحديث» ١/ ٣٣٧، «تهذيب اللغة» (درى) ٢/ ١١٨١.

(٨) هو قيس بن السائب بن عويمر بن عائذ بن مخزوم، ذكر ابن حجر عن ابن حبان: أن له صحبة. انظر: «الجرح والتعديل» ٧/ ٩٩، و«الإصابة» ٣/ ٢٣٨.

وسلم شريكي[١]، فكان خير شريك لا يدارئ ولا يماري»[٢]. وكل من دفعته عنك فقد دارأته.

قال أبو زبيد[٣]:

كَـانَ عَـنِّـي يـردُّ دَرْؤُكَ بَـعْـدَ اللهِ شَغْبَ المُسْتَصْعَبِ المِرِّيدِ[٤]

---

(١) في (ب): (وكان خير) بسقوط (شريكي).

(٢) الحديث أخرجه أحمد في «مسنده» عن قائد السائب عن السائب، وعن مجاهد عن السائب بن أبي السائب ٣/ ٤٢٥. وأبو داود عن قائد السائب عن السائب. «سنن أبي داود» كتاب الأدب، باب: كراهية المراء. وابن ماجه عن قائد السائب عن السائب (٢٢٨٧) كتاب: التجارة، باب: الشركة والمضاربة.
وأخرجه الطبري عن السائب، وقد تكلم شاكر في حاشية الطبري عن الحديث وبين ما في سنده من ضعف، وما في الحديث من اضطراب. «تفسير الطبري» مع «حاشية شاكر» ٢/ ٢٢٣.
والحديث أورده أبو عبيد في «الغريب» ١/ ٣٣٦، ٣٣٧. والأزهري في «تهذيب اللغة» (درى) ٢/ ١١٨١.
وذكر الحديث ابن حجر في «الإصابة» وقال: (أخرجه البغوي والحسن بن سفيان وغيرهما من طريق محمد بن مسلم الطائفي عن إبراهيم بن ميسرة عن مجاهد، وأخرجه أبو بشر الدولابي في «الكنى» من هذا الوجه، لكنه قال: أبو قيس بن السائب كذا عنده، وقيس بن السائب أصح...).
«الإصابة» ٣/ ٢٣٨.

(٣) أبو زبيد هو حرملة بن المنذر الطائي، شاعر مشهور، أدرك الإسلام واختلف في إسلامه. انظر: «الشعر والشعراء» ص١٨٥، و«الإصابة» ٤/ ٨٠، «الخزانة» ٤/ ١٩٢.

(٤) البيت من قصيدة لأبي زبيد رثى بها ابن أخته، (الشغب): تهييج الشر، و(المرّيد): مبالغة في المارد، يقول: كان دفعك عني بعد الله يرد عني شر كل مريد. ورد البيت في «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٢٠٢، «اللسان» (درأ) ٣/ ١٣٤٧، و(شغب) ٤/ ٢٢٨٣، «الخزانة» ٩/ ٧٦.

وأصله تدارأتم ثم أُدغمت التاءُ في الدال وأُدخلت الألفُ لِيسلَمَ سكونُ الحرف الأول[١].

ومثله: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ [التوبة: ٣٨]، ﴿ٱطَّيَّرْنَا﴾ [النمل: ٤٧].

قال الكسائي: التاء إذا كانت في الأفعال تدغم في حروف كثيرة، في التاء مثل: اتّابع بمعنى تتابع، وأنشد:

تُولِي الضَّجِيعَ إذا مَا اسْتَافَهَا خَصِراً
عَذْبَ المَذَاقِ إِذَا مَا اتَّابَعَ القُبَلُ[٢]

وفي الثاء نحو: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ [التوبة: ٣٨] وفي الدال نحو: ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾ [الأعراف: ٣٨] وفي الذال نحو: ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾[٣] وفي الصاد نحو: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩] وفي الزاي نحو: ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ [يونس: ٢٤] وفي الطاء نحو: (اطَّهَّروا)[٤] و﴿ٱطَّيَّرْنَا﴾[٥]، وفي السين نحو: ﴿واسَّمَّعَ﴾[٦]

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٥٦، «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٣٧، وللأخفش ١/ ٢٨٣، وللزجاج ١/ ١٢٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٥ أ، و«البيان» ١/ ٩٥، «الدر المصون» ١/ ٤٣٤.

(٢) لم أجد من نسبه وقوله: (استافها): دنا منها وشمها. و(الخصر): البارد من كل شيء، ويريد الريق. ورد البيت في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٣٨، و«تفسير الطبري» ١/ ٣٥٦، ١٠/ ١٣٣، «تفسير القرطبي» ٨/ ١٤٠.

(٣) وردت في عدة آيات منها: الأنعام: ١٢٦، والأعراف: ٢٦، ١٣٠، والأنفال: ٥٧، والتوبة: ١٢٦، والنحل: ١٣.

(٤) في (ب): (اطهر). جزء من آية المائدة: ٦، سياقها: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾.

(٥) في (ج): (ولطيرنا). آية: ٤٧ من سورة النمل.

(٦) وعلى إدغام التاء في السين - أيضا - ورد قوله تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات: ٨].

وفي الظاء نحو: ﴿تَظَّهَرُونَ﴾[1]، وفي الشين نحو: ﴿تَشَّقَّقُ﴾[2] فمتى ما لقيت التاء حرفاً من هذه الحروف أُدغمت، وإذا لم تَلقَه ظهرت[3]، من ذلك: يتعلّمون ويتكلّمون ويترامون، ولا يكون مدغمًا.

فإن ابتدأت بقوله: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ وأخواته فقد اختلف الناس فيه. فقال بعضهم: إذا ابتدأت قلت: تثاقلتم: فتركت الإدغام[4]، قال: وهذا أحب إليّ. وقال بعضهم: لا بل أقطع الألف فأقول: اثاقلتم، يكون[5] هذه الألف كألف وافتعل واستفعل عند الابتداء. ولم يكتب[6] بالألف إلا وهي هكذا عند الابتداء.

قال الكسائي: ولم أسمع من العرب إلا بالبيان، وذلك أن الإدغام لا يكون إلا وقبله شيء، فأما إذا ابتدأت فلا .

قال الفراء: والعرب تبني المصدر على الإدغام كما بنوا الفعل، فيقولون: ادّارأ ادّارُؤا مثل ادّارَكَ ادّارُكاً واثّاقَل اثّاقُلاً وازّامُلاً، وما كان

---

(١) هذا على قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر بتشديد الظاء في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَّٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الآية [البقرة: ٨٥] وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالتخفيف. انظر «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٣٠.

(٢) هذا على قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر بتشديد الشين في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ الفرقان: ٢٥ وكذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ﴾ ق: ٤٤ وبقية السبعة بالتخفيف، انظر: «السبعة» ص ٤٦٤، ٦٠٧.

(٣) في (ب): (اظهرت).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٣٧، ٤٣٨، «تفسير الطبري» ١/ ٣٥٦، ١٠/ ١٣٣، «تفسير القرطبي» ٨/ ١٤٠.

(٥) (يكون): كذا في (أ)، (ج)، وفي (ب) بدون إعجام والأولى (تكون).

(٦) في (ب): (تكتب).

مثله فإن فيه الإدغام[١] والإظهار في مصدره[٢]. وكتب في المصحف (فادّرأتم) بغير ألف قبل الراء[٣] كما كتبوا (الرحمن) بغير ألف الاختصار، لأنهم قد يحذفون لطول الكلام كما يحذفون لكثرة الاستعمال.

وقوله: (فيها) الكناية عائدة على النفس[٤].

وقال ابن الأنباري: يجوز أن تعود على القتلة، لأن (قتلتم) يدل على المصدر[٥]. ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمر القتيل، وأدخل التنوين لأنه ميعاد في المستقبل[٦]، وقد مضى الكلام في هذه المسألة[٧].

٧٣- قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ﴾ قال ابن عباس: اضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف، وهو المقتل.

وقال الضحاك: بلسانها، واختاره الحسين بن الفضل.

سعيد بن جبير: بعَجْب ذنبها، واختاره يمان بن رباب، قال: لأنه

---

(١) في (ب): (الإظهار والإدغام).

(٢) في (أ)، (ج): (مصدر) بدون الهاء، وأثبت ما في (ب)، لأنه أنسب للسياق.

(٣) قال الداني: (اتفق جمعها -أي: مصاحف الأمصار- على حذف الألف التي هي في صورة الهمزة في قوله في البقرة: (فادارأتم) لا غير)، «المقنع» ص ٢٦.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٥٧، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٥١، «البحر المحيط» ١/ ٢٩٥.

(٥) ونحوه قال ابن عطية ١/ ٣٥١، وأبو حيان في «البحر» ١/ ٢٩٥، وذكر قولًا ثالثًا، وهو: أن الكناية تعود على التهمة.

(٦) قال الزجاج: (الأجود في (مخرج) التنوين، لأنه ميعاد لما يستقبل، أو للحال) «معاني القرآن» ١/ ١٢٦، وانظر: «الكشاف» ١/ ٢٨٩، «البحر المحيط» ١/ ٢٩٥.

(٧) وهي أن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الاستقبال أو الحال ينون ولا يضاف لما بعده، وهذا عند البصريين، أما عند الكوفيين فيجوز إضافته .

أساس البدن الذي[١] رُكِّبَ عليه الخلقُ[٢]. ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ معناه: اضربوه ببعضها فيحيا، فضُرِبَ فحَيِيَ[٣]، كذلك يحيي الله الموتى كما أحيا هذا القتيل، وأضمر (فيحيى) كما قال: ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء:٦٣] والمعنى: فضرب فانفلق[٤]، فهذا احتجاج على منكري البعث[٥].

فإن قيل: ما معنى ضرب القتيل ببعض البقرة، والله قادر على إحيائه بغير ذلك؟

والجواب: أنّ في ذلك تأكيداً أنه ليس على جهة المخرقة والحيلة، ولا على جهة الكهانة والسحر، إذ جعل الأمر في إحيائه إليهم، وجعل ذلك عند الضرب بموات لا إشكال في أنه علامة لهم وآية للوقت الذي يحيا فيه

---

(١) (الذي): ساقط من (ب).

(٢) هذه الأقوال، عن ابن عباس، والضحاك، وسعيد، في «تفسير الثعلبي» بنصها ١/ ٨٥ أ، وذكر الطبري عن مجاهد وقتادة: بالفخذ، وعن السدي: بالبعضة التي بين الكتفين، وعن أبي العالية: بعظم من عظامها، وعن ابن زيد: بعضو من أعضائها. ثم قال الطبري: (والصواب من القول عندنا، أنه يقال: أمرهم الله جل ثناؤه أن يضربوا القتيل ببعض البقرة ليحيا المضروب، ولا دلالة في الآية، ولا في خبر تقوم به حجة، على أي أبعاضها التي أمر القوم أن يضربوا القتيل به.... ولا يضر الجهل بأي ذلك ضربوا القتيل، ولا ينفع العلم به، مع الإقرار بأن القوم قد ضربوا القتيل ببعض البقرة بعد ذبحها، فأحياه الله). «تفسير الطبري» ١/ ٣٥٩- ٣٦٠، وانظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ١١٩- ١٢٠.

(٣) قوله: (فضرب فحيى) ساقط من (ب).

(٤) قوله: (والمعنى فضرب فانفلق) ساقط من (ب).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٨، و«تفسير الطبري» ١/ ٣٦١، و«تفسير الثعلبي» ١/ ٨٥ أ.

عندما يكون منهم، فبان أنه من فعل الله ﷻ[١].

وقوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يقال: أَرَيْتُه الشيءَ إرايةً[٢] من غير همز شبيهاً بالمنقوص، مثل: إقامة، وترك الهمز؛ لأن الياء في أريت غير مهموز.

ويقال أيضًا: أريته إِرَاءَة، لأن الياء إذا جاءت بعد الألف همزت، ويقال أيضا: إراءً بنوا على الهمز كأنهم قالوا: أرأيته إِرْءَاءً، ثم تركوا الهمز، قال الفراء: وأجودها[٣]: إراية غير مهموز.

وروى شمر عن ابن الأعرابي: أَرَيْتُه الشيءَ إراءةً وإراية وإِرْءَاءَةً[٤].

ومعنى قوله ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي: آيات قدرته في خلق الحياة في الأموات. قال الزجاج: وهذه القصة في القرآن من أدلّ الدلائل على نبوة محمد ﷺ، حيث أخبرهم بما صدّقه في ذلك أهلُ الكتاب، وهو رجل عربي أمّي لم يقرأ كتاباً ولم يتعلم من أحد، ولم يكن هذا من علم العرب[٥].

٧٤- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ معنى القسوة في اللغة: الشدة والصلابة واليبس، ويقال: حجر قاسٍ. صلب، وأرض قاسية: لا تنبت شيئا، وعامٌ قَسِيٌّ: ذو قحط، قال شمر: هوالشديد[٦] لا مطر فيه[٧].

---

(١) انظر: «تفسير الماوردي» ١/ ٣٦٩، «البحر المحيط» ١/ ٢٦١.

(٢) في (ب): (ارايته).

(٣) (أجودها): ساقط من (ب).

(٤) «تهذيب اللغة» (رأى) ٢/ ١٣٢٧، وانظر: «اللسان» (رأى) ٣/ ١٥٣٧- ١٥٤٥.

(٥) بمعناه في «معاني القرآن» ١/ ١٢٢.

(٦) قوله: (هو الشديد) ساقط من (ب).

(٧) «تهذيب اللغة» (قسا) ٣/ ٢٩٥٥، وانظر: «اللسان» (قسا) ٦/ ٣٦٢٢.

ويقال: قَسا قلبُه يَقْسُو قَسْوَةً وقَسَاوةً وقُسُوًّا[(١)].

وقال بعضهم: قسا قلبه قِسِيًّا، والعرب تقلب الفعول في المصدر إلى الياء فيقول: طغا طِغِيّاً وعتا عِتِيّاً.

قال أبو إسحاق: وتأويل القسوة ذهاب اللين والرحمة والخشوع[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾.

أي من بعد إحياء الميت لكم بعضوٍ من أعضاء البقرة، وهذه آية عظيمة كان يجب على من شاهدها أن يلين قلبه[(٣)] ويخضع[(٤)].

قال الكلبي: قالوا بعد ذلك: لم نقتله نحن، فلم يكونوا قط أعمى قلباً ولا أشد تكذيباً لنبيهم منهم عند ذلك[(٥)].

قال أبو إسحاق: ويحتمل أن يكون (من بعد ذلك)، أي: من بعد إحياء الميت والآيات التي تقدمت، نحو: مسخ القردة والخنازير، ورفع الجبل فوقهم، وانبجاس الماء من حجر. وإنما جاز (ذلك) للجماعة، ولم يقل: (ذلكم)، لأن الجماعة يؤدي عن لفظها الجميع والفريق، والخطاب في لفظ واحد، والمعنى جماعة[(٦)].

---

(١) (قُسُوًّا): كذا ضبط في: (أ)، ومثله في «الوسيط» ١/ ١٣٢، وفي «تفسير الطبري» ٣٦١ (قَسْوا) وكذا في «القاموس» ٢٠/ ٧٨.

(٢) انظر: «معاني القرآن» ١/ ١٢٨، «تهذيب اللغة» (قسا) ٣/ ٢٩٥٥، والنص من «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٥ ب.

(٣) في (ج): (عليه).

(٤) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٢٨، وله قول آخر يأتي ذكره قريبًا. وانظر «تفسير الطبري» ١/ ٣٦١- ٣٦٢.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٨٥ ب، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٨٥.

(٦) في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٨.

وقوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ قال أبو إسحاق: لا يجوز عندي إسكان الواو والياء من (هو وهي) لأن كل مضمر فحركته إذا انفرد الفتح نحو (أنا) فكما لا يسكن نون أنا فلا تسكن[١] هذه الواو.

قال أبو علي فيما استدرك عليه[٢]: إسكان الواو من (هو) والياء من (هي) غير ممتنع.

ولوقال قائل: الجيد الإسكان[٣] لسكون النون في أنت[٤]، كما قال هو[٥]: لا يجوز الإسكان فيها لتحرك النون في (أنا)، لما كان بينهما فصل.

فإن قلت: فقولهم: (نحن) من المضمر المنفصل، وآخره متحرك فذلك لا يشبه هو وهي وأنا وأنت، لأن آخر (نحن) إنما حرك لالتقاء الساكنين، ولوكان آخره متحرّكًا من الجهة التي ذكرت[٦] لا لالتقاء الساكنين لما جاز إسكان الآخر من (هم) ومن (أنت) لأنهما أيضا مضمران منفردان. فإن قلت: إن آخر (أنت) متحرك، وليس بساكن، كما أن آخر (أنا) متحرك. فليس هذا بسؤال، لأن آخر الاسم في أنت إنما هو النون، والتاء للخطاب وليست من نفس الكلمة، كما أن الألف من (أنا) إذا وقعت لتبيين الحركة في الوقف، لا من نفس الحرف فإن اعتد بـ (التاء) مع أنها زائدة في

---

(١) في (أ): (يسكن) وأثبت ما في: (ب، ج)، ومثله ورد في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٣٠.

(٢) «الإغفال» ص ٢١١.

(٣) أي: الإسكان في (الياء) من (هي)، و(الواو) من (هو). انظر: «الإغفال» ص ٢١١.

(٤) قوله: (في أنت) ساقط من: (ب).

(٥) أي: الزجاج، وفي «الإغفال»: (كما قال أبو إسحاق) ص ٢١١.

(٦) ما الجهة التي ذكر؟ قال في «الإغفال» (فتبين مما ذكرنا أن (نحن) لم يحرك آخره من حيث كان مضمرا منفردًا) ص ٢١٢.

الكلمة، فليعتد بـ (الألف) أيضًا في (أنا) مع كونها زائدة، وإذا اعتد بها سقط الاحتجاج، لأنها حينئذٍ ساكنة الأخير، وإنما اختير الحركة في هو وهي لأنها أكثر، وفي اللغات أشهر، لا لما ذكره[١].

ويدل على جواز[٢] هذا الإسكان[٣] ما أخبرني محمد بن[٤] الحسن عن أبي حاتم عن أبي زيد:

كَأُطُوم فَقَدَتْ بُرْغُزَهَا أَعْقَبَتْهُ الغُبْسُ منه عَدَمَا
غَفَلَتْ ثم أَتَتْ تَرْقُبُهُ فإذا هي بِعظامٍ ودَمَا[٥]

وقوله تعالى: ﴿كَالْحِجَارَةِ﴾ قال الليث: الحجارة جمع الحجر[٦]، وليس بقياس، لأن الحجر يجمع على أحجار، ولكن يجوز الاستحسان في العربية مثل الاستحسان في الفقه، وترك[٧] القياس.

---

(١) انظر: «الإغفال» ص ٢١١، ٢١٢.
(٢) (جواز): ساقط من (ج).
(٣) في «الإغفال»: (ويدل على جواز هذا الإسكان إذا جاءت به رواية ثقة غير ممتنع ما أخبرنا..) ص ٢١٣.
(٤) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد.
(٥) لم أعثر على قائل البيتين. قوله: (أُطُوم): يريد البقرة الوحشية، (بُرْغُزَها): ولدها، (الغُبْسُ): الذئاب أو الكلاب. ورد البيتان في «الإغفال» ص ٢١٣، «مجالس العلماء» للزجاجي ص ٣٢٦، «المنصف» ٢/ ١٤٨، «اللسان» (برغز) ١/ ٣١٥، و(اطم) ١/ ١٧٠، «الخزانة» ٧/ ٤٩١، وورد الشطر الثاني من البيت الثاني في «التكملة» ص ٣٠، «المخصص» ٦/ ٩٣، والبيت الثاني في «شرح المفصل» ٥/ ٨٤، «الهمع» ١/ ١٣. وبهذين البيتين انتهى ما نقله الواحدي عن أبي علي الفارسي من كتاب «الإغفال» ص٢١١-٢١٣.
(٦) في (ج): (حجر).
(٧) في (ب): (وترى)، وفي «تهذيب اللغة» (ترك القياس له..) ١/ ٧٤٦.

قال[١]: ومثله: المِهَارة والبِكَارة، لجمع: المُهْر والبَكْر[٢].

وأقرأني العروضي عن الأزهري، قال: أخبرني المنذري عن أبي الهيثم قال: العرب تدخل الهاء في كل جمع على فِعَال أوفُعُول، فتقول: عظام وعِظَامةٌ وفِحَالةٌ وجمالةٌ[٣] وذِكَارةٌ وذُكورَة وفُحُولَة وعُمُومة وحُمُولَة، قال: وإنما زادوا هذه الهاء لأنه إذا سكت عليه اجتمع فيه عند السكت ساكنان[٤]. قال الأزهري: وهذه العلة[٥] أحسن من علة الاستحسان الذي شَبَّهه بالاستحسان في الفقه[٦].

قال المفسرون: إنما شبه قلوبهم بالحجارة في الغلظة والشدة، ولم يقل[٧]: (كالحديد)، وإن كان الحديد أصلب من الحجارة، لأن الحديد يلين بالنار، وقد لان لداود بإذن الله حتى صار كالعجين، ولا تلين الحجارة بمعالجة أبداً، ولأن في الحديد منافع، تلك المنافع لا توجد في الحجارة، فشبه الله قلوبهم بالحجارة لقسوتها ولعدم المنفعة منها[٨].

---

(١) (قال): ساقط من (ج).

(٢) «تهذيب اللغة» (حجر) ١/ ٧٤٦، وانظر: «اللسان» (حجر) ٢/ ٧٨١.

(٣) في «تهذيب اللغة»: (حبالة)، وفي الحاشية (د): (جمالة).

(٤) في «تهذيب اللغة»: أخبرني المنذري عن أبي الهيثم. ثم ذكره مع بعض الاختلاف في العبارة (حجر) ١/ ٧٤٧، وانظر: «اللسان» (حجر) ٢/ ٧٨١.

(٥) في (ب): (اللغة).

(٦) «تهذيب اللغة» (حجر) ١/ ٧٤٦، وفيه: (قلت: وهذا هو العلة التي عللها النحويون فأما الاستحسان الذي شَبَّهه بالاستحسان في الفقه فإنه باطل، ومثله في «اللسان» (حجر) ٢/ ٧٨.

(٧) (يقل): ساقط من (ج).

(٨) انظر: «تفسير البغوي» ١/ ٨٥، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٢١.

وقوله: ﴿أَوۡ أَشَدُّ﴾ (أو) دخلت لغير معنى شك، ولكنها للإباحة[١] كما ذكرها في قوله: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٍ﴾، وقيل: (أو) هاهنا بمعنى بل[٢] كقوله تعالى: ﴿أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧].

وقيل: أراد إبهام علم ذلك على المخاطبين، كالعادة في مثل هذا في المخاطبة أن يقال: فلان كالبدر أو أحسن، وكالبحر أو[٣] أجود، فأما الله تعالى فهو عالم أي ذلك كان[٤]. وارتفع (أشدُّ) بإضمار (هي) كأنه قال: أو هي أشدُّ[٥].

ويجوز أن يرتفع بالعطف على موضع الكاف، كأنه قيل: فهي مثل الحجارة[٦] أوأشد[٧].

قال ابن عباس في هذه الآية: إنما قال: ﴿أَشَدُّ قَسۡوَةً﴾ لأن الحجارة

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٢٩، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٢- ٣٦٣، و«تفسير أبي الليث» ١/ ٣٩٥، «الماوردي» ١/ ٣٧٢، «ابن عطية» ١/ ٣٥٤.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٣، «تفسير أبي الليث» ١/ ٣٩٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ٨٥ أ، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٧٢، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٥٤.

(٣) في (ب): (بل أجود).

(٤) ذكره الطبري في «تفسيره» ورجّحه ١/ ٣٦٢- ٣٦٣، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٧١، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٥٤- ٣٥٥، وذكر الأخفش: أنها بمعنى (الواو) «معاني القرآن» ١/ ٢٨٤، وقد رده الزجاج وقال: (أو) لا تصلح بمعنى (الواو) و«المعاني» ١/ ١٢٩، وهذا على قول البصريين، انظر: «الإنصاف» ص٣٨٣، وانظر ما سبق عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٍ﴾.

(٥) انظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٢٨٤، وللزجاج ١/ ١٢٩، «الطبري» ١/ ٣٦٣.

(٦) في (ب): (كالحجارة).

(٧) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٣، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ١٨٨، «الكشاف» ١/ ٢٩٠، «البحر المحيط» ١/ ٢٦٣.

ليس لها ثواب ولا عليها عقاب، وهي تخاف الله تعالى[١]، وقد مر عيسى ابن مريم ﷺ بجبل فسمع منه أنيناً فقال: يا رب ائذن لهذا[٢] الذي يئنّ حتى يكلّمني، فأذِن اللهُ للجبل فقال: إني سمعت الله يقول: ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] فخفتُ أن أكون من تلك الحجارة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[٤]. الكناية عائدة على (ما)، و(ما) من المبهمات يجوز تذكيره وتأنيثه، تقول العرب: من النعال ما يعجبني بالياء والتاء حملاً على التأويل[٥]. وقيل: إن (من) واقعة على بعض الحجارة، وبعض مذكر، والعرب تقول: بعض النساء قام، وبعضهن قمن، فمن ذكر فللفظ (بعض) ومن أنث فلتأويله[٦]. والأنهار جمع نهْر ونَهَر، وأصله من السعة، يقال: أنهرت الفتق، أي: وسعته[٧]، ومنه قوله[٨]:

---

(١) لم أجده بهذا النص عن ابن عباس والله أعلم، وأخرج الطبري في «تفسيره» نحوه عن ابن عباس وقتادة ١/ ٣٦٤، وانظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٤٣٣، «تفسير ابن كثير» ١٢٠، ١٢٢، «الدر المنثور» ١/ ١٥٦.

(٢) في (ب): (لهذا الجبل).

(٣) ذكره السيوطي في «الدر» وعزاه إلى ابن المنذر عن عبد العزيز بن أبي رواد، «الدر» ٦/ ٣٧٥.

(٤) في (ج): (وإن من الحجارة لما يشقق فيخرج منه الماء).

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٣- ٣٦٤، «إعراب القرآن» للنحاس ١٨٨، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٥٦، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٩٤، «البحر المحيط» ١/ ٢٦٥.

(٦) ذكره الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٤٩.

(٧) انظر: «تهذيب اللغة» (نهر) ٤/ ٣٦٧٤، «الصحاح» (نهر) ٢/ ٨٤٠.

(٨) البيت لقيس بن الخطيم.

.... فأنهرت فتقها[١]

والنهر: اتساع الضياء، والنهر: أوسع من الجدول، والانتهار: إظهار الزجر، لا يكنى عنه، والنهار: ولد الكروان[٢]، لأنه مشبه بالنهار لبيضه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ قيل: أراد به جبل موسى، لما تجلّى ربه للجبل جعله دكّاً[٣].

وقال ابن الأنباري: يجوز أن يجعل الله تعالى للحجر عقلاً فيخشاه، كما جعل بحراء[٤] عقلاً حتى عرف خطاب النبي ﷺ[٥]، وكذلك ما

---

(١) تمام البيت:
مَلَكْتُ بها كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا يَرَى قَائِمٌ مِن دُونِها ما وَراءَها
سبق البيت وتخريجه.

(٢) قال الليث: فرخ القطاة، وقال الأصمعي: فرخ الحبارى. انظر: «تهذيب اللغة» (نهر) ٤/ ٣٦٧٤، «الصحاح» (نهر) ٢/ ٨٤٠، وفي «القاموس»: فرخ القطا أو ذكر البوم، أو ولد الكروان أو ذكر الحبارى (نهر) ص ٤٨٩.

(٣) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٣٠، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٧٣، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٥٧- ٣٥٨.

(٤) في (ب): (لحراء).

(٥) لعله بهذا يشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان و علي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «**اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**» مسلم (٢٤١٤). كتاب فضائل الصحابة، فضائل طلحة والزبير، وأخرج أبو داود نحوه وفيه: «أثبت حراء..» «سنن أبي داود» (٤٦٤٨)، كتاب: السنة، باب: الخلفاء، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة (فضائل العشرة) .

صحت الأخبار به من تسبيح الحصا في يد رسول الله ﷺ[١]. وكذلك قوله تعالى: في قصة داود ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠] وروي عنه ﷺ أنه قال: «**إني لأعرف**[٢] **حجراً بمكة كان يسلّم عليّ كلّما مررتُ به**»[٣].

وروي أنه قال: «**كان موسى** ؏ **يخرج من الرَّوحاء يؤمُّ هذا البيت يُلَبّي، ومقامُ الروحاء يُجاوبه**»[٤]. وكذلك قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] يدل على عقل

---

(١) أخرجه البيهقي بسنده عن أبي ذر ؓ، وفيه: (.. وبين يدي رسول الله ﷺ سبع حصيات، أو قال: تسع حصيات فأخذهن فوضعهن في كفه فسبحن، حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل.. الحديث) وفي بعض رجاله ضعف. انظر: «دلائل النبوة» ٦/ ٦٤، ٦٥، وذكر الحديث ابن حجر في «الفتح» وعزاه للبزار، والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «الدلائل»، وقال: (.. وأما تسبيح الحصى فليست له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها..) «فتح الباري» ٦/ ٥٩٢ .

(٢) في (ب): (لا أعرف).

(٣) أخرج مسلم نحوه عن جابر بن سمرة ولفظه: «**إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن**» مسلم (٢٢٧٦). كتاب الفضائل، فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه)، وأخرجه الترمذي (٣٦٢٤) أبواب المناقب، باب (في إثبات نبوة النبي ﷺ وما خصه الله به). معه «عارضة الأحوذي»، والدارمي في «سننه» باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر والبهائم والجن ١/ ١٢، وأحمد في «مسنده» ٥/ ٨٩، ٩٥، ١٠٥.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ، وأخرج أحمد بسنده عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بوادي الأزرق، فقال: «**أي واد هذا؟**»، قالوا: هذا وادي الأزرق، فقال: «**كأني انظر إلى موسى** ؏ **وهو هابط من الثنية وله جؤار إلى الله** ﷻ **بالتلبية**».. «المسند» ١/ ٢١٥، ٢١٦. وأخرج عن ابن عباس وفيه: «**وأما موسى** ؏ **.فرجل آدم جعد على جمل أحمر مخطوم بخلبة، كأني أنظر إليه إذا انحدر من الوادي يلبي**» «المسند» ١/ ٢٧٧، وانظر «البداية والنهاية» ١/ ٣١٦.

يُركَّب في الجبل لو أنزل القرآن عليه، لأنّ في القرآن أمراً ونهياً، ولا يؤمر ولا ينهى[١] من لا يعقل[٢].

وقيل: إن الخشية في اللفظ للحجر، وفي المعنى للناظر إلى الحجر، وذلك[٣] أنه تعالى يهبط الحجارة [دلالة للناظر على قدرة الله، فيحمله ذلك على الخشية، فنسب الخشية إلى الحجر][٤] لما كان منه بسبب مجازاً[٥]، كما تقول العرب: لفلان ناقة تاجرة، أي: تامة سمينة تُنفِّق نفسَّها وتدعو إلى[٦] شرائها والتجارة فيها، كذلك قال: الحجارة خاشية من الله، أي: داعية إلى الخشية[٧]، ومعنى الآية: وإن منها ما يهبط فيدعو الناظرَ إليها إلى[٨] خشية الله.

وقال مجاهد: كلُّ حجر تفجّر منه الماءُ أوتشقّق عن ماء أوتردّى من

---

(١) في (ج): (وينهى).

(٢) ذكر نحوه الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٦٥، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٧٤، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٥٧- ٣٥٨.

(٣) في (ب): (وقيل أنه تعالى).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٥) في (ب): (مجاز).

(٦) في (ب): (إلى الله سرابها).

(٧) ذكر الطبري في «تفسيره» نحوه ١/ ٣٦٥، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٧٤، «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٥٧- ٣٥٨، قال الزجاج: (وقال قوم إنها أثر الصنعة التي تدل على أنها مخلوقة، وهذا خطأ، لأن ليس منها شيء ليس أثر الصنعة بيّنًا في جميعها، وإنما الهابط منها مجعول فيه التميز..) «معاني القرآن» ١/ ١٣٠، وانظر: «تفسير القرطبي» ١/ ٣٩٥، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٢١- ٢٢٢.

(٨) (إلى): ساقط من (ب).

رأس جبل فهومن خشية الله [نزل به القرآن[١].

وقال بعض المتأولين: من قال: المراد بالحجارة في قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾][٢] أنه يركَّب فيها التمييز والعقل، فقد أخطأ[٣]، إذ كان لا يُستنكر ذلك ممن جُعِل فيه التمييز، ولكن هذا على جهة[٤] المثل، كأنه يهبط من خشية الله لما فيه من الانقياد لأمر الله الذي لوكان من حيّ قادر لدلَّ على أنه خاشٍ لله كقوله: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧] أي: كأنه مريد. وكقول جرير:

لمَّا أَتَى خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ   سُورُ المدينةِ والجِبَالُ الخُشَّعُ[٥]

أي: كأنها خاشعة للتذلل الذي ظهر[٦] فيها كما يظهر تذلل الخاشع،

---

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٦٤، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٤٣٣، «تفسير الماوردي» ١/ ٣٧٤، انظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٣٥٦- ٣٥٧، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٢١- ١٢٢.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) نسب الرازي هذا القول للمعتزلة ٣/ ١٣١.

(٤) في (ب): (على وجه).

(٥) من قصيدة قالها جرير في هجاء الفرزدق، يقول: لما وافى خبر قتل الزبير إلى المدينة تواضعت هي وجبالها وخشعت حزنًا له، لأن قاتل الزبير من رهط الفرزدق. ورد البيت في مواضع كثيرة منها، «الكتاب» ١/ ٥٢، «مجاز القرآن» ١/ ١٩٧، «الكامل» ٢/ ١٤١، «المقتضب» ٢/ ١٩٧، «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ص ٥٩٥، «جمهرة أمثال العرب» ٢/ ٣٣٣٩، «الأضداد» لابن الأنباري ص ٢٩٦، «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٧، والطبري في «تفسيره» ١/ ٢٦١، ٣٦٥، «الخزانة» ٤/ ٢١٨، «الخصائص» ٢/ ٤١٨، «المخصص» ١٧/ ٧٧، «تفسير القرطبي» ١/ ٣٩٥، «البحر المحيط» ١/ ٢٦٦، «رصف المباني» ص ٢٤٤، «ديوان جرير» ص ٢٧٠.

(٦) في (ب): (للتذل ظهر الذي فيها).

هذا كلام أهل المعاني في معنى خشية الحجارة[١]، والصحيح: أنها تخشى الله حقيقة كما قال مجاهد، ولكنا لا نقف على كيفية ذلك كسجود الجمادات لله تعالى، ذهب كثير من المفسرين إلى أنها تسجد لله تعالى على الحقيقة ولا نقف عليه نحن.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ اختلف القراء في مثل هذا، فقرأوا بالياء والتاء[٢].

والقول في جملة ذلك[٣] أن ما كان قبله خطاب جعل بالتاء ليكون الخطاب معطوفاً على خطاب مثله، كقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم﴾ ثم قال: ﴿عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ فالتاء هاهنا حسن، لأن المتقدم خطاب.

ومن[٤] قرأ بالياء[٥] فمعناه: ما الله بغافل عما يعمل هؤلاء الذين اقتصصنا عليكم قصّتهم[٦] أيها المخاطبون، وأما إذا كان قَلَبه غيبةً حَسُنَ أن

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٥، وقد قال بعد أن ذكر هذه الأقوال: (وهذه الأقوال وإن كانت غير بعيدات المعنى مما تحتمله الآية من التأويل، فإن تأويل أهل التأويل من علماء سلف الأمة بخلافها، فلذلك لم نستجز صرف تأويل الآية إلى معنى منها)، ٢/ ٢٤٣، وإلى نحو هذا مال القرطبي في «تفسيره» وقال: إنه لا يمتنع أن يعطي الله الجمادات المعرفة والعقل ولا ندرك نحن كيفيته، ١/ ٤٦٥، وانظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ١٢١، وبهذا أخذ الواحدي كما يأتي قوله.

(٢) قرأ ابن كثير بالياء، وبقية السبعة بالتاء في هذه الآية، انظر: «السبعة» ص ١٦٠، «التيسير» ص ٧٤، «حجة القراءات» لابن زنجلة ص ١٠١.

(٣) نقله عن «الحجة» لأبي علي بتصرف ٢/ ١١٣.

(٤) في (ب): (فمن).

(٥) في (ج): (الياء) بسقوط الباء.

(٦) في (ب): (قصته).

يجعل على لفظ الغيبة ليعطف بالغيبة على مثله، كما عطفت الخطاب على مثله، ويجوز فيما كان قبله لفظ[١] غيبة: الخطاب، ووجه ذلك: أن يجمع بين الغيبة والخطاب، فتغلب[٢] الخطاب على الغيبة، لأن الغيبة يغلب عليها الخطاب، فيصير[٣] كتغليب المذكر على المؤنث. ألا ترى أنهم قدموا الخطاب على الغيبة في باب الضمير، فقالوا[٤]: أعطاكهو[٥] ولم يقولوا: أعطاهوك، فعلمت أن الخطاب [أقدم في الرتبة كما أن المذكر مع المؤنث كذلك، ويجوز في الخطاب][٦] بعد الغيبة وجه آخر، وهو: أن يراد به: وقل لهم أيها النبي: وما الله بغافل عما تعملون. ومعناه[٧]: وعيد لهم وتهديد[٨].

٧٥- وقوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ يعني النبيَّ والمؤمنين[٩]. ومعنى الطمع: تعليقُ النفس بما يُرجى ويُظَنّ[١٠]. وَالألف فيه ألفُ

---

(١) في (ب): (فيما كان لفظه غيبة).

(٢) في (ب): (فيغلب).

(٣) في (ب): (فتصير).

(٤) في (ب): (فقال).

(٥) كذا في جميع النسخ، وفي «الحجة» (اعطاكه) ٢/ ١١٣، وهو الصواب.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٧) قوله: (ومعناه) ساقط من (ب).

(٨) انتهى من «الحجة» لأبي علي ٢/ ١١٣-١١٤، وانظر: «حجة القراءات» لابن زنجلة ص ١٠١، «الحجة» لابن خالويه ص ٨٢، «الكشف» ١/ ٤٤٨.

(٩) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٦، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ١٤٩، عن ابن عباس والربيع بن أنس والحسن، «تفسير الثعلبي» ١/ ٩٩٤.

(١٠) ينظر «المصباح المنير» ص ٣٤٨.

استخبار، يجري في كثير من المواضع مجرى الإنكار والنهي، إذا لم يكن معها نفيٌ، كأنه آيَسَهم من الطمع في إيمان هذه الفرقة، فإذا كان في أوّل الكلام نفيٌ، فإنكار النفي تثبيت[١]، نحو قوله: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٌ﴾ [تبارك: ٨] وسيأتي بعد هذا لِمَ جعل الاستفهام للإنكار[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ﴾ يعني به: جماعةَ اليهود[٣]؛ لأنّه قال: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ﴾ [البقرة: ١٤٥]. يعني به: جماعتَهم؛ لأن الخاصةَ تتبعُ العامة.

﴿وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ﴾ أي: جماعة. وأصله من الفَرْق، ومعناه: طائفة فرقت من الجملة كالفئةِ، قالوا: أصلها من فأوتُ[٤] رأسَه: أي: شَقَقْتُه[٥].

واختلفوا في هذا الفريق، فقال مجاهد[٦] وقتادة[٧] والسُدّي[٨]:

---

(١) فصَّل هذه المسألة ابن هشام الأنصاري في كتابه «مغني اللبيب عن كتاب الأعاريب» ١/ ١٧.

(٢) في (م): (الإنكاري) وفي (أ): (الإنكار).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ٩٩٤.

(٤) هذا مما يذكر في الواوي واليائي، أي فأوت وفأيت، وقوله: الفئة على وزن فعة، قال الأزهري في «تهذيب اللغة» : وكانت في الأصل فئوة بوزن فعلة فنقص. انظر «لسان العرب» ٦/ ٣٣٣.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٦.

(٦) رواه مجاهد في «تفسيره» ص ٨٠ ومن طريقه (الطبري) ٢/ ٢٤٥، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٤٩، وذكره «الثعلبي» في «تفسيره» ١/ ٩٩٤ وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٠٣- ١٠٤، «ابن كثير» في «تفسيره» ص١٢٢-١٢٣.

(٧) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٤٩ وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٩٩٤، ابن كثير في «تفسيره» ص ١٢٢-١٢٣.

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٦٧، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٤٩ وذكره =

يعني به الذين غيّروا أحكام التوراة وبدّلوا الحرام بالحلال، وغيروا آية الرجم، وصفة محمد ﷺ[1].

وعلى هذا القول معنى قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ أي: من موسى أو ممن سمعوه كما أنزل ثم غيّروه. ويجوز أن يكون معناه: يفهمون كلامَه. وقال ابن عباس[2] ومقاتل[3]: نزلت هذه الآية في السبعين، الذين[4] اختارهم موسى وذهبوا معه[5] إلى الميقات، وسمعوا كلام الله ﷻ وهو يأمره وينهاه، فلما رجعوا إلى قومهم سألهم الذين لم يذهبوا معهم، فقالت طائفة منهم لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم: سمعنا الله في آخر كلامه يقول: «إن استطعتم أن تفعلوا هذه الأشياء فافعلوا، وإن شئتم فلا تفعلوا ولا بأس»[6].

=«الثعلبي» في «تفسيره» ١/ ٩٩٤ وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٩٠ «ابن كثير» ص ١٢٢-١٢٣.

(١) وهذا قول جمهور المفسرين، ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٩٩٤، «الوسيط» للواحدي ١/ ١٦٠ «أسباب النزول» للواحدي ص ٣١ وعزاه لأكثر المفسرين، «تفسير البغوي» ١/ ١١٣ و«تفسير ابن كثير» ص ١/ ١٢٢-١٢٣، ورجَّحه ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٠٣.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٤٨ وذكره «الثعلبي» ١/ ٩٩٤، والواحدي في «أسباب النزول» ص ٢٧، و«الوسيط» ١ / ١٦٠، و«البغوي» ١ / ١١٣.

(٣) «تفسير مقاتل» ١/ ١١٦، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٩٩٤، والواحدي في «أسباب النزول» ص ٣١، «الوسيط»١/ ١٦٠.

(٤) ليست في (أ).

(٥) قوله: (وذهبوا معه): ليست في (م).

(٦) وروي هذا القول عن ابن إسحاق والربيع بن أنس، رواه عنهما الطبري ٢/ ٢٤٦، وابن أبي حاتم ١/ ١٤٨ وذكره ابن كثير ١/ ١٠٥، ورجحه الطبري محتجًا بأن الله أخبر أن التحريف كان ممن سمع كلام الله، وهؤلاء الذين كانوا في عهد =

فغيّروا ما سمعوا، ولم يؤدّوه على الوجه الذي سمعوه، فقيل في هؤلاء الذين شاهدهم النبي ﷺ: إنهم إن كفروا وحرفوا فلهم سابقة في كفرهم، وهذا مما يقطع الطمع في إيمانهم[(١)] ؛ لأن الطمعَ قد ينقطعُ بغلبةِ الظن كما ينقطع مع العلم، فإذا ظهرت الأمارات التي توجب غلبة الظن انقطع الطمع. بيان ذلك: أنا لا نطمع في إيمانِ ملكِ الرومِ مع غلبةِ الظن أنه لا يؤمن، كما لا نطمع في إيمان أبي جهل[(٢)]، مع العلم بأنه لا يؤمن وقد هلك، واليأس إنما يكون مع اليقين أنه لا يقع، وهذا هو الفرق بين

=النبي ﷺ من نسلهم أحرى بالجحود والتحريف؛ لأن أسلافهم سمعوا من الله وحرفوا متعمدين التحريف، وهؤلاء سمعوا منكم أنتم، ولذا قطع الله أطماع المؤمنين في إيمانهم. ثم رد ابن جرير على أصحاب القول الأول قولهم، بأنه لوكان المراد: سمعوا التوراة، لم يكن لذكر قوله: (يسمعون كلام الله) معنى مفهوم، لأن ذلك قد سمعه المحرف وغيره، فخصوص المحرف بالسماع لا معنى له. وقد بين ابن كثير ص ١/ ١٢٢-١٢٣ أن القول الأول أعلم،وأنه ليس يلزم من سماع كلام الله أن يكون سمعه منه كما سمعه الكليم قال تعالى: ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ [التوبة: ٦] أي: يسمعه مبلغًا إليه. وممن ضعف القول الثاني ابن عطية ١/ ٣٥٩ فقال: وفي هذا القول ضعف، ومن قال: إن السبعين سمعوا ماسمع موسى فقد أخطأ وأذهب فضيلة موسى عليه السلام واختصاصه بالتكليم، ونقله القرطبي ٢/ ١، وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٠٣: وقد أنكر بعض أهل العلم، منهم الترمذي صاحب «النوادر»، هذا القول إنكارًا شديدًا. وقال: إنما خص بالكلام موسى وحده، وإلا فأي ميزة، وجعل هذا من الأحايث التي رواها الكلبي، وكان كذابًا. وينظر: «العجائب» ١/ ٢٦٢.

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٧-٣٦٨.

(٢) هو: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أحد سادات قريش في الجاهلية، وأشد الناس عداوة للنبي ﷺ في صدر الإسلام، حتى كانت وقعة بدر الكبرى فشهدها مع المشركين فكان من قتلاهم. ينظر: «السيرة النبوية» ٢/ ٣٥٨.

اليأس وبين قطع الطمع. وليس قولُ من قال: المراد بالفريق هاهنا الذين سمعوا كلامَ الله في وقت المناجاة أولى من القول الأول بأن هؤلاء سمعوا كلام الله على الحقيقة[١]، من جهة أن الكلام يضاف إلى المتكلم على وجهين، وكلاهما حقيقة: أحدهما: يضاف إليه على أنه المظهر له.

والآخر: يضاف إليه على معنى الحكاية لما كان مظهرًا له.

يوضح ذلك أنك تقول: هذا كلام سيبويه[٢] بعينه إن لم يحكه الحاكي على المعنى دون تأدية اللفظ[٣]؛ ولهذا نقول: القرآن كلام الله على الحقيقة، وإن كنا لا نسمعُ الله يقولُ ذلك عند تلاوته.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ التحريفُ: تفعيلٌ من الحَرْف، والحَرْفُ في أصل اللغة: حدّ الشيء وحِدَّتُه، ومِنْه يقال: طعامٌ حِرِّيْفٌ، يراد حِدَّتُه، فالتحريف أن يَجْعَلَ للشيء حَرْفًا كتحريف القلم. هذا أصل معناه في اللغة، ثم استعمل في معنى الإمالة والتغيير، وهذا المعنى راجع إلى أصله في اللغة؛ لأن بالإمالة يصير الشيءُ ذا حَرْفٍ، ألا ترى أن القلم إنما يصير مُحَرَّفًا إذا أُمِيلَ قَطْعُهُ في أحد الجانبين، فصار التحريف اسمًا لتغيير الشيء عن وجهه[٤].

---

(١) يريد: سمعوا كلام الله من رسوله أو من كتابه المنزل.

(٢) هو: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، وقد تقدمت ترجمته في المقدمة.

(٣) يريد: إن حكاه الحاكي بلفظه. ينظر: «تهذيب اللغة»١/ ٨٨٣، «اللسان» ٢/ ٩٥٤، «مقاييس اللغة» ٢/ ٤٢.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٨، «تهذيب اللغة» ١/ ٧٨٦، «المفردات» للراغب ص ١٢١ وقال: وتحريف الشيء إمالته كتحريف القلم، وتحريف الكلام أن تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أي: يعلمون أنّ الذي حرفوا ليس من قبل الله، إنما هو مفتعل من جهتهم. أعلمنا الله تعالى أنهم لم يحرفوا ما سمعوا على جهة النسيان والخطأ، بل جهة القصد والتعمد. وقيل: ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أن الذي يفعلونه مُكسِبٌ للأوزار[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قال ابن عباس[٢] والحسن[٣] وقتادة[٤][٥]: يعني منافقي اليهود، كانوا إذا رأوا المؤمنين قالوا: آمنّا بمحمد أنه نبي صادق نجده في كتابنا، فإذا رجعوا إلى رؤسائهم لاموهم على ذلك[٦].

وقالوا: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾. ومعنى التحديث: الإخبار عن حوادث الزمان. وأصل الفتح: نقيض الإغلاق، ثم يدخل في هذا فتح البلاد، وفتح المِغْلاق، وفتح المُشكل من الحكم، وفتح الباب، وكلّ مَا بَدَأْتَ به فقد استفتحته، وبه سميت فاتحة الكتاب، ومعنى استفتحته:

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٨، «ابن أبي حاتم» ١/ ١٤٩، «زاد المسير» ١/ ١٠٤.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ٢/ ٢٤٩، ٢٥٠.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٥١.

(٤) رواه الطبري في تفسيره بمعناه عنه ١/ ٣٦٩، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ١٤٩، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٩٠.

(٥) أخرج أثر ابن عباس: ابن جرير الطبري ١/ ٣٦٩. وأخرج ابن أبي حاتم أثر الحسن ١/ ٧٨٥، وذكره عن قتادة ١/ ٧٧٩، ٧٨٧، ونسبه السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ١٥٧ إلى عبد بن حميد.

(٦) روي هذا القول أيضًا عن السدي وأبي العالية، والربيع بن أنس، ومجاهد وعطاء وابن زيد، ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٩- ٣٧٠، «ابن أبي حاتم» ١/ ١٤٩ - ١٥٠ «زاد المسير» ١/ ١٠٤، «الدر المنثور» ١/ ١٥٧.

ابتدأت فتحه، كما يبتدأ الدخول إلى الشيء بفتح بابه، ومنه: الفتّاح للحاكم؛ لأنه يفتح القضيّة المستغلقة[١]. وأما (يستفتحون) بمعنى: يستنصرون، فهم يسألون الفتح.

ومعنى قوله: ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ قال ابن عَبَّاسٍ[٢] وأبو العالية[٣] والحسن[٤] وقتادة[٥] أي: من العلم بصفةِ محمد ﷺ المبشَّر به ونعتِهِ.

وقوله تعالى: ﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾ معنى المحاجة: المجادلة والمخاصمة. وأصل الكلمة: من القصد، ومنه: حَجَّ البيتَ، والحجة: النكتة[٦] التي هي القصد في تصحيح الأمر، والمحجة: الطريقُ القاصدُ بك إلى الغرض الذي تؤمّه[٧].

ومعنى قوله: ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ﴾ أي: ليجادلوكم، يعني: أصحاب محمد، ويقولون: قد أقررتم أنه نبي حقٌّ في كتابكم ثم لا تتّبعونه، فهذه حجة لهم عليكم[٨].

وقوله تعالى: ﴿عِندَ رَبِّكُمْۚ﴾ قال أبو بكر[٩]: معناه: في حكم ربكم، كما تقول: هذا حلال عند الشافعي، أي: في حكمه، وهذا يحل عند الله:

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٥٤ «تفسير الثعلبي» ١/ ٩٩٥، «القرطبي» ٢/ ٣.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٧٠.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٣٧٠، و«ابن أبي حاتم» ١/ ٧٨١.

(٤) بنحوه أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٧٨٥، ٧٨٧.

(٥) أخرجه الطبري ١/ ٣٧٠ بأسانيد عن قتادة.

(٦) في (م): (النكة). والنكتة هي النقطة.

(٧) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٧٤٤-٧٤٦ مادة حج، «مقاييس اللغة» ٢/ ٢٩-٣١.

(٨) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٩٩٦.

(٩) يعني: ابن الأنباري.

أي: في حكمه، فعلى هذا معناه: لتكون لهم الحجة عليكم عند الله في الدنيا والآخرة. ويحتمل: أنه أراد عند ربكم في الآخرة؛ لأنهم يقولون لكم: يا معشر اليهود آمنا بمحمد ولم نقرأ صفته، وكفرتم به بَعْد أن وقفتم على صِدقه في التوراة. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أفليس لكم ذهن الإنسانية[١]. وهذا من كلام رؤسائهم لهم في لومهم إياهم، فقال الله تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي: من التكذيب ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من التصديق.

٧٨- قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ قال أبو إسحاق: معنى الأمي في اللغة: المنسوب إلى ما عليه جبلّة[٢] الأمة: أي: لا يكتب، فهو في أنه لا يكتب على ما ولد عليه[٣].

وقال غيره: قيل للذي لا يكتب: أمّي؛ لأن الكتابة مكتسبة، فكأنه نُسِبَ إلى ما ولد عليه، أي: هو على ما ولدته أمّه.

وقال ابن الأنباري: إنما سمّي الذي لا يكتب، ولا يقرأ: أمّيّاً؛ لأنه نسب إلى أمّه، إذ كان النساءُ لا يكتبن في ذلك الدّهر[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ جَمْعُ أُمْنِيّة، وأُمْنِيَّة في الأَصْلِ: أُمْنُوية

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ٩٩٧.

(٢) في (ش): (حيلة).

(٣) «معاني القرآن» ١/ ١٥٩.

وفي «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٤ مادة (أمّ) النص هكذا: معنى الأمي في اللغة المنسوب إلى ما عليه جبلته أمه.

(٤) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٤-٢٠٥، و«المحيط في اللغة» للصاحب بن عباد ١٠/ ٤٥٩، «تفسير القرطبي» ٢/ ٤، و«اللسان» ١/ ١٢٣.

فقلبت الواو ياءً لسكونها ثم أدغمت[١]، ويجوز في أداء[٢] جَمعها التخفيف على نقصان إحدى الياءين[٣]، وكذلك ما كان على هذا الوزن من الجمع الصحيح ففيه لغتان، نحو: قرقور وقراقر[٤] وإن شئت: قراقير، وحواجب وحواجيب، وجلابب وجلابيب.

فأمَّا الغواشي والجوابي[٥] والجواري والليالي فليس فيها إلَّا التخفيف؛ لأنّها منقوصات، وواحدَتُها خفيفة[٦].

والأمنيَّة: من التمنّي، كالأغنية من التغنّي. قال الكسائي: أصل التمني في اللغة: حديثُ الرجلِ نفسَه، والعرب تقول: تركتُه قاعدًا يتمنى، أي: يحدث نفسَه.

وأنشد لكعب بن مالك[٧] يرثي أباه:

---

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٥٤

(٢) ساقطة من (أ) و(ش).

(٣) قال أبو حاتم: كل جمع من هذا النحو، واحده مشدّد فلك فيه التخفيف والتشديد، مثل: بَخَاتي، وأثافي، وأغاني، وأماني ونحوها ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٧٦-٣٧٧، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥٤، «المحتسب» لابن جني ١/ ٩٤ «تفسير الثعلبي» ١/ ٩٩٩.

(٤) القرقور: السفينة العظيمة الطويلة.

(٥) في (م): (الجواني).

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٩، «معاني القرآن» للأخفش الأوسط ١/ ١١٧-١١٨، «تفسير الطبري» ٢/ ٣٧٦-٣٧٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٥٩، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥، «المحتسب» لابن جني ١/ ٩٤.

(٧) هو: كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري الخزرجي، شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خلفوا فتاب الله عليهم، اختلف في تاريخ وفاته بين ٤٠ و ٥٠ هـ وغيرها. ينظر: «أسد الغابة» ٤/ ٤٨٧-٤٨٩، «الإصابة»: ٣/ ٣٠٢.

تـمـنّـى كـتـابَ الله أولَ لـيـلِـهِ   وآخرها[١] لاقى حِمَام المقادر[٢]

أي: قرأ، يسمّى[٣] القراءة تمنِّيًا، لأنها تشبه التحدث، وما تمناه الإنسان فهو مما[٤] يحدث به نفسه[٥]؛ ولهذا فُسِّرت الأماني في هذه الآية بالأحاديث.

وقال غيره: أصل هذه الكلمة عند أهل اللّغة من التقدير. والتمني: هو تقدير شيء تودُّه، والمنيّة مقدرةٌ على العباد، والمَنَى الذي يوزن به: مقدار معروف، والمَنِيُّ: الذي يقدَّرُ منه الولد، والتمني: التلاوة؛ لأنها حكاية على مقدار المحكيِ، والمنا[٦]: الحذاء؛ لأن أحد الشيئين بإزاء الآخر على مقداره[٧]، ومُنيت[٨] بكذا أي: قُدِّر علَيّ.

والأمنية في هذه الآية: التلاوة؛ لأنها حكاية للكلام على مقدار

---

(١) كذا في الأصل: وآخرها، وفي «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٠٠، «اللسان» ٧/ ٤٢٨٤، «تفسير القرطبي» ٢/ ٦: وآخره.

(٢) البيت في «ديوانه» ص ٢٩٤ قاله في رثاء عثمان بن عفان، وينظر «تفسير ابن عطية» ١/ ١٦٩، «القرطبي» ٢/ ٥، وقيل: هولحسان بن ثابت كما في «تفسير أبي حيان» ٦/ ٣٨٦، وليس في «ديوانه»، وبلا نسبة في «لسان العرب» ٧/ ٤٢٨٤، و«مقاييس اللغة» ٥/ ٢٧٧، وكتاب «العين» ٨/ ٣٩٠. ينظر «المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية»، للدكتور/ أميل بديع يعقوب ٣/ ٣٧٠. وحمام المقادر: الموت.

(٣) في: (م) لعلها (يسمي).

(٤) في (م) و(ش): (ما).

(٥) في (ش): تحدث نفسه.

(٦) في (م): (المنا الذي).

(٧) ينظر: «القاموس» ١٣٣٦: (مادة: المنا).

(٨) في (م): (أمنيت).

حُروفه من غير زيادة .

وقال ابن السكيت: يقال: هو مُنّي[1] بمَنَى مِيل، أي: بقدر ميل[2] .

وقال الفراء: يقال: مَنىَ الله لك ما يَسُرّك، أي: قَدّر لك. وأنشد:

ولا تقولَنْ لشيء سوف أفعله حتى تَبَيّنَ[3] ما يَمْني[4] لَكَ الماني[5]

أي: ما يقدر لك القادر[6] .

فأمَّا التفسير، فقال ابن عباس: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾: إلّا أحاديث[7]، قال: لا يعلمون إلّا ما حُدّثوا .

وقال الفرَّاء: الأمانيّ: الأحاديث المفتعلة، يقول الله: لا يعلمون الكتاب ولكن هو أحاديث مفتعلة ليست من كتاب الله يسمعونها من كبرائهم[8]، وهذا قول الكلبي[9]. واختاره الزجّاج في أحد قوليه، وقال:

---

(١) في (ش): (تمني).

(٢) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥٤ ولم أجده في كتابيه: «تهذيب الألفاظ»، و«إصلاح المنطق».

(٣) في (م): (يبين). وفي (ش): (بين) وفي «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥٤: تُلاقيَ.

(٤) في (ش): (تمنى).

(٥) البيت لأبي قلابة الهذلي، في «شرح أشعار الهذليين» ص ٧١٣، ولسويد بن عامر «المصطلقي في لسان العرب» ٧/ ٤٢٨٢، وذكره في «تهذيب اللغة» عن الفراء ولم ينسبه ٤/ ٣٤٥٤.

(٦) لم أجده في مظنته من «معاني القرآن» للفراء، ونقله عنه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥٤.

(٧) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٦١، و«ابن أبي حاتم» ١/ ١٥٢.

(٨) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٤٩-٥٠.

(٩) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٩٩٩، وينظر: «البغوي» ١/ ٨٨، «الخازن» ١/ ٧٧.

إلّا أكاذيب، والعربُ تقول: أنت إنما تتمنى[١] هذا القول، أي: تختلقه[٢]. وقال أحمد بن يحيى: التمني: الكذب، يقول الرجل: والله ما تمنيت هذا الكلام ولا اختلقته[٣].

قال ابن الأنباري[٤]: والمُنى تشبه الكذب لأنه لا حقيقة لها، والعرب تذمّها كما تذم الكذب، قال الشاعر:

فَـلا يَـغُـرَّنْـكَ مَـا مَـنَّـتْ ومَـا وَعَـدَتْ
إنَّ الأمَـانِـيَّ وَالأحْـلامَ تَـضْـلِـيـلُ[٥]

وقال أبو عبيدة[٦] وابن الأنباري[٧] وابن قتيبة[٨] والزجّاج[٩] في أحد قوليهِ: الأماني: التلاوة، واحتجوا ببيتِ كعبٍ، فأرادَ أنّهم يقرؤون عن ظهر القلب ولا يقرؤون في الكتب[١٠].

وقيل: يقرءون في الكتاب ولا يعلمونه بقلوبهم، فهم لا يعلمون

---

(١) في (ش): (تتمنى). في (أ) و(م): (تمتني)، وما في (ش) موافق لما في «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٥٩.
(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٥٩.
(٣) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١٥/ ٥٣٤.
(٤) في (م): (الأنبار).
(٥) البيت لكعب بن زهير، ينظر: «ديوانه» ص ٩، «لسان العرب» ٧/ ٤٢٨٤، «المعجم المفصل» ٦ / ٣٤٧.
(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٩٩٩،وليس هو في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة.
(٧) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥٦
(٨) ينظر: «تفسير غريب القرآن» ص ٤٦.
(٩) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٥٩.
(١٠) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٩٩٩، «تفسير البغوي» ١/ ٨٨ «زاد المسير» ١/ ١٠٥.

الكتاب إلا تلاوة ولا يعملون به[1]، فليسوا كمن يتلونه حقّ تلاوته، فيُحِلّون حلالَه، ويحرمون حرامه، ولا يحرفونه عن مواضعه[2].

قال ابن الأزهري: والتلاوة سميت أمنية ؛لأن تالي القرآن إذا مر بآية رحمة تمنّاها، وإذا مرّ بآية عذاب تمنّى أن يُوَقّاه[3].

وقال الحسن[4] وأبو العالية[5] وقتادة[6]: أي: إلّا أن يتمنوا على الله الباطل والكذب، ويتمنون على الله ما ليس لهم، مثل قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠] وقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ [البقرة: ١١١] وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١٨]. قال ابن الأنباري: والاستثناء على هذا التأويل منقطع عن الأوّل، يريد: لا يعلمون الكتاب البتة، لكنهم يتمنون على الله مالا ينالون[7].

---

(١) في الأصل (يعلمون)، وهو تحريف.

(٢) ينظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٥٦.

(٣) «تهذيب اللغة» ١٥/ ٥٣٤.

(٤) ذكره «الثعلبي» في «تفسيره» عنه ٢/ ١٠٠١، وينظر: «الوسيط» للمصنف ١/ ١٦٢، و«البغوي» ١/ ٨٨.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره بمعناه ٢/ ٣٧٤-٣٧٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٥٢، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٠١.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ، وفي «تفسير الطبري» بمعناه ١/ ٣٧٥، وذكره «ابن أبي حاتم» ١/ ١٥٢ عنه وعن الربيع بن أنس بلا إسناد، وينظر: «التفسير الصحيح» ١/ ١٨٠.

(٧) وقد رجح الشنقيطي هذا القول في أضواء البيان ١/ ١٤١ وبين أن مما يدل لهذا القول: قوله تعالى ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ﴾ [البقرة: ١١١] وقوله ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ﴾ [النساء: ١٢٣] وبين أن القول الأول لايتناسب مع قوله: ومنهم أميون لأن الأمي لايقرأ.=

وقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي: لا يعلمون،[1] أراد: ما هُمْ إلَّا ظانّينَ ظنًّا وتوهمًا لا حقِيقَةً ويقينًا[2][3]. وجعل الفعل المستقبل في مَوضع الحَالِ؛ لأنه يصلح للزمانين.

قال ابن عبّاس في قوله: (وإن هُم إلَّا يظنون): أي: لا يعلمون الكِتَابَ، ولا يدرون ما فيه، وهم يجحدون نبوتك بالظَنّ[4].

قالَ أصحاب المعاني: ذمّ الله بهذه الآية قومًا من اليهود، لا يحسنون شيئًا وليسُوا على بصيرة إلّا ما يحدّثونَ به، أو إلّا ما يقرءون عن غَيْرِ عِلم به[5]. ففيه حثٌّ علَى تعلّم العلم؛ حتّى لا يحتاج الإنسان إلى تقليد غيره، وأن يقرأ شيئًا لا يكون له به معرفة.

قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ﴾ الآية. قال ابن عباس: الوَيْل شِدّة العَذَاب[6].

= ويؤيد ذلك ماورد بأسانيد صحيحة عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وأبي العالية. ينظر: «التفسير الصحيح» ١/ ١٨٠.

(١) زيادة من (ش).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٧٧، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٠١، «تفسير البغوي» ١/ ١١٥.

(٣) نقل القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٦ عن أبي بكر الأنباري عن أحمد بن يحيى النحوي: أن العرب تجعل الظن علمًا وشكًّا وكذبًا، وقال: إذا قامت براهين العلم فكانت أكثر من براهين الشك فالظن يقين، وإذا اعتدلت براهين اليقين وبراهين الشك فالظن شك، وإذا زادت براهين الشك على براهين اليقين فالظن كذب.

(٤) رواه الطبري في تفسيره ١/ ٢٧٧.

(٥) ينظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية ١/ ٣٦٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ٦.

(٦) ذكزه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٠٣، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١١٥، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٧٨ بلفظ: فالعذاب عليهم.

وقال الزجّاج: الويل كلمة يستعملها كل واقع في هَلَكة، وأصله في اللغة: العذاب[١].

وقال ابن قتيبة: قال الأصمعي: الويل تقبيح[٢]، قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وروى الأزهري عن المنذري عن أبي طالب النحوي أنه قال: قولهم: ويل[٣]، كان أصلها (وي) وُصِلت بـ (له)، ومعنى (وي): حزن، ومنه قولهم: ويه[٤] معناه: حزن، أُخْرج مُخْرَجَ الندبة[٥][٦].

وحكى ابن الأنباري عن الفراء: أن أصل هذه الكلمة: وي لفلان، وهو حكاية صوتِ المصاب وَي وَي، فكثر الاستعمال للحرفين، يعني: وي لفلان فوُصِلتْ اللام بوي وَجُعِلَتْ معها حرفًا واحدًا، ثم خُبِّر عَن ويل بلام أُخرى.

وقرأت على أبي الحُسين الفسوي، فقلت: أخبركم حمد بن محمد الفقيه، قال: أخبرني أبو عمر[٧]، قال: حضرنا مجلس أبي العباس أحمد

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٠.
(٢) ينظر: «اللسان» ١١/ ٧٣٩.
(٣) في «تهذيب اللغة»: (ويله).
(٤) في الأصل ويه، والمثبت من «اللسان».
(٥) الندبة: وهي نداء متفجع عليه حقيقة أوحكمًا أو متوجع منه. ينظر: «طرح التثريب» ١/ ١٥٤، «المصباح المنير» ص ٥٩٧.
(٦) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٦٩.
(٧) هو: محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر اللغوي الزاهد، المعروف بغلام ثعلب، لازم ثعلبًا في العربية فأكثر عنه إلى الغاية، له مصنفات كثيرة منها: «فائت الفصيح»، و«الياقوتة»، وغيرها، توفي سنة ٣٤٥هـ. ينظر: «سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٥٠٨-٥١٣، و«تاريخ بغداد» ٢/ ٣٥٦-٣٥٩.

ابن يحيى، فأقبل علينا، فقال: كيف الفعل من الويل؟ فبلّح القوم ولم يكن عند واحدٍ منهم جواب، وفي المجلس ابن[١] كيسان وغيره فأنشدنا:

تَـوَيّـل إذ مـلأتُ يـدي وكـانَـتْ يـمـيـنـي لا تـعـلّـلُ[٢] بـالـقـلـيـل[٣]

قال أبو عمرو: يقال في هذا أيضًا: وال يَوِيلُ، على وزن مال يميل. انتهت الحكايةُ.

وسمعتُ من يوثق بعلمه يقول: أخطأ أبو عمرو، لم يأت من هذا الباب ما أَوَّلُه واوٌ ولا ياءٌ في الأجوف. وروي عن أبي سعيد الخدري[٤] مرفوعًا قال: «**ويْلٌ: وادٍ في جهنم، يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره**»[٥].

---

(١) ساقطة من (ش).

(٢) في (ش): (لا تغلل).

(٣) البيت بلا نسبة في: «الممتع في التصريف» ٢/ ٥٦٨، وفي «لسان العرب» ٨/ ٤٩٣٩، «المعجم المفصل» ٦/ ٥٨٧.

(٤) هو: الصحابي الجليل، سعد بن مالك بن سنان الأنصاري الخزرجي، اشتهر بكنيته أبو سعيد الخدري، من فقهاء الصحابة ومكثريهم في رواية الحديث، شهد ما بعد أحد، وتوفي سنة ٧٤هـ. ينظر: «أسد الغابة» ٢/ ٣٦٥، و«الأعلام» ٣/ ٨٧.

(٥) أخرجه أحمد ٣/ ٧٥، وعبد بن حميد ٩٢٤، والترمذي في التفسير، سورة الأنبياء برقم (٣١٦٤)،، الطبري في تفسيره ١/ ٣٧٨، والحاكم ٢/ ٥٠٧ أبو يعلى في «مسنده» ٢/ ٥٢٣ والبيهقي في «البعث والنشور» برقم ٥٣٧ من طريق دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، ودراج ضعيف، وصححه الحاكم، وأحمد شاكر وقال الترمذي: هذا حديث غريب لانعرفه مرفوعًا إلا من حديث ابن لهيعة وتعقبه ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٢٥ فقال: لم يتفرد به ابن لهيعة كما ترى ولكن الآفة ممن بعده، وهذا الحديث بهذا الإسناد مرفوعًا منكر، والله أعلم.

قال النحويون: وذكر اليد في قوله: ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ تحقيق للإضافة وإن كانت الكتابة لاتقع إلا باليد، وقد أُكدّت الإضافة بذكر اليد[١] فيما لا يُرادُ باليد فيه الجارحة[٢]، كقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] وقوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]. ومعناه: مما تولينا عمله، ولما[٣] توليت خلقه.

والأصل في هذا: أنه قد يضاف الفعل إلى الفاعل وغير الفاعل له، كقوله: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٤] والمراد بذلك: أنه يأمر بالذبح فَيُمتثل أمره. فلما كان الفعلُ قد يُضاف إلى غير الفاعل أُكّدَت الإضافة بذكر اليد؛ للتحقق وينتفي الاحتمال، ثم استعمل هذا التأكيد[٤] أيضا في فعل الله تعالى وإن لم يجز في وصفه يد الجارحة؛ لأن المراد بذكر اليد تحقيق الإضافة على ما بيّنا.

وقال ابن السراج: معنى يكتبون بأيديهم، أي: من تلقائهم ومن قبل أنفسهم من غير أن يكون أُنزل عَلَيهم أو على من قبلهم[٥]، وهذا كما يقال للذي يُبدعُ[٦] قولًا لَم يُقَلْ قبله: هذا أنت تقوله[٧]، يراد بذلك: أنت ابتدعت هذا المذهب وهذا الحكم.

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٠٤، «تفسير القرطبي» ٢/ ٨.

(٢) هذا تأويل من المؤلف رحمه الله، جرى فيه على مذهب الأشاعرة. والصواب ما عليه السلف من إثبات الصفات لله من غير تأويل ولا تكييف ولا تمثيل.

(٣) في (أ) و(م): (كما).

(٤) في (ش): (التاليد).

(٥) انظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٨.

(٦) في (ش): (يبيع).

(٧) في (ش): (بقوله).

قال المفسرون: هذا في اليهود، عَمَدوا إلى صفة محمد ﷺ فكتبوا صفته على غير ما كانت في التوراة، وأخذوا عليه الأموال، وقبلوا الهدايا[(١)]. وهو معنى قوله: ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ يقال: كسبت الشيء كسبًا، وكَسَبْتُ الرجلَ مالًا فَكَسَبه وهذا أحد ما جاء على فَعَلْتُه فَفَعَل، ومعنى الكسب: فعل يُجتلَب به نفع، أو يُستدفَع به ضرر، واكتسب الخطيئة إنما ذلك لأنه يَجتلب به تعجّلَ المنفعة وينسَى ما عليه فيه من تأجّل المضرّة.

٨٠- وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ يعني: اليهود لما أوعدهم رسول الله ﷺ بالنار عند تكذيبهم إياه، قالوا: لن تمسَّنا النار إلّا أيامًا معدودة[(٢)]: أي: قليلة، والمعدودة إذا أطلقت كان معناها القليلة، كقوله: ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ [يوسف: ٢٠] قيل معناه: معدودة عندنا. قال ابن عبّاس: قالت اليهود: مدّة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذَّب بكل ألف سنة يومًا واحدًا[(٣)].

وقال قتادة[(٤)] وعطاء[(٥)]: يعنون الأيام التي عبد آباؤهم فيها العجل،

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٧٨، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٤٤ - ٢٤٧، «تفسير السمرقندي» ١/ ١٣٢، «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٠٣.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٨٠-٣٨١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٠٦.

(٣) أخرجه عنه الطبري ٢/ ٢٧٨، وابن أبي حاتم ١/ ١٥٥، وسنده حسن كما في «التفسير الصحيح» ١/ ١٨٤ والطبراني في «الكبير» ١١/ ٩٦، وهو مروي عن مجاهد أيضًا كما عند الطبري ١/ ٣٨٢.

(٤) أخرجه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» بسند صحيح ١/ ٥١ ومن طريقه رواه الطبري في تفسيره ١/ ٣٨١، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٥٥، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٠٧، ينظر: «التفسير الصحيح» ١/ ١٨٤.

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٠٧، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١١٦.

وهي مدّة غيبة موسى عنهم، فكذّبهم الله ﷻ، فقال: قُل يا محمد: ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ أي: أخذتم بما تقولون من الله ميثاقًا فالله لا ينقُض ميثاقه، أم تقولون على الله الباطلَ جهلًا منكم. وَ(أَمْ) ها هنا يحتمل أن تكون متصلة على المعادلة لألف الاستفهام بمعنى: عَلَى أي الحَالَتَين أنتم؟ على اتخاذ العهد أم على القول بما لا تَعلَمُون.

ويحتمل أن تكون منقطعة[1]، على تقدير تمام الكلام قبلها، كأنه تم الكلام عند قوله: ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ ثم استأنف بـ (أم) على معنى: لا تقولون على الله مالا تعلمون. وكذا تقديرها وإن كانت منقطعة[2].

قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ قال الفراء: (بلى): تكون جوابًا للكلام الذي فيه الجحد، فإذا قال الرجل: ألست تقوم؟ فتقول: بلى. ونَعم جواب للكلام الذي لا جحد فيه، فإذا قال الرجل: هَل تقوم؟ قلت: نعم. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [تبارك: ٨، ٩]، وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وقال: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ﴾ [الأعراف: ٤٤]، وإنما صارت (بلى) تتصل بالجحد؛ لأنّها رجوع عن الجحد إلى التحقيق، فهي بمنزلة (بَل)، و(بل) سبيلها أن تأتي بعد الجحد، كقولهم: مَا قام أخوك بل أبوك، وما أكرمت أخاك بل أباك.

فإذا قال الرجل للرجل: ألا تقوم، فقال: بلى، أرادَ: بل أقوم، فزاد الياء على (بل) ليحسن السكوت عليها؛ لأنه لو قال: بل كان يتوقع كلامًا بعد بل، فزاد الياء[3] على بل ليزول عن المخاطب هذا

(١) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٢٧٨.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: كذا تقديرها إن كانت منقطعة.

(٣) أراد الألف المقصورة، وهكذا عدها الفراء ألفًا.

التَوهم[١]. وإنّما لم يصلح ها هنا (نعم) لأن (نعم)؛ إقرار، وإذا قال في هذا الموضع نعم، فقد أقرّ بالجحد وبالفعل الذي بعده، ألا ترى أنك لو قيل لك: أَمالَكَ مالٌ؟ فقلت: نعم، كنتَ مُقِرًّا بالكلمة بطرح الاستفهام وحده، كأنك قلت: نعم مالي مالٌ، فأرادوا أن يرجعوا عن الجحد ويُقرّوا بما بعده، فاختاروا[٢] (بلى) لأن أَصلها رجوع عن الجحد كما بينا[٣].

ومعنى الآية: أنه ردّ على اليهود قولَهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ فقال: (بلى) أُعذِّبُ من كَسَبَ سَيِّئَةً. و(مَنْ) هاهنَا بمعنى (الذي)[٤]، ولهَا أربعة أَوجُه: تكون بمعنى (الذي)، وتكون[٥] استِفهَامًا، وجزاءً، ونكرةً موصوفة، مثل:

وَكَفَى بِنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرِنا ... حُبُّ النبيِّ محمّدٍ إيّانا[٦]

أي: على أحد غيرِنا.

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٢، ونقله عنه الطبري في تفسيره ١/ ٣٨٤-٣٨٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٠٧. وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٠٨، و«البيان» لابن الأنباري ١/ ٩٩.

(٢) في (م): (فقالوا).

(٣) ينظر في معنى (بلى): «الكتاب» لسيبويه ٤/ ٢٣٤، و«البحر المحيط» ١/ ٢٧٩، و«مغني اللبيب» ١/ ١١٣-١١٤.

(٤) قال أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٢٧٩: (من) يحتمل أن تكون شرطية، ويحتمل أن تكون موصولة، والمسوغات لجواز دخول الفاء في الخبر إذا كان المبتدأ موصولًا موجودة هنا، ويحسنه المجيء في قسميه بالذين، وهو موصول.

(٥) في (ش): (تكون) في الموضعين.

(٦) البيت ذكره ابن هشام في «مغني اللبيب» ١/ ٣٢٨، وابن الشجري في «الأمالي» ٢/ ٣١١ منسوبا إلى حسان، ونسبه الزبيدي في «التاج» (مادة: من)، والبغدادي في «الخزانة» ٢/ ٥٤٥ إلى كعب بن مالك، انظر: «ديوان حسان» ١/ ٥١٥.

وقولُ آخرَ:

يا رُبّ مَن يبغض أذوادنا . . [١] البيتَ.

ودخول « رُبَّ » يدل على أنه نكرة[٢].

والسيئة فيعِلة[٣] من السوء في قياس قول الخليل، وَفعيلَةٌ في قياس قول الفراء، وهذا مثل ما ذكرنا في الصيِّب[٤] .

قال اللّيث: والسيئ والسيئة: عملان قبيحان يَصِير السيئ نَعتًا للذكر من الأفعال، والسيئة: الأنثى[٥]، يقال: ساء الشيء يَسوء فهو سَيئٌ، إذا قبح، وساء ما فعل، أي: قبح[٦].

وإجماع أهل التفسير: أن السيئةَ ها هُنا الشرك[٧]، وأنّ الآية وردت

---

(١) وتمامه:

رُحْنَ على بغضائه واغْتَدين

قاله عمرو بن قميئة كما في «الكتاب» لسيبويه ١/ ٣١٥ وقيل: لعمرو بن لأي التيمي. ينظر: «الوحشيات» ص٩، «معجم الشعراء» ٢١٤، «المقتضب» ١/ ٤١، «الإغفال» ص ٣١٨.

(٢) ينظر في (رُبَّ): «المقتضب» للمبرد ٤/ ١٣٩-١٥٠، و«مغني اللبيب» ١/ ١٣٤-١٣٨، وقال في «القاموس» ٨٧: ورُبَّ، ورُبَّةَ، ورُبَّما، وربتما، بضمهن مشددات ومخففات، وبفتحهن كذلك حرف خافض لا يقع إلا على نكرة.

(٣) ينظر: «الكتاب» لسيبويه ٤/ ٣٦٥، «المقتضب» للمبرد ١/ ١٢٥، «اللسان» ٤/ ٢١٦١ (مادة: سوأ).

(٤) راجع «البسيط» [البقرة: ١٩] .

(٥) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٨٣.

(٦) نقله عنه في: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٨٣، «اللسان» ٤/ ٢١٦١.

(٧) هذا الإجماع ذكره الواحدي أيضًا في «الوسيط» ١/ ١٦٤، والصحيح: أن هذا قول أكثر السلف، والقول الآخر: أن السيئة هي كبائر الذنوب التي توعد الله عليها=

في اليهود[١]، وقد قيل: إنها عامة في جميع الكفار.

وقوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ لا يَخلو معناه من أحد أمرين: إمَّا أن يكون المعنى: أحاطت بحسنته خطيئته، أي: أحبطتها من حيثُ كان المحِيط أكبر مِنَ المحاط به، فيكون كقوله: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٤]، وقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]، ويكون المعنى في(أحاطت به خطيئته): أهلكته، من قوله: ﴿لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [يوسف: ٦٦]، وقوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس:٢٢]، وقوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ [الكهف: ٤٢]. وهذا كله في معنى البوار.

وقد يكون للإحاطة معنى ثالث، وهو العلم كقوله: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٩١]. وقال: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [البروج: ٢٠].

= بالنار، والخطيئة هي الكفر، وممن قال به الحسن والسدي، وقواه ابن عطية في «المحرر الوجيز» ١/ ٣٧٠ فقال: ولفظ الإحاطة يقوي هذا القول، وأصحاب القولين على أن الآية إنما هي في الكفار لا في العصاة ؛ لأن الله توعد أهل هذه الآية بالخلود في النار، وهذا إنما يكون في حق الكفار فقط، قال الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٥: والمؤمنون لايدخلون في حكم هذه الآية، لأن الله تعالى أوعد بالخلود في النار من أحاطت به خطيئته، وتقدمت منه سيئة هي الشرك، والمؤمن ومن عمل الكبائر فلم يوجد منه شرك. ولعل الذي دفع الواحدي لحكاية الإجماع الرد على من حمل الآية على عصاة المؤمنين كالمعتزلة والخوارج. ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٨٤-٣٨٥، و«مجموع فتاوي ابن تيمية» ١٤/ ٤٨ وما بعدها، و«البحر المحيط» ١/ ٢٧٩، و«تفسير ابن كثير» ١/ ١١٩، وكتاب «الإجماع في التفسير» ص ١٧٧.

(١) ذكر الإجماع على أنها في اليهود الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٦٢ قال: والإجماع أن هذا لليهود خاصة ؛ لأنه ﷻ ذكرهم؛ والطبري في تفسيره لم يذكر سوى ذلك، وكأن المؤلف نقض الإجماع بقوله: وقد قيل.

أي: عالم، هذا كلام أبي علي[١].

وقال ابن السراج: أحاطت به خَطِيئته، أي: سُدّت عليه مَسَالك النجاة، وهذا لمن هو في معلوم الله أنه لا يؤمن. وأما الخطيئة فقال أبو زيد: خطِئتُ من الخطيئةِ، أَخْطأ خَطْئًا، والاسم الخِطْءُ، وأخطأت إخطاءً، والاسمُ الخَطَاء[٢].

وقال الأخفَش: الخطأ: الإثم وهو ما أصابه متعمدًا والخِطء غير المتعمد. ويقال من هذا: أخطأ يُخْطِئُ. قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ﴾ [الأحزاب: ٥] واسم الفاعل من هذا: مخطئ، فأمّا خطيئة فاسم الفاعل منه: خاطئٌ، وهو المأخوذ به فاعله، وفي التنزيل: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ٣٧][٣].

اللّيث: الخطيئة: الذنب على عمد[٤].

قال أبو علي: والخطيئة تقع على الصغير والكبير، فمن وقوعها على الصغير قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]. ووقوعها على الكبير قوله: ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾[٥]. واختلف القراء في هذا الحرف فقرأ أهل المدينة (خطيئاته) بالجمع، والباقون على الوحدة[٦]؛

---

(١) في «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ١١٤-١١٥.

(٢) ينظر: «الحجة» ٢/ ١١٥، «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٦٠، «اللسان» ٢/ ١٢٠٥.

(٣) «الحجة» ١/ ١١٥.

(٤) ذكره في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٦٠، «اللسان» ١/ ١٢٠٥ ولم ينسبه لليث.

(٥) «الحجة» لأبي علي ١/ ١١٦.

(٦) قرأ نافع وأبو جعفر بالجمع، والباقون بالإفراد، ينظر: «السبعة» ص١٦٢، «والنشر في القراءت العشر».

لأنها أضيفت إلى ضمير مفردٍ، فلما لم يكن الضمير جمعًا لم يجمع كما جمعت في قوله: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ [البقرة:٥٨]. لأنه مضاف إلى جماعة لكل واحدٍ منهم خطيئة، وكذلك قوله: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ﴾ [الشعراء: ٥١]. فهذه جمعت بجمع[١] ما أضيف إليه[٢]. فأما قوله: ﴿وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ فمضاف إلى مفرد، وكما أفردت السيئة ولم تجمع فكذلك ينبغي أن تفرد الخطيئة. وأنت إذا أفردته لم يمتنع وقوعه على الكثرة وإن كان مضافًا، كقوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾. [إبراهيم: ٢٤] والعَدُّ إنما يقع على الجموع والكثرة، وكذلك ما روي في الحديث: «**منعت العراق درهمها وقفيزها**[٣] **ومصر إردَبَّها**»[٤][٥].

فهذه أسماء مفردة مُضافة والمراد بها الكثرة، ومن جمَع حمله على المعنى، والمعنى الجمع والكثرة، فكما جُمع ما كان مُضَافًا إلى جمع كذلك يجمع ما كان مضافًا إلى مفردٍ يرادُ به الجمع من حيث اجتمعا في أنهما كثرة، ويدلّك على أن المراد به الكثرة. فيجوز من أجل ذلك أن تجمع خَطِيئةٌ على المعنى؛ لأنَّ الضمير المضاف إليه جمع في المعنى[٦].

---

(١) في «الحجة»: (كجمع).

(٢) «الحجة» ٢/ ١١٨-١١٩.

(٣) القفيز: مكيال معروف لأهل العراق، قال الأزهري: هو ثمانية مكاكيك، والمكوك: صاع ونصف، وهو خمس كليجات. ينظر: «النهاية» ٤/ ٩٠.

(٤) الإردب: مكيال معروف لأهل مصر، قال الأزهري وآخرون: يسع أربعة وعشرين صاعًا. ينظر: «النهاية» لابن الأثير ١/ ٣٧.

(٥) أخرجه مسلم في (٢٨٩٦) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات.

(٦) ما تقدم بمعناه منقول من «الحجة» ٢/ ١١٩-١٢٠.

قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ واختلف المفسرون في معنى الخطيئة ها هنا، فقال ابن عباس[١] والضحاك[٢] وأبو وائل[٣][٤]، وأبو العالية[٥]، والربيع[٦][٧] وابن زيد[٨][٩]: هي الشرك يموت عليه الإنسان.

وقال غيرهم[١٠]: هي الذنوب الكبيرة الموجبة لأهلها النار، وعلى

---

(١) رواه عنه الطبري ١/ ٣٨٦، ابن أبي حاتم ١/ ١٥٧.

(٢) رواه عنه الطبري في تفسيره ١/ ٣٨٦، وذكره «الثعلبي» ١/ ١٠٠٩.

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٥٨، وانظر: «زاد المسير» ١/ ١٠٦.

(٤) هو الإمام الكبير، شيخ الكوفة أبو وائل، شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي، مخضرم أدرك النبي ﷺ وما رآه، حدث عن الخلفاء وكثير من الصحابة، كان ثقة كثير الحديث، توفي سنة ٨٢هـ. ينظر: «تاريخ بغداد» ٩/ ٢٦٨، «السير» ٤/ ١٦١-١٦٦.

(٥) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٥٨، والثعلبي ١/ ١٠٠٩.

(٦) هو: الربيع بن أنس البكري، من رواة الحديث، وممن اشتهر بالعلم والتفسير كان من التابعين، بصري نزل خراسان، صدوق له أوهام، توفي سنة ١٣٩هـ وقيل: ١٤٠هـ. ينظر: «تقريب التهذيب» ص ٢٠٥، (١٨٨٢) و«مشاهير علماء الأمصار» ص ١٢٦.

(٧) رواه عنه الطبري في تفسيره ١/ ٣٨٦- ٣٨٧ وذكره ابن أبي حاتم ١/ ١٥٨، والثعلبي ١/ ١٠٠٩.

(٨) هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم، المدني، محدث مفسر، كان في نفسه صالحًا، وفي الحديث ذاهبًا، توفي سنة ١٨٢هـ. ينظر: «الجرح والتعديل» ٥/ ٢٣٣، «تقريب التهذيب» ص ٣٤٠.

(٩) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٠٩.

(١٠) ومنهم: مجاهد وقتادة والحسن والربيع بن أنس وأبو العالية، كما في «تفسير الطبري» ١/ ٣٨٦-٣٨٧، و«ابن أبي حاتم» ١/ ١٥٩، وقال ابن كثير ١/ ١٢٧عقب هذه الأقوال والأقوال السابقة في الشرك: وكل هذه الأقوال متقاربة في المعنى، والله أعلم.

هذا فالمؤمنون لا يدخلون في حكم هذه الآية؛ لأنه أوعد بالخلود في النار من أحاطت به خطيئته، وتقدمت مِنه سَيِّئةٌ هي الشرك، والمؤمن وإن عمل الكبائر فلم يوجد منه الشرك. وأيضًا فإن الخطيئة لا تحيط بالمؤمن؛ لأنه يعصي مستحييًا راجيًا عفو الله معتمدًا للتوبة فلا تحيط به الخطيئة، وإنما تحيط بالكافر. أو يجعل هذه الآية من العموم المخصوص بآي الوعد.

وقوله تعالى: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ خبر المبتدأ الذي هو (مَن) كقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: ٥٣][(١)] .

فإن قيل: لم دخلت الفاء في خبر المبتدإ وأنت لا تقول: زيد فقائم.

والجواب: إن الفاء تدخل في خبر المبتدأ إذا كان المبتدأ موصُولًا. نحو (مَنْ وما والذي) لتدلّ[(٢)] أنَّ الخبر يجب بوجوب معنى الصلة، كقولك: الذي في الدار فَلَهُ دِرْهَم. قال ابن السراج: دلت أنه وجب الدرهم لأجل الكون في الدار. ونذكر شرح هذه المسألة عند قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾ [البقرة: ٢٧٤] إن شاء الله .

فإن قيل: لم جاءت الجملتان في قوله: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ بغير حرف عطف؟

والجواب: قال أبو بكر بن السراج: لأنهما خبران عن شيء واحد، وأيضا فإن الضمير يربط الكلام الثاني بالأول كما أن حرف العطف يربط به، ألا ترى أنّك تقول: مررت بزيد والناس يتراءون الهلالَ، فلا يجوز إسقاط الواو، فإن قلت: مررتُ بزَيْدٍ الناس عنده يتراءون الهلال، جاز إسقاط الواو وجاز إثباتها.

---

(١) ينظر: «الحجة» ٢/ ١٢٠.

(٢) في (ش) و(م): (ليدل).

٨٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ اختلف النحويون[١] في محل قوله: لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ. فقال قطرب[٢][٣]: يجوز أن يكون[٤] حالًا كأنه أخذ ميثاقهم موحدين. وكذلك ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ﴾ [البقرة: ٨٤] أي: غير سافكين، فيكون حالًا من المخاطبين، ويكون موضعه نصبًا، كأنه قيل: أخذنا ميثاقكم غير عابدين إلا الله، أو موحدين.

وقال الكسائي: يجوز أن يكون ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ و﴿لَا تَسْفِكُونَ﴾ في تقدير: لا تعبدوا، وكأن التقدير: أخذت ميثاقكم بأن لا تسفكوا[٥] إلا أنه لما حَذَفَ(أن) ارتفع الفعل، كقوله: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾[٦] [الزمر: ٦٤].

وأنكر المبرد هذا القول، وقال: هو خطأ من وجهين: **أحدهما**: أن كل ما أضمر في العربية فهو يعمل عمله مُظْهَرًا، كقولهم: وبلدٍ قطعت، يراد: ورُبَّ بلد قطعت[٧][٨]، وكقوله[٩] تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ [الشمس:

---

(١) ذكر في «البحر المحيط» ١/ ٢٨٢ ثمانية أقوال في إعراب الآية.

(٢) محمد بن المستنير بن أحمد البصري، أبو علي المعروف بقطرب.

(٣) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٢٨٢.

(٤) في (ش): (تكون).

(٥) ساقطة من: (أ) و(م) من قوله: (غير عابدين).

(٦) نقله عن الكسائي الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠١٣، وينظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٣٣ «تفسير الطبري» ١/ ٣٨٨-٣٨٩، «البيان» لابن الأنباري ١/ ١٠١، «البحر المحيط» ١/ ٢٨٣.

(٧) مقولة المبرد نقلها القرطبي في «تفسيره» ٢/ ١٣.

(٨) ساقطة من: (أ) و(م).

(٩) في (م): (وقوله).

١٣] أي: احذروا، وكقوله: ﴿قَالُواْ مَعْذِرَةً﴾ [الأعراف: ١٦٤] أي: موعظتنا معذرة.

والثاني: أنه لا يجوز حذف الموصول في شيء من الكلام.

وليس الأمر على ما قاله المبرد، فقد أجاز قولَ الكسائي: الأخفشُ والفراءُ وقطرب والزجّاج وعلي بن عيسى[(١)(٢)]، ودعواه أن كل ما أضمر في العربيّة فهو يعمل عمله مظهرًا ليس كذلك، وهو على ضربين: منه ما هو على ما ذكر، ومنه ما ليس كذلك[(٣)]، كحروف الجر إذا حذفت وهي تزاد، كقوله:

أمرتك الخير[(٤)]..... البيت

يريد بالخير، وقال الله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٥٥] فلما حَذف مِنْ وصل الفعل فنصب. كذلك هاهُنا لمّا حذف (أن) وصل

---

(١) ينظر في الأقوال في المسألة: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٣-٥٤، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٢٦، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٢، «البحر المحيط» ١/ ٢٨٢-٢٨٣.

(٢) هو: علي بن عيسى بن الفرج بن صالح، أبو الحسن الربعي النحوي، صاحب أبي علي الفارسي، درس النحو وتفنن فيه حتى ما بقي له شيء يحتاج أن يسأل عنه، من مؤلفاته: «شرح مختصر الجرمي»، توفي سنة ٤٢٠هـ. وينظر «إنباه الرواة» ٢/ ٢٩٧، و«تاريخ بغداد» ١٢/ ١٧-١٨.

(٣) في (أ): (كذلك) مكررة.

(٤) البيت: لعمرو بن معديكرب، وتتمته:

أمرتُك الخيرَ فافعل ما أُمِرتَ به فقد تركتُك ذا مالٍ وذا نَشَبِ

«مغني اللبيب» ١/ ٣١٥، وقد عزاه في «الكتاب» ١/ ٣٧ لعمرو بن معدي كرب الزبيدي، واختلف في قائله كما في «الخزانة» ١/ ١٦٤-١٦٦، والنشب: المال الثابت كالضياع ونحوها، من نشب الشيء، والمال: الإبل أو هو عام، والشاهد فيه: أمرتك الخير أراد: أمرتك بالخير.

عامل الرفع فرفع الفعل.

وقوله: لا يحذف الموصول في شيء من الكلام ليس كذلك؛ لأن الموصول مع صلته بمنزلة اسم واحد، والاسم الواحد قد يحذف بعضه بالترخيم[(١)].

وقال كثير من النحويين: الزجّاج[(٢)] والفراء[(٣)] والأخفش[(٤)] في أحد قوليه: إن قوله: (لا تعبدون) جواب القسم؛ لأن أخذ الميثاق بمنزلة القسم، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ [آل عمران: ٨٧] القسم بـ(لام)، فكذلك هو في النفي بـ(لا)، وكان المعنى: استحلَفناهم وقلنا لهم: والله لا تعبدون[(٥)(٦)].

قال الفراء: ويجوز أن يكون في موضع جزم على النهي، إلا أنه خرج مخرج الخبر، كقوله: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. بالرفع ومعناه النهي، ويدل على أنه نهي قوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

وقرئ لا تعبدون بالياء والتاء[(٧)]، وما كان من مثل هذا جاز أن يكون

---

(١) الترخيم: ما حذف من آخره حرف واحد أو أكثر للتخفيف، نحو: يا فاطم.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٢.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٣-٥٤، و«البحر المحيط» ١/ ٢٨٢.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٢٦.

(٥) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٤، والبحر المحيط ١/ ٢٨٢.

(٦) ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ١١.

(٧) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (لا يعبدون) بالغيب، وقرأ الباقون بالخطاب. انظر «السبعة» ص١٦٢، «الحجة» ٢/ ١٢١، «النشر» ٢/ ٢١٨.

على لفظ الغيبة من حيث كان اللفظ لها، وجاز أن يكون على لفظ المخاطب لأنك تحكي حال الخطاب وقت ما تخاطب به. ألا ترى أنهم قد قرأوا قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سيُغلَبون ويُحْشَرونَ إلى جَهَنَّم﴾ [آل عمران: ١٢] على لفظ الغيبة، وبالتاء على لفظ الخطاب[١]، على حكاية حال الخطاب في وقت الخطاب[٢]، فإذا كان هذا النحو جائزًا جاز أن تجيء القراءة بالوجهين جميعا، ويجوز في قياس العربية في قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] الخطاب (على حكاية)[٣] حال الخطاب.

فأما قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٤]، وهذا لا يجوز(أن يكون)[٤] إلا على الخطاب ؛ لأن المأخوذ ميثاقهم مخاطبون[٥]، ولأنك إن حكيت الخطاب كان التقدير: (أخذنا ميثاقكم فقلنا لكم: لا تسفكون) كان بالتاء.

فحجة من قرأ بالتاء[٦] قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم﴾ [آل عمران: ٨١] فجاء على الخطاب، ويقويه قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ .. الآية. فإذا كان هذا خطابًا وهو عطف على ما تقدّم وجب أن

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف بالياء على الغيب في: (سيغلبون، يحشرون) وقرأ الباقون بالخطاب. ينظر: «السبعة» ص ١٦٢، و«النشر» ٢/ ٢٣٨.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٤.

(٣) في (م): (الحكاية على حال الخطاب).

(٤) ساقطة من (م).

(٥) في (م): (مخاطبين).

(٦) أي في قوله: (لا تعبدون).

يكون المعطوف عليه في حكمه. وحجة مَن قرأ بالياء قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ﴾ .. الآية [الأنفال: ٣٨]. وكل واحد من المذهبين قد جاء التنزيل به[١].

وقوله[٢]: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾. تقديره: وأحْسِنُوا بالوالدين إحسانًا، كأنه قال: لما أخذنا ميثاقهم قال: وقُلنا لهم: أحْسِنُوا بالوالدين إحسانًا، كما قال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ﴾ [البقرة: ٦٣]، أي: وقلنا لهم: خذوا، فالجار في الوالدين يتعلق بالفعل المضمر ولا يجوز أن يتعلق بالمصدر؛ لأن ما يتعلق بالمصدر لا يتقدم عليه.

و(أَحْسِنْ) يُوصَل بالباء كما يوصل بـ (إلى)[٣]. يدلك على ذلك قوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠]. فتَعَدّى بالباء كما تعدى بإلى[٤] في قوله: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[٥] [القصص: ٧٧] هذا قول الزجاج[٦].

وقال بعضهم: المعنى: ووصيناهم بالوالدين إحسانًا[٧].

والقربى: القرابة في الرحم[٨].

---

(١) «الحجة» ٢/ ١٢٣-١٢٦، بتصرف.

(٢) في (ش): (وهو قوله).

(٣) في «الحجة» يصل بالباء كما يصل بـ (إلى).

(٤) من قوله: (يدلك). ساقط من (أ) و(م).

(٥) هذا كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٢٨-١٢٩.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٣، وانظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٢٧.

(٧) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠١٤، و«البحر المحيط» ١/ ٢٨٣-٢٨٤.

(٨) قال في «البحر المحيط» ١/ ٢٨١: القربى: مصدر كالرجعى، والألف فيه للتأنيث، وهي قرابة الرحم والصلب.

واليتامى: جمع يتيم، مثل: نديم وندَامى، ويجمع أيتامًا أيضًا، واليُتمْ[١] في الناس فُقْدان الأب، وفي غير الإنسان من قبل الأم[٢].

قال أحمد بن يحيى: معنى قولك: صبي يتيم: منفرد من أبيه، قال: واليتم[٣] في كلام العرب معناه: الانفراد.

قال: وأنشدنا ابن الأعرابي بيتًا، قال: فقلت له: زدنا، فقال: البيتُ يتيمٌ، أي: هو منفرد ليس قبله ولا بعده شيء.

ومنه قولهم: درة يتيمة، إذا لم يوجد لها نظير.

وقال الأصمعي: اليتيمة: الرملة المنفردة، قال: وكل منفرد ومنفردة عند العرب يتيم ويتيمة.

قال الفراء: يقال للغلام: يَتِم يَيْتَمُ يُتْمًا وَيَتْمًا، وحكي لي ما كان يَتِيمًا، ولقد يَتِم يِيتَم، وقَدْ أَيْتَمَهُ الله.

وقال المُفضّل: أصل اليُتْم: الغَفْلة، وبه سُمي اليتيم؛ لأنه يُتَغَافل عن بره.

---

(١) في (م): (اليتيم).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٣، «أحكام القرآن» للجصاص ١/ ٤٥٢ «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٧٤، «اللسان» ١٢/ ٦٤٥، وقال ابن بري: اليتيم الذي يموت أبوه، والعجي الذي تموت أمه، واللطيم الذي يموت أبواه. وقال ابن العربي في أحكام القرآن ١/ ٢١٥: اليتيم: هو في اللغة عبارة عن المفرد من أبيه، وقد يطلق على المفرد من أمه، والأول أظهر لغة، وعليه وردت الأخبار والآثار، ولأن الذي فقد أباه عدم النصرة، والذي فقد أمه عدم الحضانة، وقد تنصر الأم لكن نصرة الأب أكثر، وقد يحضن الأب لكن الأم أرفق حضانة.

(٣) في (م): (اليتيم).

وقال أبو عمرو: اليُتْم: الإبطاء، يقال: ما في سَيرِه أتَمٌّ ويتم أي: إبطاء، ومنه أُخِذَ اليتيم؛ لأن البرّ يبطيء عنه[١].

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ الحُسنُ هاهُنا يحتمل وجهين: أحَدُهما: أن يكون لغة في الحَسَن، كالبُخْل والبَخَل والرُشْد والرَشَد وبابه، وجاء ذلك في الصفة كما جاء في الاسم، ألا تراهُم قالوا: العُرْبُ والعَرَبُ وهو صفة، يدلك على ذلك: قولك: قومٌ عُرْبٌ، فيكون الحُسْن على هذا صفة[٢].

وقد حكى الزجّاج عن الأخفش هذا القول، فقال: زعم الأخفش أنه يجوز أَنْ يكون(حُسنًا) في معنى حَسَنًا[٣].

الوجه الثاني: أن يكون الحُسْن مصدرًا كالكُفر والشُكر والشُغل، وحذف المضاف معه كأنه: قولًا ذا حُسْن[٤].

وقرأ حمزة والكسائي (حَسَنًا)[٥] وهو صِفَة، كَأَنَّ التقدير: وقولوا للناس قولًا حَسَنًا، فحذف الموصوف، وحَسُن ذلك في حَسَنٍ لأنها

---

(١) ينظر في معاني اليتيم السابقة: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٧٤، «البحر المحيط» ١/ ٢٨١، «اللسان» ٨/ ٤٩٤٨، «القاموس» ١١٧٢.

(٢) من «الحجة» ٢/ ١٢٧، وبنحوه في «معاني القرآن» القرآن للأخفش ١/ ١٢٧، ينظر «تهذيب اللغة» ١/ ٨١٣، «لسان العرب» ٢/ ٨٧٨ (مادة: حسن).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٣، ونقله أيضًا الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٢٣، وعنه ابن منظور في «اللسان» ٢/ ٨٧٨.

(٤) من «الحجة» ٢/ ١٢٧، وبنحوه في «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٢٧.

(٥) قرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف (حَسَنا) بفتح الحاء والسين، وقرأ الباقون بضم الحاء وإسكان السين. ينظر: «السبعة» ص١٦٢، و«النشر» ٢/ ٢١٨.

ضارعت الصفات التي تقوم مقام الأسماء، نحو: الأبرق والأبطح، ألا تراهم[١] يقولون: هذا حَسَن ومررت بحسن، فلا يكادون يذكرون مَعَهُ الموصوف[٢].

وقال أبو الهَيثم[٣]: أصل قولهم شيء حَسَنٌ. إنما هو شيء حَسِين؛ لأنه من حَسُنَ يَحسُنُ، كما قالوا: عَظُم فهو عظيم، إلا أنّه جاء نادِرًا (فَعَلٌ) في مَعنى (فَعِيل).

وحكى الأخفش عن بعض القراء: ﴿وقولوا للناس حُسْنَى﴾ بالتأنيث[٤][٥].

وذلك[٦] لا يجوز عند سيبويه وسائر النحويين[٧]؛ لأن (أفعل)

---

(١) في (ش): (ألا تراهم أنهم).

(٢) كذا قال أبو علي في «الحجة» ٢/ ١٢٦-١٢٨.

(٣) هو: خالد بن يزيد الرازي، كان نحويًا إمامًا علامة، اشتهر بكنيته، روى عنه الأزهري من طريق أبي الفضل، توفي سنة ٢٧٦هـ. ينظر: «إنباه الرواة» ٤/ ١٨٨، ومقدمة «تهذيب اللغة» ١/ ٤٢.

(٤) كذا في «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٢٧.

(٥) قرأ بها: أبي وطلحة بن مصرف. ينظر: «تقسير الثعلبي» ١/ ١٠١٥، و«البحر المحيط» ١/ ٢٨٥، و«القراءات الشاذة» للقاضي ص٣٠.

(٦) في (ش): (في ذلك).

(٧) قال النحاس في «إعراب القرآن»: وهذا لا يجوز في العربية، لا يقال في هذا شيء إلا بالألف واللام، نحو الفضلى والكبرى والحسنى، هذا قول سيبويه. ونقل ذلك عن النحاس القرطبي في «تفسيره» ٢/ ١٦، وينظر «المحرر الوجيز» ١/ ١٠٩، وكذا رد القراءة ابن جرير الطبري في «تفسيره» ٣٩٠-٣٩١، قال: وأما الذي قرأ ذلك فإنه خالف بقراءته إياه كذلك قراءة أهل الإسلام إلى آخر ما قال. وقد ناقش أبو حيان هذه القضية وأطال فيها النفس في «البحر المحيط» ١/ ٢٨٥.

و(فُعلى) لا يستَعمل صِفَةً إلا بالألف واللام؛ لأن أفعل لما كانت تلزمه (من) ولا يدخله الألف واللام معها كان إذا سقطت (من) لا بد من الألف واللام، إذًا صارا متعاقبين؛ فسقوط أحدهما يدلُّ على وجوب الآخر على المعاقبة .

فأما معنى قوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ فقال ابن عباس[١] وسعيد بن جُبَير[٢][٣] وابن جريج[٤] ومقاتل[٥] والزجّاج[٦] والأكثرون: قولوا للناس صدقًا وحقًّا في شأن محمد ﷺ، فمن سألكم عنه فاصدقوه وبيّنوا له صفته، ولا تكتموا أمره، ولا تغيروا نعته.

وقال الربيع بن أنس: هذا على العموم في تحسين المقالة للناس كلهم[٧] .

وقال الحسن والثوري[٨]: يعني: الأمر بالمعروف والنهي عن

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠١٦، وذكره القرطبي بنحوه ٢/ ١٢.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠١٦.

(٣) هو: أبو عبد الله سعيد بن جبير الأسدي بالولاء، تقدمت ترجمته ٢/ ١٦.

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٣٩٠-٣٩٢، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠١٦.

(٥) أخرجه عن مقاتل بن حيان ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٦١، وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» ١/ ١١٩، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠١٦.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ١٦٤.

(٧) لم أجده عن الربيع، لكن روى الطبري في تفسيره ١/ ٣٩٢ بسنده عن الربيع عن أبي العالية: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قال: قولوا للناس معروفًا. أخرجه عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٦١.

(٨) أخرجه عنه الطبري في تفسيره ١/ ٣٩٢، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠١٦، وورد مثله عن ابن عباس كما في «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ١٦١.

المنكر، وهو أن يأمروهم[١] بما أمرهم الله تعالى، وينهوهم[٢] عما نهاهم الله عنه[٣].

وقال عطاء عن ابن عباس: المراد بالناس في هذه الآية محمد ﷺ[٤] كقوله: ﴿أم يَحسدون الناس﴾ [النساء: ٥٤]، فكأنه[٥] يقول: قولوا للنبي ﷺ حُسْنًا.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتم عن العهد والميثاق[٦]، ويَعْني به: أوائلهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ يعني: من كان ثابتًا على دينه ثم آمن بمحمد ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ أي: وأنتم أيضًا كأوائلكم في الإعراض عما عُهِد إليكم فيه.

ومعنى الإعراض: الذهَاب عن المواجهة إلى جهة العرض.

---

(١) في (ش): (تأمروهم).

(٢) في (ش): (وتنهونهم).

(٣) وروي هذا عن ابن عباس أيضًا كما عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٦١ وسنده مقبول.

وقال ابن كثير ١/ ١٢٨: فالحسن من القول: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحلم ويعفو ويصفح ويقول للناس حسنًا، كما قال الله، وهو كل خلق حسن رضيه الله.

(٤) تقدم الحديث عن رواية عطاء هذه في المقدمة.

(٥) في (م): (وكأنه)، وفي (أ): (وكانوا).

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠١٦.

٨٤- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ في (لا تسفكون) من وجوه الإعراب ما ذكرنا في (لا تعبدون). ويُقال: سَفَكَ يَسفِكُ ويَسفُكُ لُغتان[١]. ودماء: جمع دم، قال الزجاج: وأصل دم: دَماء في قول أكثر النحويين[٢]، أنشد أبو زيد:

غفلَتْ ثم أتت ترقبه فإذا هي بعظام ودَمَا[٣]

وقد جاء في التثنية: دَمَيَان و دَمَوَان[٤]، على الأصل، قال الشاعر:

وظل لعمري في الوغى دَمَوَاهما

وقال آخر:

---

(١) ينظر: «اللسان» ٤/ ٢٠٣٠، و«القاموس» ٩٤٢٥، وسفك: من باب ضرب ونصر، وبهما قرئ قوله تعالى: ويسفك الدماء، والسفك: الصب وقرأ طلحة بن مصرف بضم الفاء قال الثعلبي ١/١٠١٦: وهما لغتان، مثل: يعرُشون، ويعكُفون.

(٢) عبارة الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٦٥: وواحد الدماء دم يا هذا مخفف، وأصله دمي في قول أكثر النحويين، ودليل من قال: إن أصله دمي: قول الشاعر:

فلو أنا على حجر ذبحنا جرى الدميان بالخبر اليقين

وقال قوم: أصله: دمْي، إلا أنه لما حذف ورد إليه ما حذف منه، حركت الميم لتدل الحركة على أنه استعمل محذوفا. اهـ.

(٣) ورد البيت هكذا:

غفلت ثم أتت تطلبه

ينظر: «الخزانة» ٧/ ٤٩١، و«التنبيه» لابن بري ٢/ ٢٣٥، و«شرح التسهيل» ١/ ٢٥٠، و«تلخيص الشواهد» ص ٧٧، وينظر: «البحر المحيط» ٢/ ١٢٣١ ولم ينسبوه.

(٤) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٣١، فقال بعضهم في تثنية الدميان، ونقل في «اللسان» ٣/١٤٢٩ عن ابن سيده: وأما الدموان فشاذ سماعا. قال في «البحر المحيط» ١/ ٢٨١: الدم معروف وهو محذوف اللام، وهي ياء لقوله: جرى الدميان بالخبر اليقين، أو واو لقولهم: دموان، ووزنه فَعَل، وقيل: فَعْل، وقد سمع مقصورًا.

جرى الدَمَيَان بالخَبر اليقين[١]

وقال الليْث: الدم معروف، والقِطعة دَمَةٌ، وكان أصله دَمَيٌ؛ لأنك تقول: دَمِيَتْ يده[٢].

وقد أقرأني العروضي عن الأزهري، قال: أخبرني المنذري، عن أبي الهيثم، أنه قال: الدم اسم على حرفين. فقال بعضهم في تثنيته: الدَمَيَان، وقال بعضهم: الدَّمَان، ويقال في تصريفه: دَمِيَتْ يدي تَدْمَى دَمًى، فيظهرون في دَمِيَتْ وتَدْمَى الياء والألف اللذين لم يجدوهما في دم. قال: ومثله: يَدٌ، أصله: يَدَيٌ[٣]. ومن قال بهذا القول قال: إنما حرّك الميم في قوله جرى الدمَيان؛ لإقامة الوزن، وقيل: بل وزنُه فَعَلٌ، فإنه كان (دَمَيٌ)؛ لأن الشاعر لما اضطر ردّه إلى أصل بنائه[٤]. والأجود: ما حكاه الزجاج في أصل الدم. والدُّميَةُ من الدم، كأنها الحَيَوان ذُو الدم[٥].

فأما التفسير: فقال ابن عباس[٦] وقتادة[٧]: معناه لا يسفك بعضكم

(١) البيت صدره: فلو أنا على حَجَر ذُبِحْنا.. وهو للمثقب العبدي في ملحق ديوانه ص ٢٨٣، ولعلي بن بدال في «أمالي الزجاجي» ص ٢٠. ينظر: «المعجم المفصل» ٨/ ٢٦٥.

(٢) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١٤/ ٢١٦، «اللسان» ٤/ ٢٦٨.

(٣) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٣١، وينظر «اللسان» ٣/ ١٤٢٩.

(٤) ينظر: «اللسان» ٣/ ١٤٢٩.

(٥) المرجع السابق.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠١٧، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٦٧.

(٧) أخرجه عن قتادة «الطبري» ١/ ٣٩٤ وينظر: «التفسير الصحيح» ١/ ١٨٩، وكذا رواه عن أبي العالية، وأخرجه عن أبي العالية ابن أبي حاتم ١/ ١٦٣، ذكر أنه مروي عن الحسن والسدي ومقاتل بن حيان، وينظر: «التفسير الصحيح» ١/ ١٨٨.

دم بَعضٍ بغَير حقٍّ. وإنما قال: ﴿دِمَآءَكُمْ﴾ لأن كل قوم اجتمعوا على دين واحد فهم كنفس واحدة، وأيضًا فإنّ الرجل إذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه؛ لأنه يقاد ويُقتص[١]، ففي النهي عن قتل نفسه على هذا الوجه نهي عن قتل غيره[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ﴾ أي: لا يخرج بَعضُكم بعضًا مِن دَاره ويغلبه عَليها[٣]. ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ أي: قبلتم ذلك وأقررتم به[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ حكى محمد بن جرير، عن ابن عباس: أن هذا خطاب لليهود الذين كانوا زمن النبي ﷺ[٥]. ومعناه: وأنتم تشهدون اليوم على إقرار أوائلكم بأخذ المِيثاق عليهم بما في الآية، فالآية وإن كانت خِطابًا فالمراد به: أوائلهم، إلّا قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على هذا القول. وقال أبو العالية: الآية كلها خبر عن الله ﷻ عن أوائلهم[٦]، وإن أخرجه مخرج المخاطبة على سعة كلام العرب، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ خِطابًا للسَلف والخلف جميعًا، يريد: أنتم

---

(١) في (ش) و(م): (ويُقْبض).

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ٣٩٤-٣٩٦ ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٠٠، «زاد المسير» ١/ ١١٠.

(٣) روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٦٣ عن أبي العالية نحوه، وينظر المصادر السابقة، و«الحجة» لأبي علي ٢/ ١٤٦.

(٤) أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٦٣ نحو هذا عن ابن عباس وأبي العالية وإسنادهما حسن كما في «التفسير الصحيح» ١/ ١٨٩.

(٥) ذكره «الطبري» ١/ ٣٩٥-٣٩٩.

(٦) رواه «الطبري» ١/ ٣٩٥-٣٩٦.

تشهدُون أن هذا حق من ميثاقي عَليكم في التوراة[١].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الخطاب في هذه الآية لقُريظة والنضير[٢]. روى الربيع عن أبي العالية في هذه الآية، قال: كان[٣] بنو إسرائيل إذا استضعف قومٌ قومًا أخرجوهم من ديارِهم، وقد أُخذ عليهم الميثاق أن لا يسفكوا دماءهم، ولا يخرجوا أنفسهم من ديارهم، وأُخذ عليهم الميثاق إن أسر بعضهم بعضًا أن يفادوهم، فأخرجوهم من ديارهم، ثم فادوهم، فآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض[٤].

وقد كشف السُدِّي عن هذا، فقال: أخذ الله عليهم أربعةَ عهود: تركَ القتل، وتركَ الإخراج، وتركَ المظاهرة عليهم، وفدى أسراهم، فأعرضوا عن كل ما أمروا إلا الفداء. وذلك أن قريظة كانت حلفاء الأوس[٥]،

---

(١) قال «الطبري» ٣٩٥: وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب عندي أن يكون قوله: (وأنتم تشهدون) خبرًا عن أسلافهم، وداخلًا فيه المخاطبون منهم الذين أدركوا رسول الله ﷺ كما كان قوله (وإذ أخذنا ميثاقكم) خبرًا عن أسلافهم، وإن كان خطابًا للذين أدركوا رسول الله ﷺ

(٢) قريظة والنضير: قبيلتان من اليهود في المدينة، وهما من بني الخزرج الصريح بن التوءمان بن السبط بن اليسع بن سعد بن لاوي بن خير بن النحام بن تنحوم بن عازر بن عذري بن هارون بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب.ينظر «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ٦١.

(٣) في (ش): (كانوا).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٣٨٩، ابن أبي حاتم في «تفسيره». بمعناه ١/ ١٦٣.

(٥) هم بنو الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف، من أعظم بطون الأزد من القحطانية، أهل عز ومنعة، فيهم عدة أفخار، كان موطنهم الأصلي بلاد اليمن، فهاجروا إلى يثرب، وعاشوا مع الخزرج والقبائل اليهودية، ونشبت حروب طويلة بينهم وبين الخزرج كيوم بعاث والدرك وغيرها. ينظر: «معجم قبائل العرب القديمة والحديثة» ١/ ٥٠.

والنضير حلفاء الخزرج[١]، وكانوا يقتتلون، فتقاتل بنو قريظة مع الأوس، والنضير مع الخزرج، فإذا غلبوا خربوا ديارهم، وأخرجوهم منها، فإذا أُسر رجل من الفريقين كليهما جمعوا له حتى يفدوه، فتعيّرهم العرب بذلك، وتقول: كيف تقاتلونهم وتفادونهم؟ فيقولون: إنَّا أُمرنا أن نفادَيهم، وحُرّم علينا قتالهم، قالوا: فلم تقاتلونهم؟[٢] قالوا: إنا نستحيي أن يُسْتَذَلّ[٣] حلفاؤنا، فذلك حِين عيّرهم الله تعالى فقال: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي[٤]: يا هؤلاء، فحذف حرف النداء[٥]، وقيل: معناه التوكيد لأنتم، و(تقتلون) في موضع الرفع بالخبر. وقال الزجاج: هؤلاء في معنى: الذين (وتقتلون) صلة لهؤلاء، كأنه قيل: أنتم الذين تقتلون أنفسكم، ولا موضع لتقتلون إذا كان صلة[٦]، ومثله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ١٧][٧] بمنزلة: وما التي بيمينك.

---

(١) هم الخزرج بن حارثة بطن من الأزد من القحطانية، كانوا يقطنون المدينة مع الأوس، وكانت العرب جميعًا في الجاهلية يسمون الأوس والخزرج جميعًا الخزرج، وكانوا هم والأوس يحجون ويقفون مع الناس. ينظر: «معجم قبائل العرب» ١/ ٣٤٢.

(٢) ساقطة من (أ) و(م).

(٣) في (م): (يذل).

(٤) رواه بمعناه الطبري في تفسيره ١/ ٣٩٦، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٦٣، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٢١، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١١٠. وورد نحوه عن ابن عباس، أخرجه الطبري في تفسيره ٢/ ٣٠٥، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٦٤.

(٥) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠١٧.

(٦) قوله: (ولا موضع لتقتلون إذا كان صلة) ليست عند الزجاج في «معاني القرآن».

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٧.

وقوله تعالى: ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم﴾ قرئ بتخفيف الظاء وتشديدها[١]، فمن شدّد: أدغم التاء في الظاء لمقاربتها، ومن خفف حذف التاء التي أدغمها الآخرون، فكل وَاحِد من الفريقين كره اجتماع الأمثال والمقاربة، فبعضهم خفف بالحذف، وبعضهم بالإدغام[٢]، والمحذوفة هي التي تدغم، والمدغمة هي التي تحذف، وذلك أنها لما أُعِلّت بالإدغام أُعِلّت بالحذف.

قال سيبويه[٣]: الثانية أولى بالحذف؛ لأنّها هي التي تُسَكن وتدغم، في نحو ﴿فَٱدَّٰرَءۡتُمۡ﴾ [البقرة: ٧٢] و﴿وَٱزَّيَّنَتۡ﴾ [يونس: ٢٤]. ومما يقوي ذلك: أن الأولى لمعنًى، فإذا حذفت لم يبق شيء يَدُلّ على المعنى، والثانية من جملةِ كلمةٍ إذا حذفتْ دل ما بقي من الكلمة عليها[٤]. ومعنى تظاهرون تعاونون[٥]، ومنه قوله: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾ [التحريم: ٤]، وقوله: ﴿سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا﴾[٦] [القصص: ٤٨] أي: تعاونا[٧] على سحرهما، ومنه: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤] أي: معين[٨]. والتقدير فيه

---

(١) قرأ الكوفيون (عاصم، وحمزة والكسائي) بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، ينظر: «السبعة» ص ١٦٢ - ١٦٣ و«النشر» ٢/ ٢١٨.

(٢) ينظر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٦.

(٣) «الكتاب» ٢/ ٤٢٥-٤٢٦.

(٤) هذا كله كلام أبي علي الفارسي في «الحجة» ٢/ ١٣٤-١٣٥.

(٥) في (م): (تعارفون).

(٦) قرأ الكوفيون (سحران) من غير ألف، وقرأ الباقون (ساحران). ينظر«السبعة» «النشر» ٢/ ٣٤١.

(٧) في (م): (تعارفا).

(٨) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠١٩.

الجمع، وإن كان اللفظ على الإفراد، كقوله: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[١] [النساء: ٦٩]، وسمي العون ظهيرًا لاستناد ظهره إلى ظهر صاحبه[٢].

وأصل الباب من الظهور وهو البُروز، فظهر الشيء ظاهره الذي هو خلاف البطن، والظهيرة؛ لأنه أظهر ما تكون الشمس بانبساط شُعَاعها، وقرأه ظاهرًا، ومن ظهر قلبه ؛لأنّه ظهر له من غير كتاب. هذا أصل الباب. ثم استعمل من هذا التأليف أحرف ليس فيها معنى الظهور، ولكنها من الظهر الذي هو خلاف البطن، من ذلك: الظهر: الإبل التي تحمل الأثقال، والظهار: في مظاهرة الرجل من امرأته، والظِهريُّ: الشيء الذي تنساه وتحطّه وراء ظهرك[٣].

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ أي: تعاونون على أهل ملتكم بالمعصية والظلم. ومعنى العدوان: الإفراط والظلم، يقال: عَدَا عَدْوًا وعُدوانًا وعُدُوًّا وعِداءً[٤]. وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾ أي: إن أتوكم مأسورين يطلبون الفداء فديتموهم، وقُرئ: (أُسَارى) (وأسرى)[٥]، وهما جمع أسير. وأسير: فَعِيل في معنى مفعول؛ لأنك تقول: أسرته، كما تقول: قتلته، وفعيل إذا كان بمعنى مفعول فجمعه يُكسَّر على فَعْلَى، نحو: لديغ ولدغَى، وقتيل وقتلى، وجريح وجَرحَى، وإذا[٦]

---

(١) من كلام أبي علي في «الحجة» بتصرف ٢/ ١٣١.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠١٩.

(٣) انظر: «مقاييس اللغة» ٣/ ٧٤١.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠١٩.

(٥) قرأ حمزة (أَسْرى) بفتح الهمزة وسكون السين من غير ألف، وقرأ الباقون بضم الهمزة وألف بعد السين. ينظر: «السبعة» ص ١٦٣، و«التيسير» ص ٦٤، «النشر» ٢/ ٢١٨.

(٦) في (ش): (وإن).

كان كذلك فالأقيس الأسرى، وهو أقيس من الأسارى، كما أن الأسارى أقيس من قولهم: أُسَراء. والذين قالوا أُسَرَاء شبهوه بظُرَفاء، كما قالوا في قتيل: قُتَلَاء، فكما أن أُسَراء وقُتَلَاء في جمع قتيل وأسير ليس بالقياس، كذلك أُسارى ليس بالقياس[١].

ووجه قول من قال أُسارى: كأنه شبهه بكسالى، وذلك أن الأسير لما كان محبوسًا عن كثير من تصرفه للأسر كما أن الكسلان محتبس عن ذلك لعادته[٢]، شُبِّه به، فقيل في جمعه: أُسارى، كما قيل: كسالى، وأجرى عليه هذا الجمع للحمل على المعنى، كما قيل: مرضى وموتى وهلكى؛ لما كانوا مُبتلين بهذه الأشياء ومصابين بها، فأشبه في المعنى فَعِيلًا الذي بمعنى مفعول، فلما أشبهه أجري عليه في الجمع[٣]. والحمل على المعنى لايكون الأصلَ عند سيبويه، قال: ولو كان أصلًا قبح (هالِكون وزَمِنون)، وكذلك أُسَارى ليس بالأصل في هذا الباب، ولكن قد استعمل كثيرًا. قال سيبويه: قالوا: كَسْلى شبهوه بأَسْرى، كما قالوا: أُسارى، شبهوه بكُسالى. قال: وإنّما جمع ما كان على فعلان نحو سكران وكسلان على فُعَالى، وإن

(١) هذا كله كلام أبي علي في «الحجة» بتصرف يسير ٢/ ١٤٣، وقد ذكر الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٢٠ أن أحدًا من العلماء الأثبات لم يُفَرق بين أسرى وأسارى إلا أبو عمرو فإنه قال: ماقد أُسِر فهو أسارى، ومالم يؤسر فهو أسْرى، وروي عنه من وجه آخر قال: ما صاروا في أيديهم فهم أسارى وما جاء مستأسرًا فهم أسرى، وأنكر الفرق ثعلب. وبين القرطبي في «تفسيره» ١٨/ ١٩ أن ما ذكره أبو عمرو لايعرفه أهل اللغة.

(٢) في «الحجة»: لعادته السيئة شبه به.

(٣) في «الحجة» ٢/ ١٤٤: فلما أشبهه في المعنى أجري عليه في الجمع اللفظ الذي لفعيل بمعنى مفعول.

كانت في أبنية الآحاد نحو: حيارى ؛ لأن فعالًا قد جاء في بعض أبنية الجموع، نحو: رُخَالٍ[1][2] وظُؤارٍ[3] وثُناء[4]، وقد لحقت تاء التأنيث بعض الجموع[5]، نحو: الحجارة والذِّكارة[6]، وكما لحق التاء في هذا النحو الذي يراد به الجمع، كذلك لحق علامة التأنيث في سكارى وكسالى، فجعلت الألف بمنزلة التاء، كما جعلت بمنزلتها في قولهم: قاصعاء وقواصع، ودامّاء[7] ودوامّ[8].

وأصل الأسر في اللغة: الشدّ. قال الأصمعي: تقول العرب: ما أحسن ما أُسَرَ قَتَبَه، أي: ما أحسن ما شدّه بالقِدّ، والقِدُّ: الذي يؤسَرُ به القَتَبُ، يسمى الإسار، وقيل للأسير من العدوّ: أسير؛ لأن آخذه يستوثق

---

(١) في (ش) كأنها (رجال).

(٢) رخال: بكسر الراء وضمها: جمع رِخل، الأنثى من أولاد الضأن، ينظر «القاموس» ص١٠٠٥ (مادة: رخل).

(٣) الظؤار: جمع ظئر، وهي العاطفة على غير ولدها المرضعة له. ينظر القاموس ص٤٣٢ مادة: ظئر.

(٤) الثُّناء: أي اثنين اثنين، يقال: جاءوا مثنى وثُنَاء، كغُرا ب، أي: اثنين اثنين، وثنتين ثنتين، ينظر «القاموس» ص ١٢٦٧.

(٥) في «الحجة» وقد لحقته تاء التأنيث، فقالوا في جمع نقوة: نُقاوة، كما قالوا: الحجارة والذكارة.

(٦) الذكارة: بالكسر، ما يصلح للرجال، كالمسك والعنبر والعود. انظر «اللسان» ٣/ ١٥٠٩ مادة: ذكر

(٧) القاصعاء والداماء: من أسماء جِحَرَةِ اليربوع السبعة. «اللسان» ٣/ ١٤٢٦ مادة: دمم.

(٨) هذا كله كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٤٣-١٤٥ بتصرف يسير.

منه بالإسار، وهو القِدّ، لئلا يُفْلِتَ[١]، ثمّ كثر استعماله حتّى قيل للمأخوذ: أسير، وإن لم يكن هناك شدّ[٢].

وقوله تعالى: ﴿تُفَـٰدُوهُمْ﴾ قرئ أيضا بوجهين[٣]: بالألف، من المفاداة، وبغير ألف، من الفداء. يقال: فديتُه بمال، فيتعدّى إلى مفعولين، ويتعدّى إلى الثاني بالجار، كقوله: ﴿وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات:١٠٧]، وكقول الشاعر:

يودّون لو يَفْدُونَني بنفوسهم وَمَثْنَى الأواقي والقِيَانِ النواهدِ[٤]

فإذا ثَقَّلْتَ العين زدتَ المفعولين ثالثًا، كقوله:

لو يَستطعن إذا نابتك مُجْحِفَةٌ فَدَّيْنَك الموتَ بالآباء[٥] والولد[٦]

وقالوا: فادى الأسير: إذا أطلقه وأخذ عنه شيئا[٧]. فأما الفداء فيجوز أن يكون مصدرًا مثل: الكتاب، ويجوز أن يكون مصدر فاعل، وقد قالوا: فديتُهُ وافتديتُه، أنشد أبو زيد:

---

(١) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ١٥٩. مادة (أسر)

(٢) ينظر في «تهذيب اللغة» ١/ ١٥٩، «اللسان» ٤/ ٧٨. (مادة: أسر)

(٣) قرأ المدنيان نافع وأبو جعفر، وعاصم والكسائي ويعقوب (تفادوهم) بضم التاء وألف بعد الفاء، وقرأ الباقون بفتح التاء وسكون الفاء من غير ألف. ينظر «السبعة» ص ١٦٢ - ١٦٣، «التيسير» للداني ص ٦٤، و«النشر» ٢/ ٢١٨.

(٤) البيت لأبي ذؤيب في «شرح أشعار الهذليين» ص ١٩٢. مثنى الأواقي: (الذهب)، مثنى: أي: مرة بعد مرة. والقيان: الخدم.

(٥) في «الحجة» بالأبناء.

(٦) ذكره أبو علي في «الحجة» ٢/ ١٤٦ ولم ينسبه.

(٧) هذا كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٤٦.

ولو أنّ مَيْتًا يُفْتَدَى لَفَدَيْتُه   بما اقتال[١] من حُكْمِ عليَّ طبيبُ[٢][٣]

فمن قرأ: ﴿تُفَـٰدُوهُمْ﴾ فلأن من كلّ واحد من الفريقين فِعْلًا، فمن الآسر دفع (الأسير)[٤]، ومن المأسور منهم دفع الفداء، وإذا كان كذلك فوجه (تفادوهم) ظاهر، والمفعول الثاني الذي يصل إليه الفعل بالحرف محذوف؛ لأن معناه تفادونهم بالمال. ومن قرأ (تَفْدُوهم) فالمعنى فيه مثل معنى من قرأ: (تُفَادوهم) إلا أنّه جاء بالفعل على يفعل، ألا ترى أن في هذا الوجه أيضًا دفعًا من كل واحد من الآسرين والمأسور منهم[٥].

أخبرني العَرُوضي، عن الأزهري، عن المنذري، عن ثعلب قال: المفاداة: أن تدفع رجلًا وتأخذ رجلًا. والفِداء: أن تشتريَه بمال فداءً. ويقال: فديته بنفسي[٦].

وقال نصير[٧] الرازي[٨]: يقال: فاديتُ الأسيرَ، وفاديت الأُسارى،

---

(١) في (ش) لعلها (أفتال) أو (أفتاك).

(٢) البيت لكعب بن سعد الغنوي في النوادر ص ٢٤٤، وعنه نقل أبو علي في «الحجة» دون نسبة ١/ ٣٤٢، ورواية «اللسان» والصحاح مادة [قول] والأصمعيات ص ٩٧ هكذا:

ومنزلة في دار صدق وغبطة   وما اقتال من حكم علي طبيب

فلو كان ميت يفتدى لفديته   بما لم تكن عنه النفوس تطيب

وذكره صاحب «اللسان» في مادة [فدى] ٦/ ٣٣٦٦ دون نسبة.

(٣) هذا كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٤٧.

(٤) سقطت من (ش).

(٥) هذا كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٤٨ بتصرف يسير.

(٦) في «تهذيب اللغة» ١٤/ ٢٠٠، وينظر: «اللسان» ٥/ ١٥٠ (مادة: فدى).

(٧) في (ش): (نظير).

(٨) هو: نصير بن أبي نصير الرازي، تقدمت ترجمته [البقرة: ١٥].

هكذا تقوله العرب. وإذا قلت: فديت الأسير فهو أيضا جائز بمعنى فَدَيْتُه مما كان فيه، أي: خلّصته، منه وفاديت أحسن في هذا المعنى.ومعنى فديته بالشيء، أي: خلّصته به، وجعلته عوضًا منه؛ صيانة له، كقوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات:١٠٧] أي: خلّصناه به[(١)] من الذبح[(٢)].

قال الفراء: والعرب تقصر الفداء وتمدّه، يقال: هذا فداؤك وفداك، وربما فتحوا الفاء إذا قصروا[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾. (هو) إضمار الإخراج الذي تقدم ذكره في قوله: ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا﴾ . ثمّ بيّن لتراخي الكلام أنّ ذلك الذي حُرِّم: الإخراج، فقال: (وهو محرّم عليكم)، ولو اقتصر على هذا القدر أشبه أن يرجع ذلك إلى فداء الأسرى، لأن معناه وإخراجهم[(٤)] فأظهر المكنى عنه فأعاده، فقال: إخراجهم فكان رفع الإخراج[(٥)] بالتكرير على هو؛ لأن معناه: وإخراجهم، محرم عليكم، فهو مبتدأ مؤخر عن خبره، تقديره: وإخراجهم محرم عليكم، وهذا معنى قول الفرّاء[(٦)] والزجّاج[(٧)] جميعًا. قال الفراء: وإن شئتَ جعلتَ هو عمادًا[(٨)].

---

(١) من قوله: خلصناه به. ساقط من (أ) و(م).

(٢) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٥٤ بتصرف واختصار. (مادة: فدى).

(٣) نقله عنه «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٥٤، وعنه ابن منظور في «اللسان» ٦/ ٣٣٦٦، «القرطبي» في «تفسيره» ٢/ ٩١. (مادة: فدى).

(٤) قوله: (لأن معناه، وإخراجهم) ساقطة من (أ) و(م).

(٥) في (ش): (الإحرام).

(٦) في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٠-٥١.

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٧.

(٨) كذا نقله عنه «القرطبي» في «تفسيره» ٢/ ٢٢.

قال: وإذا رأيت الواو في موضع تطلب الاسم دون الفعل، صلح في ذلك الموضع العماد، كقولك: أتيت زيدًا وأبوه قائم، فإن أردت أن تقدم الفعل على الأب، فقلت: أتيت زيدًا قائم أبوه[١]، أو ويقوم أبوه قبح؛ لأن الواو تطلب الاسم، فإذا قبح ذلك أدخلوا هو؛ لأنه اسم فقيل: أتيت زيدًا وهو قائم[٢]، كذلك ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾: حُرّم عليكم إخراجهم، والاسم المبني على الفعل ينوب عنه في العمل، ومحرم على: حُرِّم..[٣] ورفعت الإخراج في هذا الوجه بمحرّم لأن معنى قوله: (ومحرم) مبني على حُرِّمَ.

وقال الزجاج: وجائز أن يكون هو للقصة والحديث والخبر والأمر والشأن، كأنه قال: والخبر[٤] محرم عليكم إخراجهم، كما قال ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد:١] أي: الأمر الذي هو الحق: الله الأحد، وتأويله[٥]: الأمر الذي هو الحقُّ توحيدُ الله ﷻ[٦].

ونظم الآية على التقديم والتأخير، تقديره: وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم، وهو محرّم عليكم إخراجُهم، وإن يأتوكم أسرى[٧] تَفْدُوهم[٨].

---

(١) في «معاني القرآن» للفراء: فقبيح أن تقول: أتيت زيدًا قائم أبوه، وأتيت زيدًا ويقوم أبوه.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥١.

(٣) من قوله: ح(رِّم عليكم).. ساقط من (أ) و(م).

(٤) في (ش): (الخير).

(٥) في(أ): (وتأويل).

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٧.

(٧) في (م): (أسارى).

(٨) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٢.

والمحرم: الممنوعُ منه، والحرامُ: كلُّ ممنوع من فعله، ومن ذلك: البلد الحرام، والبيت الحرام؛ لأنه كان يمنع فيه ما هو مُبَاح في غيره، ورَجل مُحْرِم وحرام: إذا مَنَع نفسه ممّا يحظره الإحرام، والحُرُمات: كُلّ ما مُنِعَ ارتكابُه، وتقول: قد تَحَرَّمت بطعامك، أي: حَرُم عليك بهذا السبَب ما كان لك أخذه، والمحروم: الممنوع ما[١] ناله سواه. وقول زُهَير:

يقول[٢] لاغائبٌ مالي ولا حَرِمُ[٣]

أي: ليس بممنوع، والحَرَم والحَرَام واحد، كقولهم: زَمَنٌ وزَمَانٌ[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ﴾ استفهامٌ في معنى توبيخ. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا خِزۡيٌ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ يعني[٥]: ما نال قُرَيْظَة وبني النضير؛ لأن بني النضير أُجلوا عن مَساكنهم، وبني قريظة أبيروا بقتل مقاتلهم، وسبي ذراريهم[٦]. والخزي: الهوان والفضيحة، وقد أخزاه الله: أي: أهانه[٧]. شمر[٨]: أخزاه الله: فضحه، وفي القرآن: ﴿وَلَا تُخۡزُونِ فِي

---

(١) (ما) بمعنى الذي.

(٢) في (أ): (يقول).

(٣) ديوان زهير ص ٧٩، وصدر البيت:

وإن أتاه خليلٌ يومَ مسألةٍ.

(٤) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٧٩٣-٧٩٧ ، و«لسان العرب» ٢/ ٨٤٤. مادة (حرم).

(٥) في (ش): (بمعنى).

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٣.

(٧) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٢٧، «اللسان» ٢/ ١١٥٥مادة (خزا)، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٣.

(٨) هو: شمر أبو عمرو بن حمدويه الهروي اللغوي الأديب الفاضل الكامل، إليه الرحلة في هذا الفن من كل مكان، كانت له عناية بعلم اللغة، توفي سنة ٢٥٥هـ. ينظر: «إنباه الرواة» ٢/ ٧٧-٧٨، و«بغية الوعاة» ٢/ ٤-٥.

ضَيۡفِيٓۖ﴾ [هود: ٢٣٠] أي: لا تفضحوني[١]. أبو عبيد: يُقال: خزِي يخزى خِزيًا: إذا هلك[٢].

وقال ابن السراج: معنى أخزاه الله، أي: أوقفه موقفا يُسْتحيَا منه، مِن قولهم: خزي يخزَى خِزَايَةً: إذا استحيا[٣]. ثم أعلم الله عز وجل أن ذلك غير مكفِّر عنهم ذنوبهم، فقال: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ﴾

والردُّ: الرجع. يقال: ردّه إلى كذا، ويقال للمُجبّر: ردّاد؛ لأنه يردّ العُضْو إلى ما كان. والرِّدّة: الرجوع عن الشيء، ومنه الردّة عن الإسلام[٤].

وإنما قال: (يُردّون) بلفظ الجمع لمعنى مَنْ.

وفي (أشد العذاب) قولان:

أحدهما: أنه عذاب لا رَوْح[٥] فيه تتصل أجزاؤه.

والثاني: عذابٌ أشدّ من عذاب الدنيا بتضعيف الألم فيه.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ الآية. أي: استبدلوا قليل الدنيا بكثير الآخرة[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ أي: لا ينقص، والخِفّة: نُقْصان الوَزْن.

---

(١) ينظر «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٢٧، «اللسان» ٢/ ١١٥٥ (مادة: خزي).

(٢) كذا في «غريب الحديث» له ٢/ ٣٨١.

(٣) ينظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ٢/ ٣٨١، «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٢٧٤، (مادة: خزى)، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٣.

(٤) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٩٠مادة (ردد).

(٥) لا روح فيه: أي لا راحة فيه.

(٦) ينظر: الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣١٦-٣١٧، «زاد المسير» ١/ ٩٨.

ودخلت الفاء في قوله: ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ للعطف على (اشتروا) فيكون من صلة الذين.

٨٧- وقوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أي: أرسلنا رسولًا يقفو رَسُولًا في الدعاء إلى توحيد الله والقيام بشرائع دينه[١].

يقال: قفّى أثره، وقفّى غيرَه على أثره، أي: اتبعه إياه، والقفا: مُؤَخَّرُ العُنُق، ويقال للشيخ إذا هرم: رُدّ على قَفَاه، ورُدّ قَفًا. قال:

إن تَلْقَ رَيْبَ المنايا أو تُرَدُّ قفًا لا أبْكِ مِنك على دينٍ ولا حَسَبِ[٢].

ومنه: قافية الشعر[٣]، ونذكر استقصاءه عند قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦] إن شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعني: الآياتِ التي ذكرها في سورة آل عمران[٤] والمائدة[٥].

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٨، قال الطبري في تفسيره ١/ ٤٠٣: وقفينا من بعده بالرسل أي: أتبعنا بعضهم بعضا على منهاج واحد، وشريعة واحدة لأن كل من بعثه الله نبيا بعد موسى ﷺ إلى زمان عيسى بن مريم فإنما بعثه بأمر بني إسرائيل بإقامة التوراة والعمل بما فيها والدعاء إلى ما فيها.

(٢) البيت بلا نسبة في: «لسان العرب» ٦/ ٣٧٠٨، و«أساس البلاغة» ص ٢/ ٢٦٩،

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٠٣، «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠١٣، «المحرر الوجيز» ١/ ٣٨٥، «اللسان» ٦/ ٣٧٠٨ مادة (قفا).

(٤) في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ﴾ [آل عمران:٤٩].

(٥) في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ الآية: ١١٠ من سورة المائدة. وينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٠٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٤.

﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾ أي: قويناه[١]، والأيد والآد: القوة، ويقال: أَيَّدَه وآيده: إذا قواه، وآدَ يَئِيدُ أَيْدًا: إذا قوي، قال امرؤ القيس:

فَأَأَّتْ[٢] أَعَاليه وآدَتْ أُصُولُه[٣]

أي: قويت وإياد كل شيء: ما يَقْوَى به[٤]، قال العجاج:

متخذًا مِنها إيادًا[٥]

واختلفوا في معنى (روح القدس). فقال قتادة[٦] والربيع والضحاك[٧] والسُّدّي[٨]: إنه جبريل. واختاره الزجاج[٩]. والقُدسُ:

---

(١) «تفسير الطبري» ١/ ٤٠٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٨، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٤ و«المحرر الوجيز» ١/ ٣٨٥.

(٢) في (م) (فأتت).

(٣) عجز البيت:

ومال بقُنْيَانٍ من البُسْرِ أحمرا

يصف نخيلًا، انظر «ديوانه» ص ٦٠، «لسان العرب» ١/ ١٨٩ (مادة أيد). «المعجم المفصل» ٣ / ١٤٠.

(٤) ينظر «تهذيب اللغة» ١/ ٩٦، «اللسان» ١/ ١٨٩، وفيه: وإياد كل شيء: ما يقوى به من جانبيه، وهما إياداه.

(٥) البيت للعجاج يصف الثور: متخذًا منها إيادًا هدفًا. ينظر «تهذيب اللغة» ١/ ٩٦، «اللسان» ١/ ١٨٩.

(٦) أخرجه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٢٠ وذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٦٨، الثعلبي في «تفسيره»١/ ١٠٢٦.

(٧) أخرجه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٢٠ وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٢٦.

(٨) أخرجه عنه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٠٤.

(٩) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٨ وكذا اختاره الطبري في تفسيره ١/ ٤٠٤ بعد أن ذكر قولين آخرين: الأول: أنه الإنجيل، والثاني: أنه الاسم الذي كان عيسى يحيي به الموتى. ثم قال: وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال: الروح في هذا الموضع جبريل؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه أيد عيسى به، كما أخبر في قوله: ﴿إِذْ

الطهارة[1]، كأنه منسوبٌ إلى الطهارة، وذلك أنه ممن لا يقترف ذنبًا ولا يأتي مأثمًا.

وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قرينه، يسير معه حيثما سار، وأيضًا فإنه صَعِد به إلى السماء[2]، ودليل هذا التأويل: قوله عز وجل: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢] يعني: جبريل[3]. وإنّما سُمي جبريل رُوحًا؛ لأنه بمنزلة الأرواح للأبدان تحيا بما يأتي من[4] البيان عن الله عز وجل من يُهدَى به، كما قال عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، أي: كان كافرًا فهديناه.

قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ فلو كان الروح الذي أيده الله به هو الإنجيل لكان قوله: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ تكرير قول لا معنى له، وانظر «تفسير ابن كثير» ص ١١٢.

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٨، الطبري في «تفسيره» ١/ ١٣٢.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٢٦، وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١١٢-١١٣ في تأييد عيسى بروح القدس الذي هو جبريل ثلاثة أقوال: أحدها: أنه أُيد به لإظهار حجته وأمر دينه. والثاني: لدفع بني إسرائيل عنه إذ أرادوا قتله. والثالث: أنه أيد به في جميع أحواله.

(٣) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٦ وقال الشنقيطي في «أضواء البيان» ١/ ١٤٢ هو جبريل على الأصح، ويدل ذلك قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣] وقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧] انتهى. ويؤيده أيضًا قول النبي ﷺ لحسان - رضي الله عنه -: «**ياحسان أجب عن رسول الله ﷺ، اللهم أيده بروح القدس**». رواه البخاري (٤٥٣) في الصلاة، باب الشعر في المسجد ومسلم (٢٤٨٥) كتاب: في فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت وينظر«التفسير الصحيح» ١/ ١٩٢.

(٤) في (م): (عن).

وقيل[١]: لأن الغالب على جسمه الروحانية لرقته، وكذلك سائر الملائكة.

وقال آخرون: أراد: الروح القدس، أي: المقدس، فأضاف الاسْم إلى الصفة، وأراد به روح عيسى عليه السلام.

وسمى روحَه قُدُسًا؛ لأنه لم تتضمنه أصلاب الفحولة، ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث[٢][٣]. وجاء في الخبر: أن الله تعالى لما أخذ الذرية من ظهر آدم[٤] وأشهدهم على أنفسهم ردها إليه إلا روح عيسى فإنه أمسكها عنده إلى وقت خلقه. وقرئ القُدس بالتخفيف والتثقيل[٥]، وهُما حسنان، مثل: العُنْقُ والعُنُق، والحُلْم والحُلُم، وبابه[٦]. ومعناه: الطهارة.

قال العَجّاج:

قد عَلِمَ القُدُّوس رَبُّ القُدْس[٧].

وذكرنا ما فيه عند قوله: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

---

(١) سقطت من (م).

(٢) في (م): (الطوارق).

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٠٢٥، «الكشاف» للزمخشري ١/ ٨٠، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٣٢.

(٤) في (م): (لما أخذ من ظهر آدم الذرية).

(٥) قرأ ابن كثير في تفسيره (القُدْس) بإسكان الدال حيث جاء، والباقون بضمها. ينظر: «السبعة» ص ١٦٣، و«التيسير» ص ٦٤، و«النشر» ٢/ ٢١٦.

(٦) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٥٠.

(٧) وبعده:

إن أبا العباس أولى نفس ... بمعدن الملك القديم الكِرسِ

ذكره في: «اللسان» ٦/ ٣٥٥٠ (مادة: قدس)، وفيه: (مولى) بدل (رب).

وقوله: ﴿أَفَكُلَّمَا﴾ ذهب أبو الحسن[١] في هذه الفاء إلى أنها زائدة، والوجه: أن تكون غير زائدة وأن تكون للإتباع؛ لتعلق ما قبلها بما بعدها.

وعلى هذا قوله ﷺ، وقد قيل له لما جهد[٢] نفسه بالعبادة: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[٣]. فالوجه أن تكون الفاء هَاهُنَا مُتبعَةً غير زائدة[٤].

ونصب (كلّما) كنصب سائر الظروف[٥]، وكُلّ: حرفُ جملة، وهو اسم يجمع الأجزاء[٦].

وقال أبو الهيثم: يقع (كل) على اسم منكور مُوحَّد فيؤدي معنى الجماعة، كقولهم: ما كلُّ بيضاءَ شحمةً[٧].

و(ما) هاهُنا حرف جزاء[٨]، ضم إلى (كل)[٩].

ومعنى ﴿ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾: تعظمتم عن الإيمان به؛ لأنهم كانت لهم

---

(١) أي: الأخفش.

(٢) في (م): (أجهد).

(٣) رواه البخاري (١١٣٠) في أبواب التهجد، باب: قيام النبي ﷺ الليل حتى ترم قدماه، ومسلم (٢٨١٩) في الجنة والنار، باب: إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٠٠.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٩.

(٦) «اللسان» ١١/ ٥٩١، وقال في «البحر المحيط» ١/ ٨٨: كل للعموم، وهو اسم جمع لازم للإضافة، إلا أن ما أضيف إليه يجوز حذفه ويعوض منه التنوين، وأحكام كل كثيرة.

(٧) نقله عنه الأزهري في «تهذيب اللغة» ٩/ ٤٥٠ وعنه ابن منظور في «اللسان» ١١/ ٥٩١، وينظر: «مغني اللبيب» ١/ ٢٠١-٢٠٢.

(٨) في (ش): (وخبر).

(٩) ينظر: «مغني اللبيب» ٢/ ٢٠١.

الرئاسة، وكانوا متبوعين، فآثروا الدنيا على الآخرة[١].

﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ مثل: عيسى ومحمد، ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ مثل: يحيى وزكريا. نظيره في المائدة [٧٠]: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[٢]، والفريق: الطائفة من الناس[٣].

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ فيما دل عليه قوله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ كأنه قال: فما استقمتم[٤].

قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ الآية. جمع أغلَف، كما أن حُمْرًا[٥] جمع أَحمر، فإذا كان جمع أفعل لم يجز تثقيله إلا في الشعر[٦].

قال أبو عبيدة: كل شيء في غلاف فهو أَغْلَف، قالوا: سيفٌ أَغْلَف، وقوس غلفاء، ورجل أغلف: لم يُختن[٧].

وما يدرك به المعلومات من الحواس وغيرها من الأعضاء إذا ذُكِر بأنه لا يعلم وُصِفَ بأن عليه مانعًا من ذلك ودونه حائلًا، فمن ذلك قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] كأن القُفْل لما كان حاجزًا بين المُقْفَل عليه وحائلًا من أن يدخله ما يدخل إذا لم يَكن مُقفلًا

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٧.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٠٥-٤٠٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٧ .

(٣) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٧.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٠٠.

(٥) في (ش): (حمر).

(٦) من «الحجة» ٢/ ١٥٥، وينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٠٦، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٩.

(٧) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٤٦، ونقله عنه أبو علي في «الحجة» ٢/ ١٥٥.

جُعِل مَثَلًا للقلوب في أنها لا تعي ولا تفقَه.

وكذلك قوله ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى﴾ [الكهف: ١٠١][١]، ومثل هذه الآية في المعنى قوله: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥]. قال ابن عباس[٢] ومجاهد وقتادة في هذه الآية: إنهم قالوا استهزاءً وإنكارًا وجحدًا لما أتى به محمد: قلوبنا عليها غشاوة، فهي في أوعية، فلا تعي ولا تفقه ما تقول يا محمد.

ومن ضم اللام فهو جمع غلاف مثل: حِمَار وحُمُر، ومِثَال ومُثُل[٣].

قال ابن عباس[٤] والكلبي[٥]: إنهم قالوا للنبي ﷺ: قُلُوبنا أوعية للعلم، فما بالها لا تفهم عنك ما أتيت به مما تدعونا إليه؟ فلو كان فيه خير لفَهِمَتْه وَوَعَتْه[٦].

وقوله تعالى: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ أكذبهم الله سبحانه وقال: بل

---

(١) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٥٤.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٠٦، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧٠.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٦٩، و«البحر المحيط» ١/ ٣٠١، وقال الطبري في تفسيره ٢/ ٣٢٧: وأما الذين قرأوها بتحريك اللام وضمها، فإنهم تأولوها أنهم قالوا: قلوبنا غلف للعلم، بمعنى أنها أوعية فمعنى الكلام: وقالت اليهود: قلوبنا غلف للعلم وأوعية له ولغيره، ثم بين أن القراءة بالضم شاذة غير جائزة. انتهى كلامه. وممن قرأ بضم اللام: ابن عباس والحسن وابن محيصن والأعرج. ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٨، «زاد المسير» ١/ ٩٩، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٢.

(٤) رواه عنه الطبري في تفسيره ١/ ٤٠٧، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧٠، وذكره أبو علي في «الحجة» ٢/ ١٥٥، «القرطبي» ٢/ ٢٢.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٢٨، «تفسير البغوي» ١/ ١٢٠، «تفسير الخازن» ١/ ٨١.

(٦) ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٢.

لعنهم الله، أي: أبعدهم من رحمته وطردهم، واللعن: الإبعاد[١].

قال الشَّمَّاخ[٢]:

ذَعَرْتُ بِه القَطَا وَنَفَيتُ عنه   مقام الذئبِ كالرجُلِ اللعينِ[٣]

أراد: مقام الذئب الذي هُوَ كالرجل اللَعين، لا يزال مُنتبذًا عن الناس، شبّه الذئب به، وكل من لعنه الله فقد أبعده عن رحمته، واستحق العذاب، وصار هالكًا[٤].

وقال الليث: اللعن: التعذيب، ولعنه الله، أي: عذبه، قال: واللعنة في القرآن: العذاب، واللعن: السب والشتم[٥].

قال شمر[٦]: أقرأنا ابن الأعرابي لعنترة[٧]:

لُعِنَتْ بمحرومِ الشَّرابِ مُصَرَّم[٨]

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٠٨، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٤٦.

(٢) هو: الشمّاخ بن ضرار بن سنان بن أمامة الذبياني، قال ابن سلام: فأما الشماخ فكان شديد متون الشعر، أشد أسر كلام من لبيد، وفيه كزازة، ولبيد أسهل منه منطقًا «طبقات فحول الشعر» ١/ ١٢٤ - ١٣٢.

(٣) البيت للشماخ بن ضرار في «ديوانه» ص ٣٢١، «مجاز القرآن» ١/ ٤٦، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٠ «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٢٩، «لسان العرب» ٧/ ٤٠٤٤، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٣، وذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٠٨ برواية: مكان الذئب.

(٤) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٧٢-٣٢٧٤، «اللسان» ٧/ ٤٠٤٤-٤٠٤٥.

(٥) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ٣٩٦، و«اللسان» ١٣/ ٣٨٨، وتفسير «القرطبي» ٢/ ٢٥.

(٦) أول البيت:

هل تبلغني دارها شدنية

(٧) والبيت من معلقة عنترة بن شداد التي مطلعها:

هل غادر الشعراء من متردم

(٨) ينظر: «أساس البلاغة» ٢/ ١٤، و«لسان العرب» ٧/ ٤٠٤٥.

وفسّره، فقال: سُبّت بذلك، أي: قيل: أخزاها الله فما لها در ولا لبن[١].

وقال الفراء: اللعن: المسخ أيضًا، قال الله تعالى: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ [النساء:٤٧] أي: نمسخهم[٢]، وكل هذا راجع إلى معنى الطرد والإبعاد.

و(بل) لا يُنسق به في غير الجحد، والجحد ها هنا في المعنى، ومجازه: وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ، وليس كذلك، بل لعنهم الله، ولم يجعل لهم سبيلًا إلى فهم ما تقول[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ يريد: فما يؤمنون قليلًا ولا كثيرًا، والعرب قد تستعمل لفظَ القِلَّةِ في موضع النفي، فتقول: قلّما رأيتُ من الرجال مثلَه، وقلَّمَا تزورنا، يريدون النفي لا إثبات القليل.

وحكى الكسائي عن العرب: مررت[٤] بأرضٍ قلّما تُنبت إلا الكُرّاث والبَصَل، أي: ما تُنبت إلا هذين[٥]، هذا قول الواقدي[٦] [٧] و(ما) على

---

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٧٤، ونقله في «لسان العرب» ٧/ ٤٠٤٥ وفيه: ولا بها لبن.

(٢) لم أعثر عليه في «معاني القرآن» له.

(٣) في (ش): (فتقول).

(٤) في (ش): (مررنا).

(٥) ذكره عنه الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٥٩، وعنه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٠٩-٤١٠ ولم ينسبها، الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٣٠.

(٦) نقله عنه الثعلبي ٣/ ١٠٣٠، وينظر: «القرطبي» ٢/ ٢٣، و«البحر المحيط» ١/ ٣٠٢.

(٧) هو: أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، محدث مؤرخ، مفسر فقيه، أديب، متروك الحديث مع سعة علمه، ولد بالمدينة، وأقام=

هذا الوجه للنفي .

وقال أبو عبيدة: معناه: لا يؤمنون إلَّا بقليل ممَّا في أيديهم ويكفرون بأكثره. وانتصب قليلًا على هذا القول بنزع الخافض[١]. و(ما) صلة، تقديره: فبقليل يؤمنون. وقال قتادة: معناه لا يؤمن منهم إلا قليلٌ؛[٢] لأن مَنْ آمن من المشركين أكثر ممن آمن من اليهود. و(ما) على هذا القول أيضًا صلة، وانتصب قليلًا على الحال. تقديره: فيؤمنون قليلًا[٣]، كعبد الله بن سلاَمَ[٤].

وذكر ابن الأنباري في هذه الآية ثلاثة أوجهٍ سوى ما ذكرنا:

أحدها: فيؤمنون إيمانًا قليلًا، وذلك أنهم يؤمنون بأن الله خالقهم ورازقهم، ويكفرون بمحمد والقرآن، فيقلل ذلك إيمانهم، ودليل هذا التأويل: قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]

= ببغداد، تولى القضاء، توفي سنة ٢٠٧هـ. ينظر: «تاريخ بغداد» ٣/ ٣، و«وفيات الأعيان» ٤/ ٣٤٨.

(١) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٠٢.

(٢) رواه عبد الرزق في «تفسيره» ١/ ٥١، ومن طريقه رواه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٠٩، وابن أبي حاتم ١/ ١٧١، وذكره الثعلبي ١/ ١٠٢٩، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٠١-٣٠٢، ونقل عن المهدوي مذهب قتادة: أن المعنى فقليل منهم من يؤمن، وأنكره النحويون؟ وقالوا: لو كان كذلك للزم رفع قليل، ثم تعقبه أبو حيان فقال: قول قتادة صحيح، ولا يلزم ما ذكره النحويون ؛ لأن قتادة إنما بين المعنى وشرحه ولم يرد شرح الإعراب فيلزمه ذلك.

(٣) «البحر المحيط» ١/ ٣٠٢.

(٤) هو: أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري، كان أحد أحبار اليهود في الجاهلية، أسلم عند مقدم الرسول ﷺ، بشره الرسول ﷺ بالجنة، توفي سنة ٤٣هـ. ينظر: «أسد الغابة» ٣/ ٢٦٤، «الاستيعاب» ٣/ ٩٢١.

معناه: أنهم يعترفون بأن الله ربهم، ويكفرون بمحمد فيقلّ إيمانهم. وانتصب قليلًا على هذا الوجه لأنه نعتُ مصدرٍ محذوف(١).

الوجه الثاني: أن يكون المعنى: فيؤمنون قليلًا من الزَمَانِ ويكفرون أكثره، ودليل هذا التأويل: قوله: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢]. فخَبر الله تعالى بقلة إيمانهم على معنى الوقت القصير الذي أظهروا فيه موافقة المسلمين ثم باينوهم بعده، وانتصب (قليلًا) في هذا الوجه؛ لأنه أقيم مقام الظرف، و(ما) في هذين الوجهين صلة .

الوجه الثالث: أن يكون (ما) مع الفعل مصدرًا، ويرتفع بـ«قليل»، وهو مقدم، ومعناه:

فقليلًا إيمانهم، كما قالوا: راكبًا لقَائِيك ومُجَرَّدًا ضَرْبِيكَ.

والآيه رَدٌّ على القدرية؛ لأن الله تعالى بيّن أن كفرهم بسبب لعنه آباءهم، فالله تعالى لما لعنهم وطردهم وأراد كفرهم وشقاوتهم منعهم الإيمان(٢).

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٠، وهذا ما رجحه الطبري رحمه الله في «تفسيره» ١/ ٤٠٩، فقال: أخبر أنه لعن الذين وصف صفتهم في هذه الآية، ثم أخبر عنهم أنهم قليلو الإيمان بما أنزل الله إلى نبيه محمد ﷺ، ولذلك نصب قوله: فقليلا لأنه نعت للمصدر المتروك ذكره، ومعناه: بل لعنهم الله بكفرهم فإيمانًا قليلًا ما يؤمنون، فقد تبين إذًا بما بينا فساد القول الذي روي عن قتادة في ذلك». ورجحه في «البحر» ١/ ٣٠٢ قائلًا: لأن دلالة الفعل على مصدره أولى من دلالته على الزمان، وعلى الهيئة وعلى المفعول وعلى الفاعل، ولموافقته ظاهر قوله تعالى: ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ٤٦).

(٢) قال القرطبي ٢/ ٢٣: ثم بين أن السبب في نفورهم عن الإيمان: إنما هو أنهم لعنوا بما تقدم من كفرهم واجترائهم، وهذا هو الجزاء على الذنب بأعظم منه.

٨٩- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ﴾ يعني: القرآن ﴿مُصَدِّقٞ﴾ موافق ﴿لِّمَا مَعَهُمۡ﴾؛ لأنه جاء على ما تقدّم به الإخبار في التوراة والإنجيل، فهو مصداق الخبر المتقدم، من حيث كان مخبره على ما تقدم الخبر به[١].

وقوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ﴾ يعني: اليهودَ[٢].

و(كان) ليس بفعل حقيقي كسائر الأفعال، والفرق بينه وبين الفعل الحقيقي، أن الفعل الحقيقي يدل على وجود معنى مصدره بعد أن لم يكن، في ماض أو حاضر أو مستقبل، و(كان) إنما يدل على الزمان الماضي أو الحاضر والمستقبل في تصريفه فقط، من غير دلالة على وجود مصدره بعد أن لم يكن[٣] كقولك: كان زيد عالمًا معناه: زيد عالم فيما مضى[٤].

وذكرنا ما في (كان) عند قوله: ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا﴾ [البقرة:٢٨][٥].

وقوله تعالى ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: من قبل هذا الكتاب وقبل هذا النبي[٦].

﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال ابن عباس[٧] والسدي[٨]: هو أنهم إذا

---

(١) ينظر الطبري في «تفسيره» ١/ ٤١٠، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٠.

(٢) ينظر الطبري في «تفسيره» ١/ ٤١٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٠.

(٣) من قوله: في ماضٍ أو حاضر.. ساقط من (ش).

(٤) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٠٨٤ مادة (كان)، و«الأزهية في علم الحروف» ص ١٨٣، و«مغني اللبيب» ٢/ ٥٥٩.

(٥) ينظر: «البسيط» ٢/ ٢٩٣.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤١٠ «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٠.

(٧) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤١١-٤١٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧١-١٧٢.

(٨) رواه عنه الطبري ١/ ٤١١-٤١٢، وانظر: «زاد المسير» ١/ ١١٤.

حزبهم[١] أمر، وظهر لهم عدوٌّ، قالوا: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان، وكانوا يسألون الله النصرَ بمحمد وبكتابه[٢].

وذكرنا معنى (الفتح والاستفتاح) عند قوله: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦]. وفي الكلام إضمار واختصار، أراد: وكانوا من قبل يستفتحون به، أي: بذلك الكتاب، فلما سبق ذكر الكتاب لم[٣] يُعِده. ومثله في الكلام: السَّمْنُ مَنَوَان[٤] بدرهم أي: منه، ولكنك لا تعيد ذكره، وقد سبق في أول كلامك.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ يعني: الكتاب وبعثة النبي ﷺ؛ وذلك أنهم كانوا قرأوا في التوراة: إن الله تعالى يبعث في آخر الزمان نبيًّا[٥]، وينزل عليه قرآنًا مبينًا أي: بالكتاب، ويبعث صاحب ذلك الكتاب[٦].

أعلم الله أنهم كفروا وهم يوقنون، وأنهم مُتَعمدون للشقاق وعداوة الله.

وجواب قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ﴾ محذوف، تقديره: ولما جاءهم

---

(١) في (ش): (حزنهم)، وفي (م): (جزلهم).

(٢) ينظر ما رواه الطبري في تفسيره ١/ ٤١٠-٤١٠، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧١- ١٧٢، وأبو نعيم في «الدلائل» ١/ ١٩.

(٣) في (م): (فلم).

(٤) المنوان: تثنية مَنًا وهو كيل أو ميزان يساوي رطلين ويثنى على منوان، ومنيان ويجمع على: أمْنَاءٍ، وأمْنٍ، ومُنِيّ ومِنِيّ. ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥٤ مادة (منا)، و«القاموس» ١٧٢٢ و«المجموع شرح المهذب» ٩/ ٣٤٧.

(٥) في (م) و(ش): (يبعث نبيا في آخر الزمان).

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤١١-٤١٢، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧٢.

كتاب من عند الله جحدوه، وحذف لأنه معروف، دل عليه ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾، هذا قول أبي إسحاق[١].

وقال الفراء: جوابه في الفاء في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾، وفيه أيضا معنى الابتداء. و(كفروا) بما فيه من جوابهما جميعًا، والعرب تجيب كلامين بجواب واحد، كقولهم: ما هو إلا أن يأتي عبد الله فلما قعد أكرمته[٢][٣].

والدليل على هذا: أن الواو لا تجوز في موضع الفاء في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾ كما جاز في ابتداء الآية، فذلك دليل على أنها جواب وليست بنسق.

ومثل هذا في كون الفاء جوابًا قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣] ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾[٤] صار كأنه جواب لـ« إما »، ألا ترى أن الواو لا تصلح في موضع الفاء هنا.

وقال محمد بن يزيد[٥] قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾ تكرير للأول؛ لأن

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧١، وذكره الطبري في «تفسيره» ٤١٢-٤١٣، وممن ذهب إليه: الأخفش واختاره الزمخشري كما في «البحر المحيط» ١/ ٣٠٣، ورجحه أبو حيان.

(٢) قال الفراء: ما هو إلا أن أتاني عبد الله فلما قعد أوسعت له وأكرمته.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٩ بتصرف، وذكره الطبري في تفسيره ١/ ٤١٢-٤١٣، ونسبه إليه في «البحر المحيط» ١/ ٣٠٣، وقال: وأما قول الفراء، فلم يثبت من لسانهم: لما جاء زيد فلما جاء خالد أقبل جعفر، فهو تركيب مفقود في لسانهم فلا نثبته، ولا حجة في هذا المختلف فيه، فالأولى أن يكون الجواب محذوفًا لدلالة المعنى عليه.

(٤) ساقطة من (ش).

(٥) أي المبرد، ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٠٣.

الكلام طال بقوله: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾، وكأنه كلام معترض، فأعاد الأول. وجوابه ﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾

ومثله قوله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥] أعاد ذكر ﴿أَنَّكُمْ﴾ لما طال الكلام، وكأنه قال: أيعدكم أنكم إذا مِتُّم مُخرَجون[١].

٩٠- قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ﴾ الآية. بئس ونِعم لفظان وُضِعا للمدح والذم، يخبر بأحدهما عن الشيء المذموم، وبالثاني عن الممدوح، وأصلهما: نَعِمَ وبَئِسَ[٢]، وأرادوا لفظًا يُعبِّر عن المحمود يخصه، ولفظًا يعبِّر عنِ المذموم ويقتصر، فجعلوا نعم للممدوح وبئس للمذموم، فألزمهم بهذا الغرض ضرب من التغيير ليخص هذا القَصْد بالدلالة، فأزالوا التصرف عنهما وهو المستقبل، فلا يقال والمراد المدح أو الذم: ينعَم الرجل أو يَبْأسُ، وهذا القدر من التغيير لا يزيل الإلباس، فليس يُدرى[٣] بقولك: نَعِمَ الرجل أو بَئِسَ إن المراد به الإخبار عنه على ما يقتضيه الأصل أو المدح والذم، فلم يجدوا بُدًّا من تغيير[٤] زائد، فنقلوا وخففوا، والنقل والتخفيف لغة للعرب[٥] فيما كان على فَعُل وفَعِل، نحو: حَسُنَ وضَجِر. حَسْن

---

(١) بين في «البحر المحيط» ١/ ٣٠٣: أن هذا القول حسن، لولا أن الفاء تمنع من التأكيد.

(٢) ينظر في نعم وبئس: «المقتضب» للمبرد ٢/ ١٤٠-١٥٢، «تهذيب اللغة» ١/ ٤١٢، «اللسان» ١/ ٢٠١ (بئس).

(٣) في (ش): (تَدْري).

(٤) في (ش): (تعبير).

(٥) في (ش): (العرب).

وجهُك، إذا خففت، وإن ثقلت قلت: حُسْنَ وَجهُك، فنقلت ضمة السين إلى الحاء، وعلى هذا ينشد:

فَإِنْ أَهْجُهُ يَضْجَرْ كَمَا ضَجْرَ بَازِلٌ من الأُدْمِ دِبْرَتْ[١] صفحتاه وكاهله[٢]

وإنما حملَهُم على هذا اسْتثقالهم الانتقال في الحركات المختلفة الذي يدل على هذا: أن اتفاق الحركات في فعل منعهم من هذا. فقالوا في نِعْمَ وبِئْسَ فرقًا بين المدح والذم وبين الخبر؛ ليخلُصا للمدح والذم لا يلتبسان بالخبر، ولهذا المعنى لم يتصرفا تصرف الأفعال؛ لأنهما تضمنا الدلالة على معنى الذم والمدح، كما أن التعجب لما كان خبرًا كسائر الأخبار إلا أنه زاد عليها بمعنى التعجب تُركَ تصرّفُه؛ ليدل به على زيادة المعنى، فكذلك (نعم وبئس)، يدل على أن القائل مادح أو ذامّ، وهو خبر باستحقاق المدح والذم.

وبئس ذمٌّ بشدة الفساد. وأصل الكلمة من الشدة، ومنه البأساء: وهو اسم للحرب والمشقة والضرر والشدة، ومنه ﴿بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ﴾ [الأعرف:١٦٥] أي: شديد. وكل هذا ممَّا علّقته عن مشايخ هذه الصنعة.

فأما حكم هاتين الكلمتين وعملهما فقال أبو إسحاق: إنهما لا يعملان في اسم عَلم، إنما يعملان في اسم منكور دالّ على جنس، أو اسم فيه ألف ولام يدل على جنس، وإنما كانتا كذلك؛ لأنّ (نعم) مستوفية لجميع المدح، و(بئس) مستوفية لجميع الذمّ، فإذا قلت: نِعم الرجل زيدٌ،

---

(١) في (ش): (ديرت).

(٢) البيت للأخطل في «ديوانه» ص٢١٧، ينظر: «لسان العرب» ٤/ ٤٨١-١٢/ ١٢.

قلت[١]: استحق زيد المدح الذي يكون في سائر جنسه، وكذلك[٢] إذا قلت: بئس الرجل دللت على أنه قد استوفى الذم الذي يكون في سائر جنسه، فلم يجز إذ كان يستوفي مدح الأجناس أن يعمل في غير لفظ جنس، فإذا كان معهما[٣] اسم جنس بغير ألف ولام فهو نصب أبدًا، وإذا كانت فيه الألف واللام فهو رفع أبدًا، وذلك قولك[٤]: نعم رجُلًا زيدٌ،[٥] ونعم الرجل زيد[٦]، نصبت النكرة على التشبيه بالمفعول، وهو بمعنى التمييز، لأنك إذا قلت: نعم، جاز أن تذكر رجلًا أو حِمارًا، فإذا ذكرت نوعًا ميزته من سائر الأنواع، وفي نعم ضمير فاعل؛ لأنه فِعْلٌ، والفِعْلُ لا يخلو من فاعل، فصار المميز كالمفعول فلهذا نصب.

فأما إذا قلت: نِعْمَ الرَجُل، فليس في نِعْمَ ضمير، وصار الرجل رفعًا بنعم. وارتفع زيد من وجهين، قال سيبويه والخليل[٧]: إن شئت رفعت زيدًا؛ لأنه ابتداء مؤخر، ويكون نعم وما عملت فيه خبره، وإن شئت رفعت على أنه خبر ابتداء محذوف، لأنك إذا قلت: نعم رجلًا، ونعم الرجل، لم يُعلم من تعني، فقلت: زيد، أي: هو زيد.

---

(١) في «معاني القرآن»: فقد.
(٢) ساقطة من (م).
(٣) في «معاني القرآن»: معها.
(٤) في «معاني القرآن»: كقولك.
(٥) في (ش): (زيدًا).
(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٢، وقد نقله الواحدي بتصرف يسير، وينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٤١٢، «اللسان» ١/ ٢٠١، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٤.
(٧) نقله عنه الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٧٢، ونقله عن سيبويه ابن عطية في «المحرر» ١/ ٣٩١، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٤٠.

وقال الكسائي: قولك: نعم الرجل، كالشيء الواحد يرتفع بهما زيد[١]؛ لأن قولك: نعم الرجل زيد، بمعنى: صلح زيد، فارتفاع زيدٍ، كارتفاع الفاعل.

قال الفراء: فإن أضفتَ النكرةَ التي بعد نِعْمَ إلى نكرة رفعت ونصبت، فقلت: نعم غلامُ سَفَرٍ زَيدٌ، وغلامَ سفرٍ زيد، فإن أضفت إلى المعرفة شيئًا رفعتَ، فقلت: نعم سائسُ الخيل أخوك، ولا يجوز النصبُ إلّا أن يضطرّ إليه شاعر؛ لأنهم حينَ أَضَافوا إلى النكرَة آثروا الرفع، فهم إذا أضَافوا إلى المعرفة أحرى أن لا ينصبوا[٢].

فإن وصلت « مَا » بـ «نعم وبِئسَ» نحو: بئسما ونعِمّا، فقال الزجّاج: (ما) فيهما لغير صلة[٣]؛ لأن الصلة توضح، وتخصص، وَالقصد في بئسَ[٤] أن يليها اسم منكور واسم جنس[٥].

فقوله ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ بئس شيئًا اشتروا به أنفسهم[٦]، قال: وروى جميع النحويين: بئسما تزويجٌ ولامهر، وَالمَعنى فيه: بئسَ

---

(١) نقله الفراء في «معاني القرآن» عن الكسائي ١/٥٦، ابن عطية في «المحرر» ١/٣٩١، «تفسير القرطبي» ٢/٢٤ قال ابن عطية: وهذا أيضًا معترض؛ لأن بئس لا تدخل على اسم معين متعرف بالإضافة إلى الضمير.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/٥٧.

(٣) في «معاني القرآن» للزجاج: بغير.

(٤) في «معاني القرآن» للزجاج: نعم.

(٥) في «معاني القرآن» للزجاج: اسم منكور أو جنس، وفي «الإغفال» ص٣١٧: اسم منكور أو اسم جنس.

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/١٧٢، ونقله في «اللسان» ١/٢٠١مادة (بئس).

شيئًا تزويج ولامَهر[١].

قالَ أبو علي: مَا ذكره أبو إسحاق يَدُل على أن (مَا) إذَا كانت موصولة لم يجز عنده أن يكون فاعلة نعم وبئس، وذلك عندنا لايمتنع، وجهة جوازه: أن ما اسم مبهم يقع على الكثرة، ولايخصص شيئًا واحدًا، كما أن أسماء الأجناس كذلك، وهي تكون للكثرة[٢] والعموم، كما أن أسماء الأجناس تكون للكثرة[٣]؛[٤] وذلك نحو قوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨] فالقصد به هاهنا الكثرة، وإن كان في اللفظ مفردًا؛ يدلك على ذلك قوله: هؤلاء[٥].

وتكون ما معرفةً ونكرةً، كما أن أسماء الأجناس تكون معرفةً ونكرةً.

فأمَّا كونها معرفةً فمأنوس به، وأمَّا كونها نكرة فكثير أيضًا، ذكره سيبويه في مواضع، وهي و(من) قد تكونان نكرتين في التنزيل والشعر القديم الفصيح؛ أنشد سيبويه:

ربّما تكره النفوسُ من الأمر   له فَرجة كحلِّ العِقَال[٦]

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٣، ونقله في «تهذيب اللغة» ١/ ٤١٢، و«اللسان» ١/ ٢٠١، وينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٨.

(٢) في «الإغفال»: للنكرة.

(٣) في «الإغفال»: للنكرة.

(٤) من قوله: كما أن.. ساقط من (ش).

(٥) في «الإغفال» فهؤلاء لايكون للواحد.

(٦) البيت لأمية بن أبي الصلت، في «ديوانه» ص ٥٠ وفي «الكتاب» ١/ ٣١٥، ٤٢٤ وكذا في «الخزانة» ٢/ ٥٤١ و ٤/ ١٩٤، وينسب البيت أيضًا: لأبي قيس اليهودي، ولابن صرمة اليهودي، ولحنيف بن عمر اليشكري، ولنهار بن أخت مسيلمة=

وقال:

يـا رُبَّ مـن يُـبْـغِـضُ أَذْوادَنـا   رُحْنَ على بَغْضَائِه واغْتَدَيْن[(١)(٢)]

وتأول سيبويه قوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: ٢٣] على أن تكون معرفةً، وعلى أن تكون نكرةً، مثل: هذا شيء لديّ عتيد، فإنما يتخلص بعض ذلك من بعض، بدلالةٍ مِن غير جهة اللفظ ؛ لأن اللفظ محتمل لما أعلمتك في اللغة[(٣)].

فقوله: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ يجوز عندي أن تكون ما موصولة، وموضعها رفع بكونها فاعلة لـ«بئس»، ويجوز أن تكون منكورةً، ويكون (اشتروا) صفة غير صلة[(٤)]، وحينئذٍ تكون (ما) نصبًا. وتقول: نِعم ما صنعت، وبئسما صنعت، إن شئت كانت (ما) منصوبة، كأنك قلت: نعم شيئًا صنعت، وإن شئت كانت مرفوعة، كأنك قلت: بئس الشيء صنعت.

ولايجوز أن يليهما (الذي)؛ لأن الألف واللام لايفارقانه، وهما يعملان فيما عُرِّف بالألف واللام، وجاز طرحهما منه. فقال الفراء: ويجوز أن تُجعل (ما) مع نِعم وبئس بمنزلة كلمة واحدة في غير هذه الآية، فيكون مثل كلما، وإنما، كما جُعلت (ذا) مع حَبَّ كلمةً واحدة، فقالوا: حبّذا.

= الكذاب ويروى تجزع بدل تكره. ينظر: «الإغفال» ٣١٧، و«مغني اللبيب» ١/ ٢٩٧، و«شذور الذهب» ١٣٢، والأشموني ١/ ٧٠، و«المفصل» ٤/ ٢، وابن يعيش ٤/ ٣، و«طبقات القراء» ١/ ٢٩٠، وشرح شواهد المغني ص ٢٤٠، و«ديوان عبيد بن الأبرص» ص ٨٦.

(١) البيت تقدم تخريجه.

(٢) من «الإغفال» ص٣١٧، ٣١٨ بتصرف، وقد لخصه القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٢٤.

(٣) من «الإغفال» ص ٣١٩.

(٤) من «الإغفال» ص ٣١٩.

من ذلك قوله: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١] رفعت هي بنعما، ولا يجوز (حينئذ)[1] تأنيث نعم، كما لايجوز تأنيث حبّذا[2]، قال: ويجوز أن تجعل (ما) فيه حشوًا وصلة، كما قال: عما قليل[3]، وإذا جعلت (ما) صلةً جاز فيه التأنيث[4]، تقول: بئست مَا جاريةً جاريتك[5].

ومعنى الاشتراء هاهُنَا: البيع. والاشتراء والشراء والبيع كله من الأضداد، ويقال: اشتريته، أي: بعته، واشتريته، أي: ابتعته، وكذلك: شريته في المعنيين، وكذلك: بعته، قال الله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠] أي: باعوه[6]، وقال يزيد بن المُفَرِّغ:

---

(١) ساقطة من (م).

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٧.

(٣) في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٧: عما قليل آتيك.

(٤) في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٧: جاز فيه التأنيث والجمع، فقلت: بئسما رجلين أنتما، بئست ما جاريةً جاريتك.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٨ بتصرف، وقد ذكر الأقوال في إعراب ما في هذه الآية الطبري في تفسيره ١/ ٤١٣-٤١٤، والعكبري في «التبيان» ٧٤، وأبو حيان في «البحر» ١/ ٣٠٤-٣٠٥، وخلاصته: اختلف في ما ألها موضع من الإعراب أم لا؟ فذهب الفراء إلى أنه بجملته شيء واحد، وظاهره أن لا موضع لها من الإعراب، والجمهور على أن لها موضعًا من الإعراب، واختلفوا أموضعها نصب أم رفع ؟.

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٦، «اللسان» ٤/ ٢٢٥٣ (شرى)، وذكر في «البحر المحيط» ١/ ٣٠٥: أن اشتروا هنا بمعنى: باعوا عند الأكثرين، وفي المنتخب أنه على بابه، لأن المكلف إذا خاف على نفسه من العقاب أتى بأعمال يظن أنها تخلصه، وكأنه قد اشترى نفسه بها، قال أبو حيان: ويرد عليه، ﴿بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾، حيث فعلوا ذلك على سبيل البغي والحسد.

وشَـرَيْـتُ بُـرْدًا لَـيْـتَـنِـي مِـنْ بَـعْـدِ بـردٍ صِـرتُ هـامـة[١]

أي: بعته؛ قال الفراء: وتقول بع لي بدرهم تَمرًا، أي: اشتر لي.

وأنشد:

ويأتيك بالأخبار مَن لم تَبِعْ له بَتَاتًا ولم تضربْ له وقتَ موعِدِ[٢][٣]

ومعنى الآية: بئس الشيء بَاعوا به أنفسهم الكفر؛ يريد: أنهم اختاروا الكُفر وأخذوه، وبذلوا أنفسهم للنار؛ لأن اليهود خصوصًا علموا صدق محمد ﷺ، وأن من كذبه فالنار عاقبته، فاختاروا الكفر، وسلموا أنفسهم للنار، فكان ذلك كالبيع منهم[٤]. وقال المفسرون: في الآية إضمار معناه بئسما باعوا حظ أنفسهم بالكفر، هكذا قالوا[٥]، وعلى هذا تكون الآية من باب حذف المضاف، وعلى ما قلنا أولًا تصح الآية من غير إضمار.

وقوله تعالى: ﴿أَن يَكْفُرُوا﴾ قال الزجاج: موضع أن رفع، المعنى: ذلك الشيء المذموم أن يكفروا[٦]، على تقدير: بئس الشيء اشتروا به أنفسهم

---

(١) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري، في ديوانه ص ٢١٣، و«لسان العرب» ٤/ ٢٢٥٢مادة (شرى).

(٢) البيت لطرفة بن العبد في «ديوانه» ص ٤١.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٦، وقال: وللعرب في شروا واشتروا مذهبان، فالأكثر منهما أن يكون شروا: باعوا، واشتروا: ابتاعوا، وربما جعلوهما جميعًا في معنى باعوا، وكذلك البيع، يقال: بعت الثوب، على معنى: أخرجته من يدي، وبعته: اشتريته، وهذه اللغة في تميم وربيعة. ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٠٥.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤١٤-٤١٦، «تفسير الثعلبي»١/ ١٠٣٢، «تفسير ابن كثير» ١١٣-١١٤.

(٥) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٢.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٢.

الكفر، فيكون كقولك: بئس الرجل زيد، على الاختلاف الذي حكينا عن سيبويه والخليل والكسائي في رفع زيد، وقال الفراء: يجوز أن يكون محله جرًّا بدلًا من المكني في (به)، كأنك قلت: اشتروا أنفسهم بالكُفْر[(١)].

وقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يعني: القرآن[(٢)].

﴿بَغْيًا﴾ أَصْلُ البغي في اللغة: الظلم والخروج عن النَّصَفَة والحدّ، يقال: بَغَى الفرس في عدوه، إذا اختال ومرح، وإنه ليبغي، ولا يقال: فرس باغ، وبغى الجُرحُ يَبْغِي بَغْيًا، إذا وَرم وكثر فيه المِدّة[(٣)]، وبَغَتِ السماء، إذا كثر مطرها حتى تجاوز الحدّ، وبغى الوادي، إذا بلغ الماء منه موضعًا لم يبلغه قبل.

وقالَ قوم: أصل البَغْي: الطلب[(٤)]، يقال: بغى الشيءَ، إذا طلبه، وأَبْغَاه، أعانه على الطلب. والبَغيّ: التي تطلب الزنا، ومنه قيل للأمة: بَغِيٌّ. وما ينبغي كذا، أي: ليس بصواب طلبه، والبَغْيُ: شدة الطلَب للتطاول[(٥)].

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥٦، ونصه: أن يكفروا، في موضع خفض ورفع، فأما الخفض فأن ترده على الهاء التي في به، على التكرير على كلامين، كأنك قلت: اشتروا أنفسهم بالكفر. وأما الرفع فأن يكون مكرورا أيضا على موضع ما التي تلي بئس. اهـ. وينظر في إعراب الآية: «التبيان» للعكبري ص٧٥، حيث ذكر القولين السابقين وزاد: وقيل: هو مبتدأ، وبئس وما بعدها خبر عنه.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٢.

(٣) المِدَّة بكسر الميم القيح، وهي الغثيثة الغليظة، وأما الرقيقة فهي صديد وأَمَدّ الجرح إمدادًا، صار فيه مِدَّةٌ ينظر: «المصباح المنير» ص ٥٦٧.

(٤) قال في «مقاييس اللغة» ١/ ٢٧٢: الباء والغين والياء أصلان: أحدهما: طلب الشيء، والثاني: جنس من الفساد.

(٥) ينظر في معاني البغي: «تهذيب اللغة» ١/ ٣٦٧، «مقاييس اللغة» ١/ ٢٧١-٢٧٢، «المفردات» للراغب ص ٦٥، «اللسان» ١/ ٣٢٣.

قال المفسرون: البَغْيُ، هاهُنا، بمعنى الحَسَد[١].

قال اللحياني[٢]: بغيت على أخيك بغيًا، أي: حسدته، وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩] فالبغي أصله الحَسَد، ثم سمي الظلم بغيًا؛ لأن الحاسِد يظلم المحسودَ جَهْدَه إرادة زوال نعمة الله عليه عنه[٣].

قال ابن عباس في هذه الآية: إنَّ كفر اليهود لم يكن شكًا ولا شيئًا اشتبه عليهم، ولكن بغيًا منهم، حيث صارت النبوة في ولد إسماعيل[٤].

وانتصابه على المصدر؛ لأن ما قبله من الكلام يدلّ على بَغَوا، فكأنه قيل:[٥] بَغَوا بغيًا[٦].

وقال الزجّاج: انتصب؛ لأنه مفعول له، كما تقول: فعلت ذلك حِذارَ الشرّ، أي: لحذر الشر[٧]، ومثله من الشعر: قول حَاتِم[٨]:

---

(١) ينظر: الطبري في تفسيره ١/ ٤١٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٣، «زاد المسير» ١/ ١١٤، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٥.

(٢) هو: أبو الحسن علي بن حازم، وقيل: علي بن المبارك، تقدمت ترجمته [البقرة: ١٠].

(٣) من «تهذيب اللغة» ١/ ٣٦٧.

(٤) لم أجده بهذا اللفظ لكن قريب منه عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧٣.

(٥) في (ش): (قال).

(٦) ينظر: «التبيان» للعكبري ص٧٥.

(٧) والعامل فيه: يكفروا، أي: كفرهم لأجل البغي، أويكون العامل فيه: اشتروا. ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٠٥.

(٨) هو: حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، فارس شاعر جواد، جاهلي يضرب المثل بجوده، كان من أهل نجد، شعره كثير ضاع معظمه. ينظر: «الشعر والشعراء» ص١٤٣، و«الأعلام» ٢/ ١٥١.

وأغفر عوراءَ الكريم ادّخارَه وأُعْرِضُ عن شَتْم اللئيم تَكَرُّما[١]

المعنى: لادخاره، وللتّكرّم[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ﴾ موضع أن نصب؛ لأن المعنى: أن تكفروا بما أنزل الله؛ لأن ينزل الله من فَضْلِهِ، أي: كفروا لهذه العلة، فهو كما ذكرنا في بيت حاتِم؛ لأنهم كفروا لإنزال الله عليه، كما أنه يغفر العوراء لادّخاره، هذا قول الزجاج[٣]. وأظهر منه أن تجعل ﴿أَن يُنَزِّلَ﴾ مفعولًا للبغي، كأن معناه: حسدًا إنزال الله؛ لأن البغي، هاهنا، بمعنى الحَسَد، وأنت تقول: حَسَدْتُ زيدًا مالَه وفضلَه[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ قال ابن عباس: الغضب الأول: تضييعهم التوراة، والثاني: بكفرهم بهذا النبي الذي أحدث الله فيهم[٥].

وقال قتادة: الأول بكفرهم بعيسى والإنجيل، والثاني: بكفرهم بمحمد والقرآن[٦].

---

(١) تقدم تخريج البيت [البقرة: ١٨].

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٠٣.

(٣) بتصرف من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٣، وينظر: «التبيان» ص٧٥ قال: وقيل: التقدير: بغيًا على ما أنزل الله، أي: حسدًا على ما خص الله به نبيه من الوحي.

(٤) وقيل: التقدير: بغيًا على أن ينزل الله، لأن معناه: حسدًا على أن ينزل الله، فحذفت على، وقيل: أن ينزل في موضع جرٍّ على أنه بدل اشتمال من ما في قوله بما أنزل الله أي: بتنزيل الله ينظر «البحر المحيط».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤١٧، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧٣، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٣٢ وقال ابن أبي حاتم: وروي عن عكرمة ومجاهد وعطاء وقتادة وابن أبي خالد نحو ذلك، وقد ذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١١٤ خمسة أقوال في الآية، والخلاف فيها من قبيل اختلاف التنوع.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٤٦ وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٣٣، وعزاه=

وقال أهل المعاني: أي: بإثم استحقوا به النار على إثم تقدم استحقوا به النار[(١)].

٩١- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لليهود، و﴿إِذَا﴾ عند النحويين وقت للفعل الذي هو جواب، كما تقول: إذا جئتني وصلتك، أخبرتَ أنك تصلُهُ وقت مجيئه، وليس كذلك إنْ؛ لأنك إذا قلت: إن جئتني وصلتك، يصلح أن تصلَه بعد وقت المجيء[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يعني القرآن، ﴿قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، يعني التوراة[(٣)].

﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾، قال ابن الأنباري: يجوز أن يكون هذا إخبارًا من الله ﷻ عن اليهود، وتم الكلام عند قوله: ﴿بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، ثم ابتدأ بالإخبار عنهم، فقال:[(٤)] ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾[(٥)]. والدليل على انقطاع الكلام الأول: الانصرافُ عن الإخبار عن النفس إلى الحديث عن

= السيوطي في «الدر» ١/ ٢١٨ إلى عبد بن حميد. وروى الطبري، وابن أبي حاتم عن أبي العالية نحوه.

(١) هذا كلام الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٧٤، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧٤ عن سعيد بن جبير في قوله: (فباؤوا بغضب على غضب) يقول: استوجبوا سخطًا على سخط، وذكر «القرطبي» ٢/ ٢٩ قولًا فقال: وقال قوم: المراد التأييد وشدة الحال عليهم، لا أنه أراد غضبين معللين بمعصيتين. وينظر «البحرالمحيط» ١/ ٣٠٦.

(٢) ينظر في معاني إذا «مغني اللبيب» ١/ ٨٧-١٠١.

(٣) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٣.

(٤) ساقطة من (ش).

(٥) في (ش): (تكفرون).

الغيب. ويجوز أن يكون[١] حكاية عن اليهود أنهم قالوا ذلك، وتأويله: نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا، وَيَكْفُرُونَ[٢] بِمَا وَرَاءَه، فردّ الفعل الثاني إلى الغيبة، كما تقول العرب: قال عبد الله: لأقُومَنّ، وقال عبد الله ليقومن، فالألف: لمعنى الإخبار، والياء: لمعنى الغيبة[٣]، وكذلك تقول العرب: استحلفت عبد الله: لأقومنّ، وليقومنّ، ولتقومنّ.

فمن قال: لأقومنّ، أراد: قلت له: قل لأقومن، ومن قال بالتاء، أخرجه على معنى الخطاب.

ومن قال بالياء، أخرجه على لفظ عبدالله؛ لأنه غائب، قال الشاعر[٤]:

يا ليت شِعري عنك دَخْتَنُوس[٥] إذا أتاك الخبرُ المرموسُ
أتحلِقُ القرونَ أم تَمِيسُ لا، بل تَميسُ إنّها عروسُ[٦]

فقدم أفعالًا على المخاطبة، ثم رجع إلى الغيبة على ما وصفنا.

ومعنى ﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ بما سواه، قال الفراء: وذلك كثير في العربية يتكلم الرجل بالكلام الحسن، فيقول السامع: ليس وراء هذا الكلام شيء،

---

(١) في (ش): (تكون).

(٢) في (ش): (ونكفر).

(٣) من قوله: كما تقول العرب.. ساقطة من (ش).

(٤) البيتان للقيط بن زُرارة كما في «اللسان» ٣/ ١٧٢٨، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٦٧، ورواية التهذيب: ياليت شعري اليوم... إذا أتاها الخبر. ومعنى المرموس: المكتوم، وتميسُ: تتبختر.

(٥) في (ش): (وختنوس).

(٦) الرجز للقيط بن زرارة، في «لسان العرب» ٦/ ١٠١ مادة: (رمس)، و«تاج العروس» ٨/ ٢٧٩ (دختنس)، و«المعجم المفصل» ١٠/ ٢٨٢.

يريد ليس سوى هذا الكلام شيء[(١)].

ويحتمل ﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ بما بعده، أي: ما بعد التوراة، يريد: الإنجيل والقرآن، وهذا كقوله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] أي: ما بعده، وما سواه.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾[(٢)] مثله[(٣)]. أبو العباس، عن ابن الأعرابي في قوله: ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ قال: بما سواه[(٤)]. وسنذكر الكلام في(وراء) عند قوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩] وقوله ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] وقولِه: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى﴾ [مريم: ٥] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ (هو) كناية عما في قوله: ﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ .

و(ما وراءه)، يجوز أن يكون واقعًا على الإنجيل والقرآن، فأفرد الله القرآن بقوله: (وَهُوَ الْحَقّ) تفصيلًا له وتخصيصًا[(٥)].

ويجوز أن يكون (هو) كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله تعالى لما ذكر الإنزال والمنزِّل دلّا على المُنزَّل عليه، فكان كالظاهر.

قال أبو إسحاق: في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ دلالة على أنهم قد كفروا بما معهم، إذ كفروا بما يُصَدِّق مَا معهم . قال: ونصبت

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٠.

(٢) جزء من آية وردت في سورة [المؤمنون: ٧]، [المعارج: ٣١]

(٣) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٠٧.

(٤) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٧٩، «اللسان» ٨/ ٤٨٠٧، وينظر: «تفسير «القرطبي» ٢/ ٢٥، «البحر المحيط» ١/ ٣٠٧.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي»١/ ١٠٣٣، «البحر المحيط» ١/ ٣٠٧.

﴿مُصَدِّقًا﴾ على الحال[١]، ومثله قولك: هو زيد معروفًا، فـ(معروف) حال؛ لأنه إنما يكون زيدًا بأنه يعرف بزيد، وكذلك تقول: القرآن هو الحق، إذا كان مصدقًا لكتبِ الرُّسُل صلى الله عليهم.

وقوله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ هذا تكذيب من الله تعالى لهم في قولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، أي: أيّ كتاب جوّز فيه قتل نبي، وأيّ دين وإيمان جوّز فيه ذلك[٢].

وأضاف القتل هاهُنا إلى المخاطبين، وإن كان آباؤهم قَتَلوا؛ لأنهم كانوا يتولّون الذين قَتَلوا فهم على مذهبهم، وإذا كانوا على ذلك المذهب فقد شركوهم. قال ابن عباس: كلما عُمِلَت مَعصِية، فمن أنكرها برئ، ومن رضي بها كان كمن شهدها[٣].

وقال ابن الأنباري: تأويله: فلم توليتم آباءكم القاتلين ورضيتم ما كانوا عليه، وصوبتم أفعالهم. والمراد بلفظ الاستقبال هاهنا: المضي[٤]، وجاز ذلك؛ لأنه لايذهب الوهم إلى غيره؛ لقوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾، ودليل هذا قوله: ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ [آل عمران:١٨٣]. ومما وضع فيه المستقبل موضع الماضي قوله تعالى:

---

(١) «معاني القرآن» ١/ ١٧٤بتصرف، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٤.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٤.

(٣) ذكره في «الوسيط» ولم أجده عنه في التفاسير المسندة، و في معناه حديث أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون أمراء، تعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع**» رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٨/ ٦٢١ وقوله ﷺ: «**إن الخطيئة إذا عملت في الأرض كان من غاب عنها ورضيها كمن حضرها، ومن شهدها وسخطها كان كمن غاب عنها وأنكرها**» رواه أبو داود.

(٤) ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٥-٢٦.

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢] وسنذكره في موضعه، ومثل هذا قولك للرجل تعنفه بما سلف من قبيح فعله: ويحك لم تكذب؟ لم تُبَغِّض نفسك إلى الناس؟، كأنه قيل: لم هذا من شأنك[1]. قال الفراء: وذلك كثير في الكلام، أنشدني بعض العرب:

إذا ما انْتَسَبْنا لم تلدني لئيمةٌ ولم تَجِدِي من أن تُقِرِّي بها بُدًّا[2].

يعني: أن الولادة قد مضت، وقد عبَّر عنها بجواب الجزاء، وذلك يكون في الاستقبال، كما تقول: إذا ما جئتني لم أضربْك، لم يوجد المجيء ولا الضرب[3] فالجزاء للمستقبل، والولادة قد مضت، وذلك أن المعنى معروف[4] يدل عليه، فجاز ذلك. والذي يدل على أن المراد بما في الآية المضي أن (لِمَ) معناه التعنيف، وأنت إنما تعنف الرجل بما سلف من فعله[5].

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٠ - ٦١ ونقله الطبري في تفسيره ١/ ٤٢٠.

(٢) البيت لزائد بن صعصعة الفقعسي يُعَرِّض بزوجته، وكانت أمها سرية، وذكره الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٦١، ١٧٨، ولم ينسبه وكذا الطبري في «تفسيره» ١/ ٣٢٨، ٤٢٠، ٣/ ٧٣.

(٣) من قوله: (يعني أن الولادة) ساقط من (ش).

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦١، ومن قوله: (يعني أن الولادة) إلى قوله: (ولا الضرب) من كلام الواحدي، في «تفسيره».

(٥) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦١ ونقله الطبري في تفسيره عنه ١/ ٤٢ ذكر جوابًا آخر وهو أن معناه: فلم قتلتم أنبياء الله من قبل، كقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ أي: ماتلت، وكقول الشاعر:

ولقد أمر على اللئيم يسبني فمضيت عنه وقلت: لا يعنيني

يريد بقوله: (ولقد أمر﴾: ولقد مررت. اهـ. قال في «البحر المحيط» ١/ ٣٠٧ نقلًا عن ابن عطية: وفائدة سوق المستقبل في معنى الماضي الإعلام بأن الأمر مستمر، ألا ترى أن حاضري محمد ﷺ ولما كانوا راضين بفعل أسلافهم بقي لهم من قتل الأنبياء جزء.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (إِنْ) بمعنى الشرط، وجوابها قبلها، يراد به: إن كنتم مؤمنين، فلم تقتلون أنبياء الله؛ لأنه ليس سبيل المؤمنين أن تقتلوا الأنبياء، ولا أن يتولوا قاتليهم[(١)].

٩٢- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم﴾ اللام في(لقد) لام القسم[(٢)]، ولا يجوز أن تكون لام الابتداء؛ لأن لام الابتداء لا تلحق إلّا الاسم أو ما كان بمنزلة الاسم من المضارع.

والمراد بالبيّناتِ في هذه الآية ما ذكره في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء:١٠١] وهي العصا، واليد، وفلق البحر، والجراد، والقُمَّل[(٣)]، والضَفَادع، والدم، ورفع الطور، وإحياء الميت ببعض البقرة[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ المراد بـ(ثُم) هاهنا: الاستعظام لكفرهم مع ما رأوا من الآيات التي أتى بها موسى عليه السلام.

٩٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ أي:

---

(١) استظهر هذا الوجه أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٠٧ وقال: ويكون الشرط وجوابه قد كرر مرتين على سبيل التوكيد، لكن حذف الشرط من الأول وأبقي جوابه، وهو فلم تقتلون، وحذف الجواب من الثاني وأبقي شرطه.

(٢) ينظر: «تفسير «القرطبي» ٢/ ٢٧.

(٣) القمّل: قال ابن عباس: وهو السوس الذي يخرج من الحنطة، وعنه: أنه الدَّبى وهو الجراد الصغار الذي لا أجنحة له - وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة، وقال الطبري في تفسيره ٩/ ٣٣: القمّل: جمع، واحدتها قُمَّلة، وهي دابة تشبه القمْل، تأكلها الإبل فيما بلغني. ينظر «تفسير ابن كثير» ص ٧٠٠.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٢١ «البحر المحيط» ١/ ٣٠٨ إلا أنه عد بدل الأخيرين: السنين، والطوفان.

ما فيه من حلاله وحرامه، ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ ما فيه، ﴿وَعَصَيْنَا﴾ ما أمرنا به، هذا هو الظاهر.

وقال أهل المعاني: معنى (اسمعوا) هاهنا: استجيبوا وأطيعوا، عُبِّر بالسمع؛ لأنه سَبَب الإجابة والطاعة[1]، وقد يُعبّر عنهما بالسمع كقول الشاعر:

دعوتُ اللهَ حتى خِفتُ أن لا يكونَ اللهُ يَسْمَعُ ما أقولُ[2]

أي: يجيب[3].

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ بعض المفسرين يقولون: إنهم تلفظوا بهذه اللفظة، فقالوا: ﴿سَمِعْنَا﴾ لما أطلّ الجبل فوقهم، فلما كشف عنهم قالوا: ﴿وَعَصَيْنَا﴾[4].

وقال الحسن: قالوا: سمعنا بألسنتهم، وعصينا بقلوبهم[5].

فقال أهل المعاني: إنهم لم يقولوا هذا بألسنتهم، ولكنهم لما سمعوا

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٢٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٤ «تفسير «القرطبي» ٢/ ٢٧.

(٢) البيت، لشُمَير بن الحارث الضبي، في «تاج العروس» ١١/ ٢٢٧ (مادة: سمع)، و«نوادر أبي زيد» ص ١٢٤، وبلا نسبة في «تفسير الثعلبي»١/ ١٠٣٤ و«لسان العرب» ٤/ ٢٠٩٥.

(٣) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٥.

(٤) بنحوه عن ابن عباس كما في «البحر المحيط» ١/ ٣٠٨ واستحسنه أبو حيان قال: لأنا لا نصير إلى التأويل مع إمكان حمل الشيء على ظاهره لاسيما إذا لم يقم دليل على خلافه اهـ. وحكى الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٧٦ أن المفسرين اتفقوا على أنهم قالوا (سمعنا) لما أطل الجبل فوقهم، فلمّا كشف عنهم قالوا (عصينا).

(٥) ذكره في «الوسيط» ١/ ١٧٦، وذكره في «البحر المحيط» ١/ ٣٠٨ ولم ينسبه.

الأمر، وتلقَّوه بالعصيان نسب ذلك منهم إلى القول اتساعًا[١]، كقول الشاعر:

ومَنْهَلٍ ذِبَّانُه في غَيْطَلِ يَقُلْنَ للرائدِ أعْشَبْتَ انْزِلِ[٢]

وقال امرؤ القيس:

نواعِمُ يُتْبعنَ الهوى سُبُلَ الردَى يقلن لأهل الحِلم ضُلًّا بتَضلال[٣]

قالوا: المعنى: يُضللن ذا الحلم، وليس الغرض حكاية قولهن.

وقوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا﴾ الإشرابُ في اللُّغةِ خَلْطَ لونٍ بلون، يقال: أبيض مُشرَبٌ حُمرةً، إذا كان يعلوه حُمرة[٤]، المازني[٥]: الإشراب: الخلط، يقال: أُشْرِب ذَا بذَا، وهو مشربٌ حُمرةً إذا خالطت لونه حُمرة. اللّحياني: يقال: فيه شُربةٌ من الحُمرة، إذا كان يُخالطه حُمرة[٦].

وقال أبو عبيدة[٧]، والزجاج[٨]: معناه سُقُوا حُبَّ العِجل، وأصل

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٥، عزاه لأهل المعاني.

(٢) البيت لأبي النجم العِجْلي. ينظر: «الحيوان» ٣/ ٣١٤ و٧/ ٢٥٩، وذكرالشطر الآخر منه «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٤٨، «اللسان» ٥/ ٢٩٥١، «التاج» ٢/ ٢٣٣، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٣٥ بلا نسبة. والغيطل: شجر ملتف أو عشب ملتف.

(٣) البيت لامرئ القيس في «ديوانه» ص ١٢٦.

(٤) ينظر «تاج العروس» ٢/ ١٠٣.

(٥) هو أبو عثمان بكر بن بقية، وقيل: بكر بن محمد بن عدي بن حبيب المازني، تقدمت ترجمته.

(٦) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٤٨، «اللسان» ٤/ ٢٢٢٤ (شرب).

(٧) في «مجاز القرآن» ١/ ٤٧.

(٨) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٥، وينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٤٨، «اللسان» ٤/ ٢٢٢٤.

الإشرابِ: السَّقْي، واستُعملَ في اللون المختلط بغيره تشبيهًا بالسّقي؛ لأنه يقال للمشرب حُمرةً: إنه لمسقيّ الدم. والمعنى هاهنا: أنهم خلطوا بحب العجل حتى اختلط بهم، ثم بيّن أنّ مَحَلّ ذلك الحُبّ قلوبهم، وأن الخلط حصل فيها، فأضاف أولًا إلى الجملة، ثم خصّ القلوب، كما تقول: ضُربوا على رؤوسهم، أضفت الضرب أولًا إليهم، ثم بيّنت مَحلّ الضَّرب، وإنما ذكره بلفظ الإشراب إخبارًا عن رسوخ ذلك الحُبّ في قلوبهم كإشراب اللَّوْن لِشِدّة الملازمة[1].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْعِجْلَ﴾ أراد: حُبّ العجل فحذف المضاف[2] كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[3] [يوسف: ٨٢]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وكقول الشاعر:

وكيف تُوَاصِلُ مَنْ أصبَحتْ خِلاَلَتُه كأبي مَرْحَبِ[4]

---

(١) ينظر: «الزاهر» ٢/ ١٠١ و«غريب القرآن» ص ٤٨ «البحر المحيط» ٢/ ١٨٤٨ وقال: وإنما عبر عن حب العجل بالشرب دون الأكل، لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها.. وأما الطعام، فقالوا: هو مجاور لها غير متغلغل فيها، ولا يصل إلى القلب منه إلا اليسير.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٥، ونقله في «اللسان» ٤/ ٢٢٢٤، وقال في «البحر المحيط» ١/ ٣٠٩: وأسند الإشراب إلى العجل مبالغة كأنه بصورته أشربوه.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦١، الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٢٣.

(٤) البيت للنابغة الجعدي، ينظر: «ديوانه» ص ٢٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٥، «الكتاب» لسيبويه ١/ ١١٠، «أمالي القالي» ١/ ١٩٢ «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٩٣، ١٧٥، «لسان العرب» ٤/ ٢٢٢٤ مادة (اشرب) و ١/ ٢٥٢ مادة (برد) قال ابن منظور: وأبو مرحب كنية الظِّل والظل منتقل، ويقال: هو كنية عرقوب، الذي قيل عنه: مواعيد عرقوب، والمراد على الأول: كيف تصاحب من لا يدوم على مودة، وإنما هو منتقل غير ثابت.

وأنشد الفراء:

حَسِبْتَ بُغَامَ راحلتي عَنَاقًا ... وما هي وَيْبَ غيرِك بالعَنَاقِ[١]

وقوله تعالى: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ قال بعضهم: أي، باعتقادهم التشبيه؛ لأنهم طلبوا ما يتصوّرُ في نفوسهم[٢]. وقال الزجاج: معناه فعل الله ذلك مجازاة لهم على الكفر، كما قال: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥][٣].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ معناه: إن كنتم مؤمنين فبئس الإيمان إيمانٌ يأمر بالكُفْر، وهذا تكذيب لهم؛ لأنهم كانوا يزعمون أنهم مؤمنون، وذلك أنهم قالوا: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، فكذّبهم الله ﷻ، وعيَّرهم بعبادة العجل، وذلك أنّ آباءهم ادعوا الإيمان ثم عبدوا العجل[٤].

وقوله تعالى: ﴿يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ من المجاز وسعة العربية؛ لأن الإيمان لايأمُر، وهو كقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ

---

(١) البيت لذي الخرق الطهوي، ينظر «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٢، و«لسان العرب» ١/ ٣٢٠ مادة (بغم)، ٥/ ٣٠٥٣ (مادة: عقا) يخاطب الشاعر ذئبًا تبعه في طريقه، وقبله:

ألم تعجب لذئب بات يسري ... ليؤذن صاحبًا له باللحاق

وقوله ويب كلمة مثل: ويل، تقول: ويْبَك وويب زيد، معناه: ألزمك الله ويلًا، نصب نصب المصدر. بُغام الناقة: صوت لاتفصح به، والعناق: الأنثى من المعز. وقوله: حسبت بغامَ راحلتي عناقًا، أي: بغام عناق.

(٢) ينظر «البحر المحيط» ١/ ٣٠٨-٣٠٩.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٦.

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٦، «الوسيط» ١/ ١٧٦.

﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وكما تقول في الكلام: بئسما يأمرك العقل بشتم الناسِ، معناه: إن كنْتَ عاقلًا لم تشتمهم، كذلك المعنى في الآية: لو كنتم مؤمنين ما عبدتم العجل(١).

٩٤- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ الآية، كانت اليهود تقول: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ [البقرة: ١١١]، وقالوا أيضًا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]، فقيل لهم: إن كنتم عند أنفسكم صادقين فتمنوّا الموتَ، فإنّ مَنْ كان لايشكّ في أنه صائرٌ إلى الجنة، فالجنة آثرُ عنده من الدنيا(٢).

والمعنى: إن كانَتْ لكم نعمة الدار الآخرة، فحذف لدلالة الكلام عليه.

وقوله تعالى: ﴿خَالِصَةً﴾ يجوز أن يكون فاعلةً من الخُلوص، فيكون انتصابها على خبر كان، ويجوز أن يكون مصدرًا، كالكاذبة والصافية والخائنَة، فيكون المعنى: خلصتْ خالِصَةً، ويكون انتصابها على المصدر(٣). ومعنى الخالصة: الصافية من الشائبة.

---

(١) «البحر المحيط» ١/ ٣٠٩ «الوسيط» ١/ ١٧٦.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج١/ ١٧٧، وينظر في هذا: «تفسير الطبري» ١/ ٤٢٢-٤٢٣ عن قتادة وأبي العالية والربيع، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٨٤، «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٦، «البحر المحيط» ١/ ٣١٠.

(٣) ذكر أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣١٠ الخلاف في إعراب خالصة فقيل: نصب على الحال، ولم يحك الزمخشري غيره، وقيل: خبر كان، فيجوز في (لكم) أن يتعلق بـ(كانت)، ويجوز أن يتعلق بـ(خالصة) ويجوز أن تكون للتبيين، فيتعلق بمحذوف تقديره: لكم أعني، ولم يذكر الانتصاب على المصدرية، وكذا القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٣٣.

ومعنى قوله: ﴿مِن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ الاختصاص كقولك: هذا لي دونك، أي: أنا مختص به[١].

وقوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾ معنى التمني: هو قولٌ يقدر فيه معنًى يحبه الطبع، وذكرنا ما فيه عند قوله: ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ وَيُدَلّ على التمني بأداةٍ تميِّزُه من الإخبار، كقولك: ليت الله غفر لي، (وليت) أصل في التمني[٢]، وقد يقام مقامها الاستفهام، كقوله: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾[٣] [الأعراف: ٥٣]، وقولك: ألا ماءَ فأشربَه[٤].

٩٥- قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ وذلك أنهم كفروا، وعرفوا أنهم كَفَرة، ولا نصيب لهم في الجنة؛ لأنهم تعمدوا كتمانَ أمر النبي ﷺ وتكذيبَه.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: بما قدموه وعملوه[٥]، فأضاف ذلك إلى اليد، لأن أكثر جنايات الإنسان تكون بيده، فيضاف إلى اليد كل جناية، وإن لم يكن لليد فيها عمل، فيقال: هذا ما اجترحته يدك[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيه معنى التهديد، أي: عليم بمجازاتهم، وهذا جرى على مستعمل الكلام يقول الرجل لمن أتى إليه مُنْكَرًا: أنا أعرفك، وأنا بصير بك، تأويله: أنا أعلم ما أعاملك به، وإلا

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣١٠.

(٢) ينظر: «مغني اللبيب» ١/ ٢٨٥.

(٣) كذا أورده في مقام التمني: «القرطبي» ٧/ ٢١٨.

(٤) ينظر: «مغني اللبيب» ١/ ٦٩.

(٥) في (أ): (قدموا فأضاف).

(٦) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣١٢ وبين أن هذا الاستعمال كثير في القرآن، وقيل: المراد: اليد الحقيقية هنا، والذي قدَّمته أيديهم: هو تغيير صفة الرسول ﷺ، وكان ذلك بكتابة أيديهم.

فالله عليم بالظالمين وغيرهم[١].

وفي هذه الآية أبيَن دلالة عَلَى صدق نبيّنا محمد ﷺ لأنه أخبر عن الله أنهم لا يتمنون الموت، وقال: «**لو تمنوا الموت لغصَّ كلُّ إنسانٍ بريقه، وما بقي على وجه الأرض يهودي إلاَّ مَاتَ**»[٢]، ثمَّ لم يَرَوا مَعَ حرصهم على تكذيبه أنّ أحدًا أتاه، وقال: يا محمد، أنا أشتهي الموت وأتمناه؛ لأنهم علموا أنهم لو تمنوا الموت لَم يَبقَ منهم صغير ولا كبير إلّا مات، فكان إحجامهم عن ذكر الموت دليلًا على عنادهم الحق وتكذيب من يعرفون صِدقه، ويعلمون صحَّة نبوَّته ﷺ[٣].

---

(١) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٧.

(٢) الحديث بهذا اللفظ ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٣٧ عن ابن عباس مرفوعًا وأخرج البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٢٧٤ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مرفوعًا، وفيه: «**لايقولها رجل منكم الا غص بريقه فمات مكانه**» وفي السند الكلبي. وأخرج أحمد١/ ٢٤٨ وأبو يعلى ١/ ٤٢٤-٤٢٥، الطبري في تفسيره ٢/ ٣٦٢ من طريق عبد الكريم الجزري عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا: وفيه: «**ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا، ورأوا مقاعدهم من النار**» قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٨: في الصحيح طرف من أدلة، رواه أحمد وأبو يعلى، ورجاله الصحيح. وقال أيضًا ٦/ ٣١٤: هو الصحيح بغير سياقه، رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح وأصله كما قال في البخاري (٤٩٥٨) كتاب التفسير باب: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ والترمذي كتاب التفسير باب من سورة اقرأ باسم ربك برقم (٣٣٤٨) وأحمد ١/ ٣٦٨ وليس فيه: ولو أن اليهود... وأخرج الطبري في تفسيره، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٨٤ عن ابن عباس موقوفًا: لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقه. وأخرجا عن عكرمة نحوه. وأورد ابن كثير في تفسيره هذه الموقوفات عن ابن عباس ص١١٥ وصحح أسانيدها إليه.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٦، «تفسير الطبري» ١/ ٤٢٤-٤٢٥، «البحر المحيط» ١/ ٣١٠-٣١٢.

٩٦- قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ دخلت اللام والنون لأن القسم مضمر تقديره: والله لتجدنهم، فهو جواب القسم[١]، فأكّد باللام والنون، وهذه النون إذا دخلت عَلَى (يفعل) فُتِحَ لدخولها، وبني الفعل معها على الفتح نحو: ليفعلنّ، وحذْفُ النون التي تَثْبُت في نحو[٢] يفعلان، في الرفع مع النون الشديدة[٣]، كحذف الضمة في (ليفعلن).

ومَعناه: ولَتجدنّ اليهود، يعني: علماءهم، وهؤلاء الذين كتموا أمر محمد ﷺ عن عنَادٍ في حالِ دعائك إياهم إلى تمني الموت أحرص الناس على حياة؛ لأنهم علموا أنهم صائرون إلى النار إذا ماتوا في أمر محمد ﵇[٤]. والحرص: شدّة الطَلَب، يقال: رجل حريصٌ، وقوم حِرَاص، ومِنْهُ:

علَيّ حِرَاصًا لَو يُسِرُّون مَقتَلي[٥]

ومنه يقال: حَرَص القَصَّارُ الثوبَ، إذا ألَحَّ في الدقِّ إلحاح الحَريص. والحَارِصَة: شَجّةٌ تشقّ الجلد قليلًا، كما يحرص القصَّار الثوب عند الدقّ[٦].

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٨.

(٢) ساقطة من (م).

(٣) يعني عند التوكيد فتقول: يفعلانٍّ.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٨.

(٥) عجز بيت لامرئ القيس من معلقته في «شرح القصائد السبع الطوال» لابن الأنباري ص٤٩، وصدره:

تجاوزتُ أحراسًا إليها ومعشرًا

(٦) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٧٨٦، «اللسان» ٢/ ٨٣٥ (حرص).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ قال الفرّاء[١]، والزجّاج[٢]: أي، وأحرص من الذين أشركوا، وهذا كما يقال: هو أسخى الناس ومن هَرِم، أي: وأسخى من هَرِم.

وحقيقة الإشراك: عبادة غير الله مع الله، وهو أن يجعَل عبادته مشتركةً بين الله وغيره، ثم يسمّى كلُّ كافر بالله مُشرِكًا من عظم ذنبه حتى ساوى به عظم ذنب المشرك في عبادة الله.

وقال بعضهم[٣]: تم الكلامُ عند قوله: ﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾، ثم ابتدأ، فقال[٤]: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾، أي: من يود، فأضمر الموصول بيَوَدّ كقول ذي الرُمَّة:

فظلوا وَمنهم[٥] دمعُه سابقٌ له
وآخرُ تُذري دمعَه العينُ بالهَملِ[٦]

أراد: ومنهم من دمعه سابق[٧]. وهذا الوجه يضعف من جهتين:

إحداهما: أن المراد بالآية بيان حرص اليهود على الحياة، فلا يحسن قطع الكلام عند قوله: ﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ ثم الإخبار عن غيرهم بحب التعمير.

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» ١/ ٦٢.
(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٨.
(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٣٩.
(٤) في (أ) و(ش): (قال).
(٥) ساقطة من (م).
(٦) البيت في «ديوانه» ص ١٤١، «تفسير الثعلبي»١/ ١٠٣٩، وبلا نسبة في «الدر» ٢/ ٦٦، و«همع الهوامع» ١/ ١١٦. وينظر: «المعجم المفصل في شواهد اللغة» ٦/ ٥٦٣.
(٧) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٩.

والأخرى: أنه لايجوز حذف الموصول وترك صلته، واستقصاء هذا مذكور عند قوله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ في سورة النساء [٤٦].

واختلفوا في المعْنيّ بقوله: الذين أشركوا، فقال أبو العالية[١]، والربيع[٢]: هم المجوس، وإنما وصفوا بالإشراك؛ لأنهم يقولون بالنور والظلمة، ويَزدَان، وأَهرَمَن، وهم أيضًا موصوفون بالحرص على الحياة، ولهذا جعلوا التحيّة بينهم: زِه هَزَار[٣] سَال، أي: عِشْ ألف سنة[٤]، وقال ابن عباس: أراد منكري البَعْث، ومن أنكر البَعث فهو يحب طول الحياة؛ لأنه لا يرجو بعثًا بعد الموت[٥]. قال العلماء: وإنما كانت اليهود أحرص من الذين أشركوا؛ لأن المشركين لايؤمنون بالمعاد، ولايخافون النار، واليهود تؤمن، وقد علموا ما جَنَوا فهم يخافون النار[٦].

وقوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾، أي: أحد اليهود أن[٧] يعمر ألف سنة؛

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٢٩، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧٩.
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٢٩.
(٣) في (ش): (هزاز).
(٤) أخرج نحوه الثوري ص٤٧، والطبري في «تفسيره» ١/ ٤٢٩- ٤٣٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٧٩ عن ابن عباس وسعيد بن جبير ورواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس قال: هو قول الأعاجم إذا عطس أحدهم: زه (يعني: زي، الأمر من مصدر «زيستن») هزار سال، يعني: عش ألف سنة، فمعنى زه: عش، وهزار: ألف، وسال: سنة.
(٥) أخرجه الطبري ١/ ٤٢٩، وابن أبي حاتم ١/ ١٧٩.
(٦) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٨، و«البحر» ١/ ٣١٣.
(٧) في (م): (لو يعمر).

لأنه يعلم أن آخرته قد فسدت عليه، فالبقاء في دار الدنيا آثر عنده من القدوم على العذاب الأليم .

وقوله تعالى: ﴿يَوَدُّ﴾ يقال: وَدِدتُ أوَدّ، والمصدر: الوَدّ، والوُدّ، والوِداد، والوَدادَة، أنشد الفرّاء[١]:

وددت ودادَةً لو أنّ حظّي مِنَ الخُلّانِ أن لايَصرمُوني[٢].

ويقال أيضًا: وَدَادًا بالفتح، ووِدَادَةً بالكسر، ويقل[٣] هذان، واستقصاء هذا يذكر عند قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠][٤].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ يُعَمَّرُ﴾ يقال: عَمَّرَه الله تعميرًا، إذا أطال عمره، وأصله من العمارة، الذي هو ضدّ الخراب، والعُمُر: اسم للمدّة التي يُعَمَّرُ فيها البدن بالحياة والنمو[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ سُمي الألف ألفًا؛ لأنه تأليف العشرات في عِقْدٍ، ويقال: ثلاثة آلاف إلى العشرة، ثم أُلُوف جمع الجمع، والألف مذكّر، وإذا أُنِّثَ على أنه جمع فهو جائز، وكلام العرب فيه التذكير[٦]،

---

(١) نقله عن الفراء صاحب «اللسان» ٨/ ٤٧٩٢، ولم أجده في «معاني القرآن» والظاهر أنه في المصادر للفراء.

(٢) البيت بلا نسبة في: «لسان العرب» ٨/ ٤٧٩٣.

(٣) في (ش): (ونقل).

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٩، «اللسان» ٨/ ٤٧٩٣ (ودد)، «المفردات» للراغب ٥٣٢، وقال: الود: محبة الشيء، وتمني كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين.

(٥) ينظر: «المفردات» ٣٥٠، «اللسان» ٥/ ٣٠٩٩ (عمر).

(٦) ينظر «تهذيب اللغة» ١/ ١٨٣، «المفردات» ٣٠، «اللسان» ١/ ١٠٨ مادة (ألف).

وقال أبو عبيد: يقال: آلفتُ القوم، إذا جعلتهم ألفًا، وقد آلفوا هم، إذا صاروا ألفًا[١]. وأما السنة فأصلها والكلام فيها يذكر عند قوله: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩]. وخَصَّ الألف هاهُنا بالذكر؛ لأنه نهاية العُقُود، وقيل: لأنه نهاية ما كانت تدعُو بهِ المجوس لملوكها[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ﴾ الكناية راجعة إلى أحدهم، كأنه قيل: وما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره، كما تقول: ما عبد الله بضاربه أبوه.

قال أبو إسحاق: ويصلح أن يكون هو كناية عما جرى ذكره من طول العمر، وهو قوله: (لو يعمر) فيكون: وما تعميره بمزحزحه[٣]، والفعل يدل على المصدر، كقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١] وإنه يريد إنأكله، وعلى هذا قوله: ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ تكرير لذكر التعمير، فيكون كقوله: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ أعاد المصدر بعد ما كنى عنه[٤]،

وقال ابن الأنباري: يجوز أن يكون هو كناية عن الشأن والأمر في قول الكسائي، والمعنى عنده: وما الشأن بمزحزحه من العذاب أن يعمَّر[٥].

قال: ويجوز أن يكون عمادًا في قول الفراء. والعرب تدخل (هو) للعماد مع (ما) في الجحد و(هل) و(واو الحال)، فيقولون: هل هو قائم

---

(١) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ١٨٣، «اللسان» ١/ ١٠٨.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٨، «تفسير الطبري» ١/ ٤٢٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٣٩، «زاد المسير» ١/ ١١٧.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٨.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣١٥.

(٥) وأجاز هذا الوجه أبو علي كما في «البحر المحيط» ١/ ٣١٥، وقال في التبيان ١/ ٧٨: ولا يجوز أن يكون هو ضمير الشأن لأن المفسر لضمير الشأن مبتدأ وخبر، ودخول الباء في بمزحزحه يمنع من ذلك.

عبد الله؟ وما هو بقائم زيد، ولقيت محمدًا وهو حسن وجهه[١] . واحتج بما أنشده الفراء:

فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بما هاهنا رأسُ[٢]

من أبيات ذكرها[٣]. والزحزحة الإبعاد والتنحية، يقال: زحّه وزحزحه فتزحزح: إذا تنحى[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ في موضع رفع بمزحزحه كما يرتفع الفاعل بالفعل؛ لأن المعنى: ما يزحزحه تعميره[٥].

٩٧- وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآية، سألت اليهود نبي الله ﷺ عمن يأتيه من الملائكة فقال: جبريل فقالوا: هو عدونا، ولو

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٥١-٥٢، وينظر أيضًا: «معاني القرآن» للزجاج١/ ١٧٩، و«التبيان» ١/ ٧٨.

(٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٥١-٥٢ فقال: وأنشدني بعض العرب، والأبيات:

فأبلغ أبا يحيى إذا ما لقيتَهُ ... على العِيسِ في آباطِها عَرَقٌ يَبْسُ

بأن السُّلامِيَّ الذي بضَرِيَّةٍ ... أميرَ الحِمَى قد باع حقي بني عبسِ

بثوبٍ ودينارٍ وشاةٍ ودرهمٍ ... فهل هو مرفوع بما هاهنا رأسُ

(٣) ابن الأنباري. قال في «البحر المحيط» ١/ ٣١٦: وتلخص في هذا القول الضمير، أهو عائد على أحدهم أو على المصدر المفهوم من يعمر، أو على ما بعده من قوله: أن يعمر أو هو ضمير الشأن، أو عماد، أقوال خمسة أظهرها الأول.

(٤) ينظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ١٧٩، «البحر المحيط» ١/ ٢٩٨، «اللسان» ٣/ ١٨١٦، «القاموس» ٢٢٢.

(٥) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣١٥ قال: وأجازوا أن يكون هو ضميرًا عائدًا على المصدر المفهوم من قوله: لو يعمر. و أن يعمر بدل منه، وارتفاع هو على وجهين من كونه اسم ما، أو مبتدأ.

أتاك بالوحي ميكائيل لتقبلنا منك، فأنزل الله تعالى هذه الآية[١] .

وجبريل فيه لغات[٢]، بعضها قرئ به[٣]، وبعضها لم يقرأ به[٤]،

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» ١/ ٢٧٤، والنسائي في «السنن الكبرى»، في عشرة النساء، كما في «تحفة الأشراف» ٤/ ٣٩٤، والترمذي (٣١١٧) كتاب باب ومن «التفسير»، سورة الرعد وقال: حسن غريب، وأبو نعيم في «الحلية» ٤/ ٣٣٧ وقال: غريب من حديث بكير، تفرد به بكير، الطبري في تفسيره ١/ ٤٣-٤٣٢، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٨٠، وعبد بن حميد كما ذكره ابن كثير في التفسير، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الطبري في تفسيره.وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨/ ٢٤٢: رواه الترمذي باختصار ورواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣١١٧) قال الطبري في تفسيره ١/ ٤٣١: أجمع أهل العلم جميعًا على أن هذه الآية نزلت جوابًا لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم، ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك وحكى الإجماع أيضًا أبو حيان في «البحر» ١/ ٣١٩ قال الحافظ ابن حجر في «العجاب» ١/ ٢٩٨ بعد أن ذكر الروايات في سبب النزول: وحاصل ماذكر فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: قول الجمهور: أن عداوتهم لكونه ينزل العذاب.

ثانيها: كونه حال دون قتل بختنصّر الذي خَرّب مسجدهم، وسفك دمائهم، وسبى ذراريهم.

ثالثها: كونه عدل بالنبوة عن بني إسرائيل إلى بني إسماعيل.

(٢) استقصى اللغات في جبريل وميكائيل: الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٤٤ وما بعدها، وأبو حيان في «البحر» ١/ ٣١٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١١٧-١١٩.

(٣) قرأ نافع وأبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر وحفص، بكسر الجيم والراء بلا همز، وقرأ ابن كثير كذلك ولكن مع فتح الجيم، وقرأ شعبة بفتح الجيم والراء وبعدها همزة مكسورة، وقرأ كذلك حمزة والكسائي وخلف، ولكن بزيادة ياء ساكنة بعد الهمزة، ولحمزة إن وقف عليه التسهيل فقط. وأما ميكال، فقد قرأ نافع وأبو جعفر بهمزة مكسورة بعد الألف من غير ياء بعدها، وقرأ حفص وأبو عمرو ويعقوب من غير همز ولا ياء، وقرأ الباقون بهمزة مكسورة بعد الألف وياء ساكنة بعدها، ولحمزة فيه التسهيل مع المد والقصر .

ينظر: «السبعة» ص ١٦٦-١٦٧، و«النشر» ٢/ ٢١٩، و«البدور الزاهرة» ص ٤٦.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٩، وذلك مثل: قراءة ابن محيصن (جبرئلّ)=

وكذلك ميكائيل وإسرائيل.

وهذه أسماء عجمية[١] وقعت إلى العرب[٢][٣]، فإذا أُتي بها على ما في أبنية العرب مثلُه كان أذهب في باب التعريب، يقوي ذلك: تغييرهم للحروف المفردة التي ليست من حروفهم، كتغييرهم الحرف الذي بين الفاء والباء في قلبهم إياه إلى الباء المحضة أو الفاء المحضة، كقولهم: البِرِنْدُ والفِرِنْدُ[٤]، وكذلك تغييرهم الحركة التي ليست في كلامهم، كالحركة التي في قول العجم: رُوز وآشُوب[٥] يخلصونها ضَمّةً، فكما[٦] غيروا الحروف والحركات إلى ما في كلامهم فكذلك القياس في أبنية هذه الأسماء[٧]، إلا أنهم قد تركوا أشياء من العجمية على أبنية العجم التي ليست من أبنية العرب كالآجُرِّ[٨] و الإِبْرِيسَم[٩] والفِرِنْد[١٠]، وليس في الكلام على هذه

= وقراءة الحسن (جبرائل). ينظر: «المحتسب» ١/ ٩٧، و«القراءات الشاذة» للقاضي ص ٣١.

(١) في (م): (أسماء عربية وعجمية).

(٢) في (م): (للعرب).

(٣) في «الحجة»: وهذه أسماء معربة.

(٤) في (ش): (القرند).

(٥) في «الحجة» (زوزْأ اشُوْب). قال المحققان: في المعجم في اللغة الفارسية: زور: قوة، غلبة، وآشوب: من أشوفتين: الاضطراب.

(٦) في (م) و(ش): (كما).

(٧) قال ابن جني في «المحتسب» ١/ ٩٧: عن العرب إذا نطقت بالأعجمي خَلّطَتْ فيه.. وذكرنا أنهم قد يحرِّفون ماهو من كلامهم فكيف ماهو من كلام غيرهم. وقال في ١/ ٩٨: وهم لما كثر استعماله أشد تغييرًا.

(٨) الآجُرّ: اللَّبِنُ إذا طُبخ، بمد الهمزة، والتشديد أشهر من التخفيف، الواحدة آجُرَّة وهو مُعَرّب، ينظر «المصباح المنير» ص ٦.

(٩) الإِبْرِيسَمُ: بفتح السين وضمها، هو الحرير، أو معرَّبٌ مُفَرِّحٌ للبدن، معتدلٌ مُقَوٍّ للبصر إذا اكتحل به، «القاموس» ١٠٧٩.

(١٠) الفِرِنْد: بكسر الفاء والراء، السيف وجواهره ووشيه. ينظر: «القاموس» ص ٣٠٦.

الأبنية. فمن قال جِبْرِيل بكسر الجيم وحذف الهمز كان على لفظ قِنْديل وبِرْطيل[(١)]، فإذا فتحتها فليس لهذا البناء مِثْلٌ في كلام العرب، فيكون هذا من باب الآجُرِّ و الفرند ونحو ذلك من المُعَرَّب، الذي لم يجئ له مِثْل في كلامهم[(٢)].

ومن قال جَبْرَئل: على وزن جبرعل كان على وزن: جَحْمَرِش[(٣)(٤)] وصَهْصَلْق[(٥)]. وجَبْرَئيل على وزن: عَندَليب[(٦)]، والخارج من الأبنية العربية: جَبْريل، ألا ترى أنه ليس في أبنيتهم مثل مَنْدِيل، إلا أنه مُتَّجِهٌ وإن لم تجئ في أبنيتهم، وكلا المذهبين حسن لاستعمال العرب لهما جميعًا، وإن كان الموافق لأبنيتهم أذهب في باب التعريب[(٧)]، وقد جاء في أشعارهم الأمران[(٨)]: قال جرير:

عبدوا الصّليبَ وكذّبوا بمحمدٍ وبِجبْرَئيلَ وكذّبوا ميكالا[(٩)]

---

(١) البِرطِيل: بكسر الباء: الرشوة، ينظر: «المصباح المنير» ص ٤٢.

(٢) هذا كله كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٦٤، ١٦٥.

(٣) في (ش): (جمحرش) وفي (م): (جمحرين).

(٤) الجَحْمَرِشُ: العجوز الكبيرة، والمرأة السمجة، والأرنب المرضع، ومن الأفاعي: الخشناء، وجمعه: جَحَامِر ينظر: «القاموس» ص٥٨٦.

(٥) الصهصلق: العجوز الصَّخّابة، ومن الأصوات: الشديد. ينظر: «القاموس» ص٣٠٦.

(٦) العَنْدَلِيبُ: طائرٌ يقال له: الهزارُ، يصَوّت ألوانًا، وجمعه: عَنَادِل: ينظر «القاموس» ١١٨.

(٧) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٦٥.

(٨) في «الحجة» الأمران: ما هو على لفظ التعريب، وما هو خارج عن ذلك.

(٩) البيت لجرير من قصيدة له في هجاء تغلب، ينظر: «شرح ديوان جرير» ٣٦١، =

وقال حسان[١]:

وجبريلٌ رسولُ الله فينا ... وروحُ القُدْس ليس به خفاءُ[٢]

وقال كعب بن مالك:

ويومَ بدر لقيناكم لنا مَدَدٌ ... فيه مع النصرِ جبريل وميكالُ[٣]

قال أبو علي الفارسي[٤]: وليس قول من قال: إن إيل و إل اسم الله وأضيف ما قبلهما إليهما، كما يقال عبد الله[٥] بمستقيم من وجهين:

=، «إعراب القرآن» للزجاج ١/ ١٧٩، «تفسير الطبري» ١/ ٤٣٦، «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٦٧، «البحر المحيط» لأبي حيان ١/ ٤٨٦.

(١) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد الصحابي، شاعر الرسول ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، دافع بشعره عن الإسلام ونبيه ﷺ، إلا أنه لم يشهد معه مشهدًا لعلةٍ أصابته. ينظر: «الإصابة» ١/ ٣٢٦، و«الأعلام» ٢/ ١٧٥.

(٢) البيت لحسان بن ثابت، في «ديوانه» ص ٧٥، و«لسان العرب» ٧/ ٣٨٩٢ (مادة: كفأ)، ١/ ٥٣٥ (مادة: جبر). ورواية الزجاج وأبي علي: ليس له كفاء، ونفى صاحب «الخزانة» ١/ ١٩٩ أن يكون البيت لحسان.

(٣) نَسب أبو علي البيت لكعب، ونُسِب لحسان في «ديوانه» ص ٢٠٤ وجبريل بدل ميكال، وكذا نسبه في «لسان العرب» ٧/ ٤٢٥٢ (مادة: مكا). ورواية «اللسان» ميكال وجبريل.

(٤) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٦٧-١٦٨، وقال في «البحر المحيط» ١/ ٣١٩: (فإنه نزله) ليس هذا جواب الشرط لما تقرر في علم العربية أن اسم الشرط لابد أن يكون في الجواب ضمير يعود عليه... وإنما الجزاء محذوف لدلالة مابعده عليه، بالتقدير: فعداوته لا وجه لها أو ما أشبه هذا التقدير.

(٥) ذكر ذلك الماوردي في «النكت والعيون» ١/ ١٦٣، وقال: وهذا قول ابن عباس، وليس له من المفسرين مخالف، ونقله عنه القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٣٣ ثم نقل خلافه، ونقل ابن كثير في تفسيره الخلاف أيضًا. ونقل هذا القول أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣١٧، وينظر: «الإجماع في التفسير» ص ١٧٩-١٨٢.

أحدهما: أن إيل و إل[١] لا يعرفان في أسماء الله سبحانه في اللغة العربية. **والآخر**: أنه لو كان كذلك لم ينصرف[٢] آخر الاسم في وجوه العربية، ولكان الآخر مجرورًا، كما أن عبد الله كذلك[٣]. وهذا الذي قاله أبو علي أراد أنه ليس في اللغة العربية على الوجه الذي ذكروا بمستقيم. وقد قال جماعة من أهل العلم: جَبر و ميك: هو العبد بالسُريانية، و إيل هو الله ﷻ[٤]. وروي ذلك من خبر مرفوع، قال: **إنما جبريل وميكائل كقولك: عبد الله وعبد الرحمن**[٥].

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ﴾ يعني جبريل ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ يعنى: القرآن، كنى عنه ولم يجئ له ذكر، وهو كثير، وقيل: فإن الله نزل جبريل على قلبك[٦].

وقيل: جواب من مُضمر، أراد: من كان عدُوًّا لجبريل فليخف، أو ليَمُتْ غيظا أو ما أشبهه من الإضمار[٧].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يعني: قلبَ محمد ﷺ قال الفراء: ولو كان: على قلبي، كان صوابًا، مثله في الكلام: لا تقل للقوم: إن الخَيْر

---

(١) من قوله: (اسم الله وأضيف) .. ساقط من (ش).

(٢) في (ش): (ينصرف).

(٣) «الحجة» ١/ ١٦٩، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣١٧.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٣٦-٤٣٧، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٤٨، «زاد المسير» ١/ ١١٩، و«الدر المنثور» ١/ ١٧٦.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٤٨ بسنده من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن إسماعيل بن رجاء بن ربيعة الزبيدي عن معاوية يرفعه، ونسبه في «الدر المنثور» ١/ ١٧٦ إلى الديلمي عن أبي أمامة، وهو من مظان الحديث الضعيف والله أعلم.

(٦) ينظر: «التفسير الكبير» للرازي ٣/ ١٩٦، «البحر المحيط» ١/ ٣٢٠ ورجَّح الأول.

(٧) ينظر: «التبيان» ١/ ٧٩.

عندي وعندك، أما عندك فجائز؛ لأنه كالخطاب، وأما عندي فهو قول المتكلم بعينه[١]، وقد تقدم لهذا نظائر.

وقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قال ابن عباس: لما قبله من الكتب التي أنزلها الله ﷻ[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ رد على اليهود حين قالوا: إن جبريل ينزل بالحرب والشدة، فقيل: إنه وإن كان ينزل بالحرب والشدة على الكافرين فإنه ينزل بالهدى والبشرى للمؤمنين[٣].

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا﴾ أي: معاديًا؛ لأن العدوَّ فعول بمعنى فاعل، ولا يصح العداوة لله على الحقيقة؛ لأن العداوةَ للشيء طلب الإضرار به بُغْضًا له، وإنما قيل للكافر: عدوّ الله، من عداوة الله له، أو لأنه يفعل فعل المُعَادي[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ يريد: كجبريل وميكائيل، وذلك أن اليهود قالت لعمر ﷺ: إن صاحب محمد من الملائكة جبريلُ، وهو عدوّنا، يُطْلعُ محمدًا على سرّنا، وهو صاحب كل عذاب وخسف وسَنَةٍ وشدّة، فقال عمر: فإني أَشْهد أن من كان عدوًّا لجبريل فهو عدوٌّ ميكائيل، ومن كان عدوًّا لهما فإن الله عدو له، ثم[٥] أتى عمر النبي ﷺ، فوجد جبريل قد سبقه

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٣، وينظر: «تفسير الرازي» ٣/ ١٩٦ «البحر المحيط» ١/ ٣٢٠.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ١/ ٤٣٨-٤٣٩، وينظر: «تفسير الرازي» ٣/ ١٩٧.

(٣) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٢١.

(٤) ينظر: «البحرالمحيط» ١/ ٣١٩.

(٥) في (م): (وأتى).

بالوحي، فقرأ عليه رسول الله ﷺ هذه الآيات، وقال: «**لقد وافقك ربك يا عمر**». فقال عمر: لقد رأيتني في دين الله أصلب من الحجر[١].

وقوله تعالى: ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ يعني: محمدًا وعيسى كفرت بهما اليهود.

وقوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[٢] أخرجهما من الجملة بالذكر[٣] تخصيصًا وتشريفًا[٤]، كقوله: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، وكقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ [الجن: ١٨] بعد قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النجم: ٣١].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ قال محمد بن يزيد[٥]: ظهرت الكناية في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ لأن الفاء جواب الجزاء وما بعدها مستأنف، فلما كان مبتدأً لم يقع[٦] فيه كناية عن ظاهر سبقها؛ لأنه ليس

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٣٣-٤٣٤، عن قتادة والسدي بنحوه، وعزاه في «الدر المنثور» ١/ ١٧٤ لسفيان بن عيينة عن عكرمة. وذكر القصة بطولها الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٤٤، ورواه الواحدي في «أسباب النزول» ص ٣٢ بسنده عن الشعبي عن عمر، وهو لم يلق عمر. ولقصة عمر هذه طرق كثيرة. وقد قوى الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ٨/ ١٦٦ القصة بطرقها. وينظر ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٤٠-١٤١، و«الدر المنثور» ١/ ١٧٤-١٧٥، وقال: صحيح الإسناد ولكن الشعبي لم يدرك عمر.

(٢) في (أ): (وميكايل)، وفي (ش): (وميكائيل).

(٣) في (م): (من الذكر).

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٤٩، «زاد المسير» ١/ ١١٩، «التفسير الكبير» للرازي ١/ ١٩٨، وذكر جوابًا ثانيًا وهو: أن الذي جرى بين الرسول واليهود هو ذكرهما، والآية نزلت بسببهما فلا جرم نص على اسميهما. وقد أطال البحث في ذلك أبو حيان في «البحر» ١/ ٣٢٢.

(٥) يعني المبرد.

(٦) في (م): (لم يكن يقع).

سبيل المكني أن يكون مبتدأً، بل سبيله أن يتقدمه ظاهر، والعرب تقول: إن ضربت زيدًا فإن زيدًا يضربك، إن ضربت زيدًا فإنه يضربك، فالذي يقول بالإظهار يحتج بأن الذي بعد الفاء مستأنف، و(إنَّ) من[1] علامات الاستئناف، والاستئناف[2] يكون بالظاهر لا بالمكني. والذي يقول بالكناية يحتج بأن جواب الجزاء ملابسٌ للأوَّل في المعنى لتعلقه به، فالذي في الجزاء يكفي من الذي في الجواب، فتصح الكناية لهذه العلة[3].

وقال غيره: إنما أظهر الكناية لأنه ذكر الملائكة والرسل، فلو كنى لذهبَ الوهمُ إلى واحد من الملائكةِ، أو الرسلِ، أو إلى جبريل، أو إلى ميكائيل، فأظهر الكناية ليزيل اللبس[4].

ومعنى الآية: من كان عدوًا لأحد هؤلاء فإن الله عدو له؛ لأن عدوّ الواحد عدو الجميع، وعدو محمدٍ عدوُّ الله. ومثله قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦]؛ لأن الكافر بالواحد كافر بالكل[5].

والواو هاهنا بمعنى أو[6]. وقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ ولم يقل: فهم أعداء له؛ لأنه تولى تلك العداوة بنفسه، وكفى رسله وملائكته أمر من عاداهم. وإنما لم يقل: فإن الله عدو لهم أوله بالكناية؛ ليدل مع أنه عدو لهم على أنهم كافرون بهذه العداوة[7].

---

(١) في (م): (لأن).

(٢) ساقطة من (م).

(٣) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٢٢.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٢٢.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٥٠، «البحر المحيط» ١/ ٣٢٢.

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٥٠، وذكر الرازي في «التفسير الكبير» ٣/ ١٩٨: أن الواو، قيل: إنها للعطف، وقيل: بمعنى أو.

(٧) ينظر: «زاد المسير» ١/ ١١٩، و«التفسير الكبير» للرازي ٣/ ١٩٨، و«تفسير ابن كثير» ١/ ١٤١.

٩٩- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ قال ابن عباس: هذا جواب لابن صوريا[1]، حيث قال لرسول ﷺ: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل عليك من آية بينة فنتبعك لها، فأنزل الله هذه الآية[2].

والبينات: جمع بينة، والبين: من باب الصيّب والسيّد، وقد مرّ[3].

والبينة: الدلالة الفاصلة بين القضية الصادقة والكاذبة؛ لأنها من إبانة أحد شيئين عن الآخر، فيزول الالتباس بها. واستقصاء الكلام في هذا عند قوله: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة:٦٨].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن أديانهم، واليهود خرجت بالكفر بمحمد ﷺ عن شريعة موسى عليه السلام[4].

١٠٠- قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا﴾ قال سيبويه[5]: الواو فيه واو العطف، إلا أن ألف الاستفهام دخل عليها؛ لأن لها صدر الكلام، وهي الأصل في الاستفهام، يدل على ذلك: أن الواو تدخل على (هل)، كقولك: وهل زيد عاقل؟ ولا يجوز: وأزيد عاقل؛ لأن الألف أقوى في

---

(١) هو: عبد الله بن صوريا، تقدمت ترجمته [البقرة: ١].

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٤١، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٨٣ من طريق سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٥١ والواحدي في «أسباب النزول» ص٣٤، والسيوطي في «لباب النقول» ص ١٨.

(٣) في تفسير الآية رقم ١٩.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٤١.

(٥) ينظر: «الكتاب» لسيبويه ٣/ ١٨٧، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٤٧، «تفسير الطبري» ١/ ٤٤١-٤٤٢، و«إعراب مشكل القرآن» لمكي ١/ ١٠٥، «التبيان» للعكبري ١/ ٧٩.

الاستفهام[١]. و﴿كُلَّمَا﴾ ظرف، والعامل فيه: ﴿نَّبَذَهُۥ﴾[٢] ﴿عَـٰهَدُواْ﴾؛ لأنه متمم لما، إما صلةً، وإما صِفَةً.

وقوله تعالى: ﴿عَـٰهَدُواْ عَهْدًا﴾ قال المفسرون: إن اليهود عاهدوا فيما بينهم، لئن خرج محمد ﷺ ليؤمنُنّ به، وليكونُنّ[٣] معه على مشركي العرب، فلما بُعِثَ نقضوا العهد وكفروا به[٤].

وقال عطاء: هي العهود التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين اليهود، نقضوها كفعل قريظة والنضير، عاهدوا ألا يعينوا عليه أحدًا، فنقضوا ذلك، وأعانوا عليه قريشًا يوم الخندق[٥].

واتصال هذه الآية بما قبلها: من حيث إنهم كفروا بنقض العهد كما كفروا بالآيات.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إنما دخلت (بل) ههنا لأنه لما قال: ﴿نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ دل على أنه كفر ذلك الفريق بالنقض، فقال:

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨١، و«تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٥١، «القرطبي» ٢/ ٣٩ وذكر أبو حيان في «البحر» ١/ ٣٢٣ الخلاف في هذه الواو: فقيل هي زائدة، قاله الأخفش، وقيل: هي أو الساكنة الواو حركت بالفتح، وهي بمعنى بل، قاله الكسائي، وكلا القولين ضعيف، وقيل: واو العطف وهو الصحيح.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨١، «إعراب مشكل القرآن» ١/ ١٠٦.

(٣) في (ش): (لنؤمنن به ولنكونن).

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٥٢، «الوسيط» ١/ ١٨١، «زاد المسير» ١/ ١٢٠، القرطبي ٢/ ٣٥ والرازي في «تفسيره» ٢/ ٢١٧.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٥٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٠٥، الرازي في «تفسيره» ٣/ ٢٠١، القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٤٠ وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٢٣.

بل أكثرهم كفار بالنقض.وحَسُن هذا التفصيل؛ لأن منهم من نقض عنادًا، ومنهم من نقض جهلًا.

وقيل: معناه: كفر فريق بالنقض وكفر أكثرهم بالجحد للحق، وهو أمر النبي ﷺ[١].

قوله تعالى: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ جائز أن يكون المراد بقوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ : القرآن، وجائز أن يكون المراد به: التوراة؛ لأن الذين كفروا بالنبي ﷺ نبذوا التوراة[٢].

ويقال لكل من استخف بشيء[٣] ولم يعمل به: نبذه وراء ظهره[٤].

قال الشعبي[٥]: هو بين أيديهم يقرؤونها، ولكن نبذوا العمل به[٦].

وقال سفيان بن عُيينة:[٧] أدرجوه في الحرير والديباج، وحلَّوه بالذهب والفضة، ولم يُحِلّوا حلاله ولم يحرّموا حرامه، فذلك النبذ[٨].

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٢٤، وذكر احتمالًا آخر.

(٢) هذا كلام الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٨٢، وينظر: «زاد المسير» ١/ ١٢٠، و«تفسير الرازي» ١/ ٢٠٢.

(٣) في (م): (استخف بشيء نبذه ولم يعمل).

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٤٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٥٣، «تفسير الرازي» ٣/ ٢٠١.

(٥) هو: أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي الحميري، تقدمت ترجمته [البقرة: ٧].

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٥٤، البغوي في «تفسيره» ١/ ١٢٦ وفي بعض نسخ الثعلبي في «تفسيره» يقرؤونه، وفي بعضها: يقرؤونها.

(٧) هو: الإمام أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران، ميمون الهلالي الكوفي المجتهد، شيخ الإسلام، من كبار المحدثين الثقات، كان واسع العلم، وله تفسير، توفي سنة ١٩٨هـ. ينظر: «طبقات المفسرين» للداودي ١/ ١٩٦، و«السير» ٨/ ٤٥٤.

(٨) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٥٤، «البغوي» ١/ ١٢٦.

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أعلَم أنهم نبذوا كتاب الله، ورفضوه على علم به؛ عداوةً للنبي ﷺ[١].

وعنى بالفريق في هذه الآية: علماء اليهود الذين تواطؤوا على كتمان أمر محمد ﷺ[٢].

١٠٢- قوله تعالى ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ الآية، هذه الآية قد أشكل علم إعرابها ومعناها على كثيرٍ من الناس، حتى ترك أكثر أهل العلم والنحو الكلام فيها لصعوبتها. وتكلم آخرون فيها[٣].

قال أبو إسحاق: أعلم الله عز وجل أنهم رفضوا كتابه واتبعوا السحر[٤].

وقوله تعالى: ﴿تَتْلُوا﴾ أي: تقرأ[٥]. وقال ابن عباس: تتبع وتعمل به[٦]. وكذلك قال في قوله: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]: يتبعونه حق اتباعه[٧]، فيعملون به حق عمله.

وقال أبو عُبَيدة: ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾: أي: ما تتكلم به. كقولك: فلان يتلو كتاب الله، أي: يقرؤه ويتكلم به[٨]. وقال عطاء: ما تُحدِّث

---

(١) من كلام الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٨٢.
(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٤٢.
(٣) قال الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٨٥: فإن النحويين قد ترك كثير منهم الكلام فيها لصعوبتها، وتكلم جماعة منهم، وإنما تكلمنا على مذاهبهم.
(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٣.
(٥) وبه قال مجاهد وقتادة وعطاء، وروي عن ابن عباس، ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٤٧، و«تفسير ابن كثير» ص ١٤٤-١٤٦.
(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٤٧ وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١٤/ ١٠٥٥.
(٧) رواه عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢١٨، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٤٥.
(٨) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة بمعناه ١/ ٤٨.

وتَقُصّ[١]. وهذه أقوال متقاربة[٢].

قال الزجاج: وفيه إضمار، أراد: واتبعوا ما كانت تتلوا[٣]، وقيل: إنه لفظ الاستقبال والمراد به المضي، أي: تلت[٤]، كقول الشاعر:

فلقد يكون أخا دم وذبائح[٥]

أي: فلقد كان[٦]. وكقوله: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤] أي: حتى قال.

وقال أبو علي[٧] فيما استدرك على أبي إسحاق الآية: تحتمل تأويلين، كلٌّ واحد منهما أسوغ مما ذكره وذهب إليه.

أحدهما: أن يكون ﴿تَتْلُوا۟﴾ بمعنى: تلت فيكون كقوله: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩١]. أي: فلم قتلتم، إلا أنه لما اتصل بقوله: ﴿مِن

---

(١) رواه الطبري في تفسيره عنه ١/ ٤٤٧، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٥٥.

(٢) ينظر الطبري في تفسيره ١/ ٤٤٧-٤٤٨، وذكر أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٢٦: أنها متقاربة.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٣ بتصرف، وليس عنده قوله: وفيه إضمار، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٢٦.

(٤) ينظر: «التبيان» للعكبري ١/ ٨٠، «البحر المحيط» ١/ ٣٢٦.

(٥) صدر البيت:

وانْضَح جوانبَ قبرِه بدمائها

وهو لزياد الأعجم في «ديوانه» ص ٥٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٥٥، و«البيان» ١/ ١٣٣، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٧، «الدر المصون» ١/ ٣١٨، «أمالي المرتضي» ١/ ٣٠١، «الشعر والشعراء» ١/ ٢٧٩، «لسان العرب» ٧/ ٣٩٦٢، ينظر: «المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية» ٢/ ١٢٦.

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٥٥.

(٧) أي: في كتابه «الإغفال».

تَبۡلُ﴾ علم أن المراد بمثال المضارع الماضي، فكذلك هنا[(١)] كان يعلم باتصال الكلام بعهد سليمان؛ لأن المعنى[(٢)]: على عهد ملك سليمان، أو في زمن ملك سليمان، على تقدير[(٣)] حذف المضاف[(٤)]، وكان ذلك يدل على أن مثال المضارع يراد به الماضي.

ومن هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٢٥]. يجوز عندي أن يكون المعنى: إنّ الذين كفروا وصدوا. فلما كان المعطوف عليه ماضيًا دلّ على أن المراد بالمضارع أيضًا الماضي، ويقوي هذا قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ١][(٥)]. ويجوز أن يكون المضارع على بابه، كأنه قال: إنّ الذين كفروا فيما مضى وهم الآن يصدُّون مع ما تقدم من كفرهم. والأول كأنه أقوى[(٦)].

والإرادة بمثال المضارع الماضي مذهب سيبويه؛ لأنه قال[(٧)]: وقد تقع[(٨)] نفْعَل في موضع فَعلت في بعض المواضع، ومثل ذلك: قول رجل

---

(١) ساقطة من (ش).
(٢) في «الإغفال»: في من قال إن المعنى على عهد ملك سليمان.
(٣) في «الإغفال»: على من لم يقدر.
(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٣، «التبيان» للعكبري ١/ ٨٠، «البحر المحيط» ١/ ٣٢٦.
(٥) تتمة الكلام في «الإغفال» فخبر اسم إن مضمرة، هو من نحو ماظهر من قوله: أضل أعمالهم، وحسن الحذف لطول الكلام بالعلة.
(٦) «الإغفال» ص ٣٢١ - ٣٢٢.
(٧) في «الإغفال» وهذا الذي ذكرته لك من الإرادة بمثال المضارع الماضي مذهب سيبويه وقوله.
(٨) في (ش): (يقع تفعل).

من بني سلول:

ولقد أمرُّ على اللئيم يَسُبّني   فمضيتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يَعْنِيني[(١)(٢)]

على معنى: ولقد مررت[(٣)]. قال أبو علي: فسألت أبا بكر عما ذكره سيبويه من هذا، فقال: الأفعال جنس واحد، فكان يجب أن يكون على بناء واحد؛ لكنها غُيّرت بتغيير الأزمنة وقُسِّمت بتقاسيمها، لما كان ذلك في الإيضاح أبلغ، فخُصّ كلٌّ قسم من ذلك بمثال لا يقع واحد منها في موضع الآخر، إلا أن يُضمّ إليه حرف يكون دليلًا على ما أريد به[(٤)]، فيصير الحرف كأنه يقوم مقام البناء المراد، إذ كان يَدُلّ عليه كما يدلّ البناء، نحو: والله لا فعلت، فقولك: فعلت فعلٌ ماض وقع في موضع مستقبل، فلما كانت قبلها[(٥)] (لا) عُلم أنه يُرادُ به الاستقبال؛ لأن (لا) إنما[(٦)] تكون نفيًا لما يستقبل[(٧)]، فلما كانت نفيًا للمستقبل ووقع بعدها ماض علمت أنه يراد

---

(١) البيت لرجل من سلول في «الكتاب» ٣/ ٢٤، و«الخصائص» ٣/ ٣٣٠، و«الإغفال» ١/ ٣٢٣، و«الدرر» ١/ ٧٨، ولشمر بن عمرو الحنفي في «الأصمعيات» ص ١٢٦، ولم ينسب في بعضها: نحو «تفسير الطبري» ١/ ٤٢٠، وروايته وحده: فمضيت عنه وقلت. وبعد هذا البيت:

غضبان ممتلئًا عليّ إهابه   إني وربِّك سُخْطُه يُرضيني

(٢) «الكتاب» لسيبويه ٣/ ٢٤.

(٣) «الإغفال» ص ٣٢٢، ٣٢٣ و قال سيبويه في «الكتاب» ١/ ٥٠٤: يجوز أن يجعل أفعل في موضع فعلت، ولايجوز فعلت في موضع أفعل إلا في مجازاة، نحو إن فعلت فعلت.

(٤) في «الإغفال» على ما أريد به الحرف.

(٥) في (ش): (في قبلها).

(٦) إنما ساقطة من (ش) .

(٧) في «الإغفال»: لما يستقبل مما أوجب القسم.

به الاستقبال[١]. قال أبو علي: وقد اتسعوا في إقامة أمثلة الأفعال، بعضها مقام بعض[٢]، من ذلك: إقامتهم مثال الأمر مقام الخبر، نحو قولهم: أكرِمْ بزيد وقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ﴾ [مريم:٣٨] ومعنى هذا: كرُمَ زيد، وسمعوا[٣] وأبصروا، أي: صار زيد ذا كرم، وصار هؤلاء المستحقون لأن يمدحوا بهذا المدح ذوي[٤] أسماع وأبصار[٥].

ووقع مثال الأمر مقام الخبر، كما وقع مثال الخبر مقام الأمر في مثل: غفر الله لزيد، وقطع الله يده، وفي التنزيل: ﴿لَا تُضَآرَّ وَالِدَةُۢ بِوَلَدِهَا﴾ [البقرة:٢٣٣]. وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٤][٦].

فكذلك تَتْلُوا في هذه الآية، يجوز أن تكون بمعنى (تلتْ) كهذه الأشياء التي أريتكها، وهذا وجه. وأما الوجه الآخر: فعلى أن يكون يفعل على بابه، لا تريد به فَعَل كما أردت في الأول، ولكن تجعله حكايةً للحال وإن كان ماضيًا، وهذا الوجه في السَّعَة والكثرة كالأول وأسوغ[٧]، كأنه حكى الفعل الذي كان يُحدّث به عنهم وهو للحال.

ونظير هذا قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ [البقرة:

---

(١) «الإغفال» ص ٣٢٣، ٣٢٤.

(٢) في «الإغفال: اتساعًا أشد مما قدمنا.

(٣) في «الإغفال» فمعنى هذا: أكْرم زيد وأسمعوا. وما في نسخة البسيط أصوب.

(٤) في نسخة «الإغفال» جاء النص مُحرّفًا: وصار هؤلاء المستحقون الآن يمدحون بهذا المدح، ويثنى عليهم بهذا الثناء دون أسماع وأبصار.

(٥) «الإغفال» ص ٣٢٦.

(٦) «الإغفال» ص ٣٢٧ وما بعدها. بتصرف كبير.

(٧) في «الإغفال»: أو أسوغ.

٤٩]، فقوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ حكاية للحال في الوقت الذي كانت فيه، وإن كان آل فرعون منقرضين في وقت هذا الخطاب، وموضع الفعل نصب بالحال. ونظير هذا أيضًا من حكاية الحال: قوله: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] فأشير إليهما بما[1] يشار إلى الحاضر؛ إرادة لحكاية الحال على وجهها، وإن كانت قد تقدمت[2]. ومن هذا أيضًا: إضافة (إذ) إلى تقول وإلى جمع المضارع في نحو: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤] أضيف (إذ) إلى فعل الحال إرادةً لحكايتها[3]، ولولا ذلك لتنافى هذا الكلام؛ لأن (إذ) لما مضى و(تقول) لما يستقبل.

ومن هذا أيضًا: ما أنشده أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي:

جاريةٌ في رمضانَ الماضي   تُقطِّع الحديث بالإيماض[4]

وهذا وجه ثانٍ نظير ما يحسن حمل الآية عليه[5].

---

(١) في «الإغفال»: كما.

(٢) في «الإغفال» لحكاية القصة على جهتها، وإن كانت متقدمًا كونها.

(٣) من قوله: إرادة لحكاية الحال على وجهها... ساقط من (أ)، (م).

(٤) ذكره في «الإغفال» ص ٣٣٢ بهذه الصيغة ووقع في نوادر ابن الأعرابي غير منسوب كما في «شرح ابن يعيش» ٦/ ٩٣، ووقع في «ديوان رؤبة» مما نسب إليه ص ١٧٦:

جارية في درعها الفضفاض   تقطع الحديث بالإيماض

ونسب البغدادي ٣/ ٤٨٣ الشاهد نقلًا عن هشام اللخمي لرؤبة هكذا:

لقد أتى في رمضان الماضي   جارية في درعها الفضفاض

تقطع الحديث بالإيماض   أبيض من أخت بني إباض

وينظر أيضًا: «مغنى اللبيب» ٢/ ٦٩١، و«الإنصاف» ١/ ١٢٤، مع اختلاف في الرواية، وحاشية «الإغفال» ٣٣٢.

(٥) «الإغفال» ص ٣٣١، ٣٣٢. بتصرف.

فإن قلت: ما تنكر أن يكون ما ذكره أبو إسحاق من إضمار (كان) أيضًا جائزًا، فيكون ذلك وجهًا ثالثًا.

قيل: ذلك لا يجوز؛ لأن المضمر لا دلالة عليه، وإنما يسوغ الإضمار إذا كانت عليه دلالة يكون بها كالمظهر، وسيبويه منع إجازة هذا، فقال: واعلم أنه لا يجوز لك أن تقول: عبدَ الله المقتول، وأنت تريد: كن عبدَ الله المقتول[١]، فإذا لم يجز هذا، لم يجز هذا مع أن المنصوب يدل على ناصبه، فأن لا يجوز ما ذهب إليه في الآية أولى[٢].

فإن قلت: فقد قالوا: إنْ سيفًا فسيفٌ، وإنْ خنجرًا فخنجرٌ، فأضمروا، قيل: ليس ذلك من هذا في شيء؛ لأن (إن) مما يعلم أنه لا يليه إلا الفعل، فالدلالة على المحذوف المضمر قوية، وليس شيء من هذا في الآية[٣].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ ذكرنا أنه على تقدير حذف المضاف، وقيل: إن (على) ها هنا من صلة الافتراء والكذب، إذا قلنا إنّ (تتلوا) معناه: تحدّث وتكلّم، على ما قال أبو عبيدة وعطاء، فمعنى قوله: ﴿تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾[٤]؛ لأنهم قالوا: إن سليمان مَلَكَ النّاسَ

---

(١) «الكتاب» ١/ ١٥٩ ط. بيروت. وزاد: لأنه ليس فعلًا يصل من شيء إلى شيء، ولكنك لست على أحد.

(٢) «الإغفال» ص ٣٣٣ بتصرف.

(٣) «الإغفال» ص ٣٣٤ بتصرف.

(٤) ينظر: «التفسير الكبير» للرازي ٣/ ٢٠٤، «البحر المحيط» ١/ ٣٢٦، ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٤٣-١٤٦.

بالسحر، وذلك ما قاله ابن عباس[(١)] رحمه الله: إن سليمان، ﷺ، لما عُذِّبَ بنزع ملكه، دفنت الشياطين في خزانته ومواضع مصلاه سحرًا وأُخَذًا ونيرَنْجات[(٢)]، فلما مات سليمان دلّت الشياطين عليه الناسَ حتى استخرجوها، وقالوا للناس: إنما ملككم سليمان بهذا فتعلموه، فأقبل بنو إسرائيل على تعلمها، ورفضوا كتب أنبيائهم، فبرّأ الله نبيه سليمان ﷺ على لسان محمد ﷺ[(٣)].

وقال السُّدِّي: إن الناس في زمن سُليمان كتبوا السحر، واشتغلوا بتعلّمه، فأخذ سليمان تلك الكتب، وجعلها في صندوق، ودفنها تحت كرسيه، ونهاهم عن ذلك، فلما مات سليمان، وذهب الذين كانوا يعرفون دفنه الكتب، تمثل شيطان على صورة إنسان، فأتى نفرًا من بني إسرائيل، فقال: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا[(٤)]؟ قالوا: نعم، قال: فاحفروا تحت الكرسي، فحفروا، فوجدوا تلك الكتب، فلما أخرجوها، قال

---

(١) قال في «البحر المحيط» ١/ ٣٢٦: وقد ذكر المفسرون في كيفيات ما رتبوه من هذا الذي تلوه قصصًا كثيرة، الله أعلم به، ولم تتعرض الآية الكريمة ولا الحديث المسند الصحيح لشيء منه، فلذلك لم نذكره ا.هـ. وقد ذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٢١ الكيفيات فعد أقوالًا ستة.

(٢) النيرنجات: أُخذٌ كالسحر وليس به، وإنما هو شبه وتلبيس، ويقال: النيرنجيَّات. ينظر: «تاج العروس» ٣/ ٤٩٧، و«مفتاح السعادة» لطاش كبرى زاده ١/ ٣٤٠.

(٣) أخرج هذه القصة النسائي في «تفسيره» ١/ ١٧٩، الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٤٧ ولفظه مختصر، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٩٧ من طريق المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، بنحوه، والمنهال: صدوق ربما وهم. وقد ذكرها الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٥٧، وعزا القصة للكلبي. وذكرها أيضًا في «عروس المجالس» ص ٤٣، والواحدي في «أسباب النزول» ص ٣٥.

(٤) لا تأكلونه أبدًا: أي: لا تفنونه أبدًا، يقال: أكل فلان عمره: إذا أفناه.

الشيطان: إن سليمان كان يضبط الجن والإنس[١] والشياطين والطير بهذا، فاتخذ بنو إسرائيل تلك الكتب؛ فلذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود، فبرأ الله تعالى سليمان من ذلك، وأنزل هذه الآية[٢].

وقوله تعالى ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ أي: لم يكن كافرًا ساحرًا بسحر[٣]، ويعمل بالسحر[٤].

وقيل: وما ستر سليمان كتب السحر، ولكن الشياطين سترته ودفنته.

وأصل الكفر: الستر والتغطية[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ في (لكن) قراءتان: التشديد ونصب الاسم به، والتخفيف ورفع الاسم به[٦].

---

(١) في (م): (الإنس والجن).

(٢) رواه ابن جرير في «تفسيره» مطولًا عنه ١/ ٤٤٤-٤٤٥، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٨٦ من طريق أسباط عن السدي، وذكره الثعلبي في «تفسيره» مطولًا ١/ ١٠٥٧ والواحدي في أسباب النزول ص ٣٦ ولفظه هناك مثل هذا تمامًا. وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٢١-١٢٢، وروى الحاكم ٢/ ٢٦٥، والواحدي بسنديهما عن ابن عباس نحوًا من هذا وصححه الذهبي. وينظر: «التفسير الصحيح» ١/ ٢٠٥ - ٢٠٦ . ذكر الدكتور بشير حكمت ياسين في كتاب «التفسير الصحيح» ١/ ٢٠٥ - ٢٠٦ روايتين عن ابن عباس وصححهما وهما موافقتان لما نقله الواحدي وقال بعدهما: وهاتان الروايتان من أخبار أهل «الكتاب»، ولكنهما لا تتعارض مع «الكتاب» والسنة، بل لبعض فقراتها شواهد، فهي توافق عصمة سليمان عليه السلام وتبرىء ساحته مما ألصق به من مفتريات الإسرائيليات.

(٣) ساقطة من (ش).

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٦٠.

(٥) «المفردات» للراغب ٤٣٥.

(٦) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف بتخفيف نون لكن وإسكانها، ثم تكسر تخلصًا من التقاء الساكنين، والشياطين بالرفع. وقرأ الباقون بتشديد النون مفتوحة، ونصب الشياطين. ينظر: «السبعة» ١٦٧ - ١٦٨، و«الحجة» لأبي علي ٢/ ١٦٩، و«النشر» ٢/ ٢١٩، و«البدور الزاهرة» ص ٤٦.

وهذه الحروف، أعني :لكنّ، وإن، وأن، وكأنَّ حروف تستعمل مخففة ومثقلة، فإذا استعملت مثقلة كانت عاملة في الأسماء، وعملها النصب[١]، والعلة في ذلك: أنها إذا كانت مشدّدة كانت مفتوحة الأواخر، وفتحةُ أواخرِها ألحقتها في المشابهة بالأفعال الماضية، والأفعال عاملةٌ في الأسماء، فإذا استعملت مخففة باينتها تلك الصفة التي ألحقتها في المشابهة بالأفعال، فالقياس أن لا تعمل لزوال المعنى الذي به كان يعمل[٢] .

وقال الكسائي: الذي يختار العرب والذي هو وجه الكلام عندنا إذا كانت (لكن) وحدها بغير واو كان التخفيف أحسن، وإذا كانت بالواو كانت بالتشديد، وبهذا قرئ أكثر ما في القرآن كقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣] ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٧] .وبغير الواو كقوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾ [النساء: ١٦٦] ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ﴾ [التوبة: ٨٨] ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [مريم: ٣٨].

وقال الفراء: إذا ألقيت من ولكن الواو آثرت العرب تخفيفَ نونها، وإذا دخلت الواو آثروا تشديدَها، وإنما فعلوا ذلك؛ لأنها رجوع عما أصاب أول الكلام، فشبهت بـ« بل »، إذ كانت رجوعًا مثلها، ألا ترى أنك تقول:لم يقم أخوك بل أبوك، ثم تقول: لم يقم أخوك لكن أبوك، فتراهما في معنى واحد، والواو لا تصلح في بل.

فإذا قالوا: ولكن فأدخلوا الواو تباعدت من بل، إذ لم تصلح الواو في بل، فآثروا فيها تشديد النون، وجعلوا الواو كأنها دخلت لعطف لا بمعنى بل[٣]، وأصلها: أن دخلت عليها لا وكاف الخطاب، فصارتا

---

(١) ينظر: «اللسان» ٧/ ٤٠٧٠ (مادة: لكن)، و«مغني اللبيب» ١/ ٢٩٠-٢٩٢.

(٢) ينظر: «الحجة» ٢/ ١٧٠ - ١٧٧، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٦١، «المجيد في إعراب القرآن المجيد» ص ٣٥٩.

(٣) بل ساقطة من (ش) .

جميعًا حرفًا واحدًا[١].

وقال الكسائي: حرفان من الاستثناء لا يقعان[٢] أكثر ما يقعان إلا مع الجحد، وهما: لكن وبل، والعرب تجعلهما مثل واو النسق[٣].

وقال المبرد: لكن من حروف العطف، وهي الاستدراك بعد النفي، ولا يجوز أن يدخل بعد واجب إلا لترك قصة إلى قصة تامة، نحو قولك: جاءني زيد لكن عبد الله لم يأت[٤].

وأما اختلاف القراء في تشديد (لكن) في بعض المواضع وتخفيفها في بعض، فلا معنى للمصير إلى التبعيض في هذه المواضع ونظائرها إلا بأن تترجح عند أحد من القراء بعض الروايات على بعض، فيصير إليه[٥].

ومعنى الآية: ولكن الشياطين كفروا بالله يعلّمون الناس السحر. يريد: ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر. ويجوز أن يكون (يعلّمون) من فعل اليهود الذين عُنُوا بقوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾[٦].

وسُمي السحرُ سحرًا؛ لخفاء سببه. ومنه: السِّحْر وهو الغِذَاء، كقول لبيد[٧]:

ونُسْحَرُ بالطعام وبالشراب[٨]

---

(١) نقل كلام الفراء صاحب «اللسان» ٧/ ٤٠٧٠، وقد ناقش أبو علي في «الحجة» ٢/ ١٧٩ ذلك وبين أن القياس لا يوجب هذا الذي ذكره الفراء من تشديدها مع الواو وتخفيفها مع عدمها.

(٢) في (ش): (لا تقعان).

(٣) نقل كلام الكسائي صاحب «اللسان» ٧/ ٤٠٧٠.

(٤) «المقتضب» للمبرد ١/ ١٢.

(٥) ينظر: «الحجة» ٢/ ١٧٩ - ١٨٠.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٥١-٤٥٢، «معاني للقرآن» للزجاج ١/ ١٨٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٦٢، «البيان» لابن الأنباري ١/ ١١٤، «التفسير الكبير» للرازي ٣/ ٢٠٥.

(٧) هو: أبو عقيل، لبيد بن ربيعة بن مالك العامر، تقدمت ترجمته [البقرة: ٢].

(٨) وشطره الأول: =

وذلك أن حاله خفيّة في التنمية[١]، والسَّحَر: الرئة؛ لأنها مما تخفى وليس مما يظهر. وسَحَر الليل: قبل ظهور الصُبح.

وقال المحققون من أهل اللغة: معنى السحر: الإزالة وصرف الشيء عن وجهه[٢]، تقول العرب: ما سَحَرك عن كذا، أي: ما صَرَفك عنه. ومنه: قوله تعالى: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون:٨٩] أي: تصرفون، ويقال: سحره، أي: أزاله عن البُغض إلى الحُبِ، وكأن السّاحر بما أرى الباطل في صورة الحق فقد سَحَر الشيء عن وجهه، أي: صرفه[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ موضع (ما) نصب، نسق على السحر، وجائز أن يكون نسقًا على ما في قوله: ﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾[٤].

ومعنى: ﴿أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾: أي: عُلِّما وأُلْهِما وقُذِفَ في قُلُوبِهِما

أرانا مُوضِعِين لأمر غيب

وفي رواية: لحتم غيبٍ، وهو لامرئ القيس في «ديوانه» ص ٤٣، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٤١، «لسان العرب» ٤/ ١٩٥٢، ونسبه المؤلف وكثير من أهل التفسير كالرازي في «تفسيره» ٣/ ٢٠٥ إلى لبيد.

(١) نقل الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٤١: أن معنى ونسحر بالطعام، أي نُعَلَّل به قال الرازي في «تفسيره» ٣/ ٢٠٥: قيل فيه (أي: البيت) وجهان: أحدهما أنا نعلل ونخدع كالمسحور. والآخر: نغذى، وأي الوجهين كان فمعناه الخفاء.

(٢) ينظر كلام الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/١٦٤١، ونقله صاحب «اللسان» ٤/ ١٩٥٢٥.

(٣) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٤١، «مقاييس اللغة» ٣/ ١٣٨، «المفردات» للراغب ٣٣١، ٣٣٢، «التفسير الكبير» ٣/ ٢٠٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٨، «اللسان» ٤/ ١٩٥٢.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٦٢ وصحح الأول، «تفسير الطبري» ١/ ٤٥٤-٤٥٥ «إعراب مشكل القرآن» ١/ ١٠٦، «التبيان» للعكبري ١/ ٨٠.

من علم التفرقة، وهو رقية[١] وليس بسحر، والرخصة في الرقية واردة. فقد روى عوف الأشجعي[٢] أنه قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا لرسول الله ﷺ كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن شرك**»[٣].

وقال ابن قتيبة: الذي أنزل الله على الملكين فيما يرى أهل النظر من أهل العلم والله أعلم هو الاسم الذي صعدت الزهرة فعلمته الشياطين، فهي تعلمه أولياءها، وقد يقال: إنّ السّاحر يتكلم بكلام فيطير بين السماء والأرض، ويطفو على الماء.

وذهب قومٌ ممن أبطلوا السّحر وأنكروا أن يكون له حقيقة[٤] إلى أن قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ ما فيه نفي[٥]، وذلك مستكره؛ لأنه إذا كان

---

(١) الرقية: العُوذَةُ التي يُرَقى بها صاحب الآفة، كالحُمَى والصرع وغير ذلك من الآفات. ينظر: «النهاية» لابن الأثير، «اللسان» ٣/ ١٧١١.

(٢) هو: عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو حماد، صحابي جليل، أول مشاهده خيبر، وكانت معه راية أشجع يوم الفتح، توفي بدمشق سنة ٧٣هـ. ينظر: «أسد الغابة» ٤/ ٣١٢.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٠) كتاب السلام، باب: لا بأس، وأخرجه أبوداود (٣٨٨٦) كتاب الطب، باب: ما جاء في الرقى واللفظ له.

(٤) اختلف الناس هل للسحر حقيقة أو أنه خدع وتخييل؟ فذهب المعتزلة إلى أنه خدع وتخييل، ولا حقيقة له؛ لقوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦]. والصحيح الذي عليه أهل السنة أنه يكون تخييلا وخدعا، ويكون حقيقة، ودليل كونه حقيقة قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾. ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٥٩-٤٦١، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٨- ٣٩، «المغني» لابن قدامة ١٢/ ٣٠٤.

(٥) ذكر هذا الوجه مكي بن أبي طالب في «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٠٦.

المعنى: لم ينزل على الملكين،[١] صار الكلام فضلًا لا معنى له. وإنما يجوز أن يكون (ما) نفيًا أن لو ادعى مدعي: أن السحر أنزل على الملكين، ويكون فيما تقدّم ذكر ذلك أو دليل[٢] عليه، فيقول الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾، ولم ينزل على الملكين كما ذكروا. ومثال ذلك: أن يقول مُبْتدئا: علمت هذا الرجل القرآن، وما أنزل على موسى. فلا يتوهم سامعُ هذا أنك أردت بقولك أن القرآن لم ينزل على مُوسى؛ لأنه لم يتقدّمه قول أحدٍ أنه أنزل على موسى، وإنما يتوهم السامع أنك علمتَه القُرآنَ والتوراةَ[٣].

ثم اعلم أن السحر على قسمين:

أحدُهما: يكفر به السّاحر، وهو أن يعتقد القدرة لنفسه، فإذا انتهى به السحر إلى هذه النهاية صار كافرًا بالله، وهذا السحر هو الذي عده رسول الله ﷺ في الكبائر في قوله: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قيل: يا رسول الله وما هنّ؟ قال: «**الشرك بالله، والسّحر، وقَتْل النفسِ التي حرّم الله إلاّ بالحقّ، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولّي يوم الزحف، وقذف المحصنة**».[٤]

والقسم الثاني: لا يكفر به، وهو التخييل الذي يشاكل النِّيرَنْجات، فإذا لم يعتقد لنفسه فيما يعمل قدرة، واعتقد القدرة لله تعالى، كانت معصية، ولم يكن ذلك كفرًا[٥].

---

(١) من قوله: مافيه... ساقط من (أ)، (م).

(٢) في (ش): (ذلك).

(٣) كلام ابن قتيبة لم أره في «غريب القرآن» و«تأويل مشكل القرآن».

(٤) أخرجه البخاري (٦٨٥٧) كتاب الحدود، باب رمي المحصنات، ومسلم (٨٩): الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها.

(٥) قد ذكر القرافي في «أنوار البروق في أنواع الفروق» ٤/ ١٣٧، أقسام السحر وأحكامه، وذكر القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٣٩: أن من السحر ما يكون كفرًا =

وأما قصّة الملكين فهي معروفة مذكورة في عدة مواضع[(١)].

= من فاعله، مثل ما يدعون من تغيير صور الناس وإخراجهم في هيئة بهيمة، فكل من فعل هذا ليوهم الناس أنه محق فذلك كفر منه، وأما من زعم أن السحر خدع ومخاريق وتمويهات فلم يَجِبْ على أصله قتل الساحر إلا أن يقتل بفعله أحدًا فيقتل به. ثم ذكر في ٢/ ٤٧ خلاف الفقهاء في حكم الساحر:

١- فذهب مالك إلى أن المسلم إذا سحر بنفسه بكلام يكون كفرًا يقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته ؛ لأنه أمر يستسرّ به كالزنديق والزاني؛ ولأن الله سمى السحر كفرًا في هذه الآية، وهو قول أحمد وأبي ثور وإسحاق والشافعي وأبي حنيفة، وروي قتل الساحر عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وأبي موسى وقيس بن سعد وعن سبعة من التابعين، وروي مرفوعًا: «**حدُّ الساحر ضربه بالسيف**».

٢- وروي عن الشافعي: لا يقتل الساحر إلا أن يقتل بسحره، ويقول: تعمدت القتل، وإن قال: لم أتعمده لم يقتل، وكانت فيها الدية كقتل الخطأ، وإن أضرَّ به أُدِّبَ على قدر الضرر. ينظر: «الأم» للشافعي ١/ ٢٩٣.

قال ابن العربي في «أحكام القرآن» ١/ ٤٨: وهذا باطل من وجهين: أحدهما: أنه لم يعلم السحر، وحقيقته: أنه كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى، وتنسب إليه المقادير والكائنات. الثاني: أن الله سبحانه قد صرح في كتابه بأنه كفر.

وينظر في المسألة: الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٥٣، و«أحكام القرآن» للجصاص ١/ ٧٢٥، و«المغني» ١٢/ ٣٠٢-٣٠٣، «زاد المسير» ١/ ١٢٦، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٤٧-١٥٢.

(١) ينظر في القصة وتفصيلاتها: «تفسير عبد الرزاق» ١/ ٥٣، والبزار في «المسند» برقم ٢٩٣٨، وعبد بن حميد كما في «المنتخب من مسنده» برقم ٧٨٧، وابن حبان ١٤/ ٦٣، والسمرقندي في «تفسيره» ١/ ١٤٣، والبيهقي في «سننه» ١٠/ ٤، الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٦٣، و«زاد المسير» ١/ ١٢٣، و«الدر المنثور» ١٨٥٨-١٩٣، والقرطبي ٢/ ٤٤-٤٥، قال: وقد روي عن علي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وكعب الأحبار، والسدي والكلبي ما معناه: فذكر القصة مجملة، ثم قال: هذا كله ضعيف وبعيد عن ابن عمر وغيره لا يصح منه شيء. أهـ. وقال «ابن كثير» في تفسيره: «وحاصلها راجع في تفاصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ =

وقوله تعالى: ﴿بِبَابِلَ﴾[1].

وبابل اسم أرض[2]، قيل: سميت لأن الله تعالى حين أراد أن يخالف بين ألسنة بني آدم بعث ريحا فحشرتهم من كل أفق إلى بابل، فبلبل الله بها

= ليس فيه حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لاينطق عن الهوى وظاهر سياق القرآن إجمال القصة في غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراد الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال». وقال أيضًا: «فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين، وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار، وتلقاه عنه طائفة من السلف، فذكروه على سبيل الحكاية والتحديث عن بني إسرائيل. ا.هـ. وقد أنكر القصة جماعة من أهل العلم منهم ابن حزم في «الفصل» ٣/ ٢٦١، ٤/ ٣٢، وابن عطية في «تفسيره» ١/ ٤٢٠، وابن العربي في «أحكام القرآن» ١/ ٢٩، والرازي في «تفسيره» ١/ ٢٣٧، والبيضاوي في «تفسيره» ١/ ٧٩، والخازن في «تفسيره» ١/ ٧١، وأبو حيان في «البحر» ١/ ٣٢٩، وابن كثير في «تفسيره»١/ ١٥١، والآلوسي في «روح المعاني» ١/ ٣٤١، والقاسمي في «محاسن التأويل» ١/ ٢١١، وغيرهم. وينظر استقصاؤهم في: «تحقيق العجاب» لابن حجر للأستاذ عبد الحكيم محمد الأنيس ١/ ٣٣٢-٣٤٢، وانتصر لتصحيحها الحافظ ابن حجر في «العجاب»، والسيوطي كما في «اللآلي المصنوعة» ١/ ١٥٩ و«مناهل الصفافي» تخريج أحاديث الشفاء للسيوطي ٤/ ٢٣١ كما أفاده الخفاجي عنه في «نسيم الرياض» ٤/ ٢٣١، وقال: وقد جمع الجلال السيوطي طرق هذا الحديث في تأليف مستقل فبلغت نيفًا وعشرين طريقًا.

(١) قال العكبري في «التبيان» ص٨١: ببابل، يجوز أن يكون ظرفًا لأنزل، ويجوز أن يكون حالًا من الملكين، أو من الضمير في أنزل.

(٢) ذكر الطبري في تفسيره ١/ ٤٥٩ فيها قولين: أنها: بابل رنباوند، أو أنها بابل العراق، وذكر ابن الجوزي في «تفسيره» ١/ ١٠٩ في حدها ثلاثة أقوال: أنها الكوفة وسوادها، والثاني: أنها من نصيبين إلى رأس العين، والثالث: أنها جبل في وهدة من الأرض، وقد رجح ابن كثير في تفسيره ١/ ١٥٢ أنها بابل العراق، واستدل لذلك. وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٦٣، «معجم ما استعجم» ١/ ٢٠٢، «معجم البلدان» ١/ ٣٠٩.

أَلْسِنَتِهم، ثم فرقتهم تلك الريح في البلاد[١] . والبلبلة: التفرِيقُ[٢] .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ اختلفوا في تعليم الملكين السحر، فذكر أهل التفسير وأصحاب المعاني فيه وجهين[٣]:

أحدهما: أنهما كانا لا يتعمدان تعليم السحر، ولكنهما يصفانه، ويذكران بطلانه، ويأمران الناس باجتنابه، وكانا يعلمان الناس وغيرهم ما يُسألان عنه، ويأمران باجتناب ما حُرِّم عليهم، وطاعة الله فيما أُمروا به، ونهوا عَنْهُ. وفي ذلك حكمة، لأن سائلًا لو سأل: ما الزنا؟ وما اللواط؟ لوجب أن يوقف عليه، ويعلم أنه حرام، فكذلك مجاز إعلام الملكين الناس السحر، وأمرهما السائل باجتنابه بعد الإعلام والإخبار أنه كفر حرام[٤] . ويؤكد هذا الوجه: ما روى أبو العباس عن ابن الأعرابي أنه قال: عَلَّم بمعنى أعلم، وذلك أن التعليم لا ينفك عن الإعلام، كما يقال: تعلَّمْ بمعنى أعلَمْ؛ لأن من تعلم[٥] شيئا فقد عَلِمَه، فيوضع التَّعَلُّم موضع العلم[٦].

قال قيس بن زهَير:

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٦٣، «زاد المسير» ١/ ١٢٥، «القرطبي» ٢/ ٤٦.

(٢) ينظر: «القاموس» ٩٦٨-٩٦٩.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٦١-٤٦٢-٤٦٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٣-١٨٤، «تفسير البغوي» ١/ ١٢٩، «زاد المسير» ١/ ١٢٢، «القرطبي» ٢/ ٤٨.

(٤) من «تهذيب اللغة» للأزهري ٣/ ٢٥٥٤ مادة (علم) ومنه نقل الثعلبي ١/ ١٠٨٥.

(٥) ساقطة من (أ)، (م).

(٦) نقله عن ابن الأعرابي والأزهري في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٥٤، والقرطبي في «تفسيره» ٢/ ٤٨، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٣٠.

تَعَلَّمْ أنّ خيرَ الناس حيًّا على جَفْر الهَباءةِ لا يَريم[١]

أي: اعلم.

قال ابن الأعرابي: ومن هذا قول الله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ قال معناه: إن السّاحر يأتي الملكين فيقول: أخبرني عمّا نهى الله عنه حتى أنتهي، فيقولان: نهى عن الزنى، فيستوصفُهما الزِنى، فيصفانه، فيقول: وعن ماذا؟ فيقولان: عن اللواط، ثم يقول: وعن ماذا؟ فيقولان عن السحر، فيقول: وما السّحر؟ فيقولان: هو كذا، فحفظه، وينصرف فيخالف، فيكفر، فهذا معنى ﴿يُعَلِّمَانِ﴾[٢] ولا يكون تَعليم السحْر إذا كان إعلامًا كفرًا، ولا تعلّمه إذا كان على معنى الوقوف عليه ليجتنبه كفرًا، كما أن من عرَّف الزنى لم يأثم بأنه عرَّفه، إنما يأثم بالعمل[٣].

الوجه الثاني: أن الله ﷻ امتحن الناسَ بالملكين في ذلك الوقت، وجعل المحنةَ في الكفر والإيمان أن يقبل القائل تعلُّم السحر، فيكفر بتعلّمه، ويؤمن بترك التعلّم، ولله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء، كما امتحن الله[٤] بنهر طالُوت في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ [البقرة:

---

(١) البيت لقيس بن زهير في «مقاييس اللغة» ٤/ ١١٠، و«لسان العرب» ٥/ ٣٠٨٣ مادة (علم).

(٢) هذا فيه زيادة في (ش) إنما هو يعلمان ولا يكون.

(٣) نقل هذا بطوله الأزهري في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٥٥ مادة (علم)، ومنه أخذ الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٨٥، ونصر هذا القول الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٥٣-٤٥٥، وقواه الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٨٣-١٨٤، قال ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٥٢-١٥٣: وهذا الذي سلكه [يعني: ابن جرير] غريب جدًّا، وأغرب منه قول من زعم أن هاروت وماروت قبيلان من الجن كما زعمه ابن حزم.

(٤) في (ش): (كما أنه امتحن بنهر طالوت).

٢٤٩]. يدل على صحة هذا: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي: محنة من الله نُخبرك أنَّ عملَ السحر كفر بالله، وننهاك عنه، فإن أطعتنا في ترك العمل بالسحر نجوتَ، وإن عصيتنا في ذلك هلكتَ[١].

وروي عن ابن عباس أنه قال: أما السحر فمما[٢] علّمت الشياطين، وأما الفرق بين المرء وزوجه فمما علّم الملكان[٣].

ثم وجه تعليم الملكين أنه يجوز أن يلهمهما الله ويعلّمهما من الأذكار والأسماء ما يعلمان أنها إذا استعلمت على جهة الدعاء أو على جهة الرقية أفادت التفريق بين المرء وزوجه، إذ لا يحسن بحالهما وما هما فيه من عقوبة الذنب السابق أن يشتغلا بارتكاب كبيرة مستأنفة.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ أي: أحدًا، و مِنْ زائدة مؤكدة، كقولك: ما جاءني من أحدٍ[٤].

وأما (أحد)[٥] فقال الليث:

---

(١) من «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٨٥ وذكر أنه الأصح. وينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٣، «تفسير الطبري» ١/ ٤٥٥، «تفسير السمعاني» ١/ ٥٧٥، «تفسير الرازي» ٣/ ٢٨٣.

(٢) في (ش): (فما).

(٣) رواه بمعناه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٨٨، ورواه الطبري بسنده عن مجاهد ١/ ٤٥٤، وروى نحوه ١/ ٤٥٣ عن قتادة، وكذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٨٠ وعزاه في «الدر» ١/ ١٩٤ لعبد بن حميد.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٣٠، وقال: من زائدة لتأكيد استغراق الجنس، لأن أحداً من الألفاظ المستعملة للاستغراق في النفي العام فزيدت هنا لتأكيد ذلك.

(٥) قال العكبري في «التبيان» ١/ ٨١: وأحد هاهنا يجوز أن تكون المستعملة في العموم، كقولك ما بالدار من أحد، ويجوز أن تكون هاهنا بمعنى واحد أو إنسان قال في «البحر المحيط» ١/ ٣٣٠: والأول أظهر.

أصله: وحد[١]، ونحو ذلك قال الزجاج[٢].

وقال أحمد بن يحيى: واحد وأحد وَوَحد بمعنى[٣].

وقال الليث: الوحَد: المنفرد، ورجل وحدٌ، وثور وحدٌ، قال النابغة[٤]:

بذي الجليل[٥] على مستأنسٍ وَحَدِ[٦]

والوَحْد والحِدَة كالوَعْد والعدة، يقال: وَحَدَ الشيءُ فهو يحِد حِدَةً.

وفرّق قوم بين الواحد والأحد، فقالوا: أحد يصلح في الكلام في موضع الجحد، و واحد في موضع الإثبات. تقول ما جاءني منهم أحد، وجاءني منهم واحد، ولا يقال: جاءني منهم أحد؛ لأنك إذا قلت: ما جاءني منهم أحد، فمعناه لا واحد ولا اثنان، وإذا قلت: جاءني منهم واحد، فمعناه: أنه لم يأتني منهم اثنان[٧]. وأكثر ما جاء (أحد) في التنزيل في موضع النفي.

---

(١) نقلة في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٦، (مادة: وحد).

(٢) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٤، «اللسان» ٨/ ٤٧٨٠، (مادة: وحد).

(٣) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٤: ثعلب عن سلمة عن الفراء: رجل وَحيدٌ وَوَحَدٌ وَوَحِدٌ، وكذلك فريد وفَرَدٌ مادة (وحد).

(٤) هو: الذبياني أبو أمامة زياد بن معاوية بن ضباب، من الطبقة الأولى، من فحول شعراء الجاهلية، كان يحكم بين الشعراء في سوق عكاظ ويفاضل بينهم. ينظر: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٥٦، و«جمهرة أشعار العرب» ١/ ٣٠٣.

(٥) في (م) و(أ): (الخليل).

(٦) صدر البيت:

كأن رحلي وقد زال النهار بها

والبيت، من قصيدة قالها يمدح النعمان بن المنذر، ينظر: «ديوانه» ص ١٧، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٤ مادة (وحد).

(٧) من «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٥، وعنه في «اللسان» ٣/ ٤٤٨، (مادة: وحد).

قال أبو علي: وقد استعملوا أحدًا بمعنى واحد، وذلك قولهم: أحد وعشرون، وفي التنزيل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[١] [الصمد: ١].

وسنذكر الكلام في (أحد) صفة الله تعالى في سورة الإخلاص، والكلام في (واحد) نذكره في[٢] قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] إن شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ معنى الفتنة في كلام العرب: الابتلاء والامتحان[٣]، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنتُ الفضة والذهب: إذا أذبتهما بالنار؛ ليتميز الرديء من الجيد، وتعرف جودتهما من الرداءة، ومن هذا قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣] أي: يحرقون بالنار، ومن هذا قيل للحجارة السود التي كأنها أحرقت بالنار: الفتين، هذا هو[٤]، ثم جعل كل امتحان فِتْنَة، وقد جعل الله امتحانه عبيده

---

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٧ - (مادة: وحد)، «مقاييس اللغة» ٦/ ٩٠، «اللسان» ٨/ ٤٧٨٠ (مادة: وحد)، وقال صاحب «المفردات» ص ٢١-٢٢ ما حاصله: أحد يستعمل على ضربين: أحدهما في النفي فقط، نحو: ما في الدار أحد. والثاني: في الإثبات، وهو على ثلاثة أوجه: الأول: في الواحد المضموم إلى العشرات، نحو أحد عشر. والثاني: أن يستعمل مضافًا إليه بمعنى الأول، كقوله: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٤١]، وقولهم: يوم الأحد، أي يوم الأول، ويوم الاثنين. والثالث: أن يستعمل مطلقًا وصفًا، وليس ذلك إلا في وصف الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

(٢) في (م): (عند).

(٣) قال في «مقاييس اللغة» ٤/ ٤٧٢: الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على ابتلاء واختبار.

(٤) من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٨، (مادة: فتن).

المؤمنين باللأواء ليبلو صبرَهم فيثيبهم، أو جزعهم[١] على ما ابتلاهم به فيجزيهم، جزاؤهم فتنة فقال: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٢] قيل في تفسيره: وهم لا يُبلَون في أنفسهم وأموالهم، وكذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣] أي: اختبرنا[٢].

والفتنة تستعمل في معانٍ كثيرة، ترجع كلها إلى الأصل الذي ذكرنا عند النظر، والفتنة مصدر؛ لذلك[٣] لم يُثَنَّ[٤].

ويقال: فَتَنَه وأَفْتَنَه، والأول: لغة أهل الحجاز، والثاني: لغة أهل نجد، وقال أعشى همْدان:

لئن فَتَنَتْني لَهْيَ بالأمس أفْتَنَتْ سعيدًا فأمسى قد قَلَى كلَّ مُسلم[٥]

وكان الأصمعي ينكر أفتَنَه[٦]، وذُكر له هذا البيت فلم يعبأ به[٧]. وأكثر أهل اللغة أجازوا اللغتين[٨]. ومعنى فتنته فلانة: أي: اختبرته، كأنه اختبر بها لجمالها.

---

(١) في (ش): (جوعهم).

(٢) بمعناه من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٨، (مادة: فتن).

(٣) في (ش): (كذلك).

(٤) ينظر: «الوسيط» ١/ ١٨٥.

(٥) البيت لأعشى همدان، وقيل: لابن قيس الرقيات، كما في «اللسان» ٦/ ٣٣٤٥، (مادة: فتن) وذكر أنه قيل في سعيد بن جبير، وقال الأصمعي: هذا سمعناه من مخنث، وليس بثبت؛ لأنه كان ينكر أفتن. وينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٩، (مادة: فتن).

(٦) في (ش): (افتنته).

(٧) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٩، (مادة: فتن)، «اللسان» ٦/ ٣٣٤٤.

(٨) ماتقدم من «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٩، (مادة: فتن).

وقال الليث: يقال فِتَنَه يَفتِنُه، ففَتَنَ بمعنى: افتتن، فجعله لازمًا ومتعدّيًا[١]، وقال:

رخيم الكلام قطيع القيا م أمسى الفؤاد به فاتنا[٢]

قال الأزهري: يقال: افْتَتَنَهُ[٣] فافْتَتَنَ، واقعًا ومطاوعًا، وهو صحيح ذكره ابن شُميل[٤].

وأما فَتَنْته فَفَتَنَ فهي لغة ضعيفة[٥].

ومعنى قوله: ﴿إِنَّما نحنُ فتنةٌ﴾ أي: ابتلاء واختبار لكم[٦]

وقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا﴾[٧] هذا الفعل منسوق على فعل مقدّر يدل عليه الكلام، كأنه قال: حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فَيَأْبَون فيتعلمون[٨].

---

(١) نقله في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٩، (مادة: فتن).

(٢) البيت في: «اللسان» ٦/ ٣٣٤٥، (مادة: فتن)، ولم ينسبه، وروايته: أمسى فؤادي بها فاتنا.

(٣) في (م): (افتنته).

(٤) هو: النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم التميمي، تقدمت ترجمته.

(٥) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٤٠، ينظر في فتن: «المفردات» ٣٧٤، «اللسان» ٦/ ٣٣٤٥، «تاج العروس» ١٨/ ٤٢٤-٤٢٨.

(٦) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٣٩.

(٧) ينظر في إعرابها: «التبيان» ص٨٠، «البحر المحيط» ١/ ٣٣١، وقد لخص أبو حيان الكلام فيها بقوله: وتلخص في هذا العطف أنه عطف على محذوف، تقديره: فيأبون فيتعلمون، أو يعلمان فيتعلمون، أي: على مثبت، أو يتعلمون: خبر مبتدأ محذوف، أي: فهم يتعلمون عطف على جملة اسمية على فعلية، أو معطوف على يعلمون الناس أو معطوفًا على كفروا أو على يعلمان المنفية، لكونها موجبة في المعنى، فتلك أقوال ستة أقربها إلى اللفظ هذا القول الأخير.

(٨) وهذا اختيار «الطبري» ١/ ٤٦٢واستحسنه الزجاج ١/ ١٨٥ لكنه جوّد ما بعده.

قال ابن الأنباري: وصلح إضمار يأبون هنا كما صلح إضمار الفعل في قوله: ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣] والعرب تحمل على المعنى كثيرًا، من ذلك قول الفرزدق:

فكيف بليلةٍ لا نجمَ فيها ولا قمر لساريها منيرِ[(١)]

عطف (ولا قمر) على مقدر في المعنى، كأنه قال: فكيف بليلة ليست بليلة نجم ولا قمر.

قال أبو إسحاق: والأجود في هذا أن يكون عطفًا على ﴿يُعَلِّمَانِ﴾ ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾، ويستغنى[(٢)] عن ذكر ﴿يُعَلِّمَانِ﴾؛ لما[(٣)] في الكلام من الدليل عليه[(٤)]. وقال الفرّاء: هي مردودة على قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ فيتعلّمون[(٥)].

قال الزجّاج: هذا خطأ؛ لأن قوله: (منهما) دليل هاهُنا على التعلم مِنَ الملكين خاصّةً[(٦)].

---

(١) ورد البيت هكذا:

فكيف بليلة لا نوم فيها ولا ضوء لصاحبها منير

والبيت للفرزدق، ينظر: «ديوانه» ص ٢٢١.

(٢) في «معاني القرآن» للزجاج: واستغنى.

(٣) في «معاني القرآن» للزجاج: بما.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٥، وينظر: «التبيان» للعكبري ص٨١.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٤، وقد جود الوجه الأول، ورد عليه النحاس هذا الوجه في «إعراب القرآن» ١/ ٢٠٤، فقال: غلط؛ لأنه لو كان كذا لوجب أن يكون فيتعلمون منهم، فقوله: منهما، يمنع أن يكون التقدير: ولكن الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر فيتعلمون، إلا على قول من قال الشياطين هاروت وماروت.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٥، وقد أطال أبو علي في «الإغفال» ص ٣٣٥-٣٤٩ النفس في مناقشة كلام الزجاج.

وابن الأنباري صحح مذهب الفراء، وقال: معناه: يعلّمون الناس السحر فيتعلّمون منهم عن[1] الملكين، فلا يكون (منهما) على هذا صلة للتعلم، بل يكونُ كقولك: تعلمت من الفراء عن الكسائي، أي: الفراء تعلم عنه، وروى لي[2] عنه، (ومنهما) على هذا الوجه يكون بمعنى: عنهما، فقامت مِنْ مقام عن.

قال هشام: قال الأصمعي: سمعت[3] أفصح العرب يقول: حدثني فلان من فلان، وهو يريد عن فلان.

ويجوز أن يكون معنى قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ أي: مِن السّحر والكُفر، أو من السحر والكهانة.. و(أحدٌ): يقع على الواحد وَالاثنين والجميع؛ لذلك[4] قال: فيتعلّمُون بلفظ الجمع، والدليل على ذلك: قوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧].

قال ابن الأنباري: وأجاز أصحابنا: ما مررت بأحدٍ يتكلّمون. ومررت على كُلّ رَجُل يتعجبون[5].

وروى سَلَمة[6] عن الفراء قال: (أحدٌ)، يكون للجميع والواحد في النفي، كقوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] جعل (أحد) في موضع جمع، وكذلك قوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

---

(١) في (أ): فيتعلمون عن منهم عن الملكين، وفي (م): فيتعلمون عن منهم من الملكين.

(٢) (لي) ساقطة من (م)

(٣) في (م): (سمعت من).

(٤) في (ش): (كذلك).

(٥) ابن الأنباري.

(٦) هو: سلمة بن عاصم النحوي أبو محمد، تقدمت ترجمته [البقرة: ٨].

فهذا جمع؛ لأن (بينَ) لا يقع إلّا على اثنين فما زاد[١].

وقوله تعالى: ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ وهو أن يُؤَخَّذَ[٢] كل واحد منهما عن صاحبه، ويبغّضَ كلُّ واحد إلى الآخر[٣].

وقوله تعالى: ﴿مَا هُم﴾ أي: السحرة، وقيل: الشياطين وعلى هذا دلّ كلام ابن عبّاس[٤].

(به) أي: بالسحر ﴿مِنْ أَحَدٍ﴾ أي: أحدًا[٥].

﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. قال ابن عبّاس: يريد: ما يُضلّون إلا من كان في علمي وقضائي وقدرتي أن أُضِلّه[٦].

وقال المفسرون: الإذن هاهُنا تأويله: إرادة التكوين، أي: لا يضرّون بالسحر إلّا من أراد الله أن يلحقه ذلك الضرر[٧].

---

(١) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٦ وقال سيبويه: هو معطوف على (كفروا)، قال: وارتفعت (فيتعلمون) لأنه لم يخبر عن الملكين أنهما قالا: لا تكفر فيتعلموا، ليجعلا كفره سببًا لتعلم غيره، نقله أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٣١.

(٢) يؤخذ: من التأخيذ، وآخذه: رقاه، والأُخْذَة: بضم فسكون: رقية تأخذ العين ونحوها كالسحر، أو خرزة يؤخذ بها النساء الرجال، ورجل مؤخذ عن النساء: محبوس، ينظر: «اللسان» (مادة: أخذ).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٦٣، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ١٩٣، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٨٠ كلهم عن قتادة.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٣٢ وزاد قولًا ثالثًا: وقيل: على اليهود.

(٥) أي: من زائدة. ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٨٦، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٤٩، «تفسير «القرطبي» ٢/ ٤٩، «البحر المحيط» ١/ ٣٣٢.

(٦) ليس في شيء من التفاسير المسندة، وقد تقدم الحديث عن هذه الرواية في المقدمة.

(٧) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٦٤، «ابن أبي حاتم» ١/ ١٩٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٦، «تفسير القرطبي» ٢/ ٤٩.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ المعنى: إنه يضرهم في الآخرة، وإن تعجّلوا به في الدنيا نفعًا[١].

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ يعني: اليهود[٢] ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ أي: اختاره يعني السحر[٣]. ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ أي: نصيب. والخلاق: النصيب الوافر من الخير[٤].

قال المفسرون في هذه الآية، الخلاقُ: النصيبُ من الجنة[٥].

ثعلب عن ابن الأعرابي: ﴿لَا خَلَاقَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ٧٧] لا نصيب لهم في الخير. ويعني بهذا: الذين يعلّمون الناس السحر، وهم كانوا من علماء اليهود[٦].

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٦٤.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٦٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٨٦، وذكره في «البحر المحيط» ١/ ٣٢٣ قولين آخرين أحدهما: أن المراد الشياطين، والثاني: أن المراد الملكين.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٦٥، ابن أبي حاتم ١/ ١٩٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٨٦، «زاد المسير» ١/ ١٢٥، وذكر في «البحر المحيط» ١/ ٣٣٤ أربعة أقوال فيما يعود عليه الضمير، فقيل: السحر، وقيل: الكفر، وقيل: كتابهم الذي باعوه بالسحر، وقيل: القرآن لأنه تعوضوا عنه بكتب السحر.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٧، «الطبري» ١/ ٤٦٥- ٤٦٦، «ابن أبي حاتم» ١/ ١٩٥، «البحر المحيط» ١/ ٣٣٤، وذكروا خمسة أقوال هي: النصيب، والدين، والقوام، والخلاص، والقدر وقد فسره بالنصيب ابن عباس ومجاهد والسدي ورجحه الطبري والزجاج وغيرهما.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٦٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٨٦.

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٦، «زاد المسير» ١/ ١٢٥.

وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ جملتان[١]: إحداهما: مقسم عليها. والأخرى: مؤكدة بغير قسم.

ويحتمل أن تكون الجملتان كلتاهما مقسم عليهما، والجملة هي المحدّث عنه والحديث.

فأما الجملة المقسم عليها فقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ مقسم عليه؛ لدخول اللام في لقد، وهذه اللام إذا جاءت في الفعل الماضي والمستقبل فإنما تجيء على نية اليمين، كانت مذكورة معها أو محذوفة. قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله: ليفعلنّ إذا جاءت مبتدأة؟ فقال: هي على نية القسم[٢]، واللام التي تدخل على الماضي هي هذه التي إذا دخلت على المستقبل لزمته النون، فتقدير ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾: والله لقد علموا.

والأخرى المؤكدة غير المقسم عليها: قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ إذا جعلت (مَنْ) بمعنى (الذي) كانت اللام للتأكيد دون القسم.

ومذهب سيبويه فيه هذا، وهو أن (من) فيه بمعنى (الذي)، كأنه قيل: للذي اشتراه ماله في الآخرة من خلاق[٣]. فموضع (من) رفع بالابتداء.

---

(١) ما سيأتي في المسألة من كلام أبي علي في «الإغفال» ص **٣٦٢** وما بعدها. وينظر في إعرابها «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٥ - ٦٩، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٦-١٨٧، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٠٤، «إعراب مشكل القرآن» ١/ ١٠٦-١٠٧، «التبيان» للعكبري ص٨١.

(٢) «الكتاب» ١/ ٥٣١ - ٥٣٢ ط. بيروت.

(٣) ساقط من (أ)، (م).

وموضع ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ رفع على أنه خبر الابتداء. وأما احتمال الكلام أن يكون فيه جملتان كلتاهما مقسم عليهما:

فالأولى منهما أيضًا: قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾، والأخرى المقسم عليها: قوله: ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾، وذلك أن تجعل (من) شرطًا في قوله: ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ ولا تجعله بمنزلة الذي. وتجعل قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾ بمنزلة القسم؛ لأن العلم قد يقام مقام القسم، في مثل قولك: علمت ليفعلنّ كذا، وفي مثل قول الشاعر[1]:

ولقد علمتُ لتأتينّ عَشِيّةٌ لا بعدها خوفٌ عليّ ولا عَدَمْ[2]

قال سيبويه: كأنه قال: والله لتأتينّ عَشِيَّة، فحمل (علمت) في البيت على معنى اليمين. فمن حيث استعمل القسم صلح أن يكون له جواب، كما يكون للقسم، وساغ أن يكون النفي جوابًا له في الآية.

فإن قيل: على هذا إذا قلتم: إن قوله: ﴿لقد علِمُوا﴾ مقسم عليه، وجوزتم أن يكون هو في نفسه قسمًا، فكأنه قسم قد دخل على قسم، ويبعد ذلك عند سيبويه، فإن سيبويه والخليل قالا: لا يقوى أن يقول: وحقّك وحقِّ زيد لأفعلن، والواو الآخرة واوُ قَسم لا يجوز إلا مستكرهًا؛ لأنّه لا يجوز هذا في محلوف عليه، إلا أن تضم الآخر إلى الأوّل، وتحلف بهما على المحلوف عليه[3].

---

(١) الذي استشهد به أبو علي في «الإغفال» ص ٣٦٦ ونقله عنه سيبويه هو قول الشاعر: ولقد علمت لتأتين منيتي.

(٢) البيت لعامر بن حوط، في تاج العروس، (مادة: عدم). «المعجم المفصل» ٧/ ١٦٣.

(٣) «الكتاب» لسيبويه ٣/ ٥٠١ ط. عبد السلام هارون.

ولهذا جعل هو والخليل الحرف في قوله: ﴿والليلِ إذا يغشى * والنهارِ إذا تجلّى﴾ [الليل: ١-٢] إنه للعطف[١]. معنى ضم الآخر إلى الأوّل، أي: يضم إليه بحرف العطف[٢] دون القسم، قلنا: هذا على ما ذكرت، ولكن قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾ أقيم مقام القسم، وليس كالمختصّ بالقسم التي لا معنى لها غيره، نحو لعمرُك لأفعلنّ، وبالله[٣] ليقومنّ، فليس يدخل على هذا قسم على قسم على[٤] الحقيقة، إنما يدخل[٥] على شيء أقيم مقام القسم، وأصله غير ذلك، والأول هو الوجه الواضح[٦].

قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: بئس شيء باعوا به حظ أنفسهم، حيث اختاروا السحر ونبذوا كتاب الله[٧].

وقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ إن قيل: كيف نفى العلم عنهم، ولقد أثبت العلم لهم في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾.

قيل: وصفهم بالعلم[٨] في قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾ على المجاز لا على الحقيقة، كأنه قال: علموا هذا عِلمًا ظاهرًا، ولم يعلموا كنه ما يصير

---

(١) المصدر السابق.

(٢) من قوله: معنى (ضم الآخر) ساقط من (ش).

(٣) في (ش): (وتالله).

(٤) (على) ساقطة من (ش).

(٥) في (ش) يدخل الاسم على شيء.

(٦) هذه المسألة بتمامها ملخصة من كلام أبي علي في «الإغفال» ص ٣٦٢ - ٣٦٨.

(٧) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٦٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٨٧، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٥٤.

(٨) في (ش): (وصفهم بالعلم ثم نفاه عنهم في قوله. . . وهذا سيأتي).

إليه من بخس الآخرة من العقاب، لذلك[1] قال: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

وقيل: إن الله تعالى وصفهم بالعلم ثم نفاه عنهم؛ لأنهم لم يعملوا بما علموا، فكانوا بمنزلة من لم يعلم، كما تقول: صلّيتَ ولم تصلِّ، وتكلّمتَ ولم تتكلّم، أي: لم تجوّد كلامك، فكنت بمنزلة من لم يتكلم.

وقيل: إنما وصفهم بوصفين مختلفين؛ لأنهم علموا أن الآخرة يخسرها من آثر السحر، ثم دخلوا فيه وآثروه طمعًا في عوض يصير إليهم من الدنيا، فقال الله ﷻ: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ أن الذي قصدوه وآثروه لا يتم لهم من جهته ما يؤمِّلون؛ لأن الدنيا تنقطع عنهم بالموت، ثم يقدمون على الآخرة التي لا حظ لهم فيها[2].

١٠٣- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ أي: بمحمد والقرآن ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ اليهودية والسحر[3].

---

(١) في (ش): (كذلك).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٦٧، «تفسير البغوي» ١/ ١٣٢، «التفسير الكبير» للرازي ٣/ ٢٢٢، «البحر المحيط» ١/ ٣٣٤، وأجاب الطبري ١/ ٤٦٦ بأنه من باب التقديم والتأخير، ومعنى الكلام: وما هم ضارون به من أحد إلا بإذن الله، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون، ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق، ثم رد على من قال: ولقد علموا، أي: الشياطين، ولو كانوا يعلمون، يعني به الناس، وبين أنه قول لجميع أهل التأويل مخالف، لأنهم مجمعون على أن قوله (ولقد علموا)، يعني به اليهود إلخ ما قال.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٨٧، «تفسير الطبري» ١/ ٤٦٨، «تفسير البغوي» ١/ ١٣٢.

﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ يقال: أثابه إثابة ومَثَابة، والاسم: الثواب والمَثُوبَةُ والمثْوَبَةُ بفتح الواو[١]، كالمَشُورَة والمَشْوَرَة.

قال أبو العباس: الثوابُ في الأصل معناه: ما رجع إليك من عائدة، وحقيقته[٢]: الجزاء العائد على صاحبه مُكَافأةً لما فعل، ومنه: التَّثْويب في الأذان، إنما هو ترجيع الصَوْت، ولا يقال لصوتٍ مرةً واحدةً: تثويب، ويقال: ثوّب الداعي: إذا كرر دعاه كما قال:

إذا الداعي المُثوّبُ قال: يالا[٣]

والثوب مشتقّ من هذا؛ لأنه ثاب لباسًا بعد أن كان قُطنا أو غزلا[٤].

وقوله تعالى: ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ في موضع جواب لو؛ لأنه ينبئ عن قولك: لأثيبُوا، فَحُذِفَ الجواب، وجُعل قوله: ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ بدلًا منه، واللامُ فيه لام الابتداء[٥].

---

(١) المثْوَبة: بفتح الواو شاذ كما قال اللحياني. ينظر: «اللسان» ١/ ٥١٩، (مادة: ثوب).

(٢) في (أ)، (ش): (والحقيقة).

(٣) البيت نسب لزهير بن مسعود الضبي، ينظر: «لسان العرب» ٨/ ٤٩٧٦ (مادة: يا) غير منسوب. «المعجم المفصل» ٦/ ٨١. ونسب إلى الفرزدق في «لسان العرب» ٧/ ٤١٠٥ (لوم).

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٦٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٦، «تهذيب اللغة» ١/ ٤٦٣ (مادة: ثاب)، «المفردات» للراغب الأصبهاني ٨٩، «مقاييس اللغة» ١/ ٣٩٣، وقال: الثاء والواو والباء قياس صحيح من أصل واحد وهو العود والرجوع.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٧ و«البحر المحيط» ١/ ٣٣٥، وقد ذكر الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٦٨ أن بعض نحويي البصرة يرد ذلك، ويرى أن الجواب (المثوبة)

ومعنى الآية: أن ثواب الله خير لهم من كسبهم بالكفر والسحر[١].

١٠٤- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ يقال: أرعى إلى الشيء، وراعاه: إذا أصغى إليه، مثل: عافاه وأعفاه. قال الفراء: هو من الإرعاء والمراعاة[٢].

وقال أبو العباس أحمد بن يحيى: راعِنا سمعَك، أي: اسمع منّا حتى نفهمَك وتفهمَ عنّا، والعرب تقول: أرْعِنا سمعَك، وراعِنا سمعَك بمعنى واحد[٣]. وأصل الكلمة من الرعاية[٤]، الذي هو الحفظ، فمعنى أرعيته سمعي، أي: حفظت عليه ما يقول. والمراعاة: المراقبة لأنها حفظ ما يكون من أحوال الشيء، والإرعاء: الإبقاء على أخيك؛ لأنك تحفظ ما تقدم من حقه[٥].

قال الكلبي: عن ابن عباس: كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: راعِنا سمعك، وكان هذا بلسان اليهود سبًا قبيحًا، فلما سمعوا هذه الكلمة

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٧، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٨٧، و«مشكل إعراب القرآن» ١/ ١٠٨، و«التبيان» ص٨١، و«البحر المحيط» ١/ ٣٣٥.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٩.

(٣) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٣٠، (مادة: رعن).

(٤) ذكر الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٨٨ أن في (راعنا) ثلاثة أقوال: أحدها: راعنا، من أرعنا سمعك. والثاني: من المراعاة والمكافأة، فقيل لهم: لا تقولوا: راعنا، أي: كافئنا في المقال، كما يقول بعضهم لبعض، وقولوا أنظِرنا، أي: أمهلنا، واسمعوا، كأنه قيل لهم استمعوا. والثالث: راعنا، كلمة تجري على الهزء والسخرية، فنهي المسلمون أن يتلفظوا بها بحضرة النبي ﷺ.

(٥) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٣٠، «المفردات» للراغب ٢٠٤، «مقاييس اللغة» ٢/ ٤٠٧، «البحر المحيط» ١/ ٣٣٦، «تاج العروس» ١٨/ ٢٣٨ (رعن).

يقولونها لرسول الله ﷺ أعجبتهم، وكانوا يأتونه ويقولون ذلك، ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ[١]، وكان يعرف لغتهم، فقال: عليكم لعنة الله، لئن سمعتُها من رجلٍ منكم يقولها لرسول الله ﷺ[٢] لأضربنّ عنقه، فقالت اليهود[٣]: أولستم تقولونها؟ فأنزل الله هذه الآية، ونُهوا عن ذلك[٤].

وهذا النهي اختص بذلك الوقت؛ لإجماع الأمة على جواز المخاطبة بهذه اللفظة الآن.

---

(١) سعد بن معاذ بن النعمان الأنصاري الأشهلي، أبو عمرو سيد الأوس، شهد بدرًا، واستشهد من سهم أصابه بالخندق، ومناقبه كثيرة. ينظر: «تقريب التهذيب» ص ٢٣٠ (٢٢٥٥) ط. دار الرسالة.

(٢) من قوله: أعجبتهم... ساقطة من (ش).

(٣) ساقطة من (ش).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» ١/ ٤٧ من طريق عبد الغني بن سعيد عن موسى ابن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس، والإسنادان ضعيفان كما ذكرت في الدراسة. وذكر الثعلبي القصة ولم يسندها لأحد ١/ ١٠٨٧ وكذا قال مقاتل في «تفسيره». وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص ٣٦، عن عطاء عن ابن عباس، والسيوطي في «لباب النقول» ص ١٩ وفي «الدر» ١/ ١٩٥- ١٩٦ وعزاه لأبي نعيم في «الدلائل». ويشهد له ما أخرجه الطبري ١/ ٤٦٩ عن قتادة بمعناه، وذكره ابن حجر في «العجاب» ١/ ٣٤٤، وفي «فتح الباري» ٨/ ١٦٣ وقال: وروى أبو نعيم في «الدلائل» بسند ضعيف جدًا عن ابن عباس.

والصحابي الذي ذكره الواحدي في «أسباب النزول» هو سعد بن عبادة، وكذا هو عند مقاتل في «تفسيره» ١/ ٥٩. وهناك أسباب أخرى وردت في نزول الآية، ذكرها الطبري ١/ ٤٧٠، وابن أبي حاتم ١/ ١٩٦، والسيوطي في «الدر» ١/ ١٩٥-١٩٦

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ أي: انتظرنا والعرب تقول: نظرت فلانًا، أي: انتظرته، قال الحطيئة:

وقـد نَـظَـرْتُـكُـمُ إيـنـاءَ صَـادِرةٍ[1]

ومعنى (انظرنا) ها هنا: اصبر حتى نفهمك ما نقول، ويجوز أن يكون (انظرنا) أي: انظر إلينا، فحذف حرف الصفة، كقول قيس بن الخطيم[2]:

ظاهراتُ الجَمالِ والحُسْنِ ينظُرنَ كـمـا يـنـظـرُ الأراكَ الـظـبـاءُ[3]

---

(١) عجز البيت:

للخمس طال بها حَوْزي وتنساسي

في «ديوانه» ص ١٠٦، «تفسير الطبري» ١/ ٤٧٣، «لسان العرب» ٧/ ٤٤٦٦، «المعجم المفصل» ٤/ ٧١، وفي رواية: للورد بدل للخمس والشطر الأول عند الطبري إعشاء: بدل إيناء. وهذه قصيدة مدح بها الحطيئة بغيض بن عامر بن شماس ويهجو الزبرقان بن بدر. والإيناء: مصدر آنيت الشيء: إذا أخرته. والصادرة: الإبل التي تصدر على الماء والخمس: من أظماء الإبل، وهو أن تظل في المرعى بعد يوم ورودها ثلاثة أيام ثم ترد في الرابع، والحوز: السوق اللين، والتنساس: السوق الشديد لورود الماء، والشاعر يصف طول انتظاره حين لاصبر له على طول الانتظار.

(٢) هو: قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد، شاعر الأوس وأحد صناديدها في الجاهلية، اشتهر عنه تتبعه قاتلي أبيه وجده حتى قتلهما، أدرك الإسلام لكنه لم يسلم، قتل سنة ٢ق هـ. ينظر «جمهرة أشعار العرب» ١٢٣، و«الأعلام» ٥/ ٢٠٥.

(٣) نسب هذا البيت لقيس بن الخطيم كما في إحدى نسخ الثعلبي الخطية وفي بعضها بلا نسبة. «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٩٠. وهو بلا نسبة في «أساس البلاغة» ص ٤٥٤. ونسب لعبد الله بن قيس الرقيّات وهو في «ديوانه» ص ٨٨، وينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٥٤، «البحر المحيط» ١/ ٣٣٩، و«الدر المصون» ١/ ٣٣٢.

وإذا كان بتقدير: انظر إلينا كان من نظر العين[١].

ونذكر معاني النظر عند قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] إن شاء الله.

قال: المفسرون أمروا أن يقولوا: انظرنا، بدل راعنا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ أي: أطيعوا، أو اتركوا هذه الكلمة، فسمّى الطاعة سمعًا؛ لأن الطاعة تحت السمع[٢].

١٠٥- قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ﴾ إلى قوله ﴿من خيرٍ﴾ (من) صلة مؤكدة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ﴾ يقال: خَصَّه بالشيء واخْتَصَّه به بمعنى واحد[٤]، ويقال: اختَصَصْتُه بالفايدة واختصصت بها.

ومعنى الاختصاص: الانفراد بالشيء، ومنه: الخَصَاص للفُرَجِ[٥]؛

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٠، «تفسير الطبري» ١/ ٤٧٣، «المفردات» ٤٩٠-٥٠٠، «اللسان» ٧/ ٤٤٦٤، وقد ذكر الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٧٣- ٤٧٤: أن معناها: انظرنا وارقبنا، نفهم ما تقول لنا وتعلمنا، قال: وقد قرئ (أنظِرنا)، أي: أخرنا، ولا وجه له في هذا الموضع؛ لأن الصحابة أمروا بالدنو من رسول الله ﷺ والاستماع له لا بالتأخر عنه، قال: وقد قيل: إن معناها: أمهلنا، وبيَّنَ أنها قريبة المعنى مما ذكر لكن لا يقرأ بها. انتهى ملخصًا.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٠٩١، و«التفسير الكبير» للرازي ٣/ ٢٢٥.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٩٢، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٠٦، «تفسير البغوي» ١/ ١٣٣.

(٤) زيادة من (ش) وقد ذكر الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٠٩٢ أن الاختصاص أوكد من الخصوص؛ لأن الاختصاص لنفسك والخصوص لغيرك.

(٥) أي: فُرَج بين الأثافي والأصابع، ينظر: «اللسان» ٢/ ١١٧٣، وقال في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٣٣- ٢٣٤: وأصل ذلك من الخَصَاص. وكل خَلَلٍ أو خَرْق يكون في مُنْخل أو باب أو سحاب أو بُرقُع فهو خصَاص.

لأنه انفرد كل منهما[١] واحد عن الآخر من غير جمع بينها، ثم يقال لسوء الحال: الخصاصة[٢]؛ لأنها خللٌ في الحال وصدع[٣].

وقوله تعالى: ﴿بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أراد بالرحمة ها هنا: النبوة[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ قال الليث: ذو اسم ناقص، وتفسيره: صاحب ذاك[٥]، كقولك: ذو مال. والتثنية: ذوان، والجمع[٦]: ذوون، وتقول في تأنيث[٧] ذو: ذات، وفي التثنية: ذواتا، وفي الشعر يجوز: ذاتا. والجمع: ذوات مال[٨]، وأنشد للكميت:

وقد عَرَفَتْ مَوَالِيها الذَّوِينَا[٩]

أي[١٠]: الأخصين الأدنين، وإنما جاءت النون لذهاب الإضافة[١١].

وسمعت أبا الحسن النحوي رحمه الله يقول: أصل ذو: ذوي أو

---

(١) زيادة من (ش).

(٢) في (ش): (خصاصة).

(٣) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٩٩، «المفردات» ١٥٥، «اللسان» ٣/ ١٤٧٦.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٧٤- ٤٧٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٩.

(٥) في «تهذيب اللغة»: ذلك.

(٦) في (أ) و(ش): (الجميع).

(٧) في (م): (التأنيث).

(٨) ينظر: «المفردات» ١٨٦، «البحر المحيط» ١/ ٢٣٦- ٢٣٧، «القاموس» ص١٣٥١، «الإتقان» ٢/ ١٩٥.

(٩) البيت هكذا:

فلا أعني بذلك أسفليكم ولكني أريد به الذوينا

وهو للكميت بن زيد، في «ديوانه» ٢/ ١٠٩، و«معجم الشعراء» ٨/ ١٠١، وما ذكره المؤلف موافق لما في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٩٩.

(١٠) في (ش): (أن).

ذوو، فلما تحركت الواو والياء وانفتح ما قبلها صارت ألفًا فصار ذوا، ثم لما تحركت الواو وانفتح ما قبلها صارت ألفًا، فاجتمعت ألفان فحذفت إحداهما لالتقاء الساكنين، فبقي ذا فلم يمكن إعراب الألف، فجعل إعرابه في الذال، فلما أعربت الذال بالرفع انقلبت الألف واوًا، ولما أعربت بالخفض انقلبت ياء، ولما أعربت بالنصب بقيت ألفًا كما كانت.

١٠٦- قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ الآية، قال الزجاج: النسخ في اللغة: إبطال شيء وإقامة آخر مقامه. والعرب تقول: نسخت الشمسُ الظل، والمعنى: أذهبت الظلّ وحلّت محلّه(١).

وقال غيره: تناسخ الأزمنة والقرن بعد القرن: هو مضي الأول ومجيء الثاني بعده يخلفه في محلّه.

ثعلب عن ابن الأعرابي: النسخ: تبديل الشيء من الشيء، وهو غيره، والنسخ: نقل شيء من مكان إلى مكان، وهو هو(٢)(٣). وروى أبو تراب(٤) عن الفراء وأبي سعيد: مسخه الله قردًا، ونسخه قردًا، بمعنى واحد(٥)(٦).

---

(١) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٩٩.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٩.

(٣) ساقطة من (أ)، (م).

(٤) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٥٨، «اللسان» ٧/ ٤٤٠٧، (مادة: نسخ).

(٥) لغوي من خراسان، استدرك على الخليل بن أحمد في كتاب العين، وله كتاب الاعتقاب. ينظر: «إنباه الرواة» ٤/ ١٠٢.

(٦) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٥٨، (مادة: نسخ)، وعنه أيضًا في «اللسان» ٧/ ٤٤٠٧، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٠٩٣.

وقال العلماء من أهل اللغة والتفسير[1]: النسخ له معنيان:

أحدهما: تحويلُ الكتاب من حيث هو إلى نسخة أخرى، يقال: نسخت الكتاب، أي: كتبت منه نسخة أخرى[2].

ثم[3] يقال: نَسَخْتُ منه نسخة، وإن لم تُحوِّله من مكتوب إلى غيره، كأنك كتبته عن حفظك. ومن هذا قوله ﷻ ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩] يجوز أن يكون معناه: ننسخ، كقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [الصافات: ١٤] أي: يسخرون، ويجوز أن يكون معناه: نستدعي ذلك، وهو أمر الملائكة بكتابته. وعلى الوجهين جميعًا هو كتابة لا من نسخة.

فعلى هذا المعنى: القرآن كله منسوخ؛ لأنه نُسِخَ للنبي ﷺ من أمّ الكتاب فأُنزل عليه.

والثاني: هو رفعُ الحكم وإبطالهُ، ثم يجوز النسخ إلى بدل وإلى غير بدل. فالذي إلى بدل قولهم: نَسَختِ الشمسُ الظلَّ، فالظلُّ يزول ويبطل،

---

(١) ينظر في معاني النسخ: «تفسير الطبري» ١/ ٤٧٥- ٤٧٦، «تفسير القرطبي» ٢/ ٦٢، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٥٨، (مادة: نسخ)، «اللسان» ٧/ ٢٤٠٧، والإتقان ٣/ ٥٩، وقال صاحب «المفردات» ص٤٩٢: النسخ: إزالة شيء بشيء يتعقبه، كنسخ الشمس الظل، والظل الشمس، والشيب الشباب، فتارة يفهم منه الإزالة، وتارة يفهم منه الإثبات، وتارة يفهم منه الأمران.

(٢) ينظر في ذلك: «المستصفى» للغزالي ١/ ١٠٧، و«المحرر الوجيز» ١/ ٤٢٨- ٤٣١، و«التفسير الكبير» للرازي ٣/ ٢٢٦، و«شرح مختصر الروضة» للطوفي ٢/ ٢٥١، و«الإتقان» ٣/ ٥٩، و«إرشاد الفحول» ص١٨٣.

(٣) ساقطة من (أ)، (ش).

والشمس تكون بدلًا عنه[١] .

والذي إلى غير بدل قولهم: نَسَختِ الريحُ الأثرَ، أي: أبطلتها وأزالتها.

وهذا المعنى هو المراد بالآية[٢].

ثم النسخ في القرآن على ضروب: منها: ما يكون حكمه مرفوعًا، وخطُّه مثبت يتلى ويقرأ، ولا يعمل به، وهذا هو المعروف من النسخ؛ أن تكون الآية الناسخةُ والمنسوخةُ جميعًا ثابتتين في التلاوة وفي خط المصحف، إلا أن المنسوخة منهما غيرُ معمولٍ بها ثابت، فينسخ التلاوة بثابت التلاوة[٣]، وذلك مثل:

عِدّة المتوفى عنها زوجها، كانت سنّةً لقوله: ﴿مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ [البقرة: ٢٤٠] ثم نسخت بأربعة أشهر وعشر؛ لقوله: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤][٤].

ومثل هذا أيضا قوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥] الآية، ثم نسخت بقوله: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٦٦] .

ومنها: أن ترفع تلاوتها وحكمها، كنحو ما يُرْوَى عن أبي بكر ﷺ أنه قال: كنا نقرأ: (لا ترغبوا عن آبائكم إنه كفر)[٥] .

---

(١) ساقطة من (أ).

(٢) ساقطة من (ش).

(٣) ينظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ص ١٤، «تفسير الطبري» ١/ ٤٧٥، «المحرر الوجيز» ٤٢٨- ٤٣١، «تفسير القرطبي» ٢/ ٥٥- ٦١.

(٤) (بثابت التلاوة) ساقطة من (ش).

(٥) سيأتي بيان حقيقة النسخ في هذه الآية عند «تفسيره».

ومنها: أن ينسخ تلاوته ولا تنسخ حكمه، كآية الرجم، فإنها منسوخة تلاوة، ثابتة حكمًا[١].

ومنها: أن يُنْسخ ما ليس بثابت التلاوة (بما ليس بثابت التلاوة)[٢] مثل: ما روي عن عائشة رضي الله عنها. قالت: إنا كنا نقرأ: «عشر رضعات معلومات يُحَرّمن»، فنسخن بخمس[٣].

وقد ينسخ أيضا ما ليس بثابت التلاوة بما هو ثابت التلاوة والمراد بالمنسوخ: الحكم، مثل: نسخ تحليل الخمر، وكتحريم الزنا، وهذا كثير.

ويجوز أيضا نسخ ما هو ثابت التلاوة بما[٤] ليس بثابت التلاوة، وهو كنسخ الجلد في المحصنين بالرجم، والرجم غير متلو الآن، وإن[٥] كان يتلى على عهد رسول الله ﷺ[٦]، فالحكم يثبت والقراءة لا تثبت، كما يجوز أن تثبت التلاوة في بعض ولا يثبت الحكم.

وإذا جاز أن يكون قرآن ولا يعمل به جاز أن يكون قرآن يعمل به ولا يتلى؛ وذلك أن الله ﷻ أعلم بمصالحنا، وقد يجوز أن يعلم من مصلحتنا

---

(١) الحديث أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص ١٩٣، وأبو داود الطيالسي ص ١٢ عن عمر بن الخطاب، ونقله السيوطي عنه في «الإتقان» ٣/ ٧٤، وانظر: «كنز العمال» ٢/ ٢٨٥، وذكره في «الحجة» ٢/ ١٨٠، وينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٥٥-٥٦، وأخرجه ابن الضريس عن ابن عباس كما في «الدر المنثور» ١/ ١٩٧- ١٩٨.

(٢) ساقطة من (أ)، (م).

(٣) ساقطة من (ش).

(٤) أخرجه مسلم (١٤٥٢) كتاب الرضاع، باب التحريم بخمس رضعات.

(٥) (بما هو ليس) في (م).

(٦) في (ش): (قد).

تعلّق العمل بهذا الوجه .

قال أبو إسحاق: إن قيل: ما الفصل[١] بين الترك والنسخ؟

فالجواب في ذلك: أن النسخ أن يأتي في الكتاب نسخ آية بآية، فتبطِلَ الثانيةُ العمل بالأولى.

ومعنى الترك: أن تأتي الآية بضرب من العمل فيؤمر المسلمون بترك ذلك بغير آية تنزل ناسخةً للتي قبلها، نحو قوله: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] ثم أُمر المسلمون بعد بترك المحنة، فهذا يدل على معنى الترك ومعنى النسخ[٢].

فأبو إسحاق فصل بين النسخ والترك كما ترى، وجعلهما قسمين.

قال أبو علي[٣]: ليس حقيقةُ النسخ ما ذكره أبو إسحاق، بل هو ضرب من النسخ، وقد يكون نسخ الآية على[٤] ضروب أخر، وما أعلم في النسخ روايةً ولا قياسًا يدل على أنه مقصور على ما ذكر، وقد ينسخ القرآن عند عامةِ الفقهاء بسنَّةٍ غير آية، ولا يمتنعون من أن يسمّوا ذلك نسخًا، ولا يمتنع أن يسمّى الضرب الذي سماه أبو إسحاق تركًا نسخاً.

---

(١) ينظر حديث عمر في آية الرجم المنسوخة لفظًا عن ابن عباس عند البخاري (٦٨٣٠) كتاب الحدود، باب: رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت، ومسلم (١٩١) كتاب الحدود، باب: رجم الثيب في الزنا.
ينظر: «الإتقان» ٣/ ٧٣.

(٢) في «معاني القرآن» للزجاج: ما الفرق.

(٣) بتصرف من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٠.

(٤) أي: في «الحجة» ٢/ ٢٠١ وما بعدها.

ومما[١] يدل على ذلك: أن الزهري روى عن عروة عن عائشة، قالت: نزل في أصحاب بئر معونة[٢] قرآن منه: «بلّغوا قومنا أن قد لقينا ربّنا فرضِيَ عنّا وأرضاناً»، ثم نسخ[٣]، فسمّت عائشة ذلك نسخًا، وإن لم ينسخ بآية، ولم تُسمّه تركًا، وهذا يفسد القسمين اللذين قسمهما[٤].

قال أبو علي: ولم يثبت بتسمية النسخ ومعناه رواية نعلمها عن العرب، ولا سماع، ولا قياس، وإن المفسرين قالوا فيه على طريق التقريب.

الذي يدل على هذا: أن الفراء قال: النسخ: أن يعمل بالآية ثم تنزل أخرى فيعمل بها، وتترك[٥] الأولى.

---

(١) ساقطة من (أ)، (م).

(٢) في (أ)، (م): (وما).

(٣) بئر معونة: وقعة في صفر من السنة الرابعة، قتل فيها أربعون من خيار أصحاب رسول الله ﷺ، بعثهم رسول الله ﷺ دعاة إلى الله فغدرت بهم قبائل رِعل وذكوان وعصية عند بئر معونة. ينظر: «سيرة ابن هشام» ٣/ ١٨٤- ١٩٠ تحقيق: همام سعيد.

(٤) حديث عائشة.
وجاء هذا أيضًا من رواية أنس رواه البخاري (٤٠٩٠) كتاب المغازي، باب: غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة، ومسلم (٦٧٧) كتاب المساجد، باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة.

(٥) من «الحجة» ٢/ ٢٠١.

والقراءة الصحيحة: ﴿مَا نَنسَخْ﴾ وقرأ ابن عامر[١] وحده (ما نُنْسِخْ) بضم النون[٢]، وخَطَّأَهُ في ذلك أبو حاتم[٣][٤] وكثير من أهل النظر[٥].

والذين وجهوا هذه القراءة قالوا: أفعَلَ لا يخلو من ثلاثة[٦] أوجه:

أحدها[٧]: أن تكون[٨] لغة[٩] في فعل كقولهم: حلَّ من إحرامه، وأَحَلَّ، وبدأ الله الخلق وأبدا هم، ولا يجوز هذا الوجه في أنسخ ؛ لأنا لا نعلم أحدًا حكى أو روى أنسخ بمَعنى: نسخ.

الوجه الثاني: أن تكون الهمزة للنقل، كقوله: قام وأقمته، وضرب وأضربته[١٠]، ونسخ الكتاب وأنسخته الكتاب، وهذا الوجه أيضًا كالأول

---

(١) هو: أبو عمران عبد الله بن عامر اليحصبي، إمام أهل الشام في القرآن، وأحد القراء السبعة، أخذ القراءة من المغيرة بن أبي شهاب اليحصبي عن عثمان بن عفان ﷺ، توفي سنة ١١٨هـ. ينظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ٨٢، و«السبعة» ص ٨٥.

(٢) قرأ ابن عامر من غير طريق الداجوني عن هشام: (ما نُنْسِخ) بضم النون، والباقون بالفتح. ينظر: «السبعة» ١٦٨، «النشر» ٢/ ٢١٩-٢٢٠، و«معاني القراءات» للأزهري ص ٦٠، «الحجة في القراءات السبعة» ٨٦ تحقيق: عبد العال سالم مكرم.

(٣) هو: سهل بن محمد الجشمي السجستاني، من أئمة القراءة واللغة، تقدمت ترجمته.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٠٢، «تفسير القرطبي» ٢/ ٥٥، «الدر المصون» ١/ ٣٣٤.

(٥) قال السمين الحلبي في «الدر المصون» ١/ ٣٣٤: وهذا جراءة منه على عادته.

(٦) في (ش): (لا يخلو هذه أوجه).

(٧) في (ش): (أحدهما).

(٨) في «الحجة» أن تكون (أفعل) لغة في هذا الحرف.

(٩) ساقطة من (م).

(١٠) في (ش): (وضربته).

في أنه لا يجوز حمل الآية عليه؛ لأنك لو قدرت الهمزة للنقل كان المعنى ما ننسخك من آية، فتجعل[١] المفعول محذوفًا من اللفظ مرادًا في المعنى، كقولك: ما أعطيت من درهم فلن يضيع عندك، على معنى: ما أعطيتك، وإذا كان على هذا التقدير، كان المعنى: ما نُنَزِّلُ عليك من آية أوننسها نأت بخير منها، وذلك أن إنساخه إياها إنما هو إنزال في المعنى؛ لأنه تمكين من نسخها بالكتابة، وإنما يتمكن بأن ينزل عليه، وليس هذا المراد بالآية ولا المعنى، ألا ترى أنه ليس كل آية أنزلت أُتي بآية أذهب منها في المصلحة، وإذا كان هذا التأويل يؤدي إلى الفساد في المعنى والخروج عن الغرض الذي قصد به الخطاب علمت أن توجيه التأويل إليه لا يصح[٢].

الوجه الثالث: أن يكون المعنى في أنسخت الآية: وجدتها منسوخة، كقولهم: أَجَدْتُ الرجل، وأَجْبَنْتُه، وأكذَبْتُهُ، وأَبْخَلْتُه، أي: أصبتُه على هذه الأحوال، فيكون معنى قوله (نُنسخْ): نجده منسوخًا، وإنما[٣] نجده كذلك

---

(١) في (ش): (فجعل).

(٢) عبارة أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٨٥ هكذا: وذلك أن إنساخه إياها إنما هو إنزال في المعنى، ويكون معنى الإنساخ أنه منسوخ من اللوح المحفوظ أو من الذكر، وهو، الكتاب الذي نسخت الكتب المنزلة منه، وإذا كان كذلك فالمعنى: ما ننزل من آية، أو ما ننسخك من آية أو ننسها ؛ لأن ابن عامر يقرأ: (أو نُنسها نأت بخير منها أو مثلها) وليس هذا المراد ولا المعنى، ألا ترى أنه ليس كل آية أنزلت أتي بآية أذهب منها في المصلحة فإذا كان تأويلها هذا التأويل يؤدي إلى الفساد في المعنى والخروج عن الغرض الذي قصد به الخطاب علمت أن توجيه التأويل إليه لا يصح، وإذا لم يصح ذلك ولا الوجه الذي ذكرناه قبله، ثبت أن وجه قراءته على القسم الثالث.

(٣) في (ش): (وأما).

لنسخه إياه، وإذا كان كذلك كان قوله: نُنسخ بضم النون كقراءة من قرأ: (نَنسخ) بفتح النون يتفقان في المعنى وإن اختلفا في اللفظ[١].

وقوله تعالى: ﴿نُنسِهَا﴾ قرأ ابن كثير[٢] وأبو عمرو: (نَنْسَأها) مفتوحة النون مهموزة[٣].

قال أبو زيد: نسأتُ الإبل عن الحوض، فأنا أنسؤها نَسْأً، إذا أخَّرْتَها عنه، ونسأت الإبل: إذا زدتَ في ظمئها يومًا أو يومين أو أكثر، وتقول: انتسأتُ عنك انتساء: إذا تباعدتَ[٤] عنه[٥]، وفي الحديث: «**إذا تناضلتم**

---

(١) انتهى كلام أبي علي ملخصًا من «الحجة» ٢/ ١٨٤-١٨٦، وينظر: «المحرر الوجيز» ١/ ٤٢٨- ٤٢٩، ونقله القرطبي ٢/ ٥٤- ٥٦، قال أبو حيان في «البحر» ١/ ٣٤٢ معلقًا على كلام أبي علي: فجعل الهمزة في النسخ ليست للتعدية، وإنما أفعل لوجود الشيء بمعنى ما صيغ منه، وهذا أحد معاني أفعل المذكورة فيه فاتحة الكتاب، وجعل الزمخشري الهمزة فيه للتعدية، قال: وإنساخها: الأمر بنسخها، وهو أن يأمر جبريل بأن يجعلها منسوخة بالإعلام بنسخها وقال ابن عطية: التقدير: ما ننسخك من آية، أي: ما نبيح لك نسخه، كأنه لما نسخه الله أباح لنبيه تركها بذلك النسخ، فسمى تلك الإباحة إنساخًا (فالهمزة عنده للتعدية).
وخرج ابن عطية هذه القراءة على تخريج آخر، وهو أن تكون الهمزة فيه للتعدية أيضًا، وهو من نسخ الكتاب، وهو نقله من غير إزالة له، قال: ويكون المعنى: ما نكتب وننزل من اللوح المحفوظ، أو ما نؤخر فيه ونترك فلا ننزله، أي ذلك فعلنا فإنا نأتي بخير من المؤخر المتروك أو بمثله الخ وتعقبه أبو حيان. انتهى ملخصًا من «البحر المحيط».

(٢) هو: أبو معبد عبد الله بن كثير الداري المكي، أحد القراء السبعة المشهورين، تقدمت ترجمته ٢/ ٤١-٤٢.

(٣) ينظر: «السبعة» ص ١٦٨، «النشر» ٢/ ٢٢٠.

(٤) في (ش): (أخرتها).

(٥) نقله عنه في «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٨٧.

فانتسئوا عن البيوت»[١] أي: تباعدوا. وقال: مالك بن زُغْبة[٢]:

إذا أَنْسَؤُوا فوتَ الرماح أَتَتْهُمُ عوائرُ نَبْلٍ كالجرادِ نُطِيرُها[٣]

وأنسأته الدين إنساءً: إذا أخرت قضاءه عنه. واسم ذلك: النسيئة، فمعنى قوله: (ننسأها) أي: نؤخرها[٤]. ومعنى التأخير في الآية على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يؤخر التنزيل[٥] فلا ينزل ألبتَّة، ولا يُعْلَم، ولا يُعْمَل به، ولا يتلى، والمعنى على هذا: ما نؤخر[٦] إنزالها فلا ننزِلُها[٧].

الوجه الثاني: أن ينزلَ القرآن فيعمل به ويتلى، ثم يؤخر بعد ذلك، بأن يُنْسخ فترفع[٨] تلاوته ألبتّة، فلا يتلى ولا يعمل بتأويله، وذلك مثل ما روينا عن أبي بكر[٩] ﷺ ومثل ما روي عن زرّ أن أُبَيًّا قال له: كم تقرؤون الأحزاب؟ قلت: بضعًا وسبعين آية، قال: قد قرأتها ونحن مع

---

(١) ذكره ابن الأثير في «النهاية» بلفظ: «ارموا فإن الرمي جلادة، وإذا رميتم فانتسوا عن البيوت» أي: تأخروا وصوب: انتسئوا، وعزاه للهروي. ينظر: «النهاية» ٥/ ٤٥، «اللسان» ١/ ٣٩٢- ٣٩٣ ومعنى تناضلتم: تراميتم للسبق.

(٢) هو: مالك بن زغبة، من بني قتيبة بن معن، من باهلة، حدثت معركة قبلية جاهلية ضد بني الحارث بن كعب وبني نهد وبني جرم، نظم فيها أبياتا. ينظر: «خزانة الأدب» ٨/ ١٣٢، و«البرصان والعرجان» ص٤٥٩.

(٣) ينظر: «لسان العرب» ٥/ ٣٦١٧، (مادة: عور)، ٥/ ٣١٨٧، (مادة: عير)، ٧/ ٤٤٠٤، (مادة: نسأ)، «المعجم المفصل» ٣/ ٣٧١.

(٤) ينظر: «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٨٧، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٥٦، «اللسان» ٧/ ٤٤٠٣.

(٥) في (ش): (المنزل).

(٦) في (ش): (يؤخر).

(٧) في (ش): (فلا ينزلها).

(٨) في (ش): (فترفع).

(٩) تقدم تخريجه.

رسول الله ﷺ أطول من سورة البقرة[١].

والوجهُ الثالث: أن يؤخر العملُ بالتأويل؛ لأنه نسخ، ويترك خَطه مُثبتًا وتلاوته في أن يُتلى قُرآن[٢]. وهو ما حكي عن مجاهد في قوله: (أوننساها) قال: نُثْبت[٣] خطها ونُبَدّل حكمها[٤][٥].

ولا يصح في معنى الآية من هذه الأوجه إلا الأول؛ لأن الثاني والثالث يرجع تأويلهما إلى النسخ، ولا يَحسُن في التقدير: ما نَنْسَخْ من آية أو نَنْسَخْها.

وذُكر وجه رابع، هو أقوى هذه الأوجه، وهو: أن يكون المعنى: نؤخرها إلى وقت ثانٍ، فنأتي بدلًا منها في الوقت المتقدم بما يقوم مقامها، فعلى هذا يتوجّه معنى التأخير[٦].

---

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في: «زوائد المسند» ٥/ ١٣٢، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧١٥٠)، وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص ١٩٠، ونقله عن أبي عبيد: السيوطي في «الإتقان» ٣/ ٧٢، وذكره القرطبي ٢/ ٥٦، وقال ابن كثير في «تفسيره» ص١٣٥٠: وهذا إسناد حسن.

(٢) في «الحجة»: وتلاوته قرآن يتلى.

(٣) في (م): (ثبت).

(٤) رواه الطبري في تفسيره عن مجاهد ١/ ٤٧٥ وذكره أبو علي في «الحجة» ٢/ ١٨٧ وينظر في هذه القراءة وغيرها: «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٠٤، وما بعدها، و«المحتسب» ١/ ١٠٣، و«المختصر» لابن خالويه ص ٩، و«تفسير ابن عطية» ١/ ٤٢٨- ٤٢٩، و«البحر المحيط» ١/ ٣٤٣.

(٥) هذا كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٨٧-١٨٨ بمعناه.

(٦) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ١/ ٤٢٨- ٤٢٩: وهذه القراءات لا تخلو كل واحدة منها أن تكون من النسء أو الإنساء بمعنى التأخير، أو تكون من النسيان. والنسيان في كلام العرب يجيء في الأغلب ضد الذكر، وقد يجيء بمعنى الترك،=

وأما من قرأ: (نُنسها) فهو منقول من نسي، والنسيان له معنيان:
أحدهما: الترك كقوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧] أي: تركوا طاعة الله فترك رحمتهم، أو ترك تخليصهم.
والثاني: الذي هو ضد الذكر[١].

= فالمعاني الثلاثة مقولة في هذه القراءات، فما كان منها يترتب في لفظة النسيان الذي هو ضد الذكر، فمعنى الآية: ما ننسخ من آية أو نقدر نسيانك لها فتنساها حتى ترتفع جملة وتذهب، فإنا نأتي بما هو خير منها لكم، أو مثله في المنفعة. وما كان من هذه القراءات يحمل على معنى الترك فإن الآية معه تترتب فيها أربعة معان:
أحدها: ما ننسخ على وجوه النسخ أو نترك غير منزل عليك فإنا لا بد أن ننزل رفقًا بكم خيرًا من ذلك أو مثله، حتى لا ينقص الدين عن حد كماله.
والمعنى الثاني: أو نترك تلاوته وإن رفعنا حكمه فيجيء النسخ على هذا: رفع التلاوة والحكم.
والمعنى الثالث: أو نترك حكمه وإن رفعنا تلاوته، فالنسخ أيضا على هذا: رفع التلاوة والحكم.
والمعنى الرابع: أو نتركها غير منسوخة الحكم والتلاوة، فالنسخ على هذا المعنى: هو على جميع وجوهه، ويجيء الضميران في منها، أو مثلها، عائدين على المنسوخة فقط، وكأن الكلام: إن نسخنا أو أبقينا فإنا نأتي بخير من المنسوخة أو مثلها.
وما كان من هذه القراءات يحمل على معنى التأخير، فإن الآية معه تترتب فيها المعاني الأربعة التي في الترك:
أولها: ما ننسخ أو نؤخر إنزاله. والثاني: ما ننسخ النسخ الأكمل أو نؤخر حكمه وإن أبقينا تلاوته. والثالث: ما ننسخ النسخ الأكمل أو نؤخر تلاوته وإن أبقينا حكمه. والرابع: ما ننسخ أو نؤخره مثبتا لا ننسخه، ويعود الضميران كما ذكرنا في الترك، وبعض هذه المعاني أقوى من بعض، لكن ذكرنا جميعها لأنها تحتمل، وقد قال جميعها العلماء، إما نصًا، وإما إشارةً، فكملناها.

(١) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٨٨ بمعناه.

والذي في هذه الآية منقول من: نسيتُ الشيء إذا لم تذكره، ومعناه: أنَّا إذا رفعنا آية من جهة النسخ أو الإنساء لها أتينا بخير من الذي نرفع بأحد هذين الوجهين وهما النسخ والإنساء[١]. وقد يقع النسخ بالإنساء، وهو ما حدث أبو أمامة بن سهل بن حنيف[٢]: أن رجلًا كانت معه سورة، فقام يقرؤها من الليل، فلم يقدر عليها، وقام آخر يقرؤها، فلم يقدر عليها، فلما أصبحوا أتوا رسول الله ﷺ فقال بعضهم: يا رسول الله، قمت البارحة لأقرأ سورة كذا، فلم أقدر عليها، وقال الآخر: يا رسول الله، ما جئت إلا لذلك[٣]، وقال الآخر: وأنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**إنها نسخت البارحة**»[٤].

(١) بمعناه من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٩٢، ١٩٣.

(٢) أبو أمامة أسعد بن سهل بن حُنَيف، وقيل: سعد بن سهل الأنصاري: معروف بكنيته، معدود في الصحابة، له رؤية، ولم يسمع من النبي ﷺ، مات سنة ١٠٠ ينظر: «الاستيعاب» ١/ ١٧٦ و«التقريب» ١٠٤ (٤٠٢).

(٣) في (ش): (كذلك).

(٤) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» برقم [١٧] من طريق عبد الله بن صالح عن الليث عن عُقَيل ويونس عن ابن شهاب، ورواه الثعلبي في «تفسيره» من طريقه ١/ ١٠٩٧ وأخرجه الطحاوي في «مشكل الأثار» ٢/ ٢٧٣ والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٨٩ وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص ٢٣ من طريق شعيب بن أبي حمزة الحمصي عن الزهري، به نحوه. وذكره السيوطي في «الدر» ١/ ١٩٧- ١٩٨ وعزاه لأبي داود في «ناسخه» وابن المنذر، وابن الأنباري في «المصاحف»، وأبي ذر الهروي في «فضائله»، والبيهقي في «الدلائل». وله شاهد عن ابن عمر بنحوه قال فيه ابن كثير في تفسيره فيه سليمان بن أرقم: ضعيف رواه الطبراني في «الأوسط» ٧/ ١٥٦ وفي «الكبير» ١٢/ ٢٨٨ ورواه عبد الرزاق في «المصنف» ٣/ ٢٦٣، وينظر: «مشكل الأثار» ٢/ ٢٧٣، وقد حسنه د. خالد العنزي في تعليقه على الثعلبي ١/ ١٠٩٩ وهو من مراسيل الصحابة، وهي حجة، ينظر: «تدريب الراوي» ١/ ٢٠٧.

ومعنى قوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ أي: أصلح لمن تعبّد بها، وأنفع لهم، وأسهل عليهم، وأكثر لأجرهم، لا أن آيةً خيرٌ من آية؛ لأن كلام الله ﷻ واحد، وكله خيرٌ[1].

﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ في المنفعة والمثوبة، بأن يكون ثوابها كثواب التي قبلها[2].

والفائدة في ذلك: أن يكون الناسخُ أسهلَ في المأخذ من المنسوخ، والإيمان به والناس إليه أسرع، نحو القبلة التي كانت على جهة ثم حولت إلى الكعبة، فهذا وإن كان السجود إلى سائر النواحي متساويًا في العمل والثواب، فالذي أمر الله به في ذلك الوقت كان الأصلح والأدعى للعرب وغيرهم إلى الإسلام. واعلم أن هذه الآية قد اضطرب فيها المفسرون وأصحاب المعاني والقراء، واختلفت أقوالهم وقراءاتهم. وكثرة الاختلاف تدل على الإشكال وخفاء المغزى، وقلَّ من أصاب الشاكلة منهم[3]. فالفراء أشار في هذه الآية إلى قولين زَلَّ في أحدهما، وذلك أنه قال: النسيان على وجهين:

أحدهما: على الترك، يتركها ولا ينسخها[4]. وهذا لا يصح؛ لأنه

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٠٩.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٠٩.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٤٧٥، و«المحرر الوجيز» ١/ ٤٢٨- ٤٤١، و«التفسير الكبير» ٣/ ٢٣١، و«البحر المحيط» ١/ ٣٤٤.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٦٤-٦٥ قال: والوجه الآخر من النسيان الذي ينسى، كما قال الله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ وكان بعضهم يقرأ (أو ننسأها)، بهمز، يريد: نؤخرها من النسيئة، وكل حسن.

ليس كل آية تُركت ولم تنسخ يؤتى بخير منها[١].

قال الزجاج: وهو فاسد من جهة اللفظ، وذلك النسيان يكون بمعنى الترك، وفي الآية (ننسها) من الإنساء لا من النسيان، فالإنساء لا يكون بمعنى الترك[٢]. ونصر أبو علي الفارسي في كتاب الحجة قول الفراء، وأَفسَدَ كل ما ذكره أبو إسحاق في هذه الآية في كتابه، وطال الخطبُ بينهما، فضربت عن ذكره صفحًا[٣]. وكثير من المفسرين حمل النسخ المذكور في الآية على معنى: نسخ الكتاب من الكتاب. فقد حكي عن عدة منهم أنهم قالوا: يريد بالنسخ ما نسخه الله لمحمد ﷺ من اللوح المحفوظ فأنزله عليه، وهذا ظاهر الإحالة؛ لأنه ليس كل آية نسخت للنبي ﷺ من اللوح المحفوظ، فأنزلت عليه[٤] يؤتيه الله ويأتيه بخير منها، ولو كان كذلك لتسلسل الوحي حتى لا يتناهى[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: من النسخ والتبديل وغيرهما[٦].

١٠٧- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ هو استفهام معناه التوقيف والتقرير[٧]، كقوله:

---

(١) ينظر هذا التعقب عند أبي علي في «الحجة» ٢/ ١٩٢.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٩-١٩٠.

(٣) ينظر: «الحجة» لأبي علي ٢/ ١٩٢-٢٠٢.

(٤) في (ش): (فأنزلت عليه)، وهذا ظاهر الإحالة، وهو تكرار.

(٥) ينظر: «الناسخ والمنسوخ» لابي عبيد ص ٧، «تفسير الطبري» ١/ ٤٧٧- ٤٧٨، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٠٠- ٢٠١، «تفسير القرطبي» ١/ ٥٤- ٥٦.

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٠٩.

(٧) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩١، وينظر: «الوسيط» ١/ ١٩٠.

أَلَسْتم خير من ركب المطايا[١]

أي: أنتم كذلك.

وقوله تعالى: ﴿مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ﴾ الملك: تمام القدرة واستحكامها[٢]، وقد مرَّ. ومعنى الآية: أنه يملك السماوات والأرض ومن فيهن، وهو أعلم بوجه الصلاح فيما يتعبدهم به من ناسخ ومنسوخ[٣].

وقوله تعالى: ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ هو فعيل بمعنى الفاعل[٤]، يقال: هو والي الأمر ووليُّه، أي: القائم به والذي يلي عليه[٥].

وشرحنا[٦] معنى الولي عند قوله: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ومعنى: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ تحذير العباد من عذابه، إذ لا مانع منه[٧].

١٠٨- قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ الآية، قد ذكرنا بعض أحكام أم في قوله: ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦][٨] والذي بقي ها هنا أن أم تقع[٩]

---

(١) عجز البيت:

وأندى العالمين بطون راح

وهو لجرير، في «ديوانه» ص ٨٥، وفي «المجموع شرح المهذب» ١٠/ ٢٩٨، «المعجم المفصل» ٢/ ١٣٣، وانظر ٢/ ٣٦٣.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩١، وينظر: «الوسيط» ١/ ١٩٠.

(٣) نفسه.

(٤) انظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٤٥.

(٥) ينظر: «الوسيط» ١/ ١٩٠.

(٦) يعني: سيأتي شرحه.

(٧) ينظر: «الوسيط» ١/ ١٩٠.

(٨) «البسيط» ١/ ٤٧٤- ٤٧٥ تحقيق: الفوزان.

(٩) في (ش): (تقطع).

عاطفة بعد الاستفهام، كقولك: أخرج زيدٌ[١] أم عمرو؟ وأَزَيدٌ عندك أم عمرو؟، فيكون معنى الكلام: أيُّهما عندك؟، ولا تكاد تكون عاطفة إلا بعد الاستفهام[٢].

قال الفراء: ويجوز أن يستفهم بها، فتكون[٣] على جهة النسق في ظاهر اللفظ، وفي المعنى تكون استفهامًا مبتدأً به، منقطعًا مما قبله، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ﴾ [السجدة: ١-٣]. فجاءت (أم) وليس قبلها استفهام، وهي دليل على أنها استفهام مُبتدأ على كلام قد سبقه[٤]، وتقديره: بل أتقولون افتراه، فلو لم يتقدمه كلام لم يجز أن تستفهمَ مبتدئا كلامك بـ(أم)، ولا يكون إلا بالألف أو بهل، فأم استفهام متوسط والمتقدم يكون بالألف أو بهل[٥].

فأما قوله: ﴿أَمۡ تُرِيدُونَ﴾ فيجوز فيه الوجهان جميعًا، إن شئت قلت قبله استفهام رُدَّ عليه، وهو قوله: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ﴾[٦].

فإن قيل: كيف يُرَدّ (أم تريدون) عليه والأول خطاب للنبي ﷺ، والثاني خطاب للجماعة؟ قيل: الله تعالى رجع في الخطاب من التوحيد إلى الجمع، وما خوطب به ﷺ فقد خوطب به أُمّته، فيكتفى به من أُمّته، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١] فوحَّد ثم جَمَعَ،

---

(١) في (ش): (زيدًا).
(٢) ينظر: «مغني اللبيب» ١/ ٤٢، «البحر المحيط» ١/ ٣٤٦.
(٣) في (أ)، (م): (فيكون).
(٤) كذا في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧١.
(٥) من قوله: (فأم استفهام)... ساقط من (ش).
(٦) كذا في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧١.

كذلك فيما نحن فيه، ويكون المعنى على هذا: أيُّهما عندكم العلم بأن الله قدير، وأن له ملك السماوات والأرض، أم إرادة سؤال الرسول الآيات؟ والله تعالى علم أيهما عندهم.

وإن شئت جعلت أم منقطعًا مما قبله في المعنى، مستأنفًا بها الاستفهام، فيكون استفهامًا متوسطًا في اللفظ مُبتدئًا في المعنى، كقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ الآية. ثم قال: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ [الزخرف: ٥١-٥٢] وهذا يطرد فيه الوجهان العطف بالاستفهام، والابتداء به[١]. ومثله قوله: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [ص: ٦٢-٦٣]. فمن قرأ: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾ بفتح الألف ف(أم) جاءت بعد الاستفهام[٢]، ومن وصل الألف ف(أم) فيه بمنزلته في قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [السجدة: ٣].

قال الفراء: وربما جعلت العرب(أم) إذا سبقها استفهام لا يصلح فيه أيٌّ على جهة (بل) فتقول[٣]: هل لك قبلنا حقٌّ أم أنت رجل ظالم؟ على معنى: بل أنت[٤].

وأنشد ابن الأنباري على هذا:

تَروحُ من الحيِّ أم تَبْتَكِرْ ... وماذا يَضُرُّك لو تَنْتَظِرْ[٥]

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٢.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧١-٧٢.

(٣) في (أ)، (م): (فيقول). وفي «معاني القرآن» ١/ ٧٢: (فيقولون).

(٤) كذا بنحوه في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٢، ونقل أغلب ما سبق عن الفراء الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٨٤- ٤٨٥، وينظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية ١/ ٤٤١.

(٥) البيت لامرئ القيس، ينظر: «ديوانه» ص٦٨، «لسان العرب» ٥/ ٢٧٧٧، (مادة: عبد)، «المعجم المفصل» ٣/ ٣١.

فقال: يجوز أن تكون أم في هذا البيت مردودة على الألفِ المُضْمَرة مع تروح وكافية منها، كقوله:

فوالله ما أدري وإنْ كنتُ داريًا بسبعٍ رمينَ الجمرَ أم بثمانِ[١]

ويجوز أن يكون هي حرف الاستفهام متوسطًا.

فأما التفسير فقال ابن عباس: نزلت هذه الآية في رهط من قريش، قالوا: يا محمد، (اجعل لنا)[٢] الصَّفَا ذهبًا، ووسِّع لنا أرضَ مكة، وفجِّر الأنهار خلالها تفجيرًا، نؤمنْ بك، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٣]. والذي سأل قوم موسى أنهم قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣][٤]. قال

---

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة، ينظر: «ديوانه» ص ٢٦٦، «المعجم المفصل» ٨/ ١٨٦.

(٢) ساقطة من (م).

(٣) كذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١١٠، والمصنف أيضًا في «أسباب النزول» ص ٣٤، القرطبي ٢/ ٦٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٤٥ وذكره الحافظ في «العجاب» ١/ ٣٥٠ عن الواحدي، وقال: ذكره الثعلبي، ولعله من تفسير الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.. وقد ذكر الطبري في تفسيره ١/ ٤٨٣، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٢٨ أسبابًا أخرى، ومن ذلك: ماروواه ابن أبي حاتم بسنده الحسن كما في «التفسير الصحيح» ١/ ٢١٣ عن محمد بن إسحاق بسنده عن ابن عباس قال: قال رافع بن حريملة، ووهب بن زيد لرسول الله ﷺ: يامحمد ايتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، وفجر لنا أنهارًا نتبعك ونصدقك، فأنزل الله في ذلك عن قولهم: (أم تريدون..) الآية. قال الثعلبي في «تفسيره» ١٥/ ١١١: والصحيح إن شاء الله أنها نزلت في اليهود حين قالوا: ائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة، لأن هذه السورة مدنية، وتصديق هذا القول: قوله عزوجل: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ١٥٣].

(٤) قال الشنقيطي في «أضواء البيان» ١/ ١٤٥ لم يبين هنا الذي سأل موسى من قبل من هو؟ ولكنه بينه في موضع آخر، وذلك في قوله: (يسألك أهل الكتاب...) الآية.

المفسرون: إن[١] اليهود وغيرهم من المشركين تمنَّوا[٢] على رسول الله ﷺ، فمِنْ قائلٍ يقول: ائتنا بكتاب من السماء جملة واحدة[٣]، كما أتى موسى بالتوراةِ، ومِن قائلٍ يقول، وهو عبد الله ابن أبي أمية المخزومي[٤]: ائتني بكتاب من السماء فيه من الله رب العالمين إلى أُبي بن[٥] أُميّة: اعلم أني قد أرسلت محمدًا إلى الناس، ومِن قائلٍ يقول: لن نؤمن أو تأتي بالله والملائكة قَبيلًا، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٦].

وقال أبو إسحاق: معنى الآية: أنَّهم نُهوا أن يسألوا النبي ﷺ مالا خير لهم في السؤال عنه[٧]، إنما خُوطبوا بهذا بعدَ وضوحِ البراهين لهم، وإقامتهم[٨] على مخالفتهم[٩].

---

(١) في (ش): (بأن).

(٢) تحرفت في «أسباب النزول» ص ٣٧ إلى تمنعوا.

(٣) ساقطة من (أ)، (م).

(٤) هو عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ابن عمة النبي ﷺ عاتكة بنت عبد المطلب، كان من كفار مكة ومن أقوى المعارضين للرسول ﷺ ودعوته ولم يزل كذلك حتى عام الفتح، فهاجر إليه قبل الفتح هو وأبو سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب، وأسلما وحسن إسلامهما، وشهد فتح مكة وحنينًا والطائف، ورُمي من الطائف بسهم فقتله. ينظر: «معجم الصحابة» لابن قانع ٢/ ٥٢١، «أسد الغابة» ٣/ ١٧٧، «البداية والنهاية» ٤/ ١٣٠.

(٥) في الأصل: أبي بن، والتصويب من «أسباب النزول» ص ٣٨.

(٦) ينظر تخريج كلام ابن عباس السابق، وكذا أيضًا في «أسباب النزول» للمصنف ص٣٧- ٤٨، «البحر المحيط» ١/ ٣٤٦.

(٧) في «معاني القرآن» عنه وما يكفرهم وإنما.

(٨) في «معاني القرآن» وإقامتها.

(٩) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٢.

والسؤال بعد قيام البراهين كفر. لذلك قال ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ قصدَه ووسطَه[١]، ومعنى الضلال ها هنا: الذَهابُ عن الاستقامة[٢]، قال الأخطل[٣]:

كنتُ القَذَى في موجِ أكدرَ مُزبدٍ قذفَ الأتيُّ به فضَلَّ ضلالا[٤]

أي: ذهب يمينًا وشمالًا.

وذكرنا ما في (سواء) في قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦].

١٠٩- قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال ابن عباس: نزلت في نفر من اليهود قالوا للمسلمين بعد وقعة أحد[٥]: ألم تروا إلى ما أصابكم، ولو كنتم على الحقّ ما هُزِمتم، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم[٦]. وتم الكلام عند قوله: ﴿كُفَّارًا﴾. وانتصب ﴿حَسَدًا﴾ على

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١١٢.

(٢) ينظر: «الوسيط» ١/ ١٩١.

(٣) هو: غياث بن غوث بن الصلت أبو مالك التغلبي، شاعر نصراني.

(٤) ينظر: «ديوان الأخطل» ص ٢٥٠، و«نقائض جرير والأخطل» ص ٨٣، و«تفسير القرطبي» ١٤/ ٩١، و«الماوردي» ٣/ ٢٩٣، و«وضح البرهان» للغزنوي ٢/ ١٧٥. وينظر: «البحر المحيط» ٥/ ٥١٣-٥١٤.

(٥) تحرف في نسخ «أسباب النزول» كما في ص ٣٨ إلى وقعة بدر.

(٦) ذكره المصنف أيضًا في «أسباب النزول» ص ٣٨، وعنه ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» ١/ ٣٥٤، ثم قال: هذا لعله من تفسير الكلبي، والذي ذكره ابن إسحاق في المغازي من رواية يونس بن بكير عنه حدثني محمد بن أبي محمد، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال: كان حيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب من أشد يهود للعرب حسدًا؛ إذ خصهم الله تعالى برسوله، وكانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام بما استطاعا، فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم﴾ الآية. انتهى. وقد أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٨٧- ٤٨٨، ابن أبي=

المصدر. ودل قوله: (يردونكم كفّارًا) على (يحسدونكم)، وإن شئت جعلته مفعولًا له، كأنه قيل: للحسد[1].

وقوله تعالى: ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ أراد: أنهم ودُّوا ذلك من عند أنفسهم، لم يؤمروا به في كتابهم[2]. الدليل على ذلك قوله: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ فـ(من) موصولة بـ﴿وَدَّ﴾ لا بقوله: ﴿حَسَدًا﴾ على التوكيد، كقوله: ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قال ابن الأنباري: ويكون تأويل ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ في حكمهم وتدينهم ومذهبهم، أي: هذا الحسد مذهب لهم، لم يؤمروا به كما تقول: هذا عند الشافعي حلال، أي: في حكمه ومذهبه. وأما معنى الحسد في اللغة، فحكى ثعلب عن ابن الأعرابي: أصل الحسد في كلام العرب: القشر، ومنه أخذ الحسد؛ لأنه يَقْشر القلب، قال والحَسدلُ[3]: القراد؛

= حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٠٤ وسند ابن أبي حاتم حسن كما في «التفسير الصحيح» ١/ ٢١٥، وقد ذكر القصة بأطول مما عند الواحدي: مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٣٠ وكذا الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١١٢، وذكره الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» ١/ ٧٨ وقال: قلت: غريب، وهو في «تفسير الثعلبي» هكذا من غير سندٍ ولاراوٍ. وقال ابن حجر في «الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف» ١/ ٣٥٦: لم أجده مسندًا. اهـ. وممن ذكر القصة مختصرة: السمرقندي ١/ ١٤٩، والحيري في «الكفاية» ١/ ٦٧، والسمعاني في «تفسيره» ٢/ ١٦، وابن عطية ١/ ٤٤٦، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١١٤ وغيرهم.

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١١١٤، و«البيان» لابن الأنباري ١/ ١١٨، «التبيان في إعراب القرآن» ص٨٣، و«إعراب القرآن» لأبي جعفر النحاس ١/ ٢٠٧، و«الدر المصون» ١/ ٣٤١.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١١٤.

(٣) زيدت اللام فيه كما يقال للعبد: عبدل. ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١١١٤.

لأنه يقشر الجلد فيمص الدم. ذكره الأزهري[(١)].

وقوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ في التوراة أن قول محمد صدق، ودينه حق، وهذا يدل على أنهم كانوا معاندين[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾ قد ذكرنا معنى العفو عند قوله: ﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم﴾ [البقرة: ٥٢]، وأما الصفح فمعناه في اللغة: الإعراض[(٣)]، يقال: صفح عن فلان أي: أعرض عنه موليًا، ومنه قول كُثَيِّر يصفُ امرأة أعرضت عنه:

صفوحًا فما تلقاك إلا بخيلةً ... فمَنْ ملَّ منها ذلك الوصلَ ملَّتِ[(٤)]

قال ابن عباس: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾ أي: عن مساوئ كلامهم، وغلّ قلبهم[(٥)]. قال: وهذا منسوخٌ بآية القتال[(٦)]، وذلك أن النبي ﷺ كان مأمورًا

---

(١) في «تهذيب اللغة» ١/ ٨١٣، «اللسان» ٢/ ٨٦٨ (حسد).

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١١٤.

(٣) ينظر: «شمس العلوم» لنشوان الحميري ٦/ ٣٧٧٣.

(٤) البيت لكثير عزة، في «ديوانه» ص ٩٨، «لسان العرب» ٤/ ٢٤٥٧، (مادة: صفح)، «المعجم المفصل» ١/ ٥٥٣.

(٥) تقدم الكلام عن مثل هذه الرواية في قسم الدراسة.

(٦) أخرجه الطبري ١/ ٤٨٩- ٤٩٠، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٠٦. وينظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيد ١/ ٥٠، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس ص ٢٧٤، و«الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» لمكي ص ٣١٢. ورد ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص ٤٦ القولَ بالنسخ وعزى ذلك لجماعة، وقال: واحتجوا بأن الله لم يأمر بالصفح والعفو مطلقًا، وإنما أمر به إلى غاية، وما بعد الغاية يخالف ماقبلها، وما هذا سبيله لا يكون من باب المنسوخ، بل يكون الأول قد انقضت مدته بغايته، والآخر يحتاج إلى حكم آخر. ونقل في «البحر المحيط» ١/ ٣٤٩ عن قوم بأنه ليس هذا حد المنسوخ، لأن هذا في نفس الأمر للتوقيف على مدته ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ غيّا العفو والصفح بهذه الغاية، وهذه الموادعة على أن تأتي أمر الله

في أوَّلِ الأمر أن[١] يدعو بالحججِ البينة، وغاية الرفق، فلمَّا عاندَ اليهود بعدَ وضوحِ الحق عندهم أُمِرَ المسلمون بعد ذلك بالحرب[٢].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ قال ابن عباس: يريد إجلاء النضير، وقتل قريظة، وفتح خيبر وفَدَك[٣][٤]، وقال قتادة: يعنى: أمره بالقتال[٥] في قوله: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[٦] [التوبة: ٢٩][٧].

١١١- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ المعنى: أن اليهود قالت: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا، والنصارى قالت: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، ولكنهم أُجملوا،

= بقتل بني قريظة، وإجلاء بني النضير وإذلالهم بالجزية، وغير ذلك مما أتي من أحكام الشرع فيهم، وترك العفو والصفح.

(١) ساقط من (ش)

(٢) انظر: «معاني القرآن» للنحاس ١/ ١٩٣.

(٣) فَدَك: قال في «المصباح المنير» ص ٤٦٥ (ط: المكتبة العلمية) بفتحتين، بلدة بينها وبين مدينة النبي ﷺ يومان، وبينها وبين خيبر دون مرحلة، وهي مما أفاء الله على رسوله ﷺ وتنازعها علي والعباس في خلافة عمر... فسلمها لهما. وينظر: «المغرب» للمطرزي ص ٣٥٣ ط. دار «الكتاب» العربي.

(٤) عزاه لابن عباس: الثعلبي ٣/ ١١١٤، وينظر: «الكفاية» ١/ ٦٧، «الوسيط» ١/ ١٩١ «ابن عطية» ١/ ٤٤٨، «القرطبي» ٢/ ٦٥، «البحر المحيط» ١/ ٣٤٩.

(٥) وهذا قول الجمهور كما في «البحر المحيط» ١/ ٣٤٩.

(٦) أخرجه الطبري ١/ ٤٩٠، وذكره الثعلبي ٣/ ١١١٤ وروي نحوه عن ابن عباس وأبي العالية والسدي والربيع بن أنس وغيرهم كما عند الطبري ١/ ٤٩٠، وابن أبي حاتم ١/ ٣٣٤.

(٧) لم يفسر المؤلف الآية رقم (١١٠) وهي قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وماتقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله، إن الله بما تعملون بصير﴾.

وضم النصارى إلى اليهود في قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ ؛ لأن الفريقين يُقِرَّانِ بالتوراة[١]. كما قال حسان:

أَمَنْ يهجُو رسولَ اللهِ منكُمْ ويمدحُه وينصرُه سواءُ[٢].

تقديره: ومن يمدحه وينصره، إلا أنه لما كان اللفظ واحدًا جُمع مع الأول، يعنى إلى أصل الفعل، وصار كأنه إخبار عن جملة واحدة، وإنما حقيقته عن بعضين مختلفين.

وقوله: ﴿هُودًا﴾ قال الفراء: أراد: يهودًا، فحذف الياء الزائدة، ورجع إلى الفعل من اليهودية، وقد يكون أن تجعل الهود جمعًا، واحده هائد، مثل حائل[٣] وحُول، وعائط وعُوط[٤][٥]، ومثله من الصحيح: بازل وبُزْل[٦]، وفاره وفُرْهٌ، والهائد: المائل إلى التوبة وإلى غيرها من

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٤.

(٢) البيت لحسان في «ديوانه» ص ٨، وينظر: «السيرة النبوية» ٤/ ٤٦، «تذكرة النحاة» ص ٧٠، «الخزانة» ٩/ ٢٣٢، «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٣٥٣، «البحر المحيط» ١/ ٦٤٠.

(٣) في (ش): (حائل إلى أصل الفعل).

(٤) حائل: ناقة حائل: حمل عليها فلم تَلْقَح، أو التي لم تَلْقح سنة أو سنوات، وجمعها: حُول وحِيال وحُوَّل وحُولَل. القاموس ص٩٨٩. عائط: عاطت الناقة والمرأة: لم تحمل سنين من غير عُقْرٍ فهي عائط، وجمعها: عُوط وعِيْط و عُيَّط وعُوطَط، وعِيطات. «لسان العرب» ٥/ ٣١٧٢.

(٥) كذا أورده الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٧٣، وعنه النحاس في «إعراب القرآن» ١/ ٢٠٧، وينظر مثله في: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٥١، «تفسير الطبري» ١/ ٤٩١- ٤٩٢، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٤.

(٦) بازل: هو الجمل أو الناقة إذا بلغ التاسعة من سنينه، وليس بعده سِنٌّ تسمى جمعه: بُزْل، وبُزَّل، وبَوَازل.

المعاني[1]، وقال الليث: الهود: هم اليهود، هادوا يهودون هُودًا: أي: تابوا[2].

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [الأنعام: ١٤٦] أي: دخلوا في اليهودية، وقد مرَّ هذا.

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ أي: التي تمنَّوْها على الله باطلًا، وذكرنا ما في هذا الحرف عند قوله: ﴿إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة: ٧٨].

وقوله تعالى: ﴿هَاتُوا۟﴾ قيل: إن الهاء فيه أصلية، وهو من المُهَاتَاة. وقيل: إنه بدل عن الألف، من آتى، ولكن العرب قد أَمَاتَتْ كلَّ شيء من فعلها غير الأمر، فإذا أمرت رجلًا أن يعطيك شيئا قلتَ: هاتِ[3].

ثعلب عن ابن الأعرابي: هاتِ وهاتِيَا، وهاتوا: أي: قَرِّبُوا قال[4]: ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ أي: قَرِّبُوا، قال: ومن العرب من يقول: هاتِ: أعط[5].

و(البرهان): الحُجَّةُ، قال الأزهريُّ: والنون فيه ليست بأصلية، وقولهم: بَرْهَنَ فلانٌ، إذا جاء بِبُرهانٍ، مُوَلَّدٌ، والصوابُ أن يقال في معناه: أَبْرَهَ. كذلك قال ابن الأعرابي[6]. أَبْرَهَ الرجلُ إذا غلبَ الناسَ وأتى

---

(١) «تفسير الطبري» ١/ ٤٩٢، «اللسان» (مادة: هود) ٨/ ٤٧١٨.

(٢) نقله في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٨٩.

(٣) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨١٦، ولفظه: كل شيء من فعلها غير الأمر بهات. وينظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية ١/ ٤٤٩. «اللسان» ٨/ ٤٧٣٢ (هيت).

(٤) ساقطة من (ش) و(م).

(٥) في (أ) و(م): (اعطى).

(٦) عبارة «تهذيب اللغة» بتمامها ١/ ٣٢٢: كما قاله ابن الأعرابي [إن صح عنه =

بالعجائب[١].

١١٢- قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ﴾ (بلى) هاهنا بمنزلته في قوله: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ﴾[٢] [البقرة: ٨١] وقد ذكرناه.

وقوله تعالى: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ الإسلام والاستسلام لله -عز وجل- هو الانقياد لطاعته، والقبول لأمره. ومن هذا قوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ٨٣] أي: انقاد، والإسلام الذي هو ضد الكفر من هذا. ثم ينقسم إلى: متابعة وانقياد باللسان دون القلب، كقوله: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤] أي: انقدنا من خوف السيف، وإلى متابعة وانقيادٍ باللسان والقلب كقوله: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

ومعنى قوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: بذل وجْهَهُ له في السجود[٣]، وعلى هذا ﴿أَسْلَمَ﴾ بمعنى سلَّم، يقال: سلّم الشيءَ لفلانٍ، أي: خَلَّصه له، وسَلَمَ له الشيء، أي: خَلَصَ له[٤].

قال ابن الأنباري: والمسلم على هذا القول: هو المخلصُ لله

= وهي في رواية أبي عمرو، ويجوز أن تكون النون في البُرهان نون جمعٍ على فُعْلان، ثم جعلت كالنون الأصلية، كما جمعوا مُصَادًا على مُصْدَانٍ، ومصيرًا على مُصْرانٍ، ثم جمعوا: مُصران على مَصَارين، على توهم أنها أصلية]..

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٣٢٢ وليس عنده: أبْرَةَ الرجل إذا غلبَ الناسَ وأتى بالعجائب. وبنحوه في «اللسان» لابن منظور نقلًا عن الأزهري ١/ ٢٧١.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١١٩.

(٣) ينظر: «تفسير القرطبي» ١/ ٤٥١.

(٤) ينظر: «تفسير مقاتل» ١/ ١٣١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١١٩.

العبادةَ، فمعنى قوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾، أي: سلّم وجهه له، بأن صانه عن السجود لغيره، وخَصَّ الوجه؛ لأنه إذا جاد بوجهه في السجودِ لم يبخل بسائر جوارحه. وقال قومٌ من أهل المعاني: أسلمَ وجهَه أي: أسلمَ نفسه وجميع بدنه لأمر الله، والعرب تستعملُ الوجه وهم يريدون نفسَ الشيء، إلا أنَّهم يذكرونه باللفظ الأشرف[١]، كما قال: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

وقال جماعة: الوجهُ قد يقع صلةً في الكلام[٢]، فقوله: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: انقاد هو لله، ومثله: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ٢٠] أي: انقدت لله بلساني وعَقْدي[٣]، قال زيد بن عمرو بن نفيل[٤]:

وأسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... له المزنُ تحملُ عَذْبًا زُلالًا[٥]

---

(١) قال القرطبي في «تفسيره» ١/ ٦٧: والعرب تخبر بالوجه عن جملة الشيء، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٥٢.

(٢) ذكره أبو حيان في: «البحر المحيط» ١/ ٣٥٢ معاني (أسلم وجهه) بأنه: أخلص عمله لله أو قصده، أو فوض أمره إلى الله تعالى، أو خضع وتواضع. ثم قال: وهذه أقوال متقاربة في المعنى، وإنما يقولها السلف على ضرب المثال، لا على أنها متعينة يخالف بعضها بعضًا.

(٣) في (ش): (وعقيدتي).

(٤) هو: زيد بن عمرو بن نفيل العَدَوي، ابنُ عمِّ عمر بن الخطاب ﵁ كان يعادي عبادة الأوثان، ولا يأكل مما ذبح عليها، آمن بالنبي ﷺ قبل بعثته، قال فيه ﷺ: «إنه يبعث أمة وحده» توفي قبل البعثة بخمسِ سنين. ينظر: «جمهرة أنساب العرب» ص ١٠٥، و«الإصابة» ١/ ٥٦٩.

(٥) هما بيتان ذكرهما الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١١٩ هكذا:

أسلمت وجهي لمن أسلمت ... له الأرض تحمل صخرًا ثقالا

وأسلمت وجهي لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذبًا زلالا

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ قال ابن عباس: يريد: وهو مؤمن موحّدٌ[(١)] مُصدِّق لما جاء به محمد ﷺ[(٢)]. وقال غيره[(٣)]: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: في عمله[(٤)].

وهذا دليل[(٥)] على أن الطاعةَ من الإيمان، حيث جعل الإحسان في العمل[(٦)] شرطًا في دخول الجنة، والآية ردٌّ على اليهود والنصارى؛ لأنهَّم قالوا: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ فقال الله تعالى: (بلى) يدخلُها من كان بهذه الصفة.

١١٣- قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ الآية.

قال ابن عباس: قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ، فتنازعوا مع اليهود، فكذّب كل واحد منهما صاحبه، فنزلت هذه الآية فيهم[(٧)].

= وينظر في «الروض الأنف» ١/ ٢٦٦، و«الأغاني» ٣/ ١٧، و«تفسير الرازي» ٤/ ٤، والبيت الثاني في «تأويل مشكل القرآن» ٤٨٠، و«الدر المصون» ٢/ ٧٣، وينظر: «وضح البرهان في مشكلات القرآن» محمد الغزنوي ١/ ١٦٢، وقد ورد البيت الثاني في بعض المصادر: نفسي، بدل وجهي، وماءً، بدل عذبًا.

(١) في (م): موحد مؤمن).

(٢) هذه الرواية تقدم الحديث عنها في قسم الدراسة، ولم أجد من نقلها من أهل التفسير.

(٣) «تفسير مقاتل» ١/ ١٣١.

(٤) ينظر الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٩٤، «تفسير الثعلبي»١/ ١١٢٠ وذكر قولين آخرين: مؤمن، ومُخْلص. «البحر المحيط» ١/ ٣٥٢.

(٥) في (ش): (زيادة دليل في العمل).

(٦) في (أ) و(م): (في العمل على شرطًا).

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» بنحوه ١/ ٤٩٤- ٤٩٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٠٨ وإسنادهما حسن، وذكره المصنف في «أسباب النزول» دون عزو لابن=

فقوله تعالى ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال الزجَّاجُ: يعني[1] به أن الفريقين يتلون التوراة، وقد وقع بينهم هذا الاختلاف، وكتابهم واحد، فدلّ بهذا على ضلالتهم، وحذّر بهذا وقوع الاختلاف في القرآن؛ لأن الفريقين أخرجهما إلى الكفر[2]. وقيل معنى قوله ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ رفع الشبهة بأنه ليس في تلاوة الكتاب معتبر في الإنكار إذا لم يكن لهم برهان على ما ينكرون، فلا ينبغي أن يدخل الشبهة بإنكار أهل الكتاب لملة الإسلام، إذْ كلُّ فريق من أهل الكتاب قد أنكر ما عليه الآخر. ثم بين أن سبيلهم كسبيل مَنْ لا يعلم الكتابَ في الإنكار لدين الله من مشركي العرب وغيرهم ممن لا كتاب لهم، فهم في جحدهم لذلك إذ لا حجة معهم يلزم بها تصديقهم لا من جهة سمع ولا عقل، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾[3].

قال ابن عباس: يريد: أمةَ نوحٍ وعادٍ وثمودَ وقومِ فرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع، كلهم كذبوا الرسل، واختلفوا على أنبيائهم، وكذَّبوهم كما كذب اليهود والنصارى محمدًا ﷺ[4].

= عباس ص ٣٩، وكذا الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٢٠، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» ٢/ ١٧٥.

(١) في (أ) و(م): (نعني).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٥.

(٣) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٥٣.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٢١ عن ابن جريج عن عطاء قريبًا من هذا اللفظ، وأخرجه عن عطاء أيضًا: الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٩٧، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٠٩.

وقال مقاتل[١]: يعنى: مشركي العرب قالوا: إن محمدًا وأصحابه ليسوا على شيء من الدين[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية، قال أبو إسحاق: المعنى: أنه[٣] يريهم من يدخلُ الجنة عيانًا ويدخل النار عيانًا[٤]، فأما[٥] حكم الدين[٦] فقد بيّنه الله ﷻ بما أظهر من حجج المسلمين[٧]، وقال الحسن: حُكْمُه فيهم أن يكذّبهم جميعًا، ويدخلهم النار[٨].

١١٤- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ الآية، (من) ابتداء، وخبره أظلم، وهو استفهام معناه: وأيُّ أحدٍ أظلمُ[٩].

وعن ابن عباس في نزول هذه الآية روايتان: الأولى: أنها نزلت في أهل الروم، لأنهم خرّبوا بيتَ المقدس، فعلى هذا أراد بالمسجد بيت المقدس ومحاريبه[١٠][١١].

---

(١) هو مقاتل بن سليمان بن بشر الأزدي البلخي، أبو الحسن، من أعلام المفسرين، ولكنه رمي بالتجسيم، متروك الحديث، وانظر ترجمته في المقدمة.

(٢) «تفسير مقاتل» ١/ ١٣٢. ويروى عن السدي فيما أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٩٧، و«ابن أبي حاتم» ١/ ٢٠٩.

(٣) في (ش): (أنهم).

(٤) ليست في (أ)، (م). وفي «معاني القرآن» للزجاج قال بعدها: وهذا هو حكم الفصل فيما تصير إليه كل فرقة.

(٥) في (ش): (وأما).

(٦) في «معاني القرآن» فأما الحكم بينهم في العقيدة.

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٥، وزاد: وفي عجز الخلق عن أن يأتوا بمثل القرآن.

(٨) ذكر هذا الوجه: أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٥٤.

(٩) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٥.

(١٠) في (م): (محاربة).

(١١) ذكر ذلك الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٢٢ دون عزو وذكره الواحدي في «أسباب=

والثانية: أنها نزلت في مشركي مكة، لأنهم منعوا المسلمين من ذكر الله في المسجد الحرام[1]، وعلى هذه الرواية معنى قوله ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ أنهم منعوا من العبادة في المساجد، وكلُّ من مَنَعَ من عبادة الله في مسجد فقد سعى في خرابه؛ لأن عمارته بالعبادة فيه.

وأصل السعي في اللغة: الإسراع في المشي، قال الله ﷻ: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾ [القصص: ٢٠]. ثم يسمّى المشيُ سعيًا، كقوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [الصافات: ١٠٢] يعنى المشي، وقال: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] أي: امشوا، وقال[2] ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًاۚ﴾ [البقرة: ٢٦٠] أي: مشيًا. ثم يسمى العمل سعيًا؛ لأنه لا ينفك من السعي في غالب الأمر، قال الله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ﴾ [الحج: ٥١] أي: جدّوا في ذلك، وقال: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل: ٤] أي: عملكم مختلف.

وأراد[3] بالسعي في هذه الآية: العمل[4].

= النزول» ص ٣٩ من رواية الكلبي عن ابن عباس وأخرجها الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٩٨، وابن أبي حاتم ١/ ٢١٠ من طريق العوفي نحو ذلك، كما روي عن مجاهد وقتادة والسدي كما ذكره الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٢٠، وابن أبي حاتم ١/ ٢١٠، والواحدي في «أسباب النزول» ص ٣٩ وغيرهم.

(١) أخرجها ابن أبي حاتم ١/ ٢١٠ من طريق ابن اسحاق بسند حسن، وذكره الحافظ في «العجاب» ١/ ٣٥٩ من طريق عطاء عن ابن عباس. وبه قال عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، كما رواه الطبري عنه ١/ ٤٩٨.

(٢) في (م): (ثم قال).

(٣) في (ش): (فأراد).

(٤) ينظر: «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني ص ٢٣٨-٢٣٩.

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾. قال ابن عباس على الرواية الأولى: لم يدخل بيتَ المقدس بعد أن عمره المسلمون روميٌّ إلا خائفًا لو عُلمَ به قُتِلَ[(١)]، قيل: وهذا قول[(٢)] مجاهد وقتادة[(٣)] ومقاتل[(٤)] والفراء[(٥)].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٢٣، البغوي ١/ ١٣٩، «الخازن» ١/ ٩٨.

(٢) يذكر ذلك عن كعب والسدي، ينظر: الطبري ١/ ٥٠٠، ابن أبي حاتم ١/ ٢١٠-٢١١، «العجاب» ١/ ٣٦٠.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٥٦ ومن طريقه أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٤٩٨- ٤٩٩، وابن أبي حاتم ١/ ٣٤١ بنحوه. وأخرجه الطبري أيضًا من غير طريق عبد الرزاق.

(٤) «تفسير مقاتل» ١/ ١٣٢-١٣٣.

(٥) في «معاني القرآن» ١/ ٧٤. وقد رجح الطبري في «تفسيره» هذا القول ١/ ٤٩٨- ٥٠٠ محتجًا بأن الله ذكر أنهم سعوا في خراب المسجد، وهذا لم يكن قط من المشركين في المسجد الحرام، بل كانوا يفخرون بعمارته، وبأن سياق الآية ولحاقها كله في أهل الكتاب، ولم يجر للمشركين ذكر. ثم قال: وإن كان قد دل بعموم قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ أن كل مانع مصليًا في مسجد لله - فرضًا كانت صلاته فيه أو تطوعًا - وكل ساع في إخرابه، فهو من المعتدين الظالمين. وانتصر لترجيح الطبري في «تفسيره» أحمد شاكر ورد كلام ابن كثير في «تفسيره» الآتي مختصره. وأما قول الطبري في «تفسيره» إنهم النصارى، وذلك أنهم سعوا في خراب بيت المقدس، وأعانوا بُخْتَنْصَّر على ذلك ومنعوا مؤمني بني إسرائيل من الصلاة فيه بعد مُنْصرف بختنصر عنهم إلى بلاده.اهـ. فهذا قول قتادة والسدي وقد ذكر الجصاص في «أحكام القرآن» ١/ ٦١ أن ماروي في خبر قتادة يشبه أن يكون غلطًا من راويه؛ لأنه لاخلاف بين أهل العلم بأخبار الأولين أن عهد بختنصر كان قبل مولد المسيح ﷺ بدهر طويل، والنصارى إنما كانوا بعد المسيح وإليه ينتمون، فكيف يكونون مع بختنصر في تخريب بيت المقدس، والنصارى إنما استفاض دينهم في الشام والروم في أيام قسطنطين=

وقال على الرواية الثانية: هذا وعدٌ من الله لنبيه والمهاجرين، يقول: أفتح مكة لكم حتى تدخلوها آمنين وتكونوا أولى بها منهم.

وهذا قول عطاء[(١)] وابن زيد[(٢)].

وقيل[(٣)]: إنه أمر في صيغة الخبر، يقول: جاهدوهم واستأصلوهم بالجهاد؛ كيلا يدخلها أحد منهم إلا خائفًا من القتل والسبي، كقوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] نهاهم على لفظ الخبر، ومعناهما: لا ينبغي لهم ولكم[(٤)].

وقال الزجاج حاكيًا: إنَّ هذه الآية مما يعنى به جميع الكفار الذين تظاهروا على الإسلام ومنعوا جملة المساجد؛ لأن من قاتل المسلمين حتى يمنعهم من الصلاة فقد منع جميع المساجد، وكل موضع يتعبد فيه فهو

= الملك، وكان قبل الإسلام بمائتي سنة وكسور، وإنما كانوا قبل ذلك صابئين عبدة أوثان، وكان من ينتحل النصرانية منهم مغمورين مستخفين بأديانهم فيما بينهم، ومع ذلك فإن النصارى تعتقد من تعظيم بيت المقدس مثل اعتقاد اليهود، فكيف أعانوا على تخريبه مع اعتقادهم فيه.

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٢٦، وعنه البغوي في «تفسيره» ١/ ١٣٩، والحافظ في «العجاب» ١/ ٣٥٩.

(٢) ينظر الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٠٠، ففيه عن ابن زيد بغير هذا المعنى ومال إلى هذا ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٦٧ وبين أن أعظم خراب فعلوه إخراجهم رسول الله ﷺ واستحواذهم عليه بأصنامهم، وصدهم رسول الله ﷺ يوم الحديبية، وذكر الآيات الدالة على أن معنى العمارة إقامة ذكر الله فيها وليس زخرفتها... إلخ.

(٣) في (ش): (وقال).

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٢٤، وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٣٩، والرازي ٤/ ١٢، والقرطبي ٢/ ٧٠، و«البحر المحيط» ١/ ٣٥٨-٣٥٩.

مسجد؛ لقوله ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجدا**»[(١)] والمعنى على هذا: ومن أظلم ممن يخالف ملة الإسلام[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ﴾ الآية، أعلم الله ﷻ أن أمر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم، حتى لا يمكن دخول مخالف إلى مساجدهم إلا خائفا، وهذا كقوله: ﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]. الآية[(٣)].

وقوله: ﴿أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ موضع (أن) نصب؛ لأنه المفعول الثاني للمنع، وهو مع الفعل بمنزلة المصدر[(٤)].

قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٌ﴾ الآية. قال المفسرون: يريد القتل للحربي، والجزية للذمي[(٥)]. وذكرنا معنى الخزي عند قوله: ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٌ﴾ [البقرة: ٨٥].

١١٥- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾ ارتفع المشرق من جهتين:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨) كتاب الصلاة، باب: قول النبي ﷺ جعلت لي الأرض مسجدًا. ومسلم (٥٢٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٦.

(٣) نقله عن الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٩٦.

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٢٣، القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٦٨، «البحر المحيط» ١/ ٣٥٨ وذكر الثعلبي في «تفسيره» جواز نصبه على نزع الخافض والتقدير: من أن يذكر.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٢٤، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٤٠، والقرطبي ٢/ ٧٠ عن قتادة، وأخرجه عبد الرازق في «تفسيره» ١/ ٥٦ ومن طريقه الطبري ١/ ٥٠٠، وابن أبي حاتم ١/ ٢١١ عن قتادة: أن المراد بها الجزية وينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٦-١٩٧، قال ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٦٨: والصحيح أن الخزي في الدنيا أعم من ذلك كله، وقد ورد الحديث بالاستعاذة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

إحداهما: الابتداء، والأخرى: بالفعل الذي ينوب عنه اللام[١]، أي: ثبت لله المشرق، ومثله قولك: لزيد المال، فيه الوجهان كما ذكرنا، ومعنى (لله) أي: هو خالقهما[٢].

قال ابن عباس: نزلت الآية في نفر من أصحاب النبي ﷺ خرجوا في سفر فأضابَهم الضَّبابُ، وحضرت الصلاةُ فتحرَّوا القبلةَ، وصلوا إلى أنحاء مختلفة، فلما ذهب الضباب استبان أنهم لم يصيبوا، فلما قدموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية[٣].

وقال ابن عمر: نزلت في صلاة المسافر يصلي حيثما توجهت به راحلته تطوعًا[٤].

وروى أن النبي ﷺ كان يصلي على راحلته في السفر حيثما توجهت به[٥].

وقال عكرمة وأبو العالية: نزلت في تحويل القبلة، وذلك أن اليهود عيّرت المؤمنين في انحرافهم من بيت المقدس، فأنزل الله هذه الآية جوابًا

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٧.

(٢) «تفسير الطبري» ١/ ٥٠١.

(٣) أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، كما في «ابن كثير» ١/ ١٦٩، وذكره السمرقندي في «تفسيره» ١/ ١٥١، والثعلبي ١/ ١١٢٨، والسيوطي في «لباب النقول» ص ٢٣، وفي «الدر المنثور» ١/ ٢٠٥، وعزاه إلى ابن مردويه، وضعف إسناده. وقد ذكر ابن كثير في «تفسيره» روايات كثيرة في هذا ثم قال: وهذه الأسانيد فيها ضعف، ولعله يشد بعضها بعضًا.

(٤) أخرجه مسلم (٧٠٠/ ٣٤- ٣٥- ٣٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت به.

(٥) أخرجه البخاري (٤٠٠) في الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، ومسلم (٧٠٠) صلاة المسافرين، باب جواز النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت.

لهم[١].

قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ أي: وجوهَكم، فحذف المفعول[٢].
ومعنى ﴿تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾: تجعلونها تليه، ونذكر معنى هذا الحرف عند قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨].

وقوله تعالى: ﴿فَثَمَّ﴾ قال أبو إسحاق: (ثَمّ) بُني على الفتح لالتقاء الساكنين، وثَمَّ في المكان: إشارة، بمنزلة هناك[٣]، فإذا أردت المكان القريب قلت: هنا زيد. وإذا أردت المتراخي قلت: هناك وَثَمّ. وإنما منعت (ثَمّ) الإعراب لإبهامها[٤].

قال أبو علي الفارسي: المبني على ضربين: مبني على حركة، ومبني على سكون، والمبني على الحركة على ضربين: أحدهما: ما يكون بناؤه على الحركة، لتمكّنه قبل حاله المفضية إلى بنائه[٥]، وذلك نحو: من عَلُ وأولُ ويا حَكَم، وما أشبه ذلك.

---

(١) ذكره عنهما الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٣٢ وعنه البغوي ١/ ١٤٠، والخازن ١/ ٩٩، وينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٠٢- ٥٠٣، «الوسيط» ١/ ١٩٤. وقد ذكر الثعلبي ١/ ١١٣٢، والواحدي في «أسباب النزول» ص٤٢، والحافظ في «العجاب» ١/ ٣٦٤ سببين آخرين غير ما ذكر. وقال في «البحر المحيط» ١/ ٣٦٠: وهذه أقوال كثيرة في سبب نزول الآية وظاهرها التعارض، ولاينبغي أن يقبل منها إلا ماصح، وقد شحن المفسرون كتبهم بنقلها، وقد صنف الواحدي في ذلك كتابًا قلَّما يصح فيه شيء، وكان ينبغي أن لا يشتغل بنقل ذلك إلا ما صح.

(٢) ينظر: «الوسيط» ١/ ١٩٤.

(٣) في «معاني القرآن»: هنا زيد.

(٤) بتصرف من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٧، وينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٠٥، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٠٨.

(٥) في «الإغفال»: في حالة المفضية به إلى البناء.

والآخر: ما يكون بناؤه على الحركةِ لالتقاء الساكنين، نحو: كيف، وأين، وأيان، وثم، وأولاء، وحذارِ، ومنذ. وكل هذه الأسماء المبنيات مع اختلافها فالعلة الموجبة لبنائها مشابهتها الحروف، ومضارعتها لها، ولذلك بني هذا الاسم أيضا لا للإبهام، لأن الإبهام لا يوجب البناء. ألا ترى أن قولنا: (شيء) من أعمّ ما يتكلم به وأبهمه، وهو معرب غير مبني، و(مكان) أَبْهَمُ من قولنا: ثم؛ لأنه للداني والقاصي[1]، وهو مع إبهامه معرب، فبانَ أنّ بناءه ليس لإبهامه، وإنما هو لتضمُّنه معنى الحرف واختزاله عنه، وذلك أنّ هذا الاسم لمّا كان معرفةً، وكان حكم المعرَّف أن يكون بحرف ولم يذكر، بُنيَ ولم يُعرَبْ؛ لتضمّنه معنى الحرف الذي به يكون التعريف والعهد. ألا ترى أنّ (ثَمَّ) لا تستعمله إلا في مكان معهود معروف[2] لمخاطبك، فإن لم تعرفه لم تعبّر عنه بذلك، فتحقيق العلة في هذا وشرحه ما ذكرنا، دون ما ذكره من الإبهام[3].

وقوله تعالى: ﴿وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ قال أكثر المفسرين[4]: الوجه: صلة، معناه: فثَمَّ الله. كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، والمعنى: فثم الله يَعْلَمُ ويَرَى[5]. و(الوجه) قد ورد صلة مع اسم الله كثيرًا، كقوله:

---

(١) في «الإغفال»: ومكان أبهم من قولنا ثم وكذلك؛ لأنهما يقعان على المواضع الدانية والقاصية.

(٢) في (ش): (معروف معهود).

(٣) «الإغفال» ٣٨٣ - ٣٨٥ بتصرف واختصار.

(٤) بين شيخ الإسلام في «الفتاوى» ٢/ ٤٢٨ أن جمهور السلف على القول بأن المعنى: فثم قبلة الله ووجهة الله.

(٥) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٨.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] و﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] و﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

وهذا قول الكلبي[١] وعبد الله بن مسلم[٢] [٣]، وقال الحسن[٤]، ومجاهد[٥] وقتادة[٦] ومقاتل[٧]: فثم قبلة الله[٨]، والوجه والجهة والوجهة: القبلة. ومثله: الوزن والزِّنَة، والوَعْد والعِدَة، والوَصْل والصِّلة. والعرب تجعل القصد الذي يتوجه إليه وجهًا[٩]، كقول الشاعر:

ربَّ العبادِ إليه[١٠] الوجهُ والعملُ[١١]

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٣٤ وعنه البغوي ١/ ١٤٠.

(٢) يعني ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» ص ٢٥٤، وقد نُسِب هذا القول لابن عباس كما في «زاد المسير» ١/ ١٣٤- ١٣٥، «القرطبي» ٢/ ٧٥، «البحر المحيط» ١/ ٣٦١، وانظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٠٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٣٤.

(٣) في (ش): (ومسلم).

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢١٢، «الثعلبي»، ١/ ١١٣٤، «البغوي» ١/ ١٤٠، «زاد المسير» ١/ ١٣٥.

(٥) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة البقرة ٥/ ٢٠٦، الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٠٦، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢١٢ (١١٢٢)، والبيهقي في سننه ٢/ ١٣.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٠٢، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢١٢، الثعلبي ١/ ١١٣٤، البغوي ١/ ١٤٠، وينظر: «ابن كثير» ١/ ١٦٨.

(٧) أي: ابن حيان، ذكره عنه «الثعلبي» ١/ ١١٣٤ وعنه البغوي ١/ ١٤٠.

(٨) أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» هذا القول عن ابن عباس ١/ ٢١٢، وينظر في هذا القول: «الطبري» ١/ ٥٠٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٣٤، السمعاني ٢/ ٢٦، «زاد المسير» ١/ ١٣٥، القرطبي ٢/ ٧٥، الخازن ١/ ٩٩.

(٩) ينظر: «اللسان» ٤٧٧٥ (وجه).

(١٠) في (ش): وإليه.

(١١) وصدر البيت:

أستغفر الله ذنبًا لستُ مُحْصِيه

معناه. إليه القصد، وعلى هذا القول معنى قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أي: جهة الله[1] التي تعبّدكم بالتوجه إليها[2]، والإضافة تكون للتخصيص

= هذا البيت من شواهد سيبويه الخمسين التي لايعرف قائلها. ينظر: «الكتاب» ١/ ٣٧، و«الخزانة» ٣/ ١١١، و«أدب الكاتب» ٤١٩، و«الفراء» ١/ ٢٣٣، القرطبي ٢/ ٧٥ و«مجموع الفتاوى» ٢/ ٤٢٨ والرازي في «تفسيره» ٤/ ٢٢، «البحر المحيط» ١/ ٣٦١، «لسان العرب» ٦/ ٣٢٧٤ (مادة: غفر). «المعجم المفصل» ٦/ ٢٧٩.

والذنب هنا اسم جنس بمعنى الجمع؛ فلذا قال: لستُ محصيه، وأراد: من ذنبٍ. والوجه: القصد والمراد.

(١) ساقطة من (أ)، (م).

(٢) هذه الآية مما تنازع فيه الناس، هل هي من آيات الصفات أو لا؟ قولان: فمنهم من عدها في آيات الصفات وجعلها من الآيات الدالة على إثبات صفة الوجه لله واستدلوا على ذلك بقول النبي ﷺ: «**إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله قِبَل وجهه**» رواه البخاري (٤٠٦) كتاب الصلاة، باب: حك البزاق باليد ومسلم (٥٤٧) كتاب المساجد، باب: النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، وبقوله «**لايزال الله مقبلاً على عبده بوجهه مادام مقبلاً عليه، فإذا انصرف صرف وجهه عنه**».

وممن قرر ذلك: «ابن خزيمة» كما في «مجموع الفتاوى» ٦/ ١٦ وبهذا فسرها السعدي في «تفسيره» ص ٤٥ وابن عثيمين في «شرح العقيدة الواسطية» ١/ ٢٨٩ (ط. ابن الجوزي).

وقال آخرون: إن المراد بالوجه هنا الجهة كما نقل عن مجاهد والشافعي ونصره شيخ الإسلام في «الفتاوى» ٦/ ١٦، ٣/ ١٩٣ و ٢/ ٤٢٨ بل قال في ٣/ ١٩٣: من عدها في آيات الصفات فقد غلط كما فعل طائفة، فإن سياق الكلام يدل على المراد حيث قال: ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ والمشرق والمغرب الجهات، والوجه هو الجهة، يقال: أي وجه تريده ؟ أي: أي جهة.. ولهذا قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أي: تستقبلوا وتتوجهوا والله أعلم.اهـ. وقال في ٦/ ١٦: ولكن من الناس من يسلِّم أن المراد بذلك وجه الله: أي قبلة الله، ولكن يقول: هذه=

نحو: بيت الله، وناقة الله[١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ الواسع في صفة الله تعالى على ثلاثة أوجه[٢]:

أحدها: أنه واسع بإفضاله على خلقه، واحتماله مسائل عباده، وأنه لا يُكرِثه[٣] إلحاحُهم[٤]، من قول العرب: فلان يسع ما يسأل، قال أبو زبيد:

أُعطيهم الجَهْدَ مني بَلْهَ ما أسِعُ

= الآية تدل على الصفة وعلى أن العبد يستقبل ربه كما جاء في الحديث... ويقول: إن الآية دلت على المعنيين، فهذا شيء آخر، ليس هذا موضعه.

وقد بيَّن الشيخ ابن عثيمين في «شرح الواسطية» ١/ ٢٩٠: أن الأول صحيح موافق لظاهر الآية، وأن الثاني لايخالف الأول في الواقع، فإذاقلنا: فثم جهة الله، وكان هناك دليل سواء كان هذا الدليل تفسير الآية الثانية في الوجه الثاني، أوكان الدليل ماجاءت به السنة، فإنك إذا توجهت إلى الله في صلاتك، فهي جهة الله التي يقبل الله صلاتك إليها، فثم أيضًا وجه الله حقًا، وحينئذٍ يكون المعنيان لايتنافيان.اهـ.

هذا وقد نبه شيخ الإسلام على أمرٍ مهم فقال في «الفتاوى» ٦/ ١٧: والغرض أنه إذا قيل: فثم قبلة الله لم يكن هذا من التأويل المتنازع فيه، الذي ينكره منكرو آيات الصفات، ولا هو مما يستدل به عليهم المثبتة، فإن هذا المعنى صحيح في نفسه، والآية دالة عليه، وإن كانت على ثبوت صفة فذاك شيء آخر، ويبقى دلالة قولهم ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ على: فَثَمَّ قبلة الله، هل هو من باب تسمية القبلة وجهًا باعتبار أن الوجه والجهة واحد، أو باعتبار أن من استقبل وجه الله فقد استقبل قبلة الله؟ فهذا فيه بحوث ليس هذا موضعها.

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٣٤.

(٢) ينظر تفصيل ذلك في: «البحر المحيط» ١/ ٣٦١.

(٣) في (أ): (لا يكونه).

(٤) «تفسير الطبري» ١/ ٥٠٦.

وهذا معنى قول الفراء[١] وأبي عبيدة[٢].

الثاني: أنه يُوَسِّع على عباده في دينهم، ولا يضطرهم إلى ما يعجزون عن أدائه، فهو واسعُ الرَّحمة، واسع الشريعةِ بالترخيص لهم في التوجهِ إلى أي جهة أدَّى إليها اجتهادهم عند خفاء الأدلة[٣].

الثالث: أنه يسع علمَ كلِّ شيء، ويسع علمُه كلَّ شيء، كقوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: علمه[٤]، وقال: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]. وقال ابن عباس في بعض الروايات: إن هذه الآية نزلت في النجاشي[٥]، وذلك أنه توفي، فأتى جبريل النبي ﷺ فقال: «**إن أخاكم النجاشي قد مات، فصلوا عليه**»، ثم صلى رسول الله ﷺ بأصحابه عليه، فقال أصحابه في أنفسهم: كيف نصلي على رجل مات وهو يصلي لغير قبلتنا؟، وكان النجاشي يصلي إلى بيت المقدس حتى مات، وقد صرفت القبلة إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى هذا الآية[٦]. وعَذَر النجاشيَّ في ذلك؛

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٣٦ وعنه البغوي ١/ ١٤٠.

(٢) في «مجاز القرآن» ١/ ٥١.

(٣) «الوسيط» ١/ ١٩٤.

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٣٦ سيأتي الرد على هذا القول موسعًا عند آية الكرسي.

(٥) هو: أصحمة بن أبحر، والنجاشي لقبه، قال ابن عيينة: أصحمة بالعربية عطية، هو ملك الحبشة الذي أكرم المسلمين الذين هاجروا إلى بلاده من مكة، وأحسن استقبالهم وأسلم ولم يهاجر وليست له رؤية فهو تابعي من وجه، وصاحب من وجه، وقد توفي في حياة النبي ﷺ. ينظر: «الإصابة» ١/ ١٠٩، و«تفسير عبد الرزاق» ١/ ١٤٤ و«السير» ١/ ٤٢٨.

(٦) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص ٤١ ونقله عنه في: «العجاب» ١/ ٣٦٤، من قول ابن عباس في رواية عطاء، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٣٣٢ عن عطاء وقتاده، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ط. شاكر ٢/ ٥٣٢-٥٣٣، مختصرًا عن=

لأنه لم يبلغه خبرُ نسخ القبلة وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾ للنجاشي في قبلته، ﴿عَلِيمٌ﴾ بما قبله[(١)] من الإيمان.

١١٦- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ﴾ وفي مصاحف الشام: قالوا[(٢)] بغير واو؛ لأن هذه الآية ملابسة بما قبلها من قوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ لأن الذين قالوا: اتخذ الله ولدا من جملة الذين تقدم ذكرهم، فيستغنى عن الواو؛ لالتباس الجملة بما قبلها كما استغنني عنها في نحو قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]. ولو كان (وَهُمْ) كان حسنًا، إلا أن التباس إحدى الجملتين بالأخرى وارتباطها بها أغنت عن الواو. ومثل ذلك قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] ولم يقل: ورابعهم كما قال: ﴿وَثَامِنُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، ولو حذفت الواو منها كما حذفت من التي[(٣)] قبلها، واستغنى عن الواو بالملابسة التي بينهما كان حسنًا، ويمكن أن يكون حذف الواو لاستئناف جملة ولا يعطفها على ما تقدم[(٤)].

والآية نزلت ردًا على اليهود والنصارى والمشركين، فإنهم وصفوا الله

= قتادة، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٧٠ عن ابن جرير وقال: وهذا غريب، وقال أحمد شاكر: هو حديث ضعيف؛ لأنه مرسل، وسياقه يدل على ضعفه ونكارته.

(١) قوله: عليم بما قبله.. ساقطة من (أ)، (م).

(٢) ذكره ابن أبي داود في: كتاب «المصاحف» ص ٥٤، ولم ينص عليه أبو عمرو الداني في: «المقنع في رسم مصاحف الأمصار». وينظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٤٦٠، «البحر المحيط» ١/ ٣٦٢.

(٣) في (ش): (الذي).

(٤) ينظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٢٠٨.

تعالى بالولد، فقالت اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾، وقالت النصارى: ﴿ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقالت المشركون: الملائكة بنات الله، فنزّه اللهُ نفسَه عن اتخاذ الولد، فقال سبحانه: ﴿بَل لَّهُۥ﴾[١]. وبل معناه: نفي الأول وإثبات للثاني[٢][٣]، أي: ليس الأمر كذلك ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ عبيدًا وملكًا[٤].

﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ قال مجاهد[٥] وعطاء[٦] والسدي[٧]: مطيعون.

قال أبو عبيد: أصل القنوت في أشياء: فمنها القيام، وبه جاءت الأحاديث في قنوت الصلاة؛ لأنه إنما يدعو قائمًا، ومن أبين ذلك: حديث جابر[٨] قال: سئل النبي ﷺ أي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت»[٩]

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٠٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٨، «تفسير السمرقندي» ١/ ١٥٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٣٧، «أسباب النزول» للواحدي ص ٤٢، «زاد المسير» ١/ ١١٨، «العجاب» لابن حجر ١/ ٣٦٦.

(٢) في (م): (الثاني).

(٣) ينظر: «كتاب سيبويه» ٤/ ٢٢٣.

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٣٨.

(٥) أخرجه الطبري ١/ ٥٠٧، ابن أبي حاتم ١/ ٢١٣ من طريقين عن مجاهد.

(٦) ذكره عنه في «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٣٨.

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٠٧ وهو مروي أيضًا عن ابن عباس وقتادة وعكرمة، ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٠٧، البغوي في «تفسيره» ١/ ١٤١، واختاره الطبري في «تفسيره» و«ابن كثير» في «تفسيره».

(٨) هو: أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي، أحد الصحابة المكثرين من الرواية عن النبي ﷺ، شهد العقبة كما شهد تسع عشرة غزوة مع الرسول ﷺ عدا بدرًا وأحدًا، منعه أبوه، توفي سنة ٧٨ وقيل ٧٤، أو ٧٣هـ. ينظر: «أسد الغابة» ١/ ٣٠٧، و«الإصابة» ١/ ٤٣٤.

(٩) أخرجه مسلم (٧٥٦) في صلاة المسافرين، باب أفضل الصلاة طول القنوت.

يريد: طول القيام.

والقنوت أيضًا: الطاعة[١]، وقال عكرمة في قوله: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ القانت: المطيع[٢]، وقال الزجاج مثله، قال: والمشهور في اللغة أن القنوت الدعاء، وحقيقة القانت: أنه القائم بأمر الله، والداعي إذا كان قائمًا خُصَّ بأن يقال له: قانت، لأنه ذاكر لله وهو قائم على رجليه، فحقيقة القنوت: العبادة والدعاء لله في حال القيام[٣].

ويجوز أن يقع في سائر الطاعة؛ لأنه إن لم يكن قيام بالرجلين فهو قيام بالشيء بالنية[٤].

قال ابن عباس في هذه الآية: قوله: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ راجع إلى أهل طاعته دون الناس أجمعين[٥].

وهو من العموم الذي أريد به الخصوص، وهذا اختيار الفراء[٦]، وطريقة مقاتل[٧] ويمان[٨] إلا أنهما قالا: هذا يرجع إلى عُزير والمسيح

(١) «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٤٣٧، وينظر: «تأويل مشكل القرآن» ص ٤١٥، «تفسير الطبري» ٢/ ٥٣٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٣٨.

(٢) أخرجه أبو عبيد في: «غريب الحديث» ١/ ٤٣٨، ورواه الطبري ١/ ٥٠٧ بنحوه.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٨.

(٤) رجح الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٠٧ أن القنوت: الطاعة والإقرار لله عزوجل بالعبودية، بشهادة أجسامهم بما فيها من آثار الصنعة والدلالة على وحدانية الله.

(٥) ورد عن ابن عباس بلفظ: قانتون: مطيعون. عند الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٠٧ وأما اللفظ المذكور أعلاه فلعله من تلك الرواية التي تقدم الحديث عنها في مقدمة الكتاب.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ٧٤، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٠.

(٧) «تفسير مقاتل» ١/ ١٣٣، وذكره الثعلبي ١/ ١٤٠.

(٨) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٠.

والملائكة، أراد: أنهم كلهم عباد الله طائعون[1]، نظيره: قوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

وقال السُدي ومجاهد والزجاج: هذا على ما ورد من العموم، فقال السدي: هذا في يوم القيامة[2]، تصديقه قوله: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١][3].

وقال مجاهد: إن ظِلالَ الكفار تسجد لله وتطيعه[4]. دليله قوله[5]: ﴿يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ﴾ [النحل: ٤٨] الآية، وقوله: ﴿وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [الرعد: ١٥][6].

وقال الزجاج: كل[7] ما خلق الله في السماوات والأرض فيه أثر الصنعة فهو قانت لله، ودليل[8] على أنه مخلوق. والمعنى: كل له قانت، إما[9] مُقِرّ بأنه خالقه؛ لأنه أكثر من يخالف ليس يدفع أنه مخلوق، وما كان

---

(١) رد الطبري في تفسيره ١/ ٥٠٨ القول بالخصوص، بأنه لايجوز ادعاء خصوص في آية ظاهرها العموم، إلا بحجة.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٠٧ وذكره الثعلبي ١/ ١١٤٠.

(٣) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤١.

(٤) تقدم تخريجه عن مجاهد قريبًا. قال ابن كثير في تفسيره ١/ ١٧١: وهذا القول عن مجاهد - وهو اختيار ابن جرير- يجمع الأقوال كلها، وهو أن القنوت: هو الطاعة والاستكانة إلى الله وذلك شرعي وقدري.

(٥) من قوله: قوله: وعنت... ساقط من(ش).

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤١ البغوي ١/ ١٤١.

(٧) في (ش): على.

(٨) في «معاني القرآن»، (والدليل).

(٩) في (ش): (إنما)، وليست الكلمة في «معاني القرآن» للزجاج، والكلام مستقيم بدونها.

من الجمادات فأَثَرُ الخلق بيِّنٌ فيه، فهو على العموم[(١)(٢)].

وقال غيرهُ: طاعة الجميع لله تكونهم[(٣)] في الخلق عند التكوين إذا قال: كن كان كما أراد[(٤)]، فنسب القنوت إليه كما نسبت الخشية إلى الحجارة، والمحبة إلى الجبال، والشكوى إلى الإبل، والسجود إلى الأشجار[(٥)].

١١٧- قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، أي: خالقها وموجدها[(٦)] لا على مثالٍ تقدّم[(٧)]، وهو عند الأكثرين فعيل بمعنى مُفعلٍ، كأليم ووجيع وسميع في قوله:

---

(١) في «معاني القرآن»: فأثر الصنعة بَيِّنٌ فيه، فهو قانت على العموم.

(٢) «معاني القرآن» ١/١٩٨.

(٣) في (ش): (بكونهم).

(٤) يروى عن مجاهد. ينظر: ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/٢١٣.

(٥) نسبت الخشية إلى الحجارة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] ونسبت المحبة إلى الجبال في قوله ﷺ: «**أحد جبل يحبنا ونحبه**» متفق عليه.

ونسبت الشكوى إلى الإبل في الحديث الذي رواه أبو داود وأحمد عن عبد الله بن جعفر أن النبي ﷺ لما راى جملًا لرجل من الأنصار، حنّ الجمل وذرفت عيناه، فمسح النبي ﷺ ذِفراه، فسكت فقال: «**من رب هذا الجمل**»، فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله، فقال: «**أفلا تتقى الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه**».

ونسب السجود إلى الأشجار في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن:٦] وغيرها من الآيات.

(٦) في (ش): (خالقهما وموجدهما).

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/١٩٩، «تفسير الثعلبي» ١/١١٤١.

أَمِنْ رَيْحَانة الداعي السميعُ[١]

أي: المسمع. فالبديع: الذي يُبْدِعُ الأشياءَ، أي: يحدثها مما لم يكن.

ابن السكيت قال: البدعة: كل محدثة، وسقاء بديع: أي: جديد[٢].

وقال أبو إسحاق: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ منشئُهما[٣] على غير حذاء ولا مثال، وكل من أنشأ ما لم يسبق إليه قيل: أبدعت؛ ولهذا قيل لمن خالف السنة[٤]: مبتدع؛ لأنه أحدث في الإسلام[٥] ما لم يسبقه إليه السلف[٦][٧].

قال الأزهري: قول الله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بمعنى مبدعهما، إلا أن بديعًا من بَدَعَ لا من أَبْدَع، وأَبْدَع أكثر في الكلام من بَدَع، ولو استُعْمِل بَدَع لم يكن خطأ، فبديع: فعيل بمعنى فاعل، مثل: قدير بمعنى قادر، وهو[٨] من صفات الله؛ لأنه بدأ الخلق على ما أراد على

---

(١) عجز البيت:

يـؤرقـني وأصـحـابـي هـجـوع

وهو لعمرو بن معديكرب، وقد تقدم البيت.

(٢) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٩٣، «لسان العرب» ١/ ٢٣٠ (بدع).

(٣) في «معاني القرآن»: يعني أنشأهما.

(٤) في «معاني القرآن» للزجاج: السنة والإجماع.

(٥) في «معاني القرآن» للزجاج: لأنه يأتي في دين الإسلام.

(٦) في «معاني القرآن» للزجاج: بما لم يسبقه إليه الصحابة والتابعون.

(٧) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٩وقد نقله بحروفه من «تهذيب اللغة» ١/ ٢٩٣ ولذلك اختلفت العبارات مادة (بدع).

(٨) في «تهذيب اللغة»: وهو صفة من صفات الله.

غير مثالٍ تقدمه[١].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أي: قدره وأراد خلقه[٢].

قال أبو إسحاق في قوله: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [الأنعام: ٨]: قضى في اللغة على وجوه، كلها يرجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه، ومنه قول الله تعالى: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ [الأنعام: ٢]. معناه: ثم حتم بذلك[٣] وأتمه، ومنه: الأمر، وهو قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] معناه: أمر، إلا أنه أمرٌ قاطع حتم.

ومنه الإعلام، وهو قوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء: ٤]، أي: أعلمناهم إعلامًا قاطعًا، ومنه: القضاء الفصل في الحكم، وهو قوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٤][٤] أي: قطع بينهم في الحكم، قال: ومن ذلك قضى فلان دينه، تأويله: أنه قطع ما لغريمه عليه، وأداه إليه، وقطع ما بينه وبينه. وكل ما أحكم فقد قُضِيَ.

تقول: قد قضيت هذا الثوب، وقد قضيت هذه الدار، إذا عملتها وأحكمت عملها، تقول: قد قضيت هذا الثوب، وقد قضيت هذه الدار، إذا عملتها وأحكمت عملها، وقال أبو ذؤيب[٥]:

---

(١) ذكره في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٩٣، ونقله في «اللسان» ١/ ٢٣٠ (بدع).

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤١.

(٣) في «معاني القرآن»: بعد ذلك.

(٤) وردت الآية في نسخ «البسيط» كلها، وفي «معاني القرآن» للزجاج ناقصة هكذا، (ولولا أجل مسمى لقضي بينهم).

(٥) هو: خويلد بن خالد بن محرث أبو ذؤيب الهذيلي، تقدمت ترجمته.

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهما داودُ أو صنعَ السوابغَ تُبّعُ[1][2]

ومنه قول الله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢] أي: خَلَقَهن وعملهن وصنعهن.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، القول هاهنا عند كثيرٍ من النحويين لا يكونُ المراد به النطق، قالوا: لأن المعدوم الذي ليس بكائن لا يخاطَبُ، وتأويله: إذا قضى أمرًا فإنما يكوِّنُه فيكونُ، والقولُ قد يَرِدُ ولا يرادُ به النطقُ والكلام، كما قال:

امتلأ الحوضُ وقال قَطْني[3][4]

---

(١) البيت لأبي ذؤيب، في «ديوانه»: ١٩، «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٣٩، «مجاز القرآن» ١/ ٥٢ «تأويل مشكل القرآن» ص ٤٤١، «تفسير الطبري» ١/ ٥٠٩ «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤١، «لسان العرب» ٦/ ٣٦٦٢ مادة (قضض)، ٦/ ٣٦٦٥ مادة (قضى)، ٤/ ٢٥٠٨ مادة (صنع). وتفسير «القرطبي» ٢/ ٨٧ «الدر المصون» ١/ ٣٥٣.
والبيت من قصيدته التي يرثي فيها أولاده، ومسرودتان يعني: درعين، من السرد، وهو الخرز أو النسج وقضاهما أي: أحكمهما. وداود هو النبي المعروف ﷺ، والصَّنَع الحاذق بالعمل، والصَّنَع هاهنا: تبع، يقال: رجلٌ صَنَعٌ، وامرأة صَنَاع. سمع بأن داود -عليه السلام- كان سخر له الحديد فكان يصنع ما أراد، وسمع بأن تبعًا ملك اليمن عملهما، فقال: عملهما تبع، وظن أنه عملهما، وإنما أمر بها أن تعمل، وكان تبع أعظم شأنًا من أن يصنع شيئًا بيده. ينظر: «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٣٩.

(٢) بتصرف يسير من «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٢٣٠.

(٣) عجز البيت:

مهلا رويدًا قد ملأت بطني

وهذا البيت لم يعرف قائله، والبيت في «تفسير الطبري» ١/ ٥١٠، و«معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٦، و«الأمالي الشجرية» ١/ ٣١٣، و«المقاصد النحوية» ١/ ٣٦، و«الخصائص» ١/ ٢٣، ومعنى قطني: أي: حسبي. وروي: سلًّا رويدًا.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٩.

وكقول أبي النجم[١]:

يَقُلْنَ للرائد: أعشبت، انزل[٢]

والذبّانُ لا قولَ لها، وقال آخرون: إن ما قدّر الله وجوده وعلم فهو كالموجود[٣].

قال أبو بكر بن الأنباري: يحتمل أن تكون اللام في (له) لام أجْل، والتأويل: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ فإنما يقول من أجْل إرادته: كن، فيكون، كقوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] أي: من أجله[٤]، وكقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨] معناه: إنه من أجل حبّ المال لبخيل. قال: ولا يعجبني أن يُلغى القول، ويبطل معناه؛ لأنا لا نجعل حرفًا من كتاب الله مُطَّرَحًا إذا وجدنا له من وجه من الوجوه معنى.

فإن قيل: كيف قال (كن) للشيء الذي يكونه، وذلك الشيء لا يكون نفسه حتى يقال له: كن؟ قلنا: على مذهب النحويين هذا لا يلزم؛ لأن التقدير عندهم فإنما يكوِّنه فيكون، ولفظ الأمر هاهنا المراد منه الخبر، ونذكره فيما بعد. وأما من جعل هذا أمرًا حقيقيًا فإنه يقول هذا من الأمر الحتم الذي لا انفكاكَ للمأمور منه، ولا قدرة له على دفعه والانصراف

(١) هو الفضل بن قدامة، تقدم ٢/ ١٠.

(٢) سبق تخريجه تحت الآية رقم ٩٣.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٩ ففيه: قال بعض أهل اللغة (إنما يقول له كن فيكون) يقول له وإن لم يكن حاضرًا (كن)، لأن ما هو معلوم عنده بمنزلة الحاضر، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٦٤.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٩.

عنه، ومشهورٌ في كلام العرب أن يرى الرجلُ منهم الرجلَ فيقول له: كن أبا فلان، أي: أنت أبو فلان. فكذلك قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ معناه: كن بتكويننا إياك، فالمأمور بهذا لا قدرة له على دفعِه، ولا صنع له فيه، كما أن الذي يقال له: كن أبا فلان، لا صنع له في ذلك بفعل ولا عزم ولا غير ذلك مما يكون من الفاعلين[1].

وقوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ﴾ قال الفراء[2]: والكسائي[3] وأبو إسحاق[4]: رفعه من وجهين: **أحدهما**: العطف على (يقول)، ومثله ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ﴾[5] [إبراهيم: ٤٤].

الثاني: أن يكون رفعه على الاستئناف، المعنى: فهو يكون؛ لأنَّ الكلامَ تمَّ عند قوله: (كن) ثم قال: فسيكون[6] ما أراد الله. قال الفرَّاءُ: وإنه لأحبُّ الوجهين إلي[7]، وقرأ ابن عامر وحده (فيكونَ) بنصب النون[8].

---

(١) ينظر تفصيل المسألة في: «تفسير الطبري» ١/ ٥٠٨- ٥١١، «البحر المحيط» ١/ ٣٦٤-٣٦٦ وقد رجح الطبري في «تفسيره» أن الأمر هنا عام في كل ماقضاه الله وبرأه مماهو موجود، فيقال له: كن قال: فغير جائز أن يكون الشيء مأمورًا بالوجود مرادًا كذلك إلا وهو موجود، ولا أن يكون موجودًا إلا وهو مأمور بالوجود مراد كذلك.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٤.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٥.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٩.

(٥) وهذا الذي اختاره الطبري في «تفسيره» ١/ ٥١١.

(٦) في (م): (فيكون).

(٧) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٥.

(٨) ينظر كتاب: «السبعة» ١٦٨، «الحجة» ٢/ ٢٠٣.

قال أبو علي[١]: قوله: (كُنْ) وإن كان على لفظ الأمر فليس بأمر، ولكنَّ المرادَ به الخبرُ، كأنَّ التقديرَ: يُكَوَّن[٢] فيكون، وقد يَرِدُ لفظ الأمر والمرادُ منه الخبر، كقولهم: أكرمْ بزيدٍ، تأويلُه: ما أكرمَ زيدًا[٣]، والجار والمجرور في موضع رفع بالفعل. وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥] فالتقدير: مدَّه الرحمن. وإذا لم يكن قوله: ﴿كُن﴾ خبرًا في المعنى وإن[٤] كان على لفظ الأمر لم يَجُزْ أن ينصبَ الفعلُ بعد الفاء بأنه[٥] جواب. ويدلُّ على امتناع النصب في قوله: ﴿فَيَكُونُ﴾ أن الجواب بالفاء مضارع للجزاء، يدلُّ على ذلك أنه يؤولُ في المعنى إليه. ألا ترى أن قولك: اذهب فأعطيَكَ، معناه إن تذهب أعطيتُك[٦] ولا يجوز: اذهب فتذهب؛ لأن المعنى يصير: إن ذهبتَ ذهبتَ، وهذا كلامٌ لا يفيد كما يفيد إذا اختلف الفاعلان والفعلان، نحو: قُمْ فأُعطيَك؛ لأنَّ المعنى: إن قُمتَ أعطيتُك، ولو جعلتَ الفاعل في الفعل الثاني فاعِل الفعل الأول، فقلت: قُم فتقومَ، أو أعطِني فتعطيني، على قياس قراءة ابن عامر، لكان المعنى: إن قمت تقم، وإن تُعطِني تعطِني، وهذا كلامٌ في قلةِ الفائدة على ما تراه.

فأمَّا مَنِ احتج له فإنه يقول: اللفظ لما كان على لفظ الأمر وإن لم

(١) في «الحجة» للقراء السبعة ٢/ ٢٠٣.
(٢) في (ش): (فكون).
(٣) في الأصل: زيد، والمثبت من «الحجة».
(٤) في (م): (وإذا).
(٥) في (ش): (لأنه).
(٦) من قوله: معناه.. ساقطة من (ش).

يكن المعنى عليه حملته على صورة اللفظ. وقد حمل أبو الحسن نحو قوله: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣٢] ونحوه من الآي على أنه أجري مجرى جواب الأمر، وإن لم يكن جوابًا له في الحقيقة. وقد يكونُ اللفظُ على شيء والمعنى على غيره، ألا ترى أنهم قالوا: ما أنت وزيد(١)، والمعنى: لِمَ تؤذيه، وليس ذلك في اللفظ. قال: ومن رفع فإنه عطف على قوله: ﴿كُن﴾ لأن معناه: يكوّنه فيكون، وهذا أولى من حمله على (يقول)(٢)؛ لأنه لا يطرد في سورة آل عمران في قوله: ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] لأن قال ماضي، ويكون مضارع، فلا يحسن عطفه عليه لاختلافهما، قال: ويجوز أن يكون خبر ابتداء محذوف، كأنه قال: فهو يكون(٣).

١١٨- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ قال ابن عباس: هم اليهود، قالوا لمحمد ﷺ: لا نؤمن لك حتى يكلّمنا الله أنك رسوله، أو حتى تأتينا بمثل الآيات التي أتت بها الرسل(٤). وقال مجاهد: هم النصارى(٥).

---

(١) في «الحجة»: وزيدًا.

(٢) في (ش): (على ما يقول).

(٣) إلى هنا انتهى كلام أبي علي الفارسي ١/ ٢٠٨ بتصرف واختصار.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥١٢، ابن أبي حاتم ١/ ٢١٥ وذكره الثعلبي ١/ ١١٤٢، وذكره ابن هشام في «السيرة النبوية» عن ابن إسحاق ٢/ ١٧٦، وينظر: «تفسير السمعاني» ٢/ ٣٣، «زاد المسير» ١/ ١٣٧، «تفسير القرطبي» ٢/ ٨٣.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥١٢، ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢١٥، وهو في «تفسير مجاهد» ص ٨٦، وهذا الذي رجحه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥١٣، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٢ لدلالة سياق الآيات.

وقال الحسن[١] وقتادة[٢]: هم مشركو العرب، وهذا أظهر الأقوال؛ لأنه يُشاكل ما طلبوا، حيث قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا﴾ الآيات الأربع [الإسراء: ٩٠- ٩٣]، ولأن أهل الكتاب أهل علم به، والله تعالى قال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ قال أبو عبيدة[٣] والزجاج[٤]: معنى لولا: هلّا، وأنشد أبو عبيدة:

تعدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أفضلَ مجدِكم بني ضَوْطَرَى، لولا الكَمِيَّ المُقَنَّعَا[٥]

أي: هلّا[٦]، وقال الخليل: (لولا) له معنيان: أحدهما: هلّا،

---

(١) لم أره عن الحسن وقد نقله في «الوسيط» ١/ ١٩٧.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٥١ ، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٥١، والثعلبي ١/ ١١٤٢.

(٣) ينظر: «مجاز القرآن» ١/ ٥٢.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» ١/ ١٩٩.

(٥) البيت «لجرير» في ديوانه ص ٢٦٥، «النقائض» ص ٨٣٣، «مجاز القرآن» ١/ ١٩٩، «تفسير الطبري» ١/ ٥١٣، «أمالي ابن الشجري» ٢/ ٢١٠. وقدعزاه هؤلاء الثلاثة لأشهب بن رُميلة. ورواية الديوان والنقائض: أفضل سعيكم. وقوله: عقر النيب: يقال عقر الناقة أو الفرس: أي ضرب قوائمها فقطعها، والنيب: جمع ناب، وهي الناقة المسنة، سميت بذلك لطول نابها، وقوله: بني ظوطري: يعني: يابني الحمقى، وقيل: إنه نبز لرجلٍ من بني مشجاع بن دارم. والكمي: الشجاع الذي لايرهب، فلايحيد عن قرنه، كان عليه سلاح أو لم يكن. وكان العرب يعقرون البعير قبل نحره لئلا يشرد، وكانوا يتكارمون بالمعاقرة، وهي أن يعقر هذا ناقة فيعقر الآخر، يتباريان في الجود حتى يغلب أحدهما. ينظر حاشية «تفسير الطبري» ١/ ٥١٣.

(٦) «مجاز القرآن» ١/ ٥٢-٥٣.

والآخر: لولم، كقولك: لولا زيد لأكرمتك، معناه: لو لم يكن، وتقول: لولا فعلت ما أمرتك، في معنى: هلَّا فعلت. وقد يدخل (ما) في هذا المعنى في موضع لا، كقوله تعالى: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الحجر: ٧]. أي: هَلَّا. وكلُّ ما في القرآن لولا يفسَّر على هَلَّا، غير التي في الصافات ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣] يقول: فلو لم يكن من المُسَبِّحين[١]. وقال الفراء: لولا إذا كانت مع الأسماء فهي شرط، وإذا كانت مع الأفعال فهي بمعنى هلّا، لومٌ على ما مضى، وتحضيض لما يأتي.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ أراد: كفار الأمم الخالية. قال الزجاج: أَعْلَمَ اللهُ أنَّ كفرَهم في التعنُّتِ بطلب الآيات على اقتراحهم، كَكُفْر الذين من قبلهم في قولهم لموسى: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] وما أشبهه، وفي هذا تعزية للنبيﷺ[٢].

وقوله تعالى: ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: أشبه بعضُها بعضًا في الكفرِ والقسوةِ ومسألةِ المُحال[٣] كقوله: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يريد: أن من أيقن وطلبَ الحقّ فقد أتته الآيات البينات، نحو: المسلمين ومن لم يعاند من علماء اليهود؛ لأن القرآن برهانٌ شافٍ[٤].

---

(١) ينظر في لولا: «الكتاب» لسيبويه ٣/ ١١٥، ٤/ ٢٢٢، «المغني» لابن هشام ١/ ٢٧٢-٢٧٦.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٩٩.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤٣.

(٤) نقلًا عن «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٠.

١١٩- قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ معنى الحقّ في اللغةِ: هو الواجب الصدق الموجود، وهو نقيض الباطل، يقال: حَقَّ الشيء يَحِقُّ حقًا، معناه: وجب[١] وجوبًا. فالحق مصدر، ثم يستعمل بمعنى فاعل، مثل: بَرّ وطَبّ، وقال شمر: تقولُ العرب: حقٌّ عليَّ أن أفعل ذلك، وحُقّ، وإني لمحقوق أن أفعل خيرًا، قال: وتقول: حَقَقْتُ الأمر، وأحققته، إذا كنت على يقين منه[٢]. وقال الفراء: حُقّ لكَ أن تفعل كذا، وحُقٌّ عليك، فإذا قلت: حُقَّ، قلت: لك، وإذا قلت: حَقٌّ، قلت: عليك[٣]. ابن الأعرابي: الحق: صدق الحديث، والحقّ: الملك، والحقّ: اليقين بعد الشك[٤].

وأصل الحق ما ذكرنا من أنه الصدق الواجب، ثم يسمى كلُّ ثابت موجود غير باطل: حقًا، كالذي ذكره ابن الأعرابي. والحقُّ من أسماء الله تعالى قال الله تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المؤمنون: ٧١]، والحقُّ: العدل في قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]، والحق: الدَّين في قوله: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾[٥] [البقرة: ٢٨٢].

فأما تفسير الحق في هذه الآية، فقال ابن عباس: الحق: القرآن[٦]، كقوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [ق: ٥][٧]، وقال ابن كيسان: الحق

---

(١) في (ش): (وجبت).

(٢) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٧٧.

(٣) نقله عن شمر كما في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٧٦.

(٤) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٠.

(٥) ينظر: «المفردات» للراغب الأصفهاني ص ١٣٢، «اللسان» ٢/ ٩٤٠ (حق).

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٣، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٨، البغوي ١/ ١٤٢، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٣٧.

(٧) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤٣.

في هذه الآية: الإسلام[١]، نحو قوله: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١][٢].

والباء في(بالحق) بمعنى مع، أي: مع الحق[٣]. وقوله: ﴿وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ [المائدة: ٦٢]، وإذا[٤] كان كذلك كان في موضع النصب بالحال[٥]، كقوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[٦] البشير: فعيلٌ بمعنى فاعل من بشَر يبشُرُ بشَرًا بمعنى بشّر[٧]، ونذكر ذلك عند قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩]. والنذير: بمعنى المنذر، وكان الأصل: نَذَرَ، إلا أن فعل الثلاثي أميت، ومثله: السميع: بمعنى المسمع، والبديع بمعنى المبدع، وتقول: أنذرتُه فنَذِر، أي: أعلمتُه فعلِمَ وتحرّز[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ سأل فِعْلٌ يتعدّى إلى مفعولين، أنشد أحمد بن يحيى[٩]:

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٤، والواحدي في «الوسيط» ١/ ١٩٨ البغوي ١/ ١٤٢ وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٣٧.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤٣.

(٣) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٦٧.

(٤) في (ش): (فإذا).

(٥) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٦٧ وذكر أنه حال من الكاف، ويحتمل أن يكون حالًا من الحق؛ لأن ماجاء به من الحق يتصف أيضًا بالبشارة والنذارة، والأظهر الأول.

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٠، «إعراب القرآن» ١/ ٢٠٩.

(٧) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٣٣٨، «البحر المحيط» ١/ ٣٦٧.

(٨) «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٤٦، «اللسان» ٧/ ٤٣٩٠.

(٩) في «الحجة» ذكر هذا البيت ثم قال: وأنشد أحمد بن يحيى:

سألت عَمْرًا بعد بكرٍ خُفًّا ... والدلْو قد تُسْمَعُ كي تَخِفّا

سألناها الشِّفَاءَ فما شَفَتْنَا ... ومَنَّتْنَا المواعدَ والخِلابا[١]

ويجوز الاقتصارُ فيه على مفعولٍ واحد، ويكون على ضربين: أحدهما: أن يتعدّى بغير حرف. والآخر: أن يتعدّى بحرف. فالمتعدي بغير حرف نحو قوله: ﴿وَسْئَلُوا مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا مَآ أَنفَقُوا﴾ [الممتحنة: ١٠]. وقال: ﴿فَسْئَلُوٓا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ٧]. وأما تعديه بالحرف فالحرف الذي يتعدى به حرفان: أحدهما: (الباء)، كقوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١] وكقول الشاعر:

وسائلةٍ بثعلبةَ بْنِ بكر ... وقد أودَتْ بثعلبةَ العَلُوقُ[٢]

والآخر: (عن)، كقولك: سل عن زيد.

وإذا تعدى إلى مفعولين فالمفعول الثاني يكون على ثلاثة أضرب: أحدها: أن يكون الفعل واقعًا عليه من غير حرف ظاهر ولا مضمر، وذلك نحو قوله:

سألتُ زيدًا بعد بكر خُفًّا[٣]

---

(١) البيت لجرير بن عطية، يهجو فيها الراعي النميري، ينظر: «ديوانه» ص٥٨، «الحجة» ٢/ ٢٠٩. والخلاب: المخادعة والكذب.

(٢) البيت للمفضل النكري، في «الأصمعيات» ص٢٠٣، و«المنصفات» ص ٢٥، و«الخصائص» ٢/ ٤٣٧، «الحجة» ٢/ ٢١٠، «لسان العرب» ٤/ ٢١٧٠، (مادة: سير)، ٥/ ٣٠٧٤، (مادة: علق)، «المعجم المفصل» ٥/ ١٨٢ وروايته في بعض المصادر: (سير) بدل: بكر، و(علقت) بدل: أودت، وهذا البيت من قصيدة الشاعر المنصفة، يذكر أن ثعلبة بن سيار كان في أسره، وهو الذي ذكره في البيت: ثعلبة بن سير، ضرورة لإقامة الوزن. والعلوق: المنية.

(٣) البيت من الرجز لم ينسب لقائل، وبعده:

والدلْو قد تُسْمَعُ كي تَخِفَّا

ذكره في «الحجة» ٢/ ٢١٠ مرة قال: عمرًا، ومرة قال: زيدًا. «اللسان» (مادة: خفف).

فيكون معناه: استعطيته[١].

الثاني: أن يتعدّى الفعلُ إليه بإضمارِ حرف، وذلك قوله[٢]: ﴿وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠]. معناه: ولا يسأل حميمٌ عن حميمٍ، ويكون بمنزلة: اخترت الرجال زيدًا، ويجوز إظهارُ الحرف، فيكون كقوله: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

والثالث: أن يقع موقعَ المفعول الثاني استفهام، كقوله: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ [البقرة: ٢١١]. وقوله: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥][٣].

وفي (سألت) لغتان: تحقيق الهمزة وهي الفاشية الكثيرة، وسِلْتُ أَسَال لغةٌ، وعليها جاء قول الشاعر:

سَالَتْ هذيلُ رسولَ الله فاحشةً
ضلَّت هذيلُ بما قالت ولم تُصِبِ[٤]

وحمل سيبويه[٥] (سالت) على قلب الهمزة ألفًا للضرورة، كما قال:

راحَتْ بمسلمةَ البغالُ[٦] عَشِيَّةً
فارعَيْ فَزارةُ لا هَنَاكِ المَرْتَعُ[٧]

---

(١) في «الحجة» ٢/ ٢١١ زيادة عليه، أي: سألته أن يفعل ذلك.

(٢) من قوله: سألت زيدًا بعد بكر... ساقط من (ش).

(٣) ما تقدم منقول من «الحجة» لأبي علي الفارسي ٢/ ٢٠٩-٢١١.

(٤) البيت لحسان بن ثابت هجو هذيلًا، في ملحق ديوانه ص٣٤، «السيرة النبوية» لابن هشام ٣/ ١٧٦، «الكتاب» لسيبويه ٢/ ١٣٠ «المقتضب» للمبرد ١/ ١٦٧، «الحجة» ٢/ ٢١٨ «المعجم المفصل» ١/ ٤٢٥.

(٥) «الكتاب» ٣/ ٤٦٨، ٥٥٥. ونقل ذلك عنه أبو علي الفارسي في «الحجة» ٢/ ٢١٨.

(٦) في (ش): (النعال).

(٧) البيت للفرزدق، في «ديوانه» ١/ ٤٠٨، «الكتاب» ٣/ ٥٥٤، «الحجة» ٢/ ٢١٨، «المعجم المفصل» ٤/ ٢٦٧.

قال الزجاج[١] ثم ابن الأنباري وأبو علي[٢]: الرفع في قوله: (ولا تُسأل) من وجهين: **أحدهما**: أن يكون حالًا صُرِفَتْ إلى الاستقبال، فيكون مثل ما عطف عليه في المعنى من قوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ وغير مسؤول، فيكون مرفوعًا في اللفظ، منصوبًا في التأويل، ويكون ذكر تُسْأَلُ وهو فعل بعد قوله: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[٣] كقوله: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾ [آل عمران: ٤٦]. بعد ما تقدم من قوله: ﴿وَجِيهًا﴾ .

والوجه **الثاني**: أن يكون منقطعًا من الأول، مُستأنفًا به، يُراد: ولست تسأل عن أصحاب الجحيم، ويقوي هذا الوجهَ قراءة عبد الله: ولن تسألَ، وقراءة أُبي: وما تُسأل[٤]، فلن، وما يشهدان للاستئناف[٥]. ومعنى الآية ما قال مقاتل: وهو أن النبي ﷺ قال: لو أن الله أنزل بأسه باليهود لآمنوا، فأنزل الله عز وجل ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾[٦]. أي: لست بمسؤولٍ عنهم، وليس عليك من شأنهم عُهدة ولا تبعة، فلا تحزن عليهم، كما قال:

---

(١) في «معاني القرآن» ١/ ٢٠٠.

(٢) «الحجة» ٢/ ٢١٦.

(٣) ساقط من (ش) من قوله: (في اللفظ).

(٤) القراءتان في «الحجة» لابن زنجلة ص ١١٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤٦، و«مختصر في شواذ القرآن» لابن خالوية ص ١٦، و«الكاشف» ١/ ١٨٢، وتفسير ابن عطية ١/ ٤٦٨.

(٥) إلى هنا انتهى كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢١٦.

(٦) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٥، والواحدي في «أسباب النزول» ص ٤٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١١٩، و«القرطبي» ٢/ ٨٣ ونقله ابن حجر في «العجاب» ١/ ٣٦٨ عن الواحدي، ثم قال: لم أر هذا في «تفسير مقاتل بن سليمان»، فينظر في «تفسير مقاتل بن حيان» ا.هـ. وهذا مرسل لايحتج به.

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾[1] [الرعد: ٤].

وقرأ نافعٌ وحدَه (ولا تَسْأَلْ) بفتح التاء وجزم اللام، وله وجهان: أحدهما: أن يكونَ هذا نهيًا للنبي ﷺ على ما روي عن ابن عباس، أنه قال: سأل رسول الله ﷺ جبريل عن قبر أبيه وقبرِ أمِّهِ، فدلَّه عليهما، فذهب إلى القبرين ودعا لهما، وتمنىَّ أن يعرف حالَ أبويه في الآخرة فنزلت قوله: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾[2].

وقال القرظي: قال رسول الله ﷺ ذات يوم: «**ليت شعري ما فعل أبواي**»، فأنزل الله هذه الآية، فما ذكرهما حتى توفاه الله[3]. قال ابن

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٠.

(٢) ذكره أبو علي الفارسي في «الحجة» ٢/ ٢١٦، وقال: وهذا إن ثبت معنى صحيح، ويذكر أن في إسناد الحديث شيئا وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٤ والواحدي في «أسباب النزول» ص ٤٣ من طريق عطاء عن ابن عباس. وقال ابن حجر في «العجاب» ١/ ٣٦٩: وأما قول ابن عباس فنسبه الثعلبي في «تفسيره» لرواية عطاء عنه، وهي من تفسير عبد الغني بن سعيد الواهي، وقد أخرجه الطبري من مرسل محمد بن كعب القرظي، وعليه اقتصر الماوردي وابن ظفر وغيرهما، واستبعد الرازي صحة هذا السبب، قال لأنه ﷺ يعلم من مات كافرًا. انتهى. وفي سنده موسى بن عبيدة وهو ضعيف.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٥٩، الطبري ١/ ٥١٦ وأشار إلى ضعفه في ١/ ٥١٦، ابن أبي حاتم ١/ ٢١٧ من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن كعب، وذكره السيوطي في «الدر» ١/ ٢٠٩، وزاد نسبته إلى وكيع، وسفيان بن عيينه، وعبد بن حميد، وابن المنذر. قال السيوطي: هذا مرسل ضعيف الإسناد، وقال أحمد شاكر بعد أن أورده الطبري من طريقين عن موسى بن عبيدة: هما حديثان مرسلان، فإن محمد بن كعب بن سليم القرظي، تابعي، والمرسل لاتقوم به حجة، ثم هما إسنادان ضعيفان أيضًا بضعف راويهما موسى بن عبيدة بن نشيط الربذي... وقد أخرجه الطبري أيضًا ٢/ ٥٥٩ عن داود بن أبي عاصم، أن النبي ﷺ=

عباس: وفي هذا نزلت الآية التي في التوبة: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وهو علي ﷺ ﴿أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾[١] [التوبة: ١١٣].

قال أبو إسحاق: ويجوز أن يكون النهي لفظًا، ويكون المعنى على تفخيم ما أَعَدَّ لهم من العقاب، كما تقولُ[٢]: لا تسأل عما فيه فلان من البلاء، إذا عظمته وبالغت في وصفه[٣]. وعلى هذا يكون الظاهر نهيًا وتأويله تأويل التعجيب والتعظيم[٤]. واختار أبو عبيد القراءة الأولى قال: لأنه لو أراد النهي لكانت الفاء أحسن من الواو[٥].

وقال أبو علي: إنما تكون الفاء أحسن إذا كانت الرسالة بالبشارة والنِذارة علّةً لأن لا يسأل عن أصحاب الجحيم، كما يقول الرجل: قد حملتُك على فرس فلا تسألني غيره، فيكونُ حملُه على الفرس علّةً لئلا يَسْأل غيره، وليس البشارة والنذارة علةً لئلا يسأل[٦]، وإنما يجعل للقراءة الأولى مزية على الثانية؛ لأن الأولى خبر، والكلام الذي بعده وقبله خبر، فإذا كان أشكل بما قبله وبما بعده كان أولى من القراءة الثانية التي هي

= قال... فذكره. وقال السيوطي ١/ ٢٠٩: معضل الإسناد ضعيف لا تقوم به ولا بالذي قبله حجة. وقال أحمد شاكر: وهذا مرسل أيضًا لاتقوم به حجة، داود بن أبي عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي: تابعي ثقة، ويروى عن بعض التابعين أيضًا.

(١) أخرجه الطبري ١١/ ٤٢ من طريق عطية العوفي وسنده مسلسل بالضعفاء.

(٢) في «معاني القرآن»: كما يقول لك القائل الذي تعلم أنت أنه يجب أن يكون من تسأل عنه في حالة جميلة، أو حالة قبيحة، فتقول: لا تسأل عن فلان، أي: قد صار إلى أكثر مما تريد.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٠.

(٤) في «معاني القرآن» ١/ ٢٠٠.

(٥) نقله أبو علي الفارسي في «الحجة» ٢/ ٢١٧ دون نسبة.

(٦) «الحجة» لأبي علي الفارسي ٢/ ٢١٧.

نهي[1].

والجحيم عند العرب: النار المستحكمة المتلظية، يقال: جَحَمَتِ النارُ تَجْحَمُ، بفتح العين فيهما، جُحومًا فهي جاحم وجحيم، قال الله تعالى في قصة إبراهيم: ﴿فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧] أراد: النار الشديدة التأجج. ويقال لشده القتل في معركة الحرب: جاحم، تشبيهًا بالنار العظيمة، قال:

حتى إذا ذاق منها جاحِمًا بَرَدَا[2]

والجَحْم والجَحْمَة: توقُّد النار[3]، ومنه قوله:

نحن حَبسنا بني جَديلةَ في نارٍ من الحرب جَحْمةِ الضَّرَمِ[4]

١٢٠- وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ قال المفسرون: كانت اليهود والنصارى يسألون النبي ﷺ الهُدنة، ويُطمعونه، ويُرونه أنه[5] إن هادنهم وأمهلهم اتبعوه، فأنزل الله هذه الآية[6]، وأخبر أنه لا يرضيهم إلا ما يستحيل وجوده، وما لا سبيل إليه؛ لأن اليهود لا ترضى عنه إلا بالتهود، والنصارى إلا بالتنصر، ويستحيل

---

(١) «الحجة» لأبي علي الفارسي ٢/ ٢١٦.

(٢) ذكره في «تهذيب اللغة» ١/ ٥٤٥، عن الليث، ولم ينسبه وكذا في «اللسان» ١/ ٥٥٣.

(٣) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٥٤٥، «المفردات» للراغب ص ٩٥، «اللسان» ١/ ٥٥٣.

(٤) ينظر: «ديوان الحماسة» ١/ ٤٦.

(٥) ساقطة من (م).

(٦) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢٠٢، والسمرقندي في «بحر العلوم» ١/ ١٥٤، الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٦، والواحدي في «أسباب النزول» ص ٤٣، وفي «الوسيط» ١/ ٢٠٠، البغوي ١/ ١٤٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٣٨، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٦٨.

الجمع بينهما، فإذا استحال إرضاؤهم فهم لا يرضَوْنَ عنه أبدًا[١].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (حتى) تقع[٢] على الأسماء وعلى الأفعال، وهي لوضعِ غاية اسمية أو فعلية. أما الاسمية: فمثل قولك: لقيتُ القومَ حتى عبدَ الله، ومررت بالقومِ حتى عبدِ الله. وأمَّا الفعليةُ: فمثلُ قولك: اصبِرْ حتى أخرُجَ إليك. و(حتى) قد تقوم مقام (إلى) وتؤدي مثلَ معناها في بعض المواضع، ويفترقان في كثير منها، أما الموضع الذي يتفقان فيه، فمثلُ قولك: أقمْنا عندَه إلى الليلِ، وحتى الليل. وأما موضعُ افتراقهما، فمثل قولك: لقيتُ القوم حتى زيدًا، فإنه لا يجوز في هذا الموضع: لقيت القوم إلى زيد. وأما قولهُم: أكلت السمكةَ حتى رأسَها، ورأسُها، ورأسِها. فإذا كسرت لم يدخل الرأس في الكل؛ لأنَّ الأكلَ انتهى إليه، وهو بمعنى إلى. وفي النصب والرفع الرأسُ مأكولٌ؛ لأن (حتى) أتبع الرأسَ السمكة في النصب. وفي الرفع كان (حتى) بمعنى الواو، ورأسُها ابتداء، والخبر مضمرٌ فيه.

وأما نصبها للفعل فقال الخليل[٣] وسيبويه[٤]: الناصبُ للفعل بعد حتى (أن)، إلا أنها لا تظهر مع حتى، والدليل على أن (حتى) غير ناصِبَة بنفسها: أنَّها خافضةٌ بالإجماع، كقوله ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]، ولا يُعرَف[٥] في العربية ما يعمل في اسم يعمل في فعلٍ، ولا ما يكون خافضًا

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥١٧، «البحر المحيط» ١/ ٣٦٨.

(٢) في (أ)، (م): يقع.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج١/ ٢٠١.

(٤) «الكتاب» ٣/ ٧.

(٥) في (ش): (تعرف).

لاسم يكون ناصبًا[١]. وهكذا اللام في قولك: جاء زيد ليضربك، معناه: لأن يضربك؛ لأن اللام خافضة للاسم، فلا تكون ناصبةً لفعل، ولا يجوز إظهار (أن) مع هذه اللام. ويجوز رفع الفعل بعد (حتى) إذا حَسُن فيه الماضي، نحو قولك: تعلمت حتى أجيب في كل شيء، وسنذكر هذا عند قوله: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿مِلَّتَهُمْ﴾ قال ابن عباس: دينهم[٢].

وكذلك قال أهل اللغة، قالوا: وإنما سُمِّيَ الدينُ ملّةً؛ لأنه يُمَلُّ، أي: يُملَى على المدعوِّ إليه، وأملّ وأملَى بمعنى واحد[٣]، لكن الملة بنيت[٤] على الأصل، وهو الثلاثي. وقيل: الملّة فِعْلةٌ من مَلَّه يمُلّه، إذا ألقاه في الرماد الحار، جُعِلَتْ اسمًا للدين؛ لما فيه من مشاق تخرج عن قضية[٥] الهوى ورسم النفس، ويُقْلِق ويُحرقُ[٦][٧]. والزجاج ذكر فيها وجهًا آخر، وهو أنه قال: الملّة بمعنى السنّة والطريقة قال: ومن هذا سُمّيت المَلَّة؛ لأنها تؤثر (في مكانها كما يؤثر)[٨] في الطريق بالسلوك فيه[٩]، فجعل المَلَّة

---

(١) ينظر تفصيل حتى وأوجهها في: «مغني اللبيب» ١/ ١٢٢-١٣١، ومعظم النص منقول من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠١-٢٠٢.

(٢) أخرجه الثعلبي في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» ١/ ٢٠٩.

(٣) زيادة من (م).

(٤) في (ش) كأنها: (ثنيت).

(٥) في (ش): (قصة).

(٦) في (ش): (تعلق وتحرق).

(٧) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤٧، «اللسان» ٧/ ٤٢٧١.

(٨) ساقط من (ش).

(٩) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٢ وعبارته: ومن هذه المَلَّة، أي: الموضع الذي=

مشتقة من المِلَّة، وعنده أصلها من التأثير.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ قال ابن عباس: يريد أن الذي أنت عليه هو دين الله الذي رضيه[١]. وقال الزجاج: أي: الصراط الذي دعا إليه وهدى إليه هو طريق الحق[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ إنما جمعَ الهوى؛ لأنَّ جميع الفِرَق ممن يخالفُ النبي ﷺ لم يكن لِيُرضيَهم منه إلا اتباعُ هواهم[٣]. وأراد بهذا: ما يدعونه إليه من المهادنة والإمهال.

وقوله تعالى: ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ دين الله هو الإسلام[٤]، وقيل: من العلم أنهم على الضلالة. وروي عن ابن عباس في هذه الآية قولان:

أحدهما: أنه قال: الآية نزلت في تحويل القبلة، وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يرجُون أن يرجع محمد إلى دينهم، فلمَّا صرفَ اللهُ القبلة إلى الكعبة شَقَّ ذلك عليهم، وأَيِسُوا منه أن يوافقَهم على دينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[٥]. يعني:

= يختبز فيه، لأنها تؤثر في مكانها كما يُؤثر في الطريق. ثم قال: وكلام العرب إذا اتفق لفظه فأكثره مشتق بعضه من بعض، وآخذ بعضه برقاب بعض. وقد نقله في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٥١.

(١) ذكره في «الوسيط» ١/ ٢٠٠، وهذا لعله من رواية عطاء.

(٢) و(٣) «معاني القرآن» ١/ ٢٠٢.

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٤٧.

(٥) ذكره الثعلبي ١/ ١١٤٦والواحدي في «أسباب النزول» ص ٤٣، والبغوي ١/ ١٤٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٣٨، وابن حجر في «العجاب»١/ ٣٧٣، والسيوطي في «لباب النقول» ص ٢٥، وعزاه في «الدر» ١/ ٢٠٩ للثعلبي.

صليت نحو قبلتهم بعد الذي جاءك من العلم في التحويل إلى الكعبة.

والقول **الثاني**: إن المراد بقوله ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ أمةُ محمد ﷺ، وأما محمد فقد عصمته. وإياكم أخاطب وأنهى وأؤدب، فقد علمتم أن محمدًا قد جاءكم بالحق والصدق، فلا تتبعوا أهواء الكافرين، فلا يكونَ لكم من دوني ولي ولا نصير، فالخطاب لرسول الله ﷺ والمراد منه أمته[١].

١٢١- ثم ذكر أن من كان منهم غير متعنّت ولا حاسد ولا طالب رئاسة تلا التوراة كما أنزلت، فرأى فيها أن النبي ﷺ حق فآمن به. فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال ابن عباس: نزلت في الذين قدموا مع جعفر بن أبي طالب[٢] من أهل الحبشة، وكانوا من أهل الكتاب، آمنوا بالنبي ﷺ[٣].

ومعنى قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال ابنُ مسعود: يُحِلّون حلالَه،

---

(١) ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٩٤.

(٢) جعفر بن أبي طالب، ابن عم رسول الله ﷺ، وأخو علي بن أبي طالب لأبويه وهو الملقب بالطيار، وكان أشبه الناس بالنبي ﷺ خلقًا وخُلُقًا، هاجر الهجرتين، وعينه النبي صلى الله عليه خلفًا لزيد بن حارثة في مؤته واستشهد فيها سنة ٨؟ ينظر: «الاستيعاب» ١/ ٣١٢، «أسد الغابة» ١/ ٣٤١.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٧، ونقله الواحدي في «أسباب النزول» ص ٤٣ وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٦٧ من رواية عطاء والكلبي: نزلت في أصحاب السفينة الذين أقبلوا مع جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة، كانوا أربعين رجلًا من الحبشة وأهل الشام. وقال ابن حجر في «العجاب» ١/ ٣٧٤ تعقيبًا: ذكر بأبسط منه الثعلبي في «تفسيره» وقد ذكره الحيري في «الكفاية» ص٧٠، والسمعاني في «تفسيره» ٢/ ٣٨، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٤٤، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٦٩.

ويُحَرِّمون حرامَه، ويقرؤونه كما أنزل، ولا يحُرِّفونه عن مواضِعِه[١].

وقال الحسن: يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابِهِه، ويَكِلُونَ علمَ ما أشكلَ عليهم إلى عالمه[٢].

وقال مجاهد: يتبعونه حق اتباعه[٣]، وقال الضحاك: نزلت في مؤمني اليهود: عبد الله بن سلام وأصحابه[٤]، وقال قتادة[٥] وعكرمة[٦]: نزلت في أصحاب النبي ﷺ، و(الكتاب) على هذا: القرآن. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ بمحمد أو بالكتاب.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٥٦، ومن طريقه أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥١٩ ورواه أيضًا من طريق أبي العالية، ورواه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٩، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٣٥٦، والسمرقندي ١/ ١٥٥، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٠٠، والسمعاني في «تفسيره» ٢/ ٣٨.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٢٠، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢١٨، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٥٠، وعزاه في «الدر» ١/ ٢١٠ إلى وكيع. وينظر: «تفسير الحسن البصري» ٢/ ٧٩.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٢٠، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢١٨، والثعلبي ١/ ١١٥٠.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٨، ولفظه: هم من آمن من اليهود: عبد الله بن سلام، وشعبة بن عكرو وتمام بن يهوذا، وأسيد وأسد ابنا كعب وابن يامين وعبد الله بن صوريا وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص ٤٣ مختصرًا وفي «الوسيط» ١/ ٢٠٠، البغوي في «تفسيره» ١/ ١٤٤، وفي «البحر المحيط» ١/ ٣٦٩، وينظر: «العجاب» ١/ ٣٧٤.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥١٨، وذكره الثعلبي ١/ ١١٤٨، وعزاه في «الدر» ١/ ٢١٠ لعبد بن حميد.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٤٨، والواحدي في «أسباب النزول» ص ٤٣.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ ليس على ظاهره من العموم[١]؛ لأنه قال في موضع آخر: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣] وقال: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧] وهو من باب الخصوص، تأويله: ولا ينفعها[٢] شفاعة إذا وجب عليها العذاب، ولم يستحقوا سواه. وقال بعضهم: إنما آيس الله اليهود بهذه الآية؛ لأنهم كانوا يزعمون أن آباءهم من الأنبياء يشفعون لهم[٣].

١٢٤- وقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ الآية، الابتلاء: الاختبار والامتحان، وابتلاء الله تعالى يعود إلى إعلامه عباده لا إلى استعلامه؛ لأنه يعلم ما يكون، فلا يحتاج إلى ابتلاءٍ لِيَعْلَم[٤].

وقوله تعالى: ﴿بِكَلِمَٰتٍ﴾ الكلبي، عن أبي صالح[٥]، عن ابن عباس، قال: الكلمات التي ابتلى الله عز وجل إبراهيمَ بها عشر خصال من السُّنة: خمس في الرأس، وخمس في الجسد، فاللاتي في الرأس: المضمضة والاستنشاق والفرق والسواك وقص الشارب، والتي في الجسد: تقليم الأظفار وحلق العانة والختان والاستنجاء ونتف الرفغين[٦].

---

(١) ينظر: «تفسير ابن عطية» ١/ ٤٧٢- ٤٧٣.

(٢) في (ش): (ولا تنفعها).

(٣) ذكره الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ١٢٨.

(٤) ينظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٥٤، «تفسير الطبري» ١/ ٥٢٤، «المفردات» للراغب ص ٧١-٧٢، «تفسير البغوي» ١/ ١٤٥.

(٥) هو: باذان، ويقال: باذام، أبو صالح مولى أم هانئ، تقدمت ترجمته.

(٦) هذا الإسناد ضعيف لا تقوم به حجة، لكن ورد هذا عن ابن عباس بإسناد صحيح عند عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٥٧ عن معمر عن ابن طاوس، عن ابن عباس، ومن طريق عبد الرزاق أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٢٤، ابن أبي حاتم =

وهذا أصح ما قيل في تفسير الكلمات، وعلى هذا أكثر أهل العلم[١].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: أوحى الله إلى إبراهيم: يا خليلي، تطهّرْ، فتمضمض، فأوحى الله إليه أن تطهرْ، فاستنشقَ، فأوحى إليه أن تطهر، فاستاك، فأوحى إليه أن تطهر، فأخذ شاربه، فأوحى[٢] إليه أن تطهر، فَفَرَقَ شعره، فأوحى إليه أن تطهر، فاستنجى، فأوحى إليه أن تطهرَ، فحلق عانته، فأوحى إليه أن تطهر، فنتف إبطيه، فأوحى إليه أن تطهر، فقلم أظفاره، فأوحى إليه أن تطهر، فأقبل بوجهه على جسده ينظر ما ذا يصنع فاختتن بعد عشرين ومائة سنة[٣].

وقال بعض المتأولين: المراد بالكلمات في هذه الآية: انقياده لأشياء امتحن بها، وأخذت عليه، منها: الكوكب والشمس والقمر والهجرة والختان وعزمه على ذبح ابنه[٤][٥]، والمعنى: وإذ ابتلى إبراهيم ربه بإقامة

= ١/ ٣٥٩، والحاكم ٢/ ٢٦٦ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والبيهقي في «السنن الكبرى» ١/ ١٤٩، وذكره الثعلبي ١/ ١١٥٤، ولفظ الرُّفْغَين عند الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٧٦ والرُّفْغ: كل موضع اجتمع فيه الوسخُ، والمراد به الإبط. ينظر: «المصباح المنير» ص ٢٣٣.

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٤، وقال ابن أبي حاتم ١/ ٢١٩: روي عن أبي صالح وأبي الجلد ومجاهد وسعيد بن المسيب والنخعي والشعبي نحو ذلك.

(٢) في (ش): (فأوحى الله).

(٣) هو بمعنى ما سبق، ولكن فيه تفصيل.

(٤) أورد هذا المعنى عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٧٥، الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٢٧، وابن أبي حاتم ١/ ٢٢١ (١١٧٠)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٥٥ كلهم عن الحسن.

(٥) ذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٢٧- ٥٢٨ الأقوال في المسألة ثم بين أن الصواب: =

كلمات، أو بتوفية كلمات، والتقدير: ذوي كلمات: أي: يعبر بها عن هذه المسميات، ويجوز أن يكون الكلم المتكلم به، كما أن الصيد هو المصيد، والنسج المنسوج[١]، ومثلُ هذا مما حمل الكلمات فيه على الشرع قولُه تعالى: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾ [التحريم: ١٢] فالكلمات تكون الشرائع التي شرع لها دون القول؛ لأن ذلك قد استغرقه قوله تعالى: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ وكان المعنى: صدقت بالشرائع فأخذت بها، وصدقت الكتب فلم تكذب بها[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ معناه: أَدَّاهُنَّ تامّاتٍ غيرَ ناقصات[٣]، وقيل: إنه مِنْ فعلِ الله تعالى، أي: قضاها الله له[٤].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾. قال ابن عباس: أوحى الله إليه إني جاعلك للناس إمامًا يقتدي بك الصالحون من بعدك[٥].

= أنه لايجزم بشيء مما ذكر على أنه المراد بالكلمات إلا بحجة يجب التسليم بها، ورجح ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٧٧ عموم الكلمات لكل ما ذكر في أقوال المفسرين، وذكر في «البحر المحيط» ١/ ٣٧٥ ثلاثة عشر قولًا ثم قال: وهذه الأقوال ينبغي أن تحمل على أن كل قائل منها ذكر طائفة مما ابتلى الله به إبراهيم إذ كلها ابتلاه الله بها، ولايحمل ذلك على الحصر في العدد ولاعلى التعيين، لئلا يؤدي ذلك إلى التناقض.

(١) في (ش): (النسخ والمنسوخ)، وفي (م): (النسخ للمنسوخ).

(٢) ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٨٧، و«تفسير ابن كثير» ١/ ١٧٦.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٢٨، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص ٦٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٥٧.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٤.

(٥) ذكره في «الوسيط» ١/ ٢٠٣ لعله من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في=

والأَمُّ في اللغة: القصد، والإمامُ: كلُّ مَنِ ائتم به قومٌ، كانوا على الصراط المستقيم[(١)]، أو كانوا ضالّين. والنبي إمامُ أمتهِ، والخليفةُ إمام رعيتهِ، والقرآنُ إمامُ المسلمين، على معنى أنهم ينتهون إليه فيما أمر وزجر. والإمام: الذي يؤتَمُّ به، فيفعل أهله وأمته كما يفعل، أي: يقصدون لما يقصد. هذا أصله[(٢)]. ثم يجعل الكتابُ إمامًا يؤتم بما فيه، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] أي: بكتابهم الذي جعلت فيه أعمالهم في الدنيا، وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] يعني: كتابًا، أو اللوح المحفوظ. وقد يجعل الطريقُ إمامًا؛ لأنَّ المسافر يأتمُّ به ويستدلُّ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩] أي: بطريقٍ واضح. ويقالُ للخيط الذي يُقَدَّرُ به البناء: الإمام؛ لأنه يقتدى به، ويُقْصَدُ قَصْدُه. وإمام الغلام في المكتب: ما يتعلمه كل يوم؛ لأنه يتبعه، ويقصده بالتعلم، ولا يعدو ما فيه[(٣)].

فقال إبراهيم: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ﴾ أي: ومن أولادي أيضًا فاجعل أئمةً يُقْتَدَى بهم[(٤)]. فأمَّا تفسيرُ الذرية، فقال الليث: الذر: عدد الذرية،

= القسم الدراسي وقد روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٢٢ عن أبي العالية، أنه قال: فجعله الله إمامًا، يؤتم ويقتدى به، ثم قال: وروي عن الحسن وعطاء الخراساني ومقاتل ابن حيان وقتادة والربيع بن أنس نحو ذلك.

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٥.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٥، وينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٦ (مادة: أمَّ).

(٣) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٦، و«المفردات» للراغب الأصفهاني ص ٣٣-٣٤.

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٥٧.

تقول[١]: نَمَى[٢] الله ذَرْأَكَ وذَرْوَكَ: أي: ذريتك. والذريةُ: تقع على الآباء والأبناء والأولاد والنساء، قال الله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [يس: ٤١] أراد: آباءهم الذين حُمِلوا مع نوح في السفينة[٣]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ إلى قوله: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٣- ٣٤] فدخل فيها الآباء والأبناء[٤].

وتكون[٥] الذرية واحدًا وجمعًا، فممَّا جاء فيه ذرية يراد به الواحد قوله: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: ٣٨] فهذا مثل قوله: ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]. ألا ترى أنه قال: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩]. ومما جاء فيه جمعًا قوله: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، وهو كثير.

وأما أصل الذُّرِّيَّةِ ومأخذُها، فقال أبو إسحاق النحوي: فيها قولان: قال بعضهم: هي فُعْلِيَّةٌ، من الذَرِّ؛ لأنَّ الله تعالى أخرجَ الخلق من صُلْبِ آدمَ كالذَّرِّ، حين أشهَدَهُم على أنفسِهم[٦].

---

(١) في (أ)، (م): (يقول).

(٢) في (ش): (تمنى).

(٣) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٧٤ (مادة: ذرأ).

(٤) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٧٤ (مادة: ذرأ).

(٥) في (ش): (ويكون).

(٦) لم يذكر أبو إسحاق شيئًا من ذلك في هذه الآية، لكنه أشار إلى العلة في آية الأعراف: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾. فقال في «معاني القرآن» ٢/ ٣٩٠: قال بعضهم: خلق الله الناس كالذر من صلب آدم وأشهدهم على توحيده.

قال: وقال بعضُ النحويين: أصلها ذرُّورَةٌ، على وزن فعلولة، ولكنَّ التضعيَف لمَّا كَثُرَ أُبْدِلَ من الراء الأخيرة ياء فصارت ذُرُّويَةً، ثم أُدغمت الواو في الياء فصارت: ذُرِّيَّة. قال: والقول الأول أقيسُ وأجود[١] عند النحويين[٢]. واختاره[٣] الليث، فقال: هو فُعْليّة من الذر، كما قالوا: سُرِّيَّة، والأصلُ من السّرّ، وهو النكاح[٤].

وزاد ابن الأنباري الوجهين[٥] اللذين ذكرهما أبو إسحاق بيانًا فقال: الذرية مأخوذةٌ من ذرأَ الله الخلق، ويكون أصلها ذُرُّوؤه، تُرِكَ هَمْزُها، وأبدل من الهمز ياءً، فلمَّا اجتمعت الياء والواو والسابقُ ساكنٌ أُبدلَ من الواو ياءً، وأُدغمت في الياء التي بعدَها، وكُسِرَ الراء لتصِحَّ الياء.

قال: ويجوزُ أن تكون[٦] منسوبة إلى الذر بالتشبيه في كثرة التوالد، وضم الذال لأن النسبة قد يغير فيها الحرف، كما قالوا: دُهريٌّ بضم الدال[٧]، وقالوا: بُصري للمنسوب إلى البصرة.

وقال الخليل: الذرية فُعْليّة، من ذَرَرْت؛ لأن الله تعالى ذَرَّهم في الأرض، أي: نشرهم.

قال أبو على الفارسي: أمَّا مثالُ ذرية من الفعل، فيجوزُ أن يكون

---

(١) في (م): (أجود وأقيس).
(٢) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٧٧، وعنه في «اللسان» ٣/ ١٤٩١ (مادة: ذرأ).
(٣) في (أ) و(م): (واختيار).
(٤) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٧٧.
(٥) المثبتمن (ش)، وفي غيرها: (للوجهين).
(٦) في (أ)، (م): (يكون).
(٧) الدهري، بضم الدال وفتحها، الذي يقول ببقاء الدهر «القاموس» ص ٣٩٥.

فُعلُولة من الذر، فأُبدلَتْ من الراء التي هي اللامُ[١] الأخيرة ياءً، ويحتملُ أن يكون فُعّيلة منه. فأبدلت من الراء الياء، كما يبدل من هذه الحروف للتضعيف، وإن وقع فيها الفصل. ويحتمل أن يكون فُعْلية نَسَبًا إلى الذرّ، إلا أن الفتحة أبدلت منها الضمة، كما أبدلوا في الإضافة إلى الدهر دُهري، وإلى السهل سُهلي. ويجوز أن يكون فُعّيلة، من ذرأ الله الخلق، اجتمع على تخفيفها كما اجتمع على تخفيف البرية، ويجوز أن يكون فُعِّيلة، من قوله: ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ أُبدِلت من الواو الياء؛ لوقوع ياء قبلها[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أعلم الله إبراهيم أن في ذريته الظالم[٣]. قال ابن عباس: يريد من كان من ولدك ظالمًا لم ينل عهدي[٤]. يريد: ليس بإمام ولا كرامة[٥].

واختلفوا في معنى العهد هاهنا، فقال أبو عبيد: العهد هاهنا: الأمان، أي: لا ينال أماني الظالمين[٦]، يقول: لا أؤمنهم عذابي، وقال

---

(١) ساقطة من (م).

(٢) ينظر: تفصيل ذرية وما فيها من اشتقاق وتصريف في: «البحر المحيط» ١/ ٣٧٢-٣٧٣، «اللسان» ٣/ ١٤٩٤ (ذر)، ٣/ ١٤٩١ (ذرأ).

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٥.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٢٢ بمعناه.

(٥) تفسير العهد بالإمامة قال به: ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، وبه قال كثيرون، ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٣٠، و«تفسير السمعاني» ٢/ ٤٥، «تفسير ابن عطية» ١/ ٤٧٧، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٤٠، و«تفسير القرطبي» ٢/ ٩٨.

(٦) «غريب الحديث» ١/ ٤٤٠، وذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٦٠ في نسخةٍ، وفي النسخة: أبو عبيدة، وليس في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، ونسبه الرازي في «تفسيره» ٤/ ٤٥ إلى أبي عبيد، وقد أخرجه الطبري ١/ ٥٣٠ عن قتادة.

السدي: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى﴾ أي: نبوتي[١]. واختاره ابن كيسان، فقال: يعني: لا ينال ما عهدت إليك من النبوة والإمامة في الدين من كان ظالمًا من ولدك، بل ينال عهدي من كان رسولًا إمامًا.

وقال الفراء: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا يكون للناس إمام مشرك[٢]. وقال عبد الله بن مسلم[٣]: العهد هاهنا: الميثاق، يقول: لا ينال ماوعدتك من الإمامة الظالمين من ذريتك، والوعد من الله ﷻ ميثاق[٤]. وهذه الأقوال متقاربة.

١٢٥- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ هذه الآية تنعطف على ما تقدمها من الآيات التي ذكر فيها[٥] (إذ)، ويريد بالبيت الكعبة التي هي القبلة اليوم، ولذلك ذكره بالألف واللام[٦].

قوله تعالى: ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ المثاب والمثابة مصدران لقولهم: ثاب يثوب مثابًا ومثابة وثُؤوبا وثَوَبانا، ذكر ذلك الفراء في كتاب «المصادر». فالمثابة هاهنا: مصدر وُصِف به، ويراد به الموضعُ الذي يُثاب إليه[٧]، كما يقال: درهمٌ ضربُ الأمير، والمصدر قد يوصف به كثيرًا، قال زهيرٌ:

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٣٠، وابن أبي حاتم ١/ ٢٢٣، وذكره الثعلبي ١/ ١١٥٩.

(٢) «معاني القرآن» ١/ ٧٦.

(٣) يريد ابن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة ٢٧٦هـ.

(٤) «تأويل مشكل القرآن» ص ٦٢، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٤١.

(٥) قوله: (التي ذكر فيها) ساقطة من (ش).

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٣٢.

(٧) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٦، الطبري ١/ ٥٣٢، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٥-٢٠٦. انظر البحث في مثابة في: «اللسان» ١/ ٥١٨ (ثوب).

مَتَى يَشْتَجِرْ قَوْمٌ يَقُلْ سَرَوَاتُهُمْ هُمُ بَيْنَنا فَهُمْ رِضًا وَهُمْ عَدْلُ[١]

وأنشد أحمد بن يحيى:

سقى الله نجدًا من ربيعٍ وصيّفٍ وما ذا تُرْجَى[٢] مِن ربيعٍ سَقَى نَجْدا

بلى إنَّهُ قد كانَ للعيشِ مرةً وللبيضِ والفتيانِ منزلَةً حمدا[٣]

أراد: منزلة محمودة. قال ابن الأنباري: والمصدر للمؤنث قد يكون خبرًا عن المذكر، كقولهم: أكلُ الرمانِ لذةٌ، وذكر أخبار الصالحين عظةٌ، ولقاءُ محمد منفعة. ويمكن أن تكون المثابة الموضع الذي يثاب إليه، والهاء فيه لا تكون لتأنيث الموصوف به، كما يقال للمجلس: المقامُ والمقامة، يقال: هذا الموضعُ مقامُ فلان ومقامة بمعنى، والهاء تدخل للتخصيص لا للتأنيث، وهاء التخصيص تدخل في مواضع كثيرة كالقطنة والصوفة وأشباه ذلك[٤]، قال زهير:

وفيهم مقاماتٌ حِسَانٌ وجوهُها وأنديةٌ ينتابُها القولُ والفِعْلُ[٥]

وواحد المقامات مقامة، وعلى هذا دلَّ كلام المفسرين. فقد قال ابن عباس في معنى قوله: ﴿مَثَابَةً﴾: يريد: لا يقضون[٦] منه وطرًا، كلما أتوه

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى في «الديوان» ص ٤٠، «والأشباه والنظائر» ٢/ ٣٨٥، و«لسان العرب» ٣/ ١٦٦٤ (مادة: رضى). وينظر: «المعجم المفصل» ٦/ ٢١٦.

(٢) ساقطة من (أ)، (م).

(٣) هما بلا نسبة في «المذكر والمؤنث» للأنباري ص ٢٤٦، «معجم البلدان» ٥/ ٢٦٣ (نجد). وينظر: «المعجم المفصل» ٢/ ٢٠٤.

(٤) ابن الأنباري.

(٥) البيت لزهير بن أبي سلمى، في «ديوانه» ص ١١٣، «لسان العرب» ٦/ ٣٧٨٧ مادة (قوم)، «المعجم المفصل» ٦/ ٢٤٥.

(٦) في (ش): (لا تقضون).

وانصرفوا اشتاقوا إلى الرجعة إليه[(١)] .

وروي أيضًا عن ابن عباس أنه قال في تفسير المثابة: معاذًا[(٢)]، وعلى هذا فقال أبو إسحاق: الأصل في مثابة مثْوَبةٌ، ولكنَّ حركة الواو نُقلت إلى الثاء، وتبعت الواو الحركة فانقلبت ألفًا. قال: وهذا إعلال إتباع، تبع مثابةٌ بابَ ثاب[(٣)]، وأصلُ ثاب ثَوَبَ، ولكنَّ الواوَ قُلِبَت ألفًا؛ لتحركها وانفتاحِ ما قبلها، لا اختلاف بين النحويين في ذلك. انتهى كلامه[(٤)]. ويُنشدُ على أن المثاب والمثابة واحد قول ورقة في صفة الحرم:

مَثَابًا لأَفْنَاءِ القبائلِ كُلِّها تَخُبُّ إليها اليعملاتُ الطَّلائحُ

وأنشده الشافعي رحمه الله لأبي طالب، وروى: اليعملات الذوامل[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٣٣ وبنحوه أخرجه ابن أبي حاتم ١/ ٢٥٥ ثم قال: وروي عن أبي العالية، وسعيد بن جبير في إحدى روايتيه وعطاء ومجاهد والحسن وعطية والربيع بن أنس والسدي والضحاك نحو ذلك.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٦٠، البغوي في «تفسيره» ١/ ١٤٦، «البحر المحيط» ١/ ٣٨٠ . ولفظهم: معاذًا وملجًا، بالذال، وليست بالدال. وقال الطبري ١/ ٥٣٢: وإذ جعلنا البيت مرجعًا للناس ومعاذًا. وورد بالدال في «الوسيط» ١/ ٢٠٤.

(٣) في (ش): (وإعلال الألف اتباع تبع ألف مثابة ألف ثاب).

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٦.

(٥) نسبه إلى ورقة الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٣٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٨٠، و«البداية والنهاية» ٢/ ٢٩٧. ورواية الطبري: مثابٌ، وذكره الشافعي في «الأم» (١/ ١٥٣ ط. دار المعرفة) منسوبًا لورقة بن نوفل خلافًا لما ذكره الواحدي، لكنه قال: الذوامل بدل الطلائح وكذلك ذكره القرطبي في «تفسيره» ٢/ ١٠٠ وعدها أبو حيان رواية في البيت. وبمثل هذه الرواية ذكرها صاحب «اللسان» ٣/ ١٥١٦ منسوبًا لأبي طالب، وذكره في (مادة: ذمل) غير منسوب قال=

ومعنى ثاب في اللغة: عاد ورجع إلى وضعه الذي كان أفضى إليه، يقال: ثاب ماء البئر إذا عاد جُمَّتُها[١]، ومنه تثويب الداعي إذا عاد وكرَّر الدعاء.

وقال الأخفشُ: الهاء في المثابة للمبالغة في كثرة من يثوب إليه، كقولهم: رجل علامة ونسابة[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمْنًا﴾ أراد: مأمنا[٣]، وهو أيضًا مصدر وصف به، كما ذكرنا. قال ابن عباس: يريدُ: من دخله كان آمنًا، فمن أحدث حدثًا خارج الحرم ثم لجأ إليه أمن من أن يُهاجَ فيه. ولكن لا يُؤذى[٤] ولا يخالط ولا يُبَايع، فإذا خرج منه أُقيم عليه الحدُّ، ومَنْ أحدثَ في الحرم أُقيمَ عليه الحد فيه[٥].

= شاكر في تعليقه على الطبري ٣/ ٢٦: «والظاهر أن الشافعي رحمه الله أخطأ في رواية البيت، وأخطأ صاحب «اللسان» في نسبته، اشتبه عليه بشعر أبي طالب في قصيدته المشهورة». وكلام الواحدي صريح في نسبة البيت لأبي طالب، فلعلها في نسخة أو كتاب آخر. وأفناء القبائل: أخلاطهم، وخَبَّت الدابة تَخُبُّ خَبًبا: ضرب سريع من العدو، واليعملات: جمع يعملة، وهي الناقة السريعة المطبوعة على العمل، اشتق اسمها من العمل، والعمل من الإسراع والعجلة، والطلائح: جمع طليح، ناقة طليح أسفار: جهدها السير وهزلها، والذوامل حمع ذاملة: وهي التي تسير سيرًا لينًا سريعًا.

(١) في «تهذيب اللغة» ١/ ٤٦٣ (مادة: ثاب).

(٢) «معاني القرآن» ١/ ١٤٦.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٣٤، «تفسير البغوي» ١/ ١٤٦.

(٤) في «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٦١: ولكن لا يُؤْوَي.

(٥) ذكره عنه الثعلبي ١/ ١١٦١ والسمعاني ٢/ ٤٧، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٤١ وينظر: «تفسير السمرقندي» ١/ ١٥٧، القرطبي ٢/ ١١١، الرازي ٤/ ٥٢=

وإلى هذا ذهب أبو حنيفة: أن الجاني إذا لاذ بالحرم أمن[١]، ومذهب الشافعي: أنه لا يأمن بالالتجاء إليه، ويُسْتَوفى منه ما وجب عليه في الحرم[٢][٣]، على ما قد روي في الخبر: لا يعيذ الحرم عاصيًا[٤].

وعلى هذا فمعنى قوله: ﴿وَأَمْنًا﴾ الأولى أن يأمن فيه الجاني، فإن أخيف بإقامة الحد عليه جاز، فقد قال كثير من المفسرين: من شاء أمن، ومن شاء لم يؤمن، كما أنه لما جعله مثابة من شاء ثاب ومن شاء لم يثب، وقد كان قبل الإسلام يرى الرجلُ قاتلَ أبيه في الحرم فلا يتعرض له، وهذا شيء كانوا توارثوه من دين إسماعيل، فبقُوا عليه إلى أيام النبي ﷺ، فاليوم من أصاب فيه جريرةً أقيم عليه الحد بالإجماع[٥].

= وقد روي بعضه عن بعض التابعين كما عند الطبري ١/ ٥٣٤، ابن أبي حاتم ١/ ٢٢٥.

(١) ينظر: «شرح السير الكبير» للسرخسي ١/ ٣٦٦ (ط. الشركة الشرقية)، «كشف الأسرار» للبزدوي ١/ ٢٩٦، قال في «المغني» ٩/ ٩٠ (ط. دار احياء التراث العربي): وهذا قول ابن عباس، وعطاء، وعبيد بن عمير، والزهري ومجاهد وإسحاق والشعبي وأبي حنيفة وأصحابه. وأحمد بن حنبل في القتل وأما في غيره فعنه روايتان.

(٢) ينظر: «الأم» للشافعي ٤/ ٢٩٠، وبه قال مالك وابن المنذر كما في «المغني» ٩/ ٩٠.

(٣) ساقطة من (أ)، (م).

(٤) ذكره البخاري (١٠٤) كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، ومسلم (١٣٥٤) كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيده، قال ابن حجر: كلام ظاهره حق لكن أراد به الباطل، «الفتح» ١/ ١٩٩ وقال في «المغني» ٩/ ٩١: وما رووه من الحديث فهو من كلام عمرو بن سعيد الأشدق يرد به قول رسول ﷺ حين روى له أبو شريح هذا الحديث [يعني إن الله حرم مكة] وقول الرسول أحق أن يتبع.

(٥) ينظر الخلاف الفقهي فيه في: «تفسير الطبري» ٤/ ١١- ١٥، «غرائب النيسابوري» ١/ ٣٩٤، «الوسيط» ١/ ٢٠٤.

وقال أبو بكر بن الأنباري: معناه: وَأَمْنًا أن يُبخس القاصد له من الثواب الذي يوعده أمثاله، فهو واثق آمنٌ أنَّ أجرَه لا يضيعُ عند ربه[(١)](٢)، وهذا قول قويم حسن؛ لأن الله تعالى وصف البيت بالأمن، وعلى ما ذكر أبو بكر يتعلق الأمن بالبيت، وعلى[(٣)] ما قاله غيره من المفسرين من أَمْنِ الجاني إذا لاذ بالحرم، فهو أمن الحرم لا أمن البيت، إلا أن يقال: إن أمن الحرم لأجل البيت، فهو بسبب منه وعائد إليه[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ هذا معطوف على ما أضيف إليه إذ، كأنه: وإذ اتخذوا.

قال الزجاج: وهو عطف جملة، على جملة[(٥)].

وقال الفراء: أي: جعلناه مثابةً لهم فاتخذوه مُصلًّى. والفتح في الخاء على معنى الخبر، قراءة أهل المدينة والشام[(٦)]. ويؤكده أنَّ الذي قبله والذي بعده خبر، وهو قوله ﴿جَعَلْنَا﴾ و﴿وَعَهِدْنَآ﴾.

ومن قرأ ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ بالكسر على الأمر[(٧)] فحجته في ذلك: ما أخبرنا

---

(١) في (م): أن أجره عند ربه لا يضيع.

(٢) ابن الأنباري.

(٣) ساقطة من(أ)، (ش).

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٨٠.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ٢٠٧.

(٦) «معاني القرآن» ١/ ٧٧.

(٧) قرأ بفتح الخاء نافع وابن عمر، وبكسر الخاء على الأمر، قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي. ينظر: «السبعة» ص ١٦٩، «الحجة» ٢/ ٢٢٠، «المبسوط» لابن مهران ص ١٣٥، «التيسير» للداني ص ٦٥.

الأستاذ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم[١] -رحمه الله- ثنا عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد[٢]، ثنا عبدوس بن الحسين بن منصور[٣]، ثنا أبو حاتم الرازي[٤]، ثنا محمد بن عبد الله الأنصاري[٥]، حدثني حُميد الطويل[٦]، عن أنس بن مالك[٧]، قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: وافقني ربي في ثلاث. قلت: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى. فأنزل الله ﷻ:

---

(١) يعني: الثعلبي في «تفسيره».

(٢) هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن يحيى، أبو الحسين بن أبي إسحاق المزكي، من فقهاء نيسابور، قال الخليلي: كان ثقة، وقال الحاكم: كان من الصالحين العباد، التاركين لما لايغني، قراء القرآن، المكثرين من سماع الحديث توفي سنة ٣٩٧. ينظر: «تاريخ بغداد» ١٠/ ٣٠٢، «السير» ١٦/ ٩٧.

(٣) هو أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور النَّصْراباذي، سمع محمد بن عبد الوهاب الفراء وطبقته، روي عنه أبو علي الحافظ، ويقال: إن اسم عبدوس: عبد القدوس، والله أعلم ينظر: «الأنساب» ٥/ ٤٩٢.

(٤) هو: محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، أبو حاتم الرازي، تقدمت ترجمته.

(٥) هو محمد بن عبد الله بن المثنى بن عبدالله بن أنس بن مالك، أبو عبدالله البصري القاضي، ثقةٌ، توفي سنة (٢١٤) أو نحوها. انظر: «تهذيب الكمال» ٢٥/ ٥٣٩، «تقريب التهذيب» ص٤٩٠ (٦٠٤٦)، «تهذيب التهذيب » ٣/ ٦١٤.

(٦) هو: حميد بن أبي حميد الطويل، أبو عبيدة البصري، اختلف في اسم أبيه على نحو عشرة أقوال، ثقة مدلس، كثير التدليس عن أنس معظم حديثه عنه بواسطة ثابت وقتاده، وقد وقع تصريحه عن انس بالسماع وبالتحديث في أحاديث كثيرة في البخاري وغيره مات وهو قائم يصلي سنة ١٤٢ هـ. ينظر: «تهذيب الكمال» ٧/ ٣٥٥، «التهذيب» ١/ ٤٩٣.

(٧) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، خدمه عشر سنين، صحابي مشهور، مات سنة ٩٢ وقيل: ٩٣ وقد جاوز المائة. ينظر: «الاستيعاب» ١/ ١٩٨، «أسد الغابة» ١/ ١٥١.

﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ . وقلتُ: يا رسولَ الله، إنه يدخُلُ عليك البرُّ والفاجرُ، فلو حجبت أمهات المؤمنين، فأنزل الله ﷻ آيةَ الحجاب، قال: وبلغني شيءٌ كان بين أمهات المؤمنين وبين النبيﷺ فاستقريتُهن أقول: لتكُفُّنَّ عن رسول الله ﷺ، أو ليبدلَنَّه اللهُ أزواجًا خيرًا منكن، فأنزل الله ﷻ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ الآية [التحريم: ٥](١).

وهكذا قال ابن عباس في هذه، فقال في قوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾: وذلك أن عمر بن الخطاب قال: يا رسول الله، لو صليت بنا خلف المقام، فأنزل الله تعالى على ما قال عمر، ففعل رسول الله ﷺ(٢).

وعلى هذه القراءة يكون قوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ﴾ عطفا على المعنى لا على اللفظ؛ لأن قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً﴾ معناه: ثوبوا إليه واتخذوا.

واختلف في مقام إبراهيم، فقال ابن عباس في رواية عطاء: يريد: البيت(٣)، وقال النخعي(٤)(٥):

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٣) كتاب تفسير القرآن، باب: واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى.

(٢) لعله من رواية عطاء، وقد تقدم الحديث عنها في المقدمة، والحديث رواه عدد كبير من الأئمة، وبعضهم أخرجه مختصرًا. وقد رواه الثعلبي بالإسناد نفسه ١/ ١١٦٣ بهذا اللفظ، وإسناده ورجاله ثقات عدا عبدوس فإنه لم يذكر بجرح أو تعديل، والحديث ثابت في البخاري (٤٤٨٤) كتاب التفسير: باب: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وغيره من طريق آخر عن حميد الطويل عن أنس به.

(٣) هذا من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في المقدمة.

(٤) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران النخعي من أهل الكوفة، كان إمامًا مجتهدًا، له مذهب، صالح زاهد ثقة، إلا أنه يرسل كثيرًا ويدلس، توفي سنة ٩٧هـ. ينظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد ٦/ ٢٧٠، «الأعلام» ١/ ٨٠.

(٥) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٦٤، البغوي ١/ ١٤٦، القرطبي ٢/ ١٠٢، «البحر المحيط» ١/ ٣٨١، والآلوسي ١/ ٣٨٠.

الحرم كله مقام إبراهيم[١]. وقال يمان: المسجد كله مقام إبراهيم[٢]. وقال عطاء: التعريف والصلاتان بعرفة والمشعر ورمي الجمار والطواف بين الصفا والمروة مقام إبراهيم، سمعته من ابن عباس[٣].

وقال قتادة[٤] ومقاتل[٥] والسدي[٦] في هذه الآية: هو الصلاة عند مقام إبراهيم، أمروا بالصلاة عنده، ولم يؤمروا بمسحه ولا تقبيله، والمقام في اللغة: موضع القدمين حيث يقوم عليه[٧]. وروى عبد الله بن عمر[٨] أن النبي ﷺ قال: « **الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة، طمس الله نورهما، ولولا أن طمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب** »[٩].

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٦٤.
(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٦٤، والبغوي ١/ ١٤٦، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٨١.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٢٦.
(٤) أخرجه الطبري ١/ ٥٣٧، وذكره الثعلبي ١/ ١١٦٤.
(٥) «تفسير مقاتل» ١/ ١٣٧-١٣٨، وذكره الثعلبي ٣/ ١١٦٤.
(٦) أخرجه الطبري ١/ ٥٣٧، وابن أبي حاتم ١/ ٢٢٧.
(٧) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٨١.
(٨) هكذا في الأصل، والصواب: عبدالله بن عمرو كما في مصادر تخريج الحديث.
(٩) أخرجه الترمذي (٨٧٨) كتاب الحج، باب: ما جاء في فضل الحجر الأسود، والإمام أحمد في «المسند» ٢/ ٢١٣-٢١٤ ابن خزيمة ٤/ ٢١٩ برقم ٢٧٣٢ في المناسك، باب صفة الركن والمقام، والبيان انهما ياقوتتان من يواقيت الجنة، والحاكم ١/ ٤٥٦ البيهقي ٥/ ٧٥ وعبد الرزاق في «المصنف» ٥/ ٣٩، الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٦٧. قال الترمذي: هذا يُرْوى عن عبد الله بن عمرو، موقوفًا من قوله، وفيه عن أنس أيضًا، وهو حديث غريب وقال ابن خزيمة: لست أعرف (رجاء) [يعني رجاء بن صبيح الحَرَشي] هذا بعدالة ولا جرح، ولست أحتج بخبر مثله، اهـ. وقد ضعفه الحافظ في «الفتح» ٣/ ٤٦٢ وللحديث شواهد كثيرة حكم بعضها على الحديث بالحسن لغيره، كالدكتور خالد العنزي في تحقيق «تفسير الثعلبي».

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن إبراهيم ﷺ استأذن سارة أن يزور إسماعيل ﷺ، فأذنت له، واشترطت عليه أن لا ينزل، فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب إسماعيل، فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: ذهب[1] يتصيد، قال لها: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم، فجاءت باللبن واللحم فدعا لها بالبركة، فقالت له: انزل حتى أغسل رأسك، فلم ينزل به، فجاءته بالمقام، فوضعته عن شقه الأيمن، فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه عليه فغسلت شق رأسه الأيمن، ثم حولت المقام إلى شقه الأيسر، فغسلت شق رأسه الأيسر، فبقي أثر قدمه عليه[2].

وذلك الحجر هو مقام إبراهيم الذي يعرفه الناس اليوم، وإذا أطلق مقام إبراهيم لم يفهم إلا الذي هو اليوم في المسجد، ويدل على هذا حديث عمر الذي رويناه آنفا[3]، وجعل تأثير قدم إبراهيم في الحجر معجزة

---

(١) ساقطة من (أ)، (م).

(٢) ذكر القصة مطولة مبسوطة الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٦٤ وقد ذكر الواحدي منها موضع الشاهد، وقد أخرج القصة الطبري في «تاريخه» ١/ ١٥٤ من طرق عن سعيد بن جبير، وذكرها البغوي في «تفسيره» ١/ ١٤٧، الثعلبي أيضًا من رواية السدي وغيره في كتابه: «عرائس المجالس» ص ٧١، ورواها الطبري مختصرة من كلام السدي ١/ ٥٣٧، وأصل القصة رواها البخاري (٣٣٦٤) كتاب الأنبياء، وليس عند البخاري غسل رأس إبراهيم ووضع رجله حينذاك على المقام، ومن طريق البخاري أخرجها ابن الجوزي في «المنتظم» ١/ ٢٦٨ ثم ذكر قصة غسل زوجة إسماعيل الثانية لرأس إبراهيم، من رواية عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٦٦ تحقيق د: العنزي.

(٣) قال في «البحر المحيط» ١/ ٣٨١ بعد أن ذكر اتفاق المحققين على هذا القول: ورجح بحديث عمر أفلا نتخذه مصلى. الحديث، وبقراءة رسول الله ﷺ لما فرغ من الطواف وأتى المقام ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ فدل على أن المراد منه ذلك الموضع؛ ولأن هذا الاسم في العرف مختص بذلك الموضع، ولأن الحجر صارت تحت قدميه في رطوبة الطين حين غاصت فيه رجلاه، وفي ذلك معجزة له، فكان اختصاصه به أقوى من اختصاص غيره، فكان إطلاق هذا الاسم عليه أولى=

لنبوته.

وقال أنس بن مالك: رأيت في المقام أثر أصابعه وعقبه وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بأيديهم[١].

ومعنى قوله تعالى: ﴿مُصَلًّى﴾ قال الحسن: قبلة[٢]، وقال مجاهد: مُدَّعى[٣]، أي: موضع دعاء. وقال قتادة: صلوا عنده[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ أي: أمرناهما وأوصينا إليهما[٥]: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ قال سعيد بن جبير[٦]، وعبيد بن عمير[٧][٨]،

= لأنه موضع القيام، وثبت قيامه على الحجر، ولم يثبت قيامه على غيره.

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٦٧ وفي «عرائس المجالس» ص ٧٣، وأخرجه الواحدي بسنده من طريق الزهري، عن ابن أنس في «الوسيط» ١/ ٢٠٦، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ١/ ١٨٢ من هذا الطريق، وذكره القرطبي ٢/ ١٠٢ وابو حيان في «البحر» ١/ ٣٨١ وروى الطبري ٣/ ٣٥ بسنده عن قتادة قال: إنما أمروا أن يصلوا عنده، ولم يؤمروا بمسحه، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئًا ماتكلفته الأمم قبلها، ولقد ذكرلنا بعض من رأى أثر عقبيه وأصابعه فيه، فما زالت هذه الأمة يمسحونه حتى اخلولق وانمحى.

(٢) في (ش): (وقبله).

(٣) أخرجه الطبري ١/ ٥٣٧، ابن أبي حاتم ١/ ٢٢٧.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٣٧.

(٥) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٦٩.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٢٧، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٦٩، البغوي ١/ ١٤٨، القرطبي ٢/ ١٠٣.

(٧) هو: أبو عاصم عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، ولد على عهد النبي ﷺ، يعد من كبار التابعين، أجمعوا على توثيقه، كان من العباد، توفي سنة ٧٣هـ. ينظر: «تقريب التهذيب» ص ٣٧٧ (٤٣٨٥)، «السير» ٤/ ١٥٦.

(٨) أخرجه الطبري ٣/ ٤٠، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٢٨، والثعلبي ١/ ١١٦٩.

وعطاء[١]، ومقاتل[٢]: من الأوثان والريب وقول الزور. وقال الزجاج[٣] والفراء[٤]: يريد من الأصنام ألا تعلّق فيه. وهذا الاختيار عند أبي علي، قال: لما جاء في المظهر منه لفظ (الرِّجْس) في قوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]. وقال ابن عباس ويمان بن رئاب[٥]: يعنى بَخْراه وخَلّقاه[٦] ونظفاه.

وقوله تعالى: ﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾ قال الفراء[٧]: يقال: طاف يُطوفُ طَوفًا وطَوافًا وطوفانًا، وطاف يطِيف، وأطَاف يُطِيفُ، بمعنى واحد[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَـٰكِفِينَ﴾ العكوف: الإقامة[٩] على الشيء[١٠].

قال المفسرون: عنى بالطائفين: النُّزَّاع إليه من الآفاق، وبالعاكفين:

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٣/ ٤٠ عن عطاء، عن عبيد، وذكره عنه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٢٨، الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٦٩.

(٢) «تفسير مقاتل» ١/ ١٣٨. وينظر: «الثعلبي» ١/ ١١٦٩، «البحر المحيط» ١/ ٣٨٢.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٧.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٧٧.

(٥) ذكره عنه الثعلبي ١/ ١١٧١ وينظر: البغوي ١/ ١٤٥٨، «البحر المحيط» ١/ ٣٨٢.

(٦) خَلَّقاه: أي طَيَّباه، والخلُوق والخِلاق: ضرب من الطيب وقيل: الزعفران وغيره، قال بعض الفقهاء: وهو مائع فيه صفرة. «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٩٤ «المصباح المنير» ص ١٨٠.

(٧) من قوله: (وقوله تعالى: للطائفين) ساقط من (ش).

(٨) هذا في كتاب «المصادر» للفراء وهو مفقود ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٥٥، «لسان العرب» ٥/ ٢٧٢٢.

(٩) في (م): (القيام).

(١٠) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٣٢.

أهلَ مكة وبالركع السجود[١]: جميعَ المسلمين[٢].

١٢٦- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾. (البلد) يجوز في اللغة أن يكون جمع بلدة، ويجوز أن يكون واحدًا، وجمعه بلدان وبلاد[٣]. قال الليث: كل موضع من الأرض[٤] عامرٍ أو غامر[٥] مسكونٍ أو خالٍ: بلدٌ، والطائفة منه: بلدة[٦]. والبلد: المفازة، يقال: أذلّ من بيضةِ البلدِ، أي: بيضة النعامة التي تتركُها بالبلد، وهو المفازة. والعربُ تُسَمِّي كلَّ موضع خال: بلدة، فيقولون لموضع خالٍ من الكواكب بين النعائم وسعد الذابح: بلدة[٧]. ويقال للذي ليس بمقرون الحاجبين: الأبلدُ؛ لخُلُوّ ما بين حاجبيه من الشعر.

وقال أهل اللغة: أصلُ البلد: هو الأثر. من ذلك قولهم لكِرْكِرَةِ[٨]

---

(١) في (أ)، (م): (بالركع).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٣٩- ٥٤١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٧، «تفسير الثعلبي»، «تفسير البغوي» ١/ ١٤٨-١٤٩ وذكر الثعلبي في «تفسيره» عن عطاء قال: إذا كان طائفًا فهو من الطائفين، وإذا كان جالسًا فهو من العاكفين، وإذا كان مصليًا فهو من الركع السجود. وأخرجه الطبري ١/ ٥٤٠- ٥٤١ مفرقًا عن ابن عطاء ورجحه، وأخرج ابن حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٢٨ مثله عن عطاء عن ابن عباس.

(٣) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٣٨٣.

(٤) عبارة في «التهذيب» البلد: كل موضع مُسْتَحِيزٍ من الأرض.

(٥) في (م): (أو غير عامر) وهو كذلك في «تهذيب اللغة» والغامر: ضد عامر.

(٦) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٨٣.

(٧) نقل في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٨٣ عن الليث: والبلدة في السماء موضع لانجوم فيه بين النعائم وسعد الذباح، وليست كواكب عظامًا تكون علمًا، وهي من منازل القمر وهي آخر البروج سميت بلدةً، وهي من برج القوس، خالية إلا من كواكب صغار.

(٨) الكِركِرة: بالكسر: رحى زور البعير، أو صدر كل ذي خف. «القاموس» ٤٦٩.

البعير: بلدة. لأنه إذا برك أثرت.

قال ذو الرمة:

أُنِيخَتْ فألقَتْ بلدةً فوقَ بلدةٍ قليلٍ بها الأصواتُ إلا بُغَامُها[١]

ويقال للأثر: بلد، وجمعه أبلادٌ.

قال القُطامي[٢]:

وبالنُحورِ كُلومٌ ذاتُ أبلادِ[٣]

وقال ابنُ الرِّقاع[٤]:

عرَف الديارَ توهُّمًا فاعتادَها مِنْ بعدِ ما شَمِلَ البِلَى أبلادَها[٥]

وإنما سُمِّيت البلادُ لأنها مواضعُ مواطن الناس وتأثيرهم. والبلد: المقبرة، ويقال: هو نفس القبر، قال خُفَاف[٦]:

كلُّ امرئ تاركٌ أحبَّتَه ومُسْلِمٌ وجهَه إلى البلَد[٧]

---

(١) البيت لذي الرمة، في «ديوانه» ص١٠٠٤، «تهذيب اللغة» ١/ ٣٨٣، «لسان العرب» ١/ ٣٤١، «المعجم المفصل» ٧/ ١٣٥.

(٢) هو عمير بن شييم التغلبي القطامي، شاعر إسلامي، تقدمت ترجمته [البقرة: ٦١].

(٣) هذا عجز بيت، وصدره: ليست تجرح فُرّارًا ظهورهم. وهو للقطامي في «ديوانه» ص١٢، ينظر: «اللسان» مادة: بلد. ويروى: وفي النجوم، كما في «عمدة الحفاظ» ١/ ٢٥٨، وكذا في «المشوف المعلم» ١/ ١١٧، و«البصائر» ٢/ ٢٧٣، وينظر: «مفردات ألفاظ القرآن» للراغب ص١٤٣.

(٤) هو عدي بن الرقاع بن عاملة حي من قضاعة، تقدمت ترجمته [البقرة: ٦٠].

(٥) البيت في «ديوانه» ص٣٣، «لسان العرب» ١/ ٣٤١ مادة: بلد.

(٦) هو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد السلمي، من مضر، أبو خراشة، شاعر فارس، كان أسود اللون، وعاش زمنًا في الجاهلية، وأدرك الإسلام فأسلم، وشهد فتح مكة وحنينًا والطائف، وثبت في الردة على إسلامه، توفي سنة ٢٠هـ. ينظر: «أسد الغابة» ٢/ ١٣٨، «الأعلام» ٢/ ٣٠٩.

(٧) البيت بلا نسبة في «المخصص» ٦/ ١٣٣، وانظر: «المعجم المفصل» ٢/ ٤٢٩.

ومن هذا يقال: رجلٌ بليدٌ، إذا أثَّرَ فيه الجهلُ، ثم يقالُ منه: تبلَّدَ الرجلُ، وهو نقيضُ التجلُّد، قال:

ألا لا تَلُمْهُ اليومَ أن يتبلَّدا فقد غُلِبَ المحزونُ أن يتجلَّدا[١]

وبلد أيضا: إذا ضَعُفَ في العملِ وغيره، حتى قيل في الجرِي قال:

جَرَى طَلَقًا حتى إذا قيلَ سابقٌ تداركَه أعراقُ[٢] سوءٍ فَبَلَّدَا[٣]

وقوله تعالى: ﴿ءَامِنًا﴾ قال الزجاج: ذا أَمْنٍ[٤]، فيكون كقولهم: لابِنٌ وتَامِرٌ، ويجوزُ أن يكون آمنًا يأمَنُ أهله فيه، فيكون كقولهم: ليلٌ نائمٌ، أيْ: ينامُ أهله[٥] فيه، قال الشاعر:

ونمتُ وما ليلُ المطيِّ بنائمِ[٦]

ويقولون: همٌّ ناصب، أي: ينصبُ فيه الإنسانُ، وينصبُ لأجلِه[٧]

---

(١) البيت للأحوص الأنصاري في «ديوانه» ص٩٨، وانظر: «المعجم المفصل» ٢/ ٢٠١.

(٢) في (ش): (أعواق).

(٣) البيت بلا نسبة في «تهذيب اللغة» ١/ ٣٨٣، «لسان العرب» ١/ ٣٤٢ و٥/ ٢٩٠٤، «المعجم المفصل» ٢/ ٢٠١.

(٤) «معاني القرآن» ١/ ٢٠٧.

(٥) زيادة من (م).

(٦) البيت لجرير بن عطية، ومطلعه:

لقد لُمتِنا يا أمَّ غيلان في السُّرى

ينظر: «ديوانه» ص٤٥٤.

(٧) وليس هذا بقياس عند سيبويه، وعن المبرد أن فاعلًا بمعنى صاحب، كذا قياس، وفي شرح المفصل: وكثر فعال حتى لا يبعد دعوى القياس فيه، وقل فاعل، فلا يمكن دعوى القياس فيه لندوره. ينظر: «حاشية ابن جماعة الكناني على شرح الجاربردي للشافية لابن الحاجب» ١/ ١٢٥، «همع الهوامع» للسيوطي ٢/ ١٩٨.

قال النابغة:

كِلِيني لَهمٍّ يا أميمةُ ناصبِ[١]

فأما التفسير فقال ابن عباس: يريد حرامًا محرمًا، لا يصاد طيره، ولا يقطع شجره، ولا يختلى خلاه، ولا يدخلها أحد إلا بإحرام، ولا تحلُّ لأحدٍ من الخلق إلا الساعة التي حلّت للنبي ﷺ، هذا كلامه[٢]. فأما الحكم في هذا، فإنَّ صيدَ مكة لا ينفر، ولا ينتف شعره، ولا يتعرض له بنوع أذًى، ومن قتل صيد مكة فعليه جزاؤه، ولا يجوز قطع أشجار[٣] الحرم على جهة الإضرار بها، ويجوز تشذيبها على جهة المصلحة لها، ولا يجوز خبطها؛ ولكنها تهشُّ هشًا رفيقًا، ويجوزُ إرسالُ المواشي لترتَعَ في حشيش الحرم[٤]. وقال النبي ﷺ: **«إن الله حبس الفيل عن مكة، وسلَّطَ عليها رسولَه والمؤمنين، وإنَّهَا لم تَحِلُّ لأحدٍ كان قبلي، ولا تحلُّ لأحدٍ كان بعدي، وإنما أُحِلَّت لي ساعة من النهار»**[٥]. والعرب تقول: آمَنُ من حمام مكة، يضربون المثلَ بها في الأمن[٦].

---

(١) البيت للنابغة الذبياني، وعجزه:

وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكبِ

ينظر: «ديوانه» ص٤٠، و«المعجم المفصل» ١/ ٤٥٠.

(٢) ينظر مرفوعًا عن ابن عباس بنحوه عند البخاري (١٣٤٩) كتاب الحج باب: الأذخر والحشيش في القبر، ومسلم (١٣٥٣) كتاب الحج؛ باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها.

(٣) في(م): (شجر).

(٤) ينظر في المسألة: «مشكل الآثار» للطحاوي ٤/ ١٧٦ ط دار الكتب العلمية، «المجموع شرح المهذب» ٧/ ٤٢٥ و٧/ ٤٤٤ ط المنيرية، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٨٠.

(٥) تقدم تخريجه آنفًا.

(٦) لأنها لا تثار ولا تهاج. ينظر: «مجمع الأمثال» للميداني ١/ ٨٧، «جمهرة الأمثال» للعسكري ١/ ١٩٩، «المستقصى» للزمخشري ١/ ٧.

وقوله تعالى: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ الثمرات: جمع ثمرة، وهو حمل الشجرة من أي نوع كان، ويأتي الكلام فيها عند اختلاف القراء في (ثمره) [الكهف: ٤٢].

قال المفسرون: استجاب الله دعاء إبراهيم، فقال في موضع آخر: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [القصص: ٥٧][1].

قال عطاء عن ابن عباس: ذكروا أن الله عز وجل بعث جبريل إلى الشام، حتى اقتلع الطائف من موضع الأردن، ثم طاف بها حول الكعبة أسبوعًا، لذلك سميت الطائف، ثم أنزلها تهامة، ومنها تجْبَى إلى مكة الثمرات[2].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ (من) بَدَلٌ من أهله[3] وهو بدل البعض من الكُلِّ، كقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آلعمران: ٩٧]. والأخفش يسمي هذا بدل التبيان؛ لأنَّ الأول دلَّ على العموم، ثم بان بالبدل أن المراد به البعض، كما تقول: أخذت المال ثلثيه، ورأيت القوم ناسًا منهم[4]. وإنما خصَّ إبراهيم عليه السلام بطلب الرزق المؤمنين؛ لأن الله تعالى أدبه بقوله: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فتوهَّم أنه كما لا يعطيهم النبوة إلا إذا كانوا مؤمنين، كذلك لا يرزق أهل

---

(١) ينظر: «الوسيط» ١/ ٢١٠.

(٢) ذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٠ ذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ١٤٩ دون نسبة، وبعضه يذكر عن الزهري ومحمد بن مسلم الطائفي. ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٤٤، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٢٩-٢٣٠، «البحر المحيط» ١/ ٣٨٣.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٧.

(٤) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٤٧.

مكة إلا أن يكونوا مؤمنين[١].

قال ابن عباس: وكانت دعوةُ إبراهيم يومئذ وأهلها مؤمنون[٢]، فما زالوا على إيمانٍ ومعرفة بالله حتى غيَّرَ ذلك عمرو بن لُحَيّ الخُزاعي[٣]، وهو الذي قال رسول الله ﷺ: « **رأيته في جهنم يجُرّ قُصْبَه[٤] في النار**»[٥]، وكان أول من غيّر دين إبراهيم، وعبد الأصنام، وسيّب السائبة، وبَحَر البحيرة، وحمى الحامي[٦]، وغلب على مكة، وقهر أهلها، وهم ولد إسماعيل.

﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ فسأرزقه إلى منتهى أجله[٧]. وفي (أمتعه)

---

(١) ينظر: «الوسيط» ١/ ٢١٠.

(٢) لعله من رواية عطاء، وقد تقدم الحديث عنها في القسم الدراسي.

(٣) هو عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي وقيل: عمرو بن لحي بن قَمَعَة، وقيل غير ذلك، من قحطان، أول من غير دين إسماعيل، ودعا العربَ إلى عبادة الأوثان حيث دعا إلى تعظيمها. ينظر: «البداية والنهاية» ٢/ ١٨٧، «الأعلام» ٥/ ٨٤.

(٤) قصبه أي: أمعاءه، ينظر: «صحيح مسلم» (٢٨٥٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون.

(٥) رواه البخاري (٤٦٢٣) كتاب تفسير القرآن، باب: ماجعل الله من بحيرة، ومسلم (٢٨٥٦) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون.

(٦) السائبة: قيل: من الإبل، وقيل من جميع الأنعام وتكوم من النذر للأصنام، فتسيب فلاتحبس عن مرعى ولا ماء ولايركبها أحد ،كان الرجل ينذر إن بريء أو قدم من سفره لُيسيبن بعيرًا. والبحيرة: هي التي بحرت أذنها أي خرمت، قيل من الإبل وقيل من الشاة، إذا ولدت خمسة أبطن بحروا أذنها وتركت فلا يمسها أحد. والحامي: هوفحل الإبل، إذا انتجوا منه عشرة أبطن، قالوا قد حمى ظهره، فلم يركب وقيل: غير ذلك ينظر: «فتح الباري» ٨/ ٢٨٤.

(٧) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٧٧، «تفسير البغوي» ١/ ١٤٩.

قراءتان: التشديد من التفعيل، وهو قراءة عامة القراء، وقرأ ابن عامر بالتخفيف[١]. والتشديدُ أولى؛ لأن التنزيل عليه: كقوله: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا﴾ [هود: ٣] وقال: ﴿كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٦١] وقال: ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]. وأمّا التخفيف فإن أَفْعَل قد يكون بمعنى فَعَّل في كثير من المواضع، نحو: فَرَّحْتُه وأفرحْتُه، وأنزلته ونَزَّلته، قال الراعي[٢]:

خَلِيطَين من شعبين شتّى تجاورا
قديمًا وكانا بالتفرُّقِ أمتعا[٣]

وأما قوله: (قليلا) قال أبو علي الفارسي[٤]: يجوز أن يكون صفةً للمصدر، ويجوز أن يكون صفة للزمان. فالدلالةُ على جواز كونه صفة للمصدر قوله: ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا﴾ [هود: ٣] فوصف به المصدر. قال سيبويه[٥]: مثال هذا: أنك ترى الرجل يعالج شيئًا فتقول: رُويدًا، أي: علاجًا رويدًا. فإن قيل: كيف يحسنُ أن يكون صفةً للمصدر، وفعّل يدل على التكثير، فكيفَ يستقيمُ وصفُ الكثير بالقليل في قوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾، وهلا كان قولُ ابن عامر أرجحَ؛ لأنَّ هذا السؤال لا يعترض فيه.

---

(١) ينظر: «السبعة» ص١٧٠، «معاني القراءات» للأزهري ص٦٣.

(٢) هو: أبو جندل عبيد بن حصين النميري، والراعي لقبه ؛ لكثرة وصفه للإبل، وهو شاعر من المحدثين الفحول، عاصر جريرًا والفرزدق، توفي سنة ٩٠هـ. ينظر: «الشعر والشعراء» ٢٦٥، «الأعلام» ٤/ ١٨٨.

(٣) ينظر: «ديوانه» ص١٦٦، «لسان العرب» ٧/ ٤١٢٩، «المعجم المفصل» ٤/ ١٩٩.

(٤) في «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٢٢٢.

(٥) «الكتاب» ١/ ١٢٤.

والجواب: أن هذا لا يدل على ترجيح قراءته، وإنما وصفه الله سبحانه بالقليلِ من حيثُ كان إلى نَفادٍ ونقصٍ وتناهٍ، ألا ترى أن[١] قوله: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ﴾ [النساء: ٧٧] فعلى هذا وُصِفَ المتاع بالقلة في قوله: ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا﴾.

وأما جواز أن يكون (قليل) صفة للزمان فيدلُّ عليه قوله: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠] بعد زمان قليل، كما تقول: أطعمه عن جوعٍ وكساه عن عُري[٢].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ﴾ أي: ألجئه في الآخرة إلى عذاب النار ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ مُختصر، أي: بئس المصير النار أو عذاب النار[٣].

١٢٧- قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ معنى القعود في أصل[٤] اللغة: الثبات على أيِّ حالةٍ كانت، الدليل عليه قوله تعالى: ﴿تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ﴾ [آل عمران: ١٢١] يريد: مثابت ومراكز، ولا يريد مَجالس. وقولهم: قَعَدَتِ المرأةُ عن المحيض، معناه: ثبتت على حالة الطُهْر، ولا يراد به الجُلوس. ويقولون: قَعَدَتِ الفَسِيلة، إذا ثَبَتَتْ في الأرض، وصار لها جذع[٥]. ومن هذا: قواعد البيت، فَقَعَدَ في أصل اللغة

---

(١) زيادة من (م).

(٢) انتهى كلام أبي علي الفارسي من «الحجة» ٢/ ٢٢٢.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٧٧، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٨٦-١٨٧.

(٤) ساقط من (ش).

(٥) «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٠٤.

بمعنى: ثبت، ثم نقل إلى هذا الفعل المخصوص والمتعارف الذي لا تعرف العامة غيره[١].

وأما تفسير قواعد البيت، فقال ابن المظفر: القواعد: أصول الأساسِ، الواحد: قاعدة[٢].

قال الزجاج: وكل قاعدةٍ فهي أصلٌ للذي فوقها[٣]. قال الكُمَيْت[٤]:

فـي ذِروةٍ مـن يـفـاعٍ أوّلـهـم زانـت عـواليَـهـا قـواعـدُهـا[٥]

ومنه يقال للخشبات أسافل الهودج: القواعد، لأنها كالأساس للهودج[٦]. قال ابن عباس: يعنى: أصولَ البيت[٧].

وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ المعنى: يقولان[٨]: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾

---

(١) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٠٤، «لسان العرب» ٦/ ٣٦٨٩ (قعد).

(٢) «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠٠٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٨٢، «البحر المحيط» ١/ ٣٨٧.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٢٠٨، قال في «البحر المحيط» ١: ٣٧٣: القواعد: قال الكسائي والفراء: هي الجدر، وقال أبو عبيدة: الأساس، وبالأساس فسرها ابن عطية أولًا والزمخشري وقال: هي صفة غالبة، ومعناها: الثابتة. ا هـ.

(٤) تقدمت ترجمته.

(٥) البيت للكميت في «مجاز القرآن» ١/ ٥٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٨٣، «البحر المحيط» ١/ ٣٧٣ ولم ينسبه، واليَفَاع: المشرف من الأرض و الجبل.

(٦) «لسان العرب» ٦/ ٣٦٨٩ (قعد)، والهَوْدَج: مركب للنساء يوضع على ظهور الرواحل.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١١٨٢، وأخرجه ابن أبي حاتم ١/ ٢٣١ بلفظ: أساس البيت، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٤٦ بلفظ: القواعد التي كانت قواعد البيت قبل ذلك.

(٨) يروي ابن عباس ذلك كما في «تفسير الطبري» ١/ ٥٤٩، وينظر: «صحيح البخاري» (٣٣٦٥) كتاب الأنبياء، باب: يزفون النسلان في المشي، وعند الأخفش في «معاني القرآن» ١/ ١٤٨ أن إسماعيل هو الذي قال: (ربنا تقبل منا).

كقوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾ [الأنعام: ٩٣] المعنى: يقولون: أخرجوا، ومثله: ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمۖ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ يريد: لدعائنا ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما في قلوبنا[1].

١٢٨- قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ أي: مطيعين مستسلمين منقادين لحكمك[2].

قال ابن الأنباري: يقال: فلان مسلم، وفيه قولان:

أحدهما: أنه المستسلم لأمر الله.

والثاني: هو المخلص لله العبادة، من قولهم: سَلَّمَ لفلان الشيءَ، أي: خَلَّصَه له، وسَلِمَ له الشيءُ، أي: خَلَصَ[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩] معناه: خالصًا لرجل، وأنشد على أنَّ المسلم بمعنى المستسلم لأمر الله قولَ الشاعر:

فقلنا أَسْلِمُوا إنّا أخوكم[4] فقد بَرِئَتْ مِنَ الإحَنِ الصُّدُورُ[5]

أراد: استسلموا. قالوا: فالمسلم الذي يعتقد الاستسلامَ لله تعالى والإيمانَ به محمودٌ، والمسلمُ الذي يستسلم خوفًا من القتل مذمومٌ، من

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٨٤، «تفسير البغوي» ١/ ١٥٠.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٨٥، «تفسير البغوي» ١/ ١٥٠.

(٣) نقله في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٤٥، وعنه في «لسان العرب» ٤/ ٢٠٨٠.

(٤) في (ش): (باحركم).

(٥) البيت لعباس بن مرداس، في «ديوانه» ص٥٢، «لسان العرب» ١/ ٤١ «المعجم المفصل» ٣/ ٣٢٦.

ذلك قوله تعالى: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[١] [الحجرات: ١٤]. معناه: استسلمنا من خوف القتل[٢]. وقد ذكرنا معنى الإسلام فيما تقدم.

قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ الأمَّةُ في اللغة تكون على وجوه، قال أبو العباس: الأمَّةُ تأويلها: الجماعة من كل شيء، من ذلك: أمة محمد ﷺ، ويقال: إنما فلان أمةٌ وَحْدَه، أي: يَسُدُّ مَسَدَّ جَمَاعةٍ، ومنه يقال: فلان حسن الأُمَّة، إذا مُدِحَ بالتمامِ واستجماعِ الخُلُقِ على الاستواء[٣].

قال الأعشى[٤]:

وإنَّ معاويةَ الأكْرَمِين حِسَانُ الوُجُوهِ طِوالُ الأُمَمْ[٥]

ومنه سميت الأمّ؛ لأنها المحتويةُ على الولد، ومنها يخرج، ومن ذلك قوله: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] أيْ: مجمع الحلال والحرام. والإمام مأخوذ من هذا؛ لأن عليه تجتمع[٦] الجماعة[٧]، ومنه: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] أي: بعد حين من الدهر[٨]، وذلك لجماعة الشهور

---

(١) في (م)، (ش): (لن).

(٢) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٤٥، «لسان العرب» ٤/ ٢٠٨٠.

(٣) «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٢-٢٠٦، «لسان العرب» ١/ ١٣٥ (أمم).

(٤) هو أبو بصير ميمون بن قيس، تقدمت ترجمته.

(٥) البيت للأعشى في «ديوانه» ص١٩٩، «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٤، «لسان العرب» ١/ ١٣٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٢، «الأمالي» لأبي علي القالي ١/ ٢٥، «المعجم المفصل» ٧/ ٢٩.

(٦) في (أ): (يجتمع)، وفي (م): (مجتمع).

(٧) «لسان العرب» ١/ ١٣٣-١٣٤ (أمم).

(٨) «المفردات» للراغب الأصفهاني ص٣٣.

والأعوام، وأم النجوم: المجرة؛ لأنها مجتمع النجوم، وكل شيء انضمت إليه أشياء فهو أمّ لها[١]، وأمُّ القوم: رئيسُهم الذي يجتمع إليه أمْرُهم[٢].

قال الشنفرى[٣]:

وأمَّ عيال قد شَهِدتُ تَقُوتُهم إذا أحْتَرتْهُمْ[٤] أحْتَرَتْ وأقَلَّتِ[٥]

يعني: تأبط شرّا، والأَمَم: القريب المجتمع، وأمَّه: إذا قَصَدَ الاجتماع معه[٦].

وقال أبو إسحاق: الأمة في اللغة أشياء، الأمة: القرن من الناس، يقال: قد مضت أمم أي: قرون، والأمة: الدِّين، ومنه قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] أي: كانوا على دين واحد، والأمة: القامة وأنشد:

.... طـوال الأمـم[٧]

والأمة: الرجل الذي لا نظير له، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[٨]، [النحل: ١٢٠].

---

(١) «لسان العرب» ١/ ١٣٧ (أم).

(٢) «لسان العرب» ١/ ١٣٣ (أمم).

(٣) هو ثابت بن أوس الأزدي، شاعر جاهلي، تقدمت ترجمته [البقرة: ٣٠].

(٤) في (ش): (أخترتهم)، وفي (أ) لعلها كذلك.

(٥) البيت للشنفرى في «ديوانه» ص٣٥، «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٣ وروايته: إذا حَتَرَتْهم أتْفَهَتْ وأقَلَّتِ، «لسان العرب» ٢/ ٧٦٩ (مادة: حتر)، ١/ ١٣٧ (مادة: أمم)، «المعجم المفصل» ١/ ٥٥٢.

(٦) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٢-٢٠٣، «لسان العرب» ١/ ١٣٥ (أمم).

(٧) هذه قطعة من البيت المذكور في الصفحة السابقة.

(٨) بتصرف من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٨٣، وزاد من المعاني: الأمة: بمعنى النعمة والخير.

قال: وأصل هذا الباب كله من القصد، يقال: أممت الشيء إذا قصدته، فمعنى الأمة في القرن من الناس: الذين يقصدهم مقصدًا واحدًا، ومعنى الأمة في الدين: إنما هو الشيء الذي يقصده الخلق ويطلبونه؛ ولذلك سميت النعمة أمة، ومعنى الأمة في الرجل: الذي لا نظير له: أن قصده منفرد من قصد سائر الناس[(١)]. قال ومعنى الأمة: القامة، لأنها مقصد الجسد، فليس يخرج شيء من هذا الباب عن معنى أممت،أي: قصدت[(٢)].

قال الأزهري: والأمة فيما فسّروا يقع على الكفار والمؤمنين[(٣)]، وقال الليث: كلٌ قوم نُسبوا إلى نبيٍّ فأضيفوا إليه فهم أمته، وقيل: أمة محمد ﷺ: كل من أرسل إليه[(٤)] ممن آمن به أو كفر، قال: وكل جيل من الناس هم أمة على حدة[(٥)].

قال ابن الأنباري: والأمة أيضًا أتباع الأنبياء، من قولهم: نحن أمة محمد ﷺ.

قال ابن عباس: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ يريد: أمةَ محمَّدٍ ﷺ ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ يريد: المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان[(٦)]. قيل: وإنما خصّا

---

(١) بتصرف من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٣، ونقله عنه الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٤ (أم).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٨٤.

(٣) «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٤.

(٤) ساقط من (ش).

(٥) نقله في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٠٥.

(٦) لم أجده ولعله من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في المقدمة.

بالدعوة بعضَ الذُّرِّيَّة؛ لأن الله تعالى أعلمهما أن في ذريتهما من لا ينال العهد في قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾. (أرنا) يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون منقولًا من رأيت الذي يراد بها إدراك البصر، نقلت بالهمزة فتعدت إلى مفعولين، والتقدير: حذف المضاف، كأنه قال: أرنا مواضع مناسكنا، والمناسك: جمع منسك، وهو مصدر، جُمع لاختلاف ضروبه، والمعنى: عَرِّفْنا هذه المواضع التي تتعلق النسك بها؛ لنفعله ونقضي نسكنا فيها[1]، على حدِّ ما يقتضيه توقيفنا عليها، وذلك نحو: المواقيت التي يحرم منها، ونحو: الموضع الذي يوقف فيه بعرفةَ، وموضع الطواف، وموضع رمي الجمار، فهذا من: رأيتُ المواضع، وأريته زيدًا.

والوجه الآخر: أن يكون أرنا منقولًا من رأيت، الذي لا يراد به رؤية العين ولكن التوقيف على الأمر، وضرب من العلم. وإلى هذا ذهب أبو عبيدة في تأويل الآية فقال: (وأرنا مناسكنا) أي: عَلِّمْنا، وأنشد:

أريني جوادًا مات هَزْلًا لأنني ... أرى ما تَرَيْنَ أو بخيلًا مُخَلَّدا[2]

---

(١) في (م): (فيه)، وفي (ش): (بها).

(٢) البيت لحاتم الطائي، في «ديوانه» ص٤٠، ولحطائط بن يعفر، «مجاز القرآن» ١/ ٥٥، «الحجة» ٢/ ٢٢٥، «شرح أبيات المغني» ١/ ٢١٩، وفي «خزانة الأدب» ١/ ٤٠٦، ولدريد في «لسان العرب» ١/ ١٥٨، ولمعن بن أوس في «ديوانه» ص٣٩. قال: العيني ١/ ٣٢٩: أقول قائله هو حاتم بن عدي الطائي، كذا قالت جماعة من النحاة. ينظر: «المعجم المفصل» ٢/ ٢٠٢، وتحقيق أحمد شاكر لكتاب «الشعر والشعراء» ١/ ٢٤٨.

قال: أراد: دُلَّني، ولم يرد رؤية العين[١]. وقوله: لأنني، أي: لعلني[٢].

وقال أبو إسحاق: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ معناه: عرِّفنا متعبداتنا، وكلُّ متعبَّدٍ فهو منسِك ومنسَك، ومن هذا قيل للعابد: ناسك، ويقال للذبيحة المتقرب بها إلى الله: نسيكة، وإنما سمي الذبيحة نَسِيكة[٣]؛ لأنهم كانوا يذبحونها للعبادة. فقوله: ﴿مَنَاسِكَنَا﴾ يحتمل أن يكون جمع مَنْسَك الذي هو المصدر، فيكون على تقدير حذف المضاف كما ذكرنا، ويحتمل أن يكون جمع منسك الذي هو الموضع، فلا يكون فيه حذف. ونسك في اللغة على معنيين:

أحدهما: ذَبح، **والآخر**: عَبَدَ، فلا يُدرى[٤] أيهما الأصل[٥].

وفي قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ قراءتان: كسر الراء، وإسكانها[٦].

قال أبو إسحاق: والأجود الكسر؛ لأن الأصل أَرْئنا، فالكسرة في الراء إنما هي كسرة همزة، أُلقيت فَطُرحت حركتها على الراء، فالكسرة دليلُ الهمزة، وحذفُها قبيحٌ، وهو جائزٌ على بُعدٍ؛ لأن الكسرةَ والضمةَ

---

(١) ما تقدم من «الحجة» ٢/ ٢٢٤-٢٢٥ بتصرف واختصار.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٥٥.

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٠٩، وقال بعده: وكان الأصل في النسك إنما هو من الذبيحة لله جل وعز.

(٤) في (ش): (ندري).

(٥) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٦٢ (نسو).

(٦) قرأ ابن كثير والسوسي ويعقوب بإسكان الراء، وقرأ الدوري عن أبي عمرو بإخفاء كسرتها: أي: اختلاسها، والباقون بالكسرة الكاملة على الأصل. ينظر: «السبعة» ص١٧٠، «الحجة» ٢/ ٢٢٤، «البدور الزاهرة» ص٥٠.

تُحذفانِ استثقالًا[١]؛ كقولهم في فَخِذٍ: فَخْذٌ، وفي عَضُدٍ: عَضْدٌ، وقد[٢] ذكرنا هذا بأبلغ من هذا الشرح فيما تقدم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ﴾ قال ابن عباس: أي: الراجع بأوليائه وأهل طاعته[٣] إلى أفضل دينه[٤].

١٢٩- وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ قال ابن عباس: يريد: في ولدي[٥]، والكناية تعود إلى الذرية أو إلى الأمة في قوله: ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾[٦]، وكلاهما ولد إبراهيم، وهم العرب[٧].

وقوله تعالى: ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد محمدًا ﷺ، فاستجاب الله دعاءه، وبعث فيهم رسولًا من أنفسهم، محمدًا سيد الأنبياء[٨]، لذلك قال رسول الله ﷺ: «**إني عند**[٩] **الله في أمِّ الكتاب لَخَاتَمُ**

---

(١) بتصرف من «معاني القرآن» ١/ ٢٠٩، وفيه: (والأجود الكسر، وإنما أسكن أبو عمرو لأنه جعله بمنزلة فخذ وعضد، وهذا ليس بمنزلة فخذ ولا عضد؛ لأن الأصل . . .).

(٢) في (ش): (وهذا).

(٣) في (أ)، (ش): (طاعة).

(٤) لعله من رواية عطاء التي تقدم ذكرها. وينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ١٢٠٠.

(٥) لعله من رواية عطاء.

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٨٧، وينظر: «سنن سعيد بن منصور» ٢/ ٦١٥، «تفسير الطبري» ١/ ٥٥٦، «زاد المسير» ١/ ١٤٦.

(٧) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٨٧ قال: وقيل في أهل مكة. وينظر: «زاد المسير» ١/ ١٤٦، «الخازن» ١/ ١١١، «البحر المحيط» ١/ ٣٩٢.

(٨) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١١٩٥، «تفسير البغوي» ١/ ١٥١.

(٩) في (ش): (عبد).

النبيين، وإن آدم لمُنجدِلٌ في طِينَتِهِ، وسوف أنبئكم بتلك دعوة أبي إبراهيم ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾. الآية، وبشارة عيسى قومه: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ﴾ [الصف: ٦]، ورؤيا أمي، التي رأت أنه خرج منها نورٌ أضاءت له قصورُ الشام[١]».

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ قال ابن عباس: يريد القرآن الذي أنزل عليه، وما فيه من الفرائض والأحكام والسنن وشرائع النبيين[٢].

فعلى هذا الحكمة: هي نفس الكتاب، وجُمع بينهما لاختلاف اللفظين. والحكمة في اللغة: فهم المعاني، وبه قال مجاهد، فإنه قال: يعنى بالحكمة فهم القرآن[٣].

وقال عبد الله بن مسلم: هي العلم والعمل، ولا يسمى الرجل حكيما

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٤/ ١٢٧، وابن حبان (٦٤٠٤)، والحاكم ٢/ ٤١٨، ٦٠٠، والبيهقي في «الدلائل» ١/ ٣٨٩، والبغوي في «تفسيره» ١٥/ ١٥١، وفي «شرح السنة» ١٣/ ٢٠٧، والطبري ١/ ٥٥٦، والطبراني ١٨/ ٢٥٢ (٦٢٩)، (٦٣٠)، والبخاري في «تاريخه» ٦/ ٦٨ والثعلبي في «تفسيره»، وآخرون من حديث العرباض بن سارية ورواياتهم: وسأنبئكم بتأويل ذلك، أو سأنبئكم بأول ذلك، أو سأخبركم عن ذلك، وذكر الآيات ليس في الرويات، ومعنى منجدل: أي: ملقىً على الجدالة وهي الأرض، والحديث صححه ابن حبان والحاكم، وقال: الهيثمي: أحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وثقه ابن حبان، وينظر: « الكشاف» لابن حجر ص١٠، وهو صحيح لغيره.

(٢) لعله من رواية عطاء ، وينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٥٧، عن قتادة وغيره. «المحرر الوجيز» ١/ ٢١٢.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٨٨ عن مجاهد، وعنه البغوي ١/ ١١٨٨، «الخازن» ١/ ١١٢، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٣.

حتى يجمعهما[١]. سمعت الثعلبي -رحمه الله- يقول: سمعت البياري[٢] يقول: سمعت السِّيرافي[٣] يقول: سمعت ابن دُرَيدٍ يقول: كل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قَبيحٍ فهي حكمة[٤]. ومنه قوله ﷺ: « **إنَّ من الشعرِ حكمةً**[٥]».

وأصلها في اللغة: من المنع والرد[٦]، قال الأصمعي: أصل الحكومة: ردُّ الرجل عن الظلم، ومنه سميت حَكَمَةُ اللِّجام؛ لأنها تَرُدُّ الدَّابَّة[٧]، وهذا يذكر في مواضع من هذا الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أصل التزكية في اللغة: النسبة إلى الازدياد من الأفعال الحسنة التي ليست بمشوبة، والزكاة: الزيادة[٨]، وقد ذكرنا

---

(١) ذكره عنه الثعلبي ١/ ١١٨، وذكره البغوي ١/ ١٥٢ وأبو حيان في «البحر المحيط».

(٢) هو علي بن الحارث البياري الخراساني، من معادن العلم، أديب بارع شدت إليه الرحال صاحب كتاب «شرح الحماسة وصناعة الشعر». ينظر: «إنباه الرواة» ٢/ ٢٧٤، ٢٧٥، «دمية القصر» ص٣٠٢.

(٣) هو العلامة إمام النحو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان، «السيرافي»، صاحب التصانيف ونحوي بغداد، وهو من أعيان الحنفية، رأسًا في نحو البصريين، تصدر لإقراء القراءات واللغة والفقه والفرائض، وولي قضاء بغداد توفي سنة ٣٦٨هـ. ينظر: «السير» ١٦/ ٢٤٧-٢٤٨، «إنباه الرواة» ١/ ٤١٣، «تاريخ بغداد» ٧/ ٣٤١-٣٤٢.

(٤) هكذا بهذا الإسناد عند الثعلبي ١/ ١١٨٩ وزاد: فهي حكمة وحكم. وذكره ابن دريد في «الجمهرة» ١/ ٥٦٤، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٢، والسمعاني ٢/ ٦٠.

(٥) رواه البخاري (٦١٤٥) كتاب الأدب، باب: مايجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، من حديث أبي بن كعب.

(٦) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٦، «تفسير الثعلبي» ٨٤٣ و ١١٩٢

(٧) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٨٦، «لسان العرب» ٢/ ٩٥٢ .

(٨) «تفسير الطبري» ١/ ٥٥٨، «المحرر الوجيز» ١/ ٤٩٢، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٢٠.

هذا عند تفسير الزكاة. قال ابن عباس: ويرشدهم إلى أفضل عبادتك[١]، وقال ابن جريج[٢]: يطهرهم من الشرك، ويخلّصهم منه[٣].

وقيل: يأخذ زكاة أموالهم[٤]، وقال ابن كيسان: يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ، بيانه قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[٥] [البقرة: ١٤٣] الآية.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ اختلف قول أهل اللغة في معنى العزيز واشتقاقه، فقال أبو إسحاق: العزيز في صفات الله: الممتنع فلا يغلبه شيء[٦]، وهذا قول المفضل، قال: العزيز: المنيع الذي لا تناله الأيدي[٧].

وعلى هذا القول العزيز من عزّ يَعَزُّ بفتح العين، إذا اشتد[٨]، يقال: عَزَّ علي ما أصاب فلانًا أي: اشتد، وتعزّز لحم الناقة إذا صلُب واشتدّ[٩]،

---

(١) لعله من رواية عطاء التي تقدم ذكرها. وبنحوه أخرجه الطبري ١/ ٥٥٨، وابن أبي حاتم ١/ ٢٣٧ (١٢٦٥) بلفظ: يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص.

(٢) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، تقدمت ترجمته [البقرة: ٣٥].

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٥٨، وذكره الثعلبي ١/ ١١٩٢ بلا نسبة.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٩٢، والسمرقندي ١/ ١٥٨، والبغوي ١/ ١٥٢، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٤٦، وبنحوه في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٣.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٩٢، وعنه البغوي ١/ ١٥٢، «الخازن» ١/ ١١٢.

(٦) نقله عن أبي إسحاق الزجاج الأزهري في: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٠، وعنه في «اللسان» ٥/ ٢٩٢٥، وينظر تفصيلا في «اشتقاق أسماء الله» لأبي القاسم الزجاجي ص٢٣٧-٢٤٠.

(٧) نقله عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٩٣ وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٣.

(٨) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٠ «عزز».

(٩) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٩٤، «البحر المحيط» ١/ ٣٩٣، «الدر المصون» ١/ ٣٧٣.

وأنشد أبو عمرو الشيباني[١]:

أُجُدٌ إذا ضَمَرَتْ تعزَّزَ لحمُها ... وإذا تُشَدُّ بنسعةٍ لا تَنْبِسُ[٢]

يريد: أنها إذا هزلت صَلُبَ لحمُها ولم يَسْتَرْخِ جلدها.

وقال أبو كبير الهذلي[٣] يصف عقابًا[٤]:

حتى انتهيت إلى فراشِ عزيزة ... سوداء روثةُ أنفِها كالمِخْصَفِ[٥]

سماها عزيزة؛ لأنَّها من أقوى الجوارح، وأشدِّها بأسًا، والعزاز: الأرض الصلبة، فمعنى العِزَّةِ في اللغة: الشِّدَّة[٦]، ولا يجوزُ في وصف الله تعالى الشِّدَّة[٧]، ويجوزُ العزّة، وهي امتناعه على من أراده، وعلوه

---

(١) هو إسحاق بن مرار أبو عمرو الشيباني، تقدمت ترجمته [البقرة: ٣٩].

(٢) البيت للمتلمس الضبعي في «ديوانه» ص١٨٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٩٤، «لسان العرب» ٥/ ٢٩٢٧، «تاج العروس» ٨/ ١٠٥، «الأغاني» ٢٤/ ٢٣٠، وذكره ابن دريد في «الجمهرة» ص٣٤١ ولم ينسبه. ورواية «الديوان»: عُنُسٌ بدل أَجُدٌ، ورواية الثعلبي: بنَسعِها. ومعنى: ضمرت: نحلت، وقوله: تَعَزَّزَ لحمها: اشتد وصلب، والنسع: سير من الجلد تشد به الرحال، ومعنى لاتنبس: لاتنطق ولاتصيح. وهو في البيت يصف الناقة.

(٣) هو عامر بن الحليس الهذيلي، أبو كبير من بني سهل بن هذيل، تقدمت ترجمته.

(٤) ساقطة من (أ)، (م).

(٥) ينظر: «شرح أشعار الهذليين» ص١٠٨٩، «لسان العرب» ٥/ ٢٩٢٦، ١/ ١٠٣٩ (خصف)، «تاج العروس» ٣/ ٢٢٠ (مادة: روث)، «المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية» ٥/ ٩١.

(٦) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٠ (عزز).

(٧) ذكره الشيخ بكر أبو زيد في «معجم المناهي اللفظية» ص٣٠٢ أن من أسماء الله تعالى القوي، ومن لوازم القوة: القدرة، بخلاف الشديد ولهذا لم يأت في القرآن=

عن[١] أن تناله[٢] يدٌ[٣]، وقال ابن عباس: العزيز: الذي لا يوجد مثله[٤].

قال الفراء: يقال: عزّ يَعِزُّ بالكسر: إذا قلَّ حتى لا يكاد يوجد، عِزّةً فهو عزيز[٥]. وقال الكسائي[٦] وابن الأنباري[٧] وجماعة من أهل اللغة: العزيز: القوي الغالب، تقول العرب: عَزَّ فلانٌ فلانًا يَعُزُّه عِزًّا، إذا غلبه[٨]، قال الله تعالى: ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣].

= الكريم إلا مربوطًا بالعقاب أو العذاب أو الحساب الشديد، وهو كثير، وليس من أسماء الله الشديد، قال الله تعالى: (وهو شديد المحال) [الرعد: ١٣] فهذا من صفات الله سبحانه. ا. هـ. وقال الأستاذ علوي السقاف في كتابه: «صفات الله عزوجل الواردة في الكتاب والسنة» ص١٣٥- ١٥٤: الشدَّة بمعنى القوة من صفات الله الذاتية ودلل لها بقوله تعالى: ﴿وهو شديد المحال﴾ [الرعد: ١٣] وقوله: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥] وبحديث: «اللهم اشدد وطأتك على مضر..» رواه البخاري ومسلم. وقال: وقد عد الزجاجي (في كتابه اشتقاق أسماء الله ص١٩٢) وابن منده في كتابه «التوحيد» ووافقه محققه (الشديد) من أسماء الله تعالى، ولا يوافقون على ذلك. ا. هـ كلام السقاف ملخصًا.

(١) في (ش): (من).

(٢) في (أ) و(م): (يناله).

(٣) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٠-٢٤٢١، «لسان العرب» ٥/ ٢٩٢٥ (عزز).

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٩٢، وذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٢، «الخازن» ١/ ١١٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٣.

(٥) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٠، وينظر: «القاموس المحيط» ص٥١٧.

(٦) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٩٣، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٣، والقرطبي ٢/ ١٢١.

(٧) «الزهراء» ١/ ١٧٤.

(٨) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٠، «لسان العرب» ٥/ ٢٩٢٥ (عزز).

قال عمر بن أبي ربيعة[١]:

هُنالك إما تَعُزُّ الهوى
وإما على إثرهم تَكْمدُ[٢]

معناه: إما تغلب الهوى، ومنه يقال: من عَزّ بَزَّ أبو عبيد عن أبي زيد: عَزَّ الرجل يَعِزّ عِزةً وعِزًّا، إذا قَوِيَ[٣]، فمعنى العزيز: الغالبُ القويُّ الذي لا يعجزه شيء[٤]، وذكرنا معنى الحكيم فيما مضى[٥].

١٣٠- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ يقال: رغبت عن الشيء أي: تركته عمدًا، وهو ضدُّ قولك: رغبتُ فيه[٦].

قال أبو إسحاق: معنى (مَنْ) التقريرُ والتوبيخُ، ولفظُها لفظُ الاستفهام والمعنى: ما يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سَفِهَ نَفْسَه[٧]، وذكرنا معنى السفه فيما تقدم[٨].

واختلف النحويون في نصب (نفسَه). فقال الفرَّاءُ: العرب توقع[٩]

---

(١) هو: أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المغيري المخزومي القرشي، أكثر شعره في الغزل، ولد ليلة مقتل الخليفة عمر، وتوفي سنة ٩٣هـ. ينظر: «وفيات الأعيان» ٣/ ٤٣٦، «الشعر والشعراء» ص٢٥، ١٨٦.

(٢) ينظر: «الأغاني» ١٣/ ٨٧.

(٣) ذكره عنه في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٠ «عزر».

(٤) ينظر: «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٤٢٠، «لسان العرب» ٥/ ٢٩٢٥ (عزر).

(٥) تقدم عند قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

(٦) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٣٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٩٤.

(٧) انظر: «معاني القرآن» للزجاج بتصرف، ١/ ٢٠٩ «البحر المحيط» ١/ ٣٩٤.

(٨) تقدم عند قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣].

(٩) في (م): (ترفع).

سَفِهَ على النفس، وهي معرفة، وكذلك قوله: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: ٥٨] وهو في المعرفة كالنكرة؛ لأنه مفسِّر، والمفسِّر في أكثر الكلام نكرة، كقولك: ضِقْتُ به ذَرْعًا، المعنى: ضاق به ذرعي، فالفعل للذرع، فلما جعلتَ الضيق مسندًا إليك فقلت: ضقت، جاء الذرع مفسرًا؛ ليدل على أنّ[1] الضيقَ فيه، كما تقول: هو أوسعُكم دارًا، أدخلتَ الدارَ لِيُعْلَمَ أنَّ السعةَ فيها لا في الرجل[2]. ثم أجري على هذا قولهم: قد[3] وَجِعَ بطنَه، وأَلِمَ رأسَه، وغَبِنَ رأيَه، ورَشِدَ أمرَه، فعند الفرَّاءِ التقدير: سَفِهَتْ نفسُه، فَأُضيفَ الفعلُ إلى صاحب النفس، فخرجت النفس مُفسّرةً، وهذا مذهب الكوفيين.

واعترض الزجاج على هذا بأن قال: معنى التمييز لا يحتمل التعريفَ؛ لأنَّ التمييزَ إنما هو واحدٌ يدل على جنس أو خَلَّة يخلص من خِلال، فإذا عَرَّفته صار مقصودًا قصده، وهذا لم يقُلْهُ أحدٌ ممن تقدَّمَ[4] من النحويين[5].

ثم حكى أقوالًا، فحكى عن الأخفش[6]، عن أهل التأويل، إنهم قالوا: إن المعنى: سَفَّه نفسه. وقال يونس[7][8]: أُراها لغةً، ذهب إلى أن

---

(١) في (م): (أن المعنى الضيق فيه).

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٩، ونقله في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٩٩.

(٣) ساقطة من (ش)، (م).

(٤) في (م): (من المتقدمين).

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٧٩، وينظر: «التبيان» للعكبري ٩٣.

(٦) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٤٨.

(٧) نقله عنه الأخفش في «معاني القرآن» ١/ ١٤٨.

(٨) هو يونس بن حبيب الضبي بالولاء، البصري أبو عبد الرحمن، تقدمت ترجمته.

فَعِلَ للمبالغة كفَعُلَ، فذهب في هذا مذهب أهل التأويل، قال: ويجوز على هذا سفِهتُ زيدًا[١]، بمعنى: سَفّهتُ زيدًا.

قال ابن الأنباري: لا يعرف[٢] هذا؛ لأن العرب لا تقول: سَفِهَ زيدٌ عمرًا بمعنى: سَفَّه، وحكى الزجّاج أيضًا، عن أبي عبيدة، أنه قال: معناه: أهلك نفسه، وأوبق نفسه[٣]، وهذا القول مثل ما حكى الأخفش عن أهل التأويل[٤].

وقال أبو بكر: على هذا القول أهلكت في معنى سفه معنًى، وليس بتفسير، وإذا كان كذلك لم يجز نصبُ النفس به، وإيقاعُه عليه؛ لأن سَفِهَ يخالف أهلَكَ في التعدِّي، وإن كان بمعنى خِفْتُ.

وحكى الزجّاج أيضًا عن الأخفش نفسه[٥]: أن سَفِهَ نفسَه بمعنى سَفُه في نفسه، إلا أن (في) حذفت كما حُذفت حروف الجر في غير موضع، كقوله تعالى: ﴿أَن تَسْتَرْضِعُوٓا أَوْلَٰدَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٣] المعنى: أن تسترضعوا لأولادكم[٦]، فحذف حرف الجر من غير ظرف؛ لأن المعنى: لأولادكم، ومثله ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٥] أي: عليها، ومثلُه قول الشاعر:

نغالي اللحم للأضياف نِيئًا ونبذُلُه إذا نَضِجَ القُدُورُ[٧]

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج.

(٢) في (ش): (نعرف).

(٣) «مجاز القرآن» ١/ ٥٦.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج١/ ٢١٠.

(٥) ساقطة من (م).

(٦) ساقطة من (ش).

(٧) البيت لرجل من قيس، في «جمهرة اللغة» ص١٣١٧، «أساس البلاغة» (غلو)=

المعنى: نغالي باللحم[١] .

قال: ومثله: قول العرب: ضُرِبَ زيدٌ الظَهر والبَطنَ، المعنى[٢]: على الظهر والبطن.

قال: وهذا عندي مذهَبٌ صالح، ثم اختار أن يكون معنى سفِه نفسَه: جَهِلَ نفسه، فالمعنى والله أعلم: إلا من جهل نفسه، أي: لم يفكر في نفسه، فوضع سَفِهَ موضع جَهِل، وعُدِّى كما عُدِّي[٣]. وقد ارتضى هذا القول كثير من العلماء[٤]، وبه قال ابن كيسان فقال في تفسير قوله: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: إلا من جهل نفسه[٥] ؛ لأن من عبد حجرًا أو قمرًا أو شمسًا أو صنمًا[٦] فقد جهل نفسه؛ لأنه لم يعلم خالقها، ولم يعلم[٧] ما يحق لله عليه. والعرب تضع سَفِهَ في موضع جَهِل، ومنه الحديث: «الكِبْرُ[٨]

= ص١٧١ وبلا نسبة في «لسان العرب» ٦/ ٣٢٩٠. ونسب للحطيئة في «أمالي المرتضي». انظر: حاشية «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٠، «معاني القرآن» للفراء٢/ ٣٨٢ ، «المعجم المفصل»٣/ ٣٢٧ .

(١) «معاني القرآن» للأخفش١/ ١٤٨-١٤٩ ، وينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٨٥.

(٢) في (ش): (والمعنى).

(٣) بتصرف من «معاني القرآن» للزجاج١/ ٢١٠، وعنده: فحذف حرف الجر في غير الظرف.

(٤) ينظر: «التبيان» ٩٣، «البحر المحيط» ١/ ٣٩٤.

(٥) الثعلبي١/ ١٢٠٠، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٢. والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٤، وهو اختيار الزجاج في «معاني القرآن»١/ ٢١١.

(٦) في (ش): (ضيًا).

(٧) في (م): (ولا يعلم).

(٨) في (أ) و(م): (الكبير).

أن تسفَهَ الحقَّ وتغمِصَ[1] الناسَ[2]» أي: تجهل الحق.

ويؤيد هذا القولَ ما روي في الحديث[3]: «مَنْ عرف نفسه فقد[4] عرف ربه»[5]. قيل في معناه: إنما يقع الناس في البدع والضلالات لجهلهم أنفسهم، وظنّهم أنهم يملكون الضرّ والنفع دون الله.

---

(١) أي: تحقر وتزدري، ينظر: «القاموس» ص٦٢٥.

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» ٢/ ٦٩، عن ثابت بن قيس، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥/ ١٣٣، في طريق عبد الله بن عمرو: رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وفيه عبد الحميد بن سليمان، وهو ضعيف، وقال: رواه أحمد والبزار ورجال أحمد ثقات. اهـ. ورواه أحمد ٤/ ١٣٤ عن أبي ريحانة بلفظ: «إنما الكبر من سفه الحق وغمض الناس» ورواه مسلم (٩١) كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه ولفظه: «الكبر بطر الحق وغمط الناس».

(٣) ذكره في «تفسير الثعلبي»١/ ١٢٠٠ ، وقال: كما جاء في الخبر فذكره، وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٥٣.

(٤) ساقطة من (أ).

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ، وعنه البغوي ١/ ١٥٣، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٤ قال النووي: ليس بثابت، ينظر: «المقاصد الحسنة» ص٤٩٠ (١١٤٩)، وقال ابن تيمية: موضوع، ينظر: «المصنوع في معرفة الموضوع» ص١٨٩ (٣٤٩)، وقال السمعاني: إنه لا يعرف مرفوعًا، ينظر: «المقاصد» ص٤٩٠، «الموضوعات» ص٣٥١. وقال العجلوني في «كشف الخفاء» ٢/ ٢٦٢: وقال أبو المظفر ابن السمعاني في «القواطع»: إنه لا يُعرف مرفوعًاوإنما يُحْكى عن يحيى بن معاذ الرازي، يعني من قوله. وقال ابن الفرس بعد أن نقل عن النووي أنه ليس بثابت، قال: لكن كُتبُ الصوفية مشحونة به، يسوقونه مساق الحديث، كالشيخ محيي بن عربي، وغيره.. قال: وللحافظ السيوطي فيه تأليف سماه «القول الأشبه في الحديث: من عرف نفسه فقد عرف ربه» والكتاب ضمن الكتب الموجودة في «الحاوي للفتاوى» للسيوطي، وذكره أبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ٢٠٨، عن سهل التستري.

وحُكي عن أبي بكر الوراق[١] أنه قال في معنى هذا الحديث: من عرف نفسه مخلوقة مرزوقة بلا حول ولا قوة، عرف ربه خالقًا رازقًا بالحول والقوة[٢]، وقد أوحى الله إلى داود: كيف عرفتني، وكيف عرفت نفسك؟ فقال: عرفتك بالقدرة والقوة والبقاء، وعرفتُ نفسي بالعجز والضعف والفناء، فقال: الآن عرفتني[٣]. فإذا كان من عرف نفسه عرف ربه، كان من جهل نفسه جهل ربه حتى يرغب[٤] عن ملة إبراهيم.

ثم بعد هذه الأقوال، قد حكي عن الخليل قول حَسَنٌ، وهو أنه قال: تجيء أفعال تتعدى إلى النفس خاصة، نحو: سَفِه نفسَه وصَبَر نفسَه، ولا يقال: سَفِهتُ زيدا[٥] ولا صبرتُه، قال عنترة[٦]:

فصَبرتُ عارفةً لذلك حُرّةً ترسُو إذا نفسُ الجبان تَطَلَّعُ[٧]

أراد: صبرتُ نفسًا عارفة. وبهذا قال الكسائي، فقال في قوله: ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ و﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص: ٥٨] ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، ووجع بطنَه، ورشِد أمرَهُ وخسِر نفسَه: هذه حروف تقولها العرب

---

(١) الإمام المحدث أبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس البغدادي المستملي الوراق، تقدمت ترجمته [البقرة: ٦].

(٢) ذكره في «الوسيط» ١/ ٢١٤.

(٣) ذكره الواحدي في «الوسيط»١/ ٢١٥، والبغوي ١/ ١٥٣.

(٤) في (م): (حتى يذهب يرغب).

(٥) في (م): (سفهت نفسه زيدًا).

(٦) هو عنترة بن عمرو بن شداد العبسي، من أشهر فرسان العرب وشجعانهم، من أصحاب المعلقات، يعد من الطبقة السادسة لفحول شعراء الجاهلية. ينظر: «الشعر والشعراء» ص١٤٩، «الأعلام» ٥/ ٩١.

(٧) البيت لعنترة، تقدم تخريجه [البقرة: ٤٤].

كأنها فعل واقع في هذا المكان، ولا يقولون: وجعتُ عبدَ الله، ولا خسرتُ عبدَ الله[١].

قال الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ قال: خسر نفسه[٢].

وقال بعضهم: سفِه حقَّ نفسه، أي: جهِلَ[٣]، فجعله من باب حذف المضاف.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ معنى اصطفيناه: اخترناه للرسالة، وهو افتعلنا من الصفوة، قلبت التاءُ طاءً؛ لأنها أشبه بالصاد[٤]، وتأويل ﴿ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾: أخذناه صافيًا من غير شائب[٥]. قال ابن عباس في معنى قوله: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾: يريد: أنه ليس في الأرض خلق إلا وهو[٦] يذكره بخير، وينتحل دينه[٧]، وقيل: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالنبوة، وقيل: بالخُلّة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، قال ابن عباس: يريدُ

---

(١) تقدم شيء منه قبل قليل.

(٢) ذكره الثعلبي ١/ ١١٩١، وذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٢، والخازن ١/ ١١٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٤.

(٣) ذكره الثعلبي ١/ ١٢٠٠، عن المفضل بن سلمة عن بعضهم. وانظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٩٤.

(٤) ينظر: «الكتاب» لسيبويه ٤/ ٢٣٩-٢٤٠، «تفسير الطبري» ١/ ٥٥٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٩٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٢٢.

(٥) ينظر: «الوسيط» للواحدي ١/ ٢١٥.

(٦) في (م): (إلا ويذكره).

(٧) لعله من رواية عطاء.

من نوح وآدم[١]، وقال أبو صالح عنه: يريد مع آبائه الأنبياء في الجنة[٢]، وقال الحسن[٣]: أي: من الذين يستوجبون على الله الكرامةَ وحسنَ الثواب، فلما كان خلوصُ الثواب في الآخرة دون الدنيا وصفه بما ينبئ عن ذلك.

وقال الزجاج: يريد من الفائزين؛ لأن الصالح في الآخرة فائز[٤].

وقال الحسينُ بن الفضل[٥]: هذا على التقديم والتأخير، تقديره: ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وإنه لمن الصالحين قال: ومثل هذا: الآية التي في النحل: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٢][٦].

١٣١- قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ قال الزجاج: معناه: اصطفيناه إذ قال له ربه ﴿أَسْلِمْ﴾، أي: في ذلك الوقت[٧]. ولأهل التفسير في قوله: ﴿أَسْلِمْ﴾ طريقان:

أحدهما: أنه أراد بقوله: ﴿أَسْلِمْ﴾ ابتداء الإسلام، فقد قال ابن

---

(١) في «الوسيط» عزاه لعطاء، فلعله من رواية عطاء عن ابن عباس التي تقدم الحديث عنها في المقدمة، ولفظه: يريد: نوح وآدم.

(٢) ذكره الثعلبي ١/ ١٢٠١، والبغوي ١/ ١٥٣، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٥.

(٣) ذكره في «الوسيط» ١/ ٢١٥، «البحر المحيط» ١/ ٣٩٥.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج١/ ٢١١.

(٥) هو الحسين بن الفضل بن عمير البجلي، تقدمت ترجمته.

(٦) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٠١، والبغوي ١/ ١٥٣، والقرطبي ٢/ ١٢٢، وأبو حيان ١/ ٣٩٥ وقال: وهذا الذي ذهب إليه خطاء ينزه القرآن عنه.

(٧) «معاني القرآن» ١/ ٢١١.

عباس: إنما قال له ذلك حين خرج من السَّرَب[١]، فنظر إلى الكوكب والقمر والشمس[٢]، كما ذكره الله تعالى في سورة الأنعام[٣].

وقال أصحاب هذا القول: إن الأنبياء يجوز عليهم قبل الوحي من الشرك والكبائر ما جاز على غيرهم، وإنما عصموا من وقت البعثة وإنزال الوحي[٤]، وهذا مذهب جماعة من أهل الأصول[٥].

وقال عدة من المفسرين: قوله: (أسلِمْ) معناه: دُمْ واثْبُتْ على الإسلام، كقوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٦]

---

(١) السَّرَب: حفير تحت الأرض، وقيل: بيت تحت الأرض. ينظر: «اللسان» ٤/ ١٩٨٠.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٩٤، والواحدي في «الوسيط»١/ ٢١٥، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٣، الخازن١/ ١١١، والقرطبي في «تفسيره» ٢/ ١٢٣، وهو من رواية الكلبي عنه ولفظه كما في «الوسيط» رفع إبراهيم الصخرة عن باب السَّرَب، ثم خرج منه فنظر إلى الكوكب والشمس والقمر.

(٣) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ [الأنعام: ٧٦] وهذا اختيار الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٦٠.

(٤) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» ٤/ ٣١٩: فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر، هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الآمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضًا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل هو لم يَنْقُلْ عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا مايوافق هذا القول.. وإنما نُقِل ذلك القول في العصر المتقدم عن الرافضة ثم عن بعض المعتزلة، ثم وافقهم عليه طائفة من المتأخرين، وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر، ولا يُقَرُّون عليها، ولا يقولون: إنها لاتقع بحال. وأول من نُقِل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقًا وأعظمهم قولًا لذلك: الرافضة....

(٥) ينظر مناقشة ذلك عند أبي حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٥.

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي»١/ ١٢٠١ .

[محمد: ١٩] وكقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء: ١٣٦] في أحد الوجهين[(١)]. وعند أصحاب هذا القول، لا يجوز على الأنبياء في سابقة حالهم الشرك والكبائر، بل عصمهم الله سبحانه ودفع عنهم مالم يدفع عن غيرهم. فأما محمد ﷺ فعامة أصحابنا: على أنه ما كفر بالله طرفةَ عينٍ، ولا كان مشركًا قطُّ. ثم قال بعضهم: كان قبل البَعْث على دين عيسى، ومنهم من قال: كان يعبد الله تعالى على دين إبراهيم. قال ابن كيسان: معنى (أسلم): أخلِصْ دينك لله بالتوحيد[(٢)] فيكون أصل الإسلام على هذا القول: من السلامة، كأنه يخلص دينه فيسلم من الشرك، والشك، وقال عطاء: أسلِمْ نفسَك إلى الله وفوِّض أمورَك إليه[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال ابن عباس: في رواية عطاء: يريد بقلبه ولسانه وجوارحه، فلم يعدل بالله شيئا، ورضي أن يُحرَق بالنار في رضى الله تعالى، ولم يستعن بأحد من الملائكة[(٤)].

١٣٢- قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ﴾ يقال: وصَّى يُوَصِّي توصية[(٥)]، يكونُ المصدر منه على تفعلة، ولا يكون على تفعيل؛ لأنك لو جئت به على تفعيل

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٩٦، «تفسير الفخر الرازي» ٤/ ٧١.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١١٩٥، والواحدي في «الوسيط»١/ ٢١٥ ، والبغوي ١/ ١٥٣، والقرطبي ٢/ ١٢٣، وهذا اختيار ابن كثير ١/ ١٩٨، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٦.

(٣) ذكره عنه الثعلبي ١/ ١١٩٥، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٦، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٣ وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٥.

(٤) ذكره الواحدي في «الوسيط» بنحوه، وذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٣.

(٥) المادة المذكورة في «الحجة» لأبي علي الفارسي ٢/ ٢٢٧-٢٢٨، «اللسان» ٨/ ٤٨٥٣-٤٨٥٤ (وصى).

للزم في حيّيتُ ونحوه أن يكون على تفعيل، فيجتمع ثلاث ياءات.
والوصاة: اسم من التوصية، يقوم مقام المصدر، يقال: وصَّاه وصاةً، كما يقال: كلَّمه كلامًا، قال الله تعالى: ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا﴾ [الأحزاب: ٤٩] قال الشاعر:

ألا مَنْ مبلغٌ عَنِّي يزيدًا وَصاةً من أخي ثقةٍ وَدودِ[١]

المصدر من هذا الباب ينقسمُ إلى: تفعيل وتفعلة وفِعَّال ومُفَعَّل، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقال: ﴿تَبۡصِرَةً وَذِكۡرَىٰ﴾ [ق: ٨] . وقال: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا﴾ [عم: ٢٨]. وقال: ﴿وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ: ١٩]. وفيما جاء على فِعّال وهو اسم ينوب عن المصدر كما ذكرنا، إلا أن العربَ تُؤْثِر التَّفْعِلة على التفعيل في ذوات الأربعة، يقولون: وصَّيْتُه توصيةً، وصفَّيْتُه تصفيةً. قال الله تعالى: ﴿وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٩٤] . وقال: ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ﴾ [يس: ٥٠]. والعلةُ فيه ما ذكرنا، واشتقاقُ التوصية من قول العرب: وصَى الشيء، إذا اتصل، قال أبو عُبيد[٢]: وَصَيْتُ الشيءَ ووَصَلْتُه سواء، قال ذو الرمة:

وصى الليلَ بالأيامِ حتى صَلاتُنا مُقاسمةٌ يشتَقُّ أنصافَها السَّفْرُ[٣].

وفلاة واصية: تتصلُ بفَلاةٍ أخرى، وقال ذو الرمة:

---

(١) البيت بلا نسبة في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٠٢، «لسان العرب» ٨/ ٤٨٥٤ (وصى)، «المعجم المفصل»٢/ ٢٥٦.

(٢) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٠٢ (وصى).

(٣) ينظر: «ديوانه» ص٥٩٠، «لسان العرب» ٨/ ٤٨٥٤، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٠٢، «ديوان الأدب» ٣/ ٢٥٧، «أساس البلاغة» (وصى)، «المعجم المفصل»٣/ ٢٨٢، ورواية «التهذيب» (نَصِي) بدل (وصى).

بين الرَّجَا والرَّجَا من جنبِ واصيةٍ   يَهْمَاءُ خابطُها بالخوفِ مَكْعُومُ[(١)(٢)]

الأصمعي: وَصَى الشيءُ يَصي، إذا اتصلَ، ووَصَّاه غيرُه يَصِيه، إذا وَصَلَه، لازمٌ وواقع[(٣)]. ثعلب، عن ابن الأعرابي: الوصيُّ النباتُ الملتفُّ[(٤)]، وقيل لعلي ﷺ: (وصيٌّ)[(٥)]؛ لاتصالِ نسبه وسببه[(٦)] وسمته بنسب النبي ﷺ وسببه وسمته، وسميت الوصيَّةُ وصيةً؛ لاتصالها بأمر الميت، وقيل: لأنَّ الموصَى وصَلَها إلى الموصي إليه[(٧)].

وفي هذا الحرف قراءتان: وصَّى، وأوصى[(٨)]، ولهما أمثلة من الكتاب. فمثال التشديد قوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ [يس: ٥٠] وقوله:

---

(١) ينظر: «ديوانه» ص٤٠٧، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٢٠، «لسان العرب» ٣/ ١٦٠٥، ٧/ ٣٨٩١، ٨/ ٤٨٥٤، «المعجم المفصل»٧/ ٢١٨، ورواية «التهذيب»، و«اللسان» معكوم.

(٢) في (ش): (معكوم).

(٣) ذكره في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٠٢ (وصى).

(٤) المصدر السابق.

(٥) لم أجد في النصوص مايدل على وصف علي - ﷺ - بالوصي سواء بالمفهوم الذي ذكره المؤلف أو بمفهوم الرافضة. وقد بين شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ٤/ ٧٧ أن الرافضة خرج أولهم في زمن علي- ﷺ - صاروا يدعون أنه خُص بأسرار من العلوم والوصية حتى كان يسأله عن ذلك خواص أصحابه فيخبرهم بانتفاء ذلك.. وقد خرج أصحاب الصحيح كلام علي هذا من غير وجه مثل ما في الصحيح عن أبي جحيفة، قال: سألت عليًا، هل عندكم شيء ليس في القرآن ؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ماعندنا إلا مافي القرآن إلا فهمًا يعطيه الله لرجل في كتابه، وما في الصحيفة. قلت: وما في هذه الصحيفة ؟ قال: العقل وفكاك الأسير.

(٦) ذكره في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٠٢ (وصى).

(٧) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٩٠٢، «لسان العرب» ٨/ ٤٨٥٤ (وصى).

(٨) قرأ نافع وابن عامر: (وأَوْصَى) بها وقرأ الباقون من السبعة: (وَوَصَّى). ينظر: «السبعة» ص١٧٠، «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٢٧، «الحجة» لابن خالويه ص٨٩.

﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [الأحقاف: ١٥] ومثال الإفعال: قوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١١] وقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ﴾ [النساء: ١٢][١]. قال الزجاج: ووَصَّى أبلغ من أَوْصَى؛ لأن أَوْصَى جائزٌ أن يكون قال لهم مرة واحدة، ووَصَّى لا يكون إلا لمرات كثيرة[٢].

وقوله تعالى: (بِهَا) اختلفوا في هذه الكناية، فقال بعضُهم: إنهَّا ترجع إلى الوصية؛ لأنه ذكر الفعلَ، والفعلُ يدُلُّ على المصدرِ وعلى الاسمِ منه، كقول الشاعر:

إذا نُهِيَ السفيهُ جرى إليه[٣]

أي: إلى السَّفَهِ، فدل السفيهُ على السَّفَهِ. وهذا قولُ أبي عبيدة، قال: وإن شئت رددتها إلى الملة؛ لأنه قد ذكر ملة إبراهيم[٤]. وقال المفضَّلُ وجماعة: الكناية عائدة إلى غير مذكور، ثم اختلفوا إلى ماذا تعود؟ فقال المفضل: تعود إلى الطاعة[٥]، كأنه قال: ووصّى بالطاعة. وقال الكلبي[٦]

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٠٣.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١١، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٣٩٧.

(٣) تمام البيت:

وخالف والسفيه إلى خلاف.

لم ينسب البيت لقائل. أنشده الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٢٤٨، وثعلب في «مجالسه» ١/ ٦٠، وذكره في «خزانة الأدب» ٤/ ٣٣٥، وفي «الخصائص» ٣/ ٤٩، وفي «همع الهوامع» ١/ ٢٦٤.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٠٣، ونقله البغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٣، وينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١١.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٠٣، وذكره ولم ينسبه أبو حيان في «البحر» ١/ ٣٩٧، والسمين في «الدر المصون» ١/ ٣٧٦.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٠٣، والواحدي في «البسيط» ١/ ١٢٠٤، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٣.

ومقاتل[١]: يعني بكلمة الإخلاص: لا إله إلا الله. والكناية عن غير مذكور جائزة كثيرة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠] يعنى: الجنة لم يسبق لها ذكر، وقال: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] يعني: الشمس.

وقال طرفة[٢]:

على مثلها أمضي إذا قال صاحبي ألا ليتني أَفْدِيكَ منها وأَفْتَدي[٣]

أي: من الفلاة، وقال بعضهم: رجعت الكناية إلى كلمةٍ سبقت، وهو قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيَّ﴾ قيل: أراد أن يا بني، فحذف (أن) كأنه قال: وصَّاهم أن يا بني، وكذلك هو في قراءة أُبي وابن مسعود، بإثبات أن[٥]. قال الفراء: إنمَّا حذف (أن) لأن الوصية قول، وكل كلام رجع إلى القول جاز فيه دخول (أن) وجاز إلقاؤه[٦]، كما قال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ لِلذَّكَرِ﴾ [النساء: ١١] ولم يقل: أن للذكر، كأنّ معناه: قال الله: للذكر، فجرى الوصية على معنى القول. قال: وأنشدني الكسائي:

---

(١) «تفسير مقاتل» ١/ ١٤٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٠٣، «تفسير البغوي» ١/ ١٥٣.

(٢) هو: طرفة بن العبد بن سفيان البكري، تقدمت ترجمته.

(٣) ينظر: «ديوانه» ص٢٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٠٤ «الإنصاف» لابن الأنباري ص٨٥، «الدرر اللوامع على همع الهوامع» ٢/ ٢٦٩، والهاء في قوله: (منها) تعود إلى مضمر، وهي الصحراء المهلكة، وهو الشاهد حيث عادت على غير مذكور.

(٤) كذا في «البحر المحيط» ١/ ٣٩٨.

(٥) كذا في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٠٧، «شواذ القراءة» ص٣٢، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٢٥.

(٦) في (م): كأنها (الغاوه).

إنـي سـأبـدي لـك فـيـمـا أبـدي
لـي شَـجَـنـان شـجـن بـنـجـد
وشَـجَـنٌ لـي بـبـلاد الـسـنـد[(١)]

ولم يقل: أن لي؛ لأن الإبداء بلسانه في معنى القول، قال: ومثله قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ [المائدة: ٩] لأن العِدَةَ قولٌ، وإذا جعلت الوصية بمعنى القول لا يحسن أن يقال: أراد أن يا بني فحذف؛ لأنه لا يحتاج إلى إضمار أن مع القول[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ﴾ قال أبو إسحاق: إنما كسرت (إنّ) لأن معنى وصى وأوصى: قول، والمعنى: قال لهم: إن الله اصطفى[(٣)]. قال ابن عباس: إن إبراهيم قال لبنيه: لا تَعْدِلُوا بالله شيئًا، وإن نُشرتم بالمناشير وقُرضتم بالمقاريض وحُرقتم بالنار[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ﴾ يريد: دين الإسلام دين الحنيفية، والألف واللام فيه للعهد لا للجنس؛ لأنه لم يختر جميع الجنس من الدين، إنما اختار دين الإسلام على سائر الأديان[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ قال الفراء في كتاب

---

(١) الرجز ذكره الفراء، عن الكسائي في «معاني القرآن» ١/ ٨٠، وهو بلا نسبة في «تفسير الطبري» ١/ ٥٦١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٠٧، «المخصص» ١٢/ ٢٢٣، «مقاييس اللغة» ٣/ ٢٤٩.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٠.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١١.

(٤) ذكره في «الوسيط» ١/ ٢١٦، «تفسير ابن عباس» ص١٩.

(٥) «البحر المحيط» ١/ ٣٩٩.

المصادر: مات يموت مَوتًا ومِيتةً ومَمَاتًا، والمَوتَةُ: المرَّةُ، ويقال: أرض مَواتٌ، وهو مصدر، ووَقَعَ في الناس مُواتٌ ومُوْتانٌ، ويقال: فلان يبيعُ الحيوان والموتانَ، إذا كان يبيع ما سوى الحيوان، ورجل مَوْتانُ النفس إذا لم يكن حيَّ القلب[١] [٢].

ووقع النهي في ظاهرِ الكلام على الموت، وإنما نهُوا في الحقيقة عن ترك الإسلام؛ لئلَّا يصادفهم الموت وهم[٣] عليه، فإنه لابد منه، وتقديره: لا تتعرضوا للموت على ترك الإسلام بالشرك والكفر بالله[٤]، وهذا كما تقول: لا أرينَّكَ ههنا، فتوقع حرف النهي على الرؤية، وأنت لم تنه نفسك على الحقيقة، بل نهيتَ المخاطب[٥]، كأنك قلت: لا تقربن هذا الموضع فمتى جئته لم أرك فيه، ومثله من الكلام: لا يصادفك الإمام على ما يكره، تقديره: لا تتعرض لأن يصادفك. قال الزجاج: وهذا من سعة الكلام، والمعنى في الآية: ألزموا الإسلام، فإذا أدرككم الموت صادفكم عليه[٦].

١٣٣- قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ الآية،

---

(١) في نسخة (أ) زيادة ليست في النسخ لعلها حاشية من الكاتب وهي قوله: ومن العرب من يقولُ: مُتُّ، ومِتُّ، ويَمَات ويموتُ، والمَمَات من مصادر الموت أيضًا، والجارية تأخذها المُوْتَةُ كأنه سُكْرٌ وضرب من الجنون. ومؤتةُ، مهموزة، الأرض التي قتل بها جعفر بن أبي طالب، ﷺ.

(٢) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٢١، «لسان العرب» ٧/ ٤٢٩٦ (مات).

(٣) زيادة من (م).

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٢، «البحر المحيط» ١/ ٣٩٩.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٢.

(٦) المصدر السابق.

نزلت في اليهود حين قالوا للنبي صلى الله وسلم: ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية؟ فأنزل الله قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ﴾[١]، ومعناه: بل أكنتم، كأنه ترك الكلام الأول واستفهم، قاله أبو إسحاق[٢]. وقال أبو عبيدة: أم ههنا بمعنى: هل، واحتج بقول الأخطل:

كذَبَتْكَ عَيْنُكَ أم رأيتَ بواسِطٍ[٣]

بمعنى: هل رأيت[٤].

ويجوز أن يتقدمه استفهام مضمر، كأنه قيل لليهود: أبلغكم ما تقولون وتنسبون إلى[٥] يعقوب، أم كنتم شهداء حضرتم وصيته[٦]؟ وقد شرحنا معنى (أم) عند قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٨].

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٤٠، والثعلبي ١/ ١٢١٠، والواحدي في «أسباب النزول» ص٤٤، وفي «الوسيط» ١/ ٢١٦، والبغوي ١/ ١٥٤ وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٤٨، وابن حجر في «العجاب» ١/ ٣٩٧، والمناوي في «الفتح السماوي» ١/ ١٨٣، ونقله عنه السيوطي، قوله: لم أقف عليه.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٢، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٠٠.

(٣) وعجز البيت:

غَلَسَ الظلام من الرَّباب خيالا

ينظر: «ديوان الأخطل» ص٣٨٥، «مجاز القرآن» ١/ ٦٥، «الخزانة» ٢/ ٤١١، ٤/ ٤٥٢، «لسان العرب» ٦/ ٣٢٨١، ٧/ ٣٨٤١، «المعجم المفصل» ٦/ ٧٩.

(٤) «مجاز القرآن» ١/ ٥٧.

(٥) في (ش): (عن).

(٦) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ١/ ٤٩٧-٤٩٨: وقال لهم على جهة التقريع والتوبيخ: أشهدتم يعقوب وعلمتم بما أوصى فتدلون عن علم، أي: لم تشهدوا بل أنتم تفترون، وأم، تكون بمعى ألف الاستفهام في صدر الكلام لغة يمانية، وحكى الطبري أن أم يستفهم بها في وسط كلام قد تقدم صدره، وهذا منه. ، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٠٠-٤٠١.

وقوله تعالى: ﴿شُهَدَآءَ﴾ أراد: حضورًا[١].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ حَضَرَ﴾ موضع إذ نصب؛ لأنه بمعنى وقت حضر، والحضور خلاف الغيبة، وحَضْرة الرجل: فناؤه[٢][٣].

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾: إذ هذه الثانية موضعها نصب، كموضع الأولى، وهو بدل مؤكد[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ الآباء: جمع أب، وفي الأب لغاتٌ، يقال: هذا أَبُكَ، وهذا أباك، وهذا أبوكَ، فمن قال: أَبُكَ، قال في التثنية: أَبَان وأَبُونَ وأَبِينَ، ومن قال: أباك وأبوك، فتثنيتهما أَبَوَان. أنشد أحمد بن يحيى[٥]:

سوى أَبِكَ الأدنى وأنَّ محمدًا علا كلَّ عالٍ ياابنَ عمِّ محمدِ[٦]

وأنشد سيبويه[٧]:

فلما تَبَيَّنَّ أصواتَنا بَكَيْنَ وَفَدَّيْنَنَا بالأَبِينَا[٨]

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢١٠.

(٢) في (ش): (حضر الرجل فتاه).

(٣) «تهذيب اللغة» ١/ ٨٤٨، «البحر المحيط» ١/ ٣٩٧.

(٤) كذا قال الزجاج في: «معاني القرآن»١/ ٢١٢ .

(٥) في: «اللسان» ١/ ١٦ (أبى).

(٦) البيت بلا نسبة في «لسان العرب» ١/ ١٦ (أبى)، «المعجم المفصل» ٢/ ٤٣٦.

(٧) في: «الكتاب» ٣/ ٤٠٦، وهو في «اللسان» ١/ ١٥ (أبى).

(٨) البيت لزياد بن واصل السلمي، في «خزانة الأدب» ٤/ ٤٧٤-٤٧٧، «شرح أبيات سيبويه» ٢/ ٢٨٤، وبلا نسبة في «الأشباه والنظائر» ٤/ ٢٨٦، «خزانة الأدب» ٤/ ١٠٨، ٤٦٨، «الخصائص» ١/ ٣٥٦، «شرح المفصل» ٣/ ٣٧، «الكتاب» ٣/ ٤٠٦، «لسان العرب» ١/ ١٥ (أبى)، «المقتضب»٢/ ١٧٤ ، «البحر المحيط» ١/ ٤٠٢، «المعجم المفصل» ٨/ ٧٥.

ويقال: ما كنت أبًا ولقد أَبَوْتَ أُبُوَّةً، وماله أبٌ يأبُوه.

الليث: فلان يأبو تيمًا إباوة بكسر الألف، أي: يغذوه[١]، وتأبىّ فلان[٢] فلانًا، أي: اتخذه أبًا، كما تقول: تبنَّى من الابن[٣]. وقال في تصغير الأب: أُبَيّ، وتصغير الآباء على وجهين: أجودهما: أُبيُّون، والآخر: أُبيَّاء؛ لأن كل جماعة كانت على أفعال فإنها تصغّر على حدها[٤]، كما تقول في تصغير الأجمال: أجيمال.

وقوله تعالى: ﴿إِسۡمَٰعِيلَ﴾ أدخله في جملة الأباء، وهو كان عمَّ يعقوب؛ لأن العرب تُسَمِّي العمَّ أبًا[٥]، وقد روي أنه لما كان يوم فتح مكة قال رسول الله ﷺ للعباس[٦]: «**امض إلى قومك، أهل مكة، فادعهم إلى الله قبل القتال**»، فركب العباس بغلة رسول الله ﷺ الشهباء، فانطلق، فلما مضى فأبعد، قال رسول الله ﷺ: «**رُدُّوا عليَّ أبي، ردوا عليَّ أبي، لا تقتلْه**

---

(١) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٣، «اللسان» ١/ ١٦ (أبي).

(٢) في (أ) (م): (تأبى فلانًا).

(٣) في «اللسان» ١/ ١٧ (أبي). «تهذيب اللغة» ١/ ٣٩٦.

(٤) في (ش): (أحدها).

(٥) يروى عن أبي العالية، كما أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٤، وينظر: «مجاز القرآن»، «معاني القرآن» للفراء، «تفسير الطبري» ١/ ٥٦٣، «تفسير الثعلبي».

(٦) العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي القرشي أبو الفضل، عم رسول الله ﷺ، وكان إليه في الجاهلية السقاية والعمارة، هاجر قبل الفتح، وثبت يوم حنين، وقال النبي ﷺ: «**من آذى العباس فقد آذاني، فإنما عم الرجل صنو أبيه**»، ولد قبل النبي ﷺ بسنتين، وتوفي بالمدينة سنة ٣٢. ينظر: «فضائل الصحابة» للإمام أحمد ٢/ ١١٥٩، «الاستيعاب» ٢/ ٣٥٨.

قريش كما قتلت ثقيفٌ عُروةَ بن مسعود[١]»، فلما رجع قال: يا رسول الله - ﷺ- دَعْني أمضِي لأمرك، فقال: «**يا عم، أما علمتَ أنَّ عمَّ الرجل صِنْوُ أبيه**[٢]»، وقال أيضًا يعني العباس: « **هذا بقيةُ آبائي**[٣]»،

وفي بعض القراءات: «وإله أبيك إبراهيم»[٤] وله وجهان:

---

(١) هو عروة بن مسعود بن معتب الثقفي، صحابي مشهور، كان كبيرًا في قومه بالطائف، استأذن رسول الله ﷺ في دعوته قومه فخافهم عليه أن يقتلوه فرجع ودعاهم فقتلوه سنة ٩هـ. ينظر: «أسد الغابة» ٤/ ٣١-٣٢، «الاستيعاب» ٣/ ١٧٦.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ١٤/ ٤٨٤ عن عكرمة مرفوعًا، وينظر أيضًا: «كنز العمال» ١٤/ ٥٨٤ (٣٩٦٥٤).

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ١١/ ٨٠ عن ابن عباس مرفوعًا ولفظه: «**استوصوا بعمي العباس خيرًا فإنه بقية آبائي، وإنما عم الرجل صنو أبيه**» قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ٢٦٩: رواه الطبراني، وفيه عبد الله بن خراش، وهو ضعيف، ووثقه ابن حبان، وقال: ربما أخطأه، وبقية رجاله وُثِّقُوا ، ورواه الطبراني في «الصغير» ١/ ٣٤٤ من حديث الحسن بن علي مرفوعًا بلفظ «**احفظوا في العباس فإنه بقية آبائي**» قال الهيثمي: فيه جماعة لم أعرفهم وضعفه الألباني كما في «ضعيف الجامع الصغير» برقم ٢١٣، وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» ١٠/ ٦٨ من حديث عبد المطلب بن ربيعة، وقد ضعفه الألباني كما في «السلسلة الضعيفة» ٤/ ٤١٥، وروي عم مجاهد مرسلًا كما عند ابن أبي شيبة في «المصنف» ١٢/ ١٠٩ وعبد الرزاق في «تفسيره» ٢/ ٣٣١.

(٤) كذا قرأ ابن عباس والحسن وابن يعمر والجحدري وأبو رجاء ،كما في «مختصر شواذ القرآن» لابن خالويه ص٩، «شواذ القراءة» للكرماني ص٣٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢١١، «البحر المحيط» ١/ ٤٠٢، وقال الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٦٣: وقرأ بعض المتقدمين (وإله أبيك إبراهيم) ظنا منه أن إسماعيل إذ كان عمًّا ليعقوب، فلا يجوز أن يكون فيمن ترجم به عن الآباء وداخلا في عدادهم، وذلك من قارئه كذلك قلة علم منه بمجاري كلام العرب، والعرب لا تمنع من أن=

أحدهما: أنه جمع الأب على أَبِينَ كما ذكرنا.

والثاني: أنه كره أن يجعل إسماعيل من جملة الآباء فوحَّد الأب، ويكونُ التقدير: إلهَ أبيك إبراهيمَ وإله إسماعيل وإسحاق، كما تقول: رأيتُ غلامَ زيد وعمرو أي: غلامهما[1]، قال عطاء عن ابن عباس: إن الله لم يقبض نبيًّا حتى يخيره بين الموت والحياة، فلما خيرَّ يعقوب قال: أنظِرْني حتى أسألَ ولدى وأوصيَهم، فجمع ولده، وهم اثنا عشر رجلًا، وهم الأسباطُ، وجميع أولادهم، فقال لهم: قد حَضَرَتْ وفاتي، وأنا أريدُ أن أسألكم وأوصيكم: ما تعبدون من بعدي قالوا: نعبد إلهك كما في الآية[2].

وقوله تعالى: ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ ينتصب على وجهين: إن شئت على الحال، كأنهم قالوا: نعبد إلهَكَ في حال وحدانية، وإن شئت على البدلِ، وتكون الفائدة في هذا البدل: ذكر التوحيد، فيكون المعنى: نعبد إلهًا واحدًا[3].

= تجعل الأعمام بمعنى الآباء، والأخوال بمعنى الأمهات، فلذلك دخل إسماعيل فيمن ترجم به عن الآباء، وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ترجمة عن الآباء في موضع جر، ولكنهم نصبوا بأنهم لا يجرون.

(١) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٠٢-٤٠٣، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٢٧.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٢١٠، و البغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٤، والحافظ في «العجاب» ١/ ٣٨٠ من قول عطاء، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ١٢١٠ والرازي في «التفسير الكبير» ٤/ ٧٦، عن ابن عباس وذكره دون نسبة «الخازن» ١/ ١١٤، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٠٢.

(٣) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٢، وذكره الأخفش في «معانيه» ١/ ١٥٠ على وجه الحال فقط.

١٣٤- قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ قال الأخفش: التاء في تلك: اسم المؤنث، واللام عمادٌ للتاء، والكاف خطاب، وهذا كما ذكرنا في ذلك قال: وكُسرت التاء من[1] تلك علامةً للتأنيث[2].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ أي: مضت[3]، وخَلَتْ إذا استعمل في المكان فالمراد به خلوّه عن السكان، وإذا استعمل في الزمان فالمراد به المضي[4] كقوله ﷻ: ﴿الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]. وقول لبيد:

حِجَجٌ خلون حلالُها وحرامُها[5]

والمراد بقوله: (تلك أمة) إبراهيم وبنوه ويعقوب وبنوه الذين تقدم ذكرهم، (لها ما كسبت) من العمل، ثم قال لليهود: ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ أي: حسابهم عليهم، وإنما تسألون عن أعمالكم[6].

١٣٥- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ المعنى: قالت اليهود: كونوا هودًا، وقالت النصارى: كونوا نصارى[7].

---

(١) في (ش): (في).

(٢) ينظر: «شرح التصريح على التوضيح» للشيخ خالد الأزهري ١/ ١٢٨.

(٣) كذا قال الأخفش في «معاني القرآن» ١/ ١٥٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢١٢.

(٤) «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٧٤ (خلا).

(٥) مطلع البيت:

دمن تجرم بعد عهد أنيسها

وهو من الكامل، للبيد بن ربيعة من معلقته، ينظر: «ديوانه» ص١٦٣.

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣١٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢١٢، «تفسير ابن كثير» ١/ ١٩٩.

(٧) ذكره الزجاج في «معاني القرآن».

قال ابن عباس: نزلت في: يهود المدينة، ونصارى نجران، قال كل واحد من الفريقين للمؤمنين: كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك[١].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ بنصب[٢] ﴿مِلَّةَ﴾ بفعل مضمر، كأنه قال: قولوا بل نتبع ملة إبراهيم[٣]. وقال بعض النحويين: هو عطف على المعنى؛ لأن قوله: ﴿كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ معناه: اتبعوا اليهودية والنصرانية، فقال الله: ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ أي: بل اتبعوا ملته[٤].

قال أبو اسحاق: ويجوز أن تنصب على معنى: بل نكون أهلَ ملةِ إبراهيم، ويحذف الأهل كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[٥] [يوسف: ٨٢] وإلى هذا القول أشار الفراء والكسائي.

---

(١) ذكره الثعلبي، والواحدي في «أسباب النزول» ص٤١، والبغوي ١/ ١٥٥، وابن حجر في «العجاب» ١/ ٣٨١، عن ابن عباس وأخرج الطبري ١/ ٥٦٤، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٤١، عن ابن عباس، قال: قال عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله ﷻ فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا﴾، وذكره السيوطي في «لباب النقول» ص٢٦ وعزاه في «الدر» ١/ ٢٥٧، لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، وحسن إسناده الأستاذ عصام الحميدان في تحقيقه لـ «أسباب النزول» للواحدي ص٤٤.

(٢) في (أ)، (م): (تنصب).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للفراء، «معاني القرآن» للزجاج، وقال بعده: ويجوز الرفع (بل ملةُ إبراهيم حنيفا) والأجود والأكثر النصب، ومجاز الرفع على معنى: قل: ملتنا وديننا ملة إبراهيم.

(٤) كذا في «معاني القرآن» للزجاج.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج، وذكره بنحوه أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٠٦.

قال الفراء: إن نصبتها بـ(نكون) كان صوابًا[١]، وقال الكسائي: بل يكون ملة إبراهيم. وقول الزجاج بيان لقولهما .

قال أهل المعاني: وفي هذا احتجاج عليهم؛ إذ في اليهودية تناقُضٌ، وكذلك النصرانية، والتناقضُ لا يكون من عند الله، وملةُ إبراهيم سليمةٌ من التناقض، فهو أحقُّ بالاتباع[٢].

فمِمَّا في اليهودية من التناقض[٣]: امتناعُهم من جواز النسخ، مع ما في التوراة مما يدل على ذلك، وامتناعُهُمْ من العمل بما تقدمت به البشارة في التوراة من اتباع النبي الأمي، مع إظهارهِم التمسك بها، وامتناعهم من الإذعان لما دلّت عليه المعجزة من نبوة محمد وعيسى عليهما السلام، مع إقرارهم بنبوة موسى من أجل المعجزة، إلى غير هذا مما هم عليه من التناقض، وأما النصارى فقولهم بثلاثة، ثم يقولون: إنه إله واحد[٤].

وقوله تعالى: ﴿حَنِيفًا﴾. انتصب على الحال؛ لأن المعنى: نتبعُ ملةَ إبراهيم في حال حنيفيته، وعند الكوفيين ينتصب على القطع، كأنه ملة

---

(١) «معاني القرآن»، وعبارته (نكون). وفي الحاشية قال: وفي نسخ الفراء: بيكون، ولعل المراد إن صحت: يكون ما نختاره، وفي «البحر» ١/ ٤٠٥ ذكر من أعاريبه على النصب: أنه خبر كان أي: بل تكون ملة إبراهيم، أي: أهل ملة إبراهيم... وإما أنه منصوب على الإغراء، أي: الزموا ملة إبراهيم، قاله أبو عبيد، وإما على أنه منصوب على إسقاط الخافض، أي: نهتدي ملة: أي بملة.

(٢) ينظر: «تفسير الفخر الرازي» ٤/ ٨٠.

(٣) ساقط من (م) و(أ).

(٤) ينظر: «تفسير الفخر الرازي» ٤/ ٨٠.

إبراهيم الحنيف، فقطع عنه الألف واللام[١].

وأمَّا معنى الحنيف: فقال ابنُ دُريد: الحنيف: العادل عن دين إلى دين، وبه سمي الإسلام: الحنيفية؛ لأنها مالت عن اليهودية والنصرانية[٢]. قال أبو حاتم: قلت للأصمعي: من أين عُرِفَ في الجاهلية الحنيف؟ قال: لأن من عدل عن دين اليهود والنصارى فهو حنيف عندهم، وكان كل من حجَّ البيت سُمِّيَ حنيفًا، وكانوا في الجاهلية إذا أرادوا الحجَّ قالوا: هلموا نَتَحَنَّفْ[٣][٤]. فالحنيف: المسلم؛ لأنه مال عن دين اليهود والنصارى إلى دين الإسلام، ومنه قيل للميل في القَدَم: حَنَفٌ.

قال ذو الرُّمَّة:

إذا حَـوَّل الـظِـلُّ الـعـشِـيَّ رأيـتَـه
حنيفًا وفي قَرنِ[٥] الضُّحَى يَتَنَصَّر[٦][٧]

وقال الأخفش: الحنيف: المسلم، وكان في الجاهلية يقال لمن اختتن وحج البيت: حنيف؛ لأن العرب لم تتمسك في الجاهلية بشيء من

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٤، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢١٨، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢١٤، «البيان» لابن الأنباري ١/ ١٢٥، «التبيان» ١/ ٩٥، ٩٦.

(٢) ذكره في «الوسيط» ١/ ٢١٨.

(٣) في (م): (نحنف).

(٤) ذكره في «الوسيط» ١/ ٢١٨.

(٥) في (م): (قرب).

(٦) البيت في «ديوانه» ص٦٣٢، «لسان العرب» ٢/ ١٠٦٠، «المعجم المفصل» ٣/ ٢٦٥.

(٧) في (م): (تنتصر).

دين إبراهيم غير الختان، وحج البيت، فلما جاء الإسلام عادت الحنيفية، فالحنيف: المسلم[(١)].

وروى ابن نجدة[(٢)]، عن أبي زيد[(٣)]، أنه قال: الحنيفُ: المستقيم، وأنشد[(٤)]:

تـعـلـم أَنْ سَـيَـهْـدِيْـكُـم إلـيـنـا طريقٌ لا يَـجُـور بكـم حَـنِـيـفُ[(٥)]

فقيل: لكل من سَلَّم لأمر الله ولم يَلْتَوِ: حنيف[(٦)]، وهذا القول اختيار ابن قتيبة[(٧)]، والرياشي[(٨)]، قالا: الحنيفية: الاستقامة على دين إبراهيم، وإنما قيل للذي تقبل إحدى قدميه على الأخرى: أحنف، تفاؤلًا بالسلامة، كما قيل للمفازة[(٩)]: مهلكة[(١٠)].

---

(١) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ٩٤٢، «لسان العرب» ٢/ ١٠٢٥.

(٢) هو محمد بن الحسين بن محمد الطبري النحوي، يعرف بابن نجدة، قال ياقوت: مشهور في أهل الأدب، وله خط مرغوب فيه، قرأ على الفضل بن الحباب الجمحي. ينظر: «بغية الوعاة» ١/ ٩٤، «معجم الأدباء» ١٨/ ١٨٦.

(٣) «لسان العرب» ٢/ ١٠٢٦ (حنف).

(٤) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ١/ ٩٤٢ (حنف).

(٥) البيت بلا نسبة في «تهذيب اللغة» ١/ ٩٤٢، «لسان العرب» ٢/ ١٠٢٦ (حنف)، «المعجم المفصل» ٣/ ٢٦٥.

(٦) «تهذيب اللغة» ١/ ٩٤٢ (حنف).

(٧) «غريب القرآن» ص٦٤ بنحوه، وكذا قال الطبري ١/ ٥٦٤-٥٦٥.

(٨) هو العباس بن الفرج، أبوالفضل الرياشي، اللغوي النحوي، قرأ على المازني النحو، وقرأ عليه المازني اللغة، ووثقه الخطيب، صنف كتاب الخيل وكتاب الإبل، وغير ذلك، قتله الفرنج سنة ٢٥٧هـ. ينظر: «بغية الوعاة» ٢/ ٢٧، «الأعلام» ٣/ ٢٦٤.

(٩) في (ش): (للمقارفة).

(١٠) لعل صحة العبارة كما قيل للمهلكة: مفازة، أو: كما قيل: مفازة للمهلكة، وينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٥٦٤.

فأما التفسير: فروي عن ابن عباس أنه قال: الحنيف: المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام[١].

وقال مجاهد: الحنيفية اتباع الحق[٢]، وروي عنه أيضًا: الحنيفية: اتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إمامًا للناس بعده، من الحج، والختان، وغير ذلك من شرائعه[٣].

وقال الحسن: الحنيفية: حج البيت[٤]، وهو معنى قول ابن عباس[٥]، وعطية[٦][٧].

وقيل: الحنيفية: إخلاص الدين لله وحده[٨]، وهذه الأقوال غير خارجة عما ذكره أهل اللغة؛ لأنها تعود إلى الاستقامة أو الميل إلى ما أتى به إبراهيم ﷺ من الشريعة[٩].

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢١٤، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٨، و«البغوي» ١/ ١٥٥، و«الخازن» ١/ ١١٥، و«البحر المحيط» ١/ ٤٠٦.

(٢) بنحوه أخرج الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٦٥-٥٦٦، وابن أبي حاتم ١/ ٤١ قال: وروي عن الربيع بن أنس نحو ذلك.

(٣) عنه الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢١٨، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٥.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٩٥، ومن طريقه أخرجه الطبري ١/ ٥٦٥، وأخرجه من طريق أخرى ١/ ٥٦٥، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٤٢، والثعلبي ١/ ١٢١٤.

(٥) أخرجه عنه الطبري ١/ ٥٦٥، وابن أبي حاتم ١/ ٢٤١، قال: وروي عن الحسن والضحاك وعطية والسدي نحو ذلك.

(٦) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٣/ ١٠٦، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٤١.

(٧) تقدمت ترجمته.

(٨) ذكر عن السدي كما أخرج الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٦٦، وعن خصيف عند ابن أبي حاتم ١/ ٢٤٢، وذكره مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٤١.

(٩) رجح الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٦٦ أن الحنف والحنيف: الاستقامة على دين=

١٣٦- قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ قال الزجاج: الأسباط: ولد إسحاق، ومعنى القبيلة في ولد إسماعيل: معنى الجماعة، يقال لكل جماعة من واحد: قبيلة، ويقال لكل جمع على شيء واحد: قبيل، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾[1] [الأعراف: ٢٧].

فأما الأسباط: فهو مشتق من السبط، وهو ضرب من الشجر، يعلفه الإبل. كأنه جعل إسحاق بمنزلة شجرة، وكذلك يفعل النسابون في النسب، يجعلون الوالد بمنزلة الشجرة، ويجعلون الأولاد بمنزلة أغصانها[2].

وقال أبو العباس: سألت ابن الأعرابي، ما معنى السبط في كلام العرب؟ فقال: خاصة الأولاد[3] والمُصَاصُ منهم[4]، وكان في الأسباط أنبياء؛ لذلك قال: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾.

وقوله: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ أي: لا نكفر ببعض ونؤمن ببعض،

= إبراهيم، واتباعه على ملته، وبين أنه لو كان المراد الحج، أو الاختتان؛ لوجب أن يكون المشركون حنفاء، وقد نفى الله عنهم ذلك.

(١) عبارة الزجاج التي نقلها الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦١٥ (سبط): والصحيح أن الأسباط في ولد إسحاق عليه السلام، بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل، فولدُ كل ولد من أولاد يعقوبَ سبط، وولدُ كل ولد من أولاد إسماعيل قبيلة، وإنما سموا هؤلاء بالأسباط، وهؤلاء بالقبائل ليُفْصَل بين ولد إسماعيل وولد إسحاق عليهما السلام.

(٢) نقله بتصرف من «تهذيب اللغة» عن الزجاج ٢/ ١٦١٥ (سبط)، وقد ذكر في «معاني القرآن» شيئًا يسيرًا من هذا ١/ ٢١٧، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢١٥، وقال: والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب والشعوب من العجم.

(٣) ساقط من (أ)، (م).

(٤) كما في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦١٦ (سبط)، وعبارته: فقال: السِّبط والسِّبطان والأسباط: خاصة الأولاد، أو المُصاص منهم.

كما فعلت اليهود والنصارى[١]، وإنما جاز ﴿بَيْنَ أَحَدٍ﴾، و(بين): تقتضي اثنين؛ لأنَّ أحدًا منهم يقع على الاثنين والجمع، يقال: ما عندي أحدٌ يتكلمون، فجاز دخول (بين) عليه، كما تقول: لا نفرق بين قوم منهم، وبين جمع منهم. ولهذه العلة جمع نعته في قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧][٢].

١٣٧- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ قال الزجاج: تأويل هذا: إن أتوا بتصديقٍ مثل تصديقكم[٣]، فيُحْمَلُ على تشبيهٍ بالإيمان، لا على التشبيه في الشيء الذي آمنوا به، كأنه قال: إن آمنوا وكان إيمانهم كإيمانكم، ووحدوا كتوحيدكم، وهذا قول ابن الأنباري، وزاد بيانًا فقال: المعنى: فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به، أي: فإن آمنوا مثل إيمانكم، فتزاد الباء للتوكيد، كما زيدت في قوله: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٥].

وقال أبو معاذ النحوي[٤]: أراد: إن آمنوا هم[٥] بكتابكم كما آمنتم أنتم بكتابهم[٦]. فالمثل هاهنا: الكتاب، والمسلمون يؤمنون بالتوراة،

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢١٤.

(٢) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٠٩.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٢١٧.

(٤) هو أبو معاذ النحوي المروزي، المقرئ اللغوي، تقدمت ترجمته في المقدمة.

(٥) ليست في (م).

(٦) نقله البغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٦.

وقيل: المثل ههنا صلة، والمعنى: فإن آمنوا بما آمنتم به[١]، والمثل قد يذكر ولا يراد به الشِّبْهُ والنظير، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١] قيل: ليس كهو شيء[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ أي: فقد صاروا مسلمين[٣].

﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ أي: خلاف وعداوة[٤]، وتأويله: أنهم صاروا في شِقّ غير شَقّ المسلمين[٥]، والعداوة تسمى شقاقًا؛ لأنّ كلّ واحد من المعادين يأتي بما يشقّ على صاحبه، أو لأنّ كل واحد صار في شقّ غير شق صاحبه للعداوة والمباينة[٦].

وقوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ قال المفسرون: كفاه الله أمر اليهود بالقتل والسبي في قريظة، والجلاء والنفي في بني النضير، والجزية والذلة[٧] في نصارى نجران[٨].

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٢٤، والبغوي في «تفسيره» ١/١٥٦، وقد ورد عن ابن عباس أنه كان يقرأ الآية: فإن آمنوا بالذي آمنتم به، كما ذكره الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٦٩، وبين الطبري أن مراد ابن عباس: فإن صدقوا مثل تصديقكم بما صدقتم به، فالتشبيه وقع بين التصديقين، الإقرارين اللذين هما: إيمان هؤلاء، وإيمان هؤلاء.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/١٢١٨، «البحر المحيط» ١/ ٤١٠.

(٣) كذا قال الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢١٤، والثعلبي ١/ ١٢١٧ .

(٤) ذكره الثعلبي ١/١٢١٨، عن ابن عباس وعطاء والأخفش.

(٥) في (م): (الإسلام).

(٦) بنحوه عند الزجاج في «معاني القرآن»١/ ٢١٤، «تفسير الثعلبي»١/ ١٢١٨ ، «تفسير السمرقندي» ١/ ١٦٢، والرازي ٤/ ٩٣.

(٧) في (ش): (والذلة والجزية).

(٨) «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٢٠و ١/ ١٥٧، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٣١، «البحر المحيط» ١/ ٤١٠.

وقال عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿فِي شِقَاقٍ﴾ يريد في خلاف لدينهم ولدينكم[١]؛ لأنهم أمروا في التوراة بالإيمان بمحمد ﷺ. وقال الحسن: علموا أولادَكم وأهاليكم وخدمَكم أسماء الأنبياء، الذين ذكرهم الله في كتابه، حتى يؤمنوا بهم، ويصدقوا بما جاءوا به. هذا قوله[٢].

وقالت العلماء: لا يكون الرجل مؤمنًا حتى يؤمن بسائر الأنبياء السابقين، وجميع الكتب التي أنزلها الله على الرسل، فيجب على الإنسان أن يُعَلِّمَ صِبيانَه ونساءَه أسماءَ الأنبياء ويأمرهم بالإيمان بجميعهم؛ إذ لا يبعد أن يظُنُّوا أنهم كُلِّفوا الإيمان بمحمد ﷺ فقط فيلقِّنوا قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ الآية.

١٣٨- قوله تعالى ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ الصِّبْغ: ما يُلَوَّنُ به الثياب، والصَّبْغُ المصدر، وأصله: المزجُ للتلوين، وما يُصْطبَغُ به من الأطعمة يسمى: صِبْغا وصِبَاغًا؛ لأنه مزج شيء بشيء، ولون بلون[٣].

قال الحسن[٤] وقتادة[٥] وأبو العالية[٦] ومجاهد[٧] والسُّدِّي[٨] وعطية[٩] وابن زيد[١٠]: دين الله. فعلى هذا القول، إنما سمي الدينُ

---

(١) بنحوه مختصرًا عند الثعلبي في «تفسيره» ٣/ ١٢١٨، والبغوي ١/ ١٥٦.
(٢) ذكره في «الوسيط» عنه، وبنحوه عن الضحاك، كما في «الدر المنثور» ١/ ٢٥٨.
(٣) ينظر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٧٥-١٩٧٦ «صبغ»، «البحر المحيط» ١/ ٤١١.
(٤) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٤٥.
(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٧١، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٤٥.
(٦) المراجع السابقة.
(٧) المراجع السابقة.
(٨) المراجع السابقة.
(٩) المراجع السابقة.
(١٠) المراجع السابقة.

صبغةً؛ لأن المتدين يَلْزَمُه ولا يُفَارِقُه، كما يلزم الصبغُ الثوبَ. والعرب تقول: فلانٌ يَصْبغ فلانًا في الشرّ، إذا أدخله فيه، وألزمه إياه، كما يلزم الثوب الصبغ، خاطبهم الله في كتابه بمثل ما يعرفون في لغتهم، أنشد ثعلب:

دَعِ الشَّرَّ وَانْزِلْ بِالنَّجَاةِ تَحَرُّزًا
إذا أنت لم يَصْبِغْكَ في الشَّرِّ صَابغُ[١]

قال اللحياني: تَصَبَّغَ فلان في الدين تَصَبُّغًا، وصِبْغَةً حسنة[٢].

وقال أبو عمرو: كل ما يتقرب به إلى الله ﷻ فهو الصِّبْغَةُ[٣].

وقال ابن عباس: إن النصارى كانوا إذا ولد لأحدهم ولد، فأتى على سبعة أيام غمسوه في ماء لهم، يقال له: المعمودي، وصبغوه به ليطهروه بذلك مكان الختان[٤]، ويقولون: هو تطهير له وتنظيف، فجعل الله الختان للمسلمين تنظيفًا وتطهيرًا، وأمر به معارضةً للنصارى. فعلى هذا القول جرت الصبغة على الختانة؛ لصبغهم غلمانهم في الماء.

---

(١) البيت بلا نسبة في: «أساس البلاغة»، (دبغ)، (صبغ)، «المعجم المفصل» ٣/ ٢٦٧.

(٢) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٧٦، وابن منظور في «اللسان» ٤/ ٢٣٩٦ (صبغ).

(٣) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٧٦، وعنه ابن منظور في «اللسان» ٤/ ٢٣٩٦.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٢٣، وعنه البغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٧، والواحدي في «أسباب النزول» ص٤٤، ٤٥، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٥١، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٣٢، و«الخازن» ١/ ١١٦، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤١١، وابن حجر في «العجاب» ١/ ٣٨٢.

قال الأزهري: يقال: صَبَغَتِ الناقةُ مَشَافِرَها في الماء: إذا غمستها، وصبغ يده في الماء[1]، قال:

قد صبغت مشافرًا كالأشبارْ[2]

فسمي الختانُ صبغةً من حيثُ كان بدل ما فعلوه من صبغهم أولادهم، كما قال: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] فسمى الثانية سيئة لما كانت في معارضة الأولى، كذلك الختانة سماها الله تعالى صبغة؛ لأنها تجري[3] للمسلمين مجرى صبغ النصارى أولادهم، وهذا القول اختيار الفراء[4]. ويحتمل أنه سمي الختان صبغة؛ لأنه يصبغُ الولدَ بالدم.

وذكر أبو إسحاق في قوله: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ قولًا آخر، هو مذهب أبي عُبيدة[5]، وهو أنه قال: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: خِلقَةَ الله، من صَبَغْتُ الثوب، إذا غيرتُ لونَه وخِلْقَتَه، فيجوز أن يسمى الخلقة صبغة، والله تعالى ابتدأ الخلقة على الإسلام بدليل قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢].

وقوله: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾ [الروم: ٣٠][6]، وما

---

(١) «تهذيب اللغة» له ٢/ ١٩٧٦ (صبغ).

(٢) هذا رجز ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٧٦، وابن منظور في «اللسان» ٤/ ٢٣٩٦ (صبغ)، ولم ينسباه.

(٣) في (م): (تجزي).

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٢، وينظر: «الزاهر» ١/ ١٤٥، «تفسير الطبري» ١/ ٥٧٠.

(٥) «مجاز القرآن» ١/ ٥٩.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٥-٢١٦، والثعلبي في «تفسيره»» ١/ ١٢٢١.

رُوِيَ أن النبي ﷺ قال: «كل مولود يُولَد على الفطرة»[(١)]، معناه: إن كل مولود يولد في العالم على ذلك الإقرار الأول، وعلى ذلك العهد حين قالوا: ﴿بَلَىٰ﴾ وهو الفطرة، ومعنى الفطرة[(٢)]: ابتداء الخلقة. ثم يُهَوِّدُ اليهودُ أبناءَهم، ويُمَجِّسُ المجوسُ أبناءَهم، وليس الإقرارُ الأول مما يَقَعُ به حكم، أو عليه ثواب.

وانتصب قوله: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ عند الأخفش[(٣)] على البدل من قوله: ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾. وذكر الزجاج[(٤)] في انتصابه الوجهين اللذين ذكرنا في ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾، وقال أبو عبيد: نصب على الإغراء، أي: الزموا واتبعوا[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ أي: دينًا، على القول الأول، وعلى قول ابن عباس: تطهيرًا، ومعناه: أن التطهير الذي أمر الله به مبالغ في النظافة، وعلى قول أبي إسحاق: فطرة وخلقة.

١٣٩- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا﴾ الخطاب ليهود المدينة، ونصارى نجران، ومحاجتهم أنهم قالوا: إن أنبياء الله كانوا منا، وديننا هو الأقدم، وكتابنا هو الأسبق، ولو كنت نبيًا كنت منَّا، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥) كتاب «الجنائز»، باب: ما قيل في أولاد المشركين، ومسلم (٢٦٥٨) كتاب «القدر»، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة. ٤/ ٢٠٤٧، حديث ٢٦٥٨.

(٢) ليست في (أ) و(م).

(٣) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٥٠، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٢٤.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج١/ ٢١٥.

(٥) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٢٣، وذكر هذا الوجه ابن الأنباري في «البيان في غريب إعراب القرآن» ١/ ١٢٦، وأبو حيان في «البحر» ١/ ٤١٢، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٧.

﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾[١] أي: أتخاصموننا وتجادلوننا، والمحاجة: مفاعلة من الحجة[٢]. وظاهر الألف: الاستفهام، ومعناه: التوبيخ والتقرير هاهنا[٣]، وذكرنا في سورة آل عمران لم صار لفظ الاستفهام للتوبيخ.

وقوله تعالى: ﴿فِي اللَّهِ﴾ أي: في دين الله[٤]، ولنا أعمال نجازى بحسنها وسيئها، وأنتم في أعمالكم على مثل سبيلنا، لا يؤخذ بعض[٥] بذنب بعض. ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ أي: موحدون[٦]، ومعنى الإخلاص: التنقية من الشوائب[٧].

ولقد سألت الأستاذ أبا إسحاق أحمد بن محمد[٨] رحمه الله فحدثني بإسناده مسلسلا[٩]: أن حذيفة[١٠] رضى الله عنه قال: سألت النبي ﷺ عن

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٢٤، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٢٣، و«الوجيز» ١/ ٥٠٦، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٧، و«الخازن» ١/ ١١٦، وأبو حيان في «البحر» ١/ ٥٨٥.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٢٤، «تفسير البغوي» ١/ ١٥٧، «البحر المحيط» ١/ ٤١٢.

(٣) قال أبو حيان في «البحر المحيط»١/ ٤١٣: والهمزة للاستفهام مصحوبًا بالإنكار عليهم. وينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ١٣٣.

(٤) في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٢٤ قال: وذلك أنهم قالوا: يا محمد إن الأنبياء كانوا منا وعلى ديننا، ولم يكن من العرب نبي، فلو كنت نبيًا لكنت منا وعلى ديننا، وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٥٧، «تفسير الخازن» ١/ ١١٦.

(٥) في (ش): (بعضنا).

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٢٤.

(٧) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٢٥ - ١٣٣٢، وقد أفرد فصلًا في معنى الإخلاص، «تفسير البغوي» ١/ ١٥٧.

(٨) يعني الثعلبي.

(٩) هذا الحديث مسلسل بالسؤال عن الإخلاص من أدناه إلى أعلاه.

(١٠) هو حذيفة بن اليمان العبسي، حليف الأنصار، صحابي جليل من السابقين، =

الإخلاص، ما هو؟ قال: «سألت جبريل عن الإخلاص، ما هو؟ قال: **سألت ربَّ العزة عن الإخلاص، ما هو؟ قال: سرٌ من سِرِّي، استودعتُه قلبَ مَنْ أحببتُ من عبادي»**[(١)] .

قال ابن الأنباري: وفي الآية إضمار واختصار، أراد: ونحن له مخلصون، وأنتم غير مخلصين، فحذف اكتفاء بقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾.

قال: ومعنى الآية: أتحتجون علينا، وأنتم مشركون كافرون بالأنبياء، ونحن مخلصون له بالعبادة والتوحيد؟ ومَن هو على مثل سبيلكم، الواجبُ عليه أن يتشاغل بالفكر في عماه، وأن لا ينازع ويناظر من يعلم[(٢)] أنه أرشد منه وأهدى سبيلًا. وتلخيص الآية: لا حجة لكم علينا في دين ربنا؛ إذ كنا نخلص له[(٣)] ولا نعبد معه سواه، وأنتم تجعلون له الشركاء والأنداد[(٤)].

= أعلمه النبي ﷺ بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة، كما في «صحيح مسلم»، وأبوه صحابي أيضًا، توفي في أول خلافة علي سنة ٣٦هـ. ينظر: «تقريب التهذيب» ص١٥٤ (١١٥٦)، «أسد الغابة» لابن الأثير ١/ ٤٦٨.

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٢٥، وذكره الديلمي في «مسند الفردوس» ٣/ ١٨٧، عن علي وابن عباس مرفوعًا، وذكره القرطبي في «تفسيره» ٢/ ١٣٤، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤١٣، والآلوسي في «روح المعاني» ١/ ٣٩٩، والحديث في إسناده أحمد بن عطاء، وعبد الواحد بن زيد، وقال عنه الحافظ ابن حجر في «الفتح» ٤/ ١٠٩: حديث واهٍ جدًا وضعفه كذلك الدكتور خالد العنزي في تحقيق «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٢٧.

(٢) في (ش): (يعلم الله).

(٣) في (ش): (معه).

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤١٣ - ٤١٤.

١٤٠- قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ﴾ قرئ بالتاء والياء[١]، فمن قرأ بالتاء؛ فلأن ما قبله من قوله: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا﴾ وما بعده من قوله: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ﴾ بالتاء. ومن قرأ بالياء؛ فلأن المعنى لليهود والنصارى، وهم غَيْبٌ[٢]. ومعنى الآية: كأنه قيل لهم: بأي: الحجتين تتعلقون؟ أبالتوحيد؟، فنحن موحدون، أم باتباع دين الأنبياء، فنحن متبعون دونكم[٣]، فمن الجهتين جميعًا لا تلزمنا لكم حجة. هذا على قراءة من قرأ[٤] بالتاء، وتكون الآية متصلة بما قبلها من الاستفهام الذي معناه الإنكار، ومن قرأ بالياء، فمعناه الانقطاع إلى حجاج آخر غير الأول، كأنه قيل: بل أيقولون إن الأنبياء من قبل أن تنزل التوراة والإنجيل كانوا هودًا أو نصارى؟ كأنه أعرض عن خطابهم استجهالًا لهم بما كان منهم؛ كما يُقبِل العالِم على من بحضرته بعد ارتكاب مخاطبه جهالة شنيعة، هذا كله قول أصحاب المعاني في هذه الآية[٥].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ أي: قد أخبرنا الله أن الأنبياء كان دينهم الإسلام، ولا أحد أعلم منه[٦][٧].

---

(١) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم في رواية أبي بكر، وأبو عمرو، بالياء، وقرأ الباقون بالتاء. ينظر: «السبعة» ص١٧١، «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٢٩، «الكشف» لمكي ١/ ٢٦٦.

(٢) من «الحجة» ٢/ ٢٢٩ بتصرف، وينظر: الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٣٢، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٨.

(٣) كذا قال الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢١٧.

(٤) في (م) و(ش): (قرأ).

(٥) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٧.

(٦) ساقط من (ش).

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٧.

وقوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ توبيخٌ من الله لليهود بعد أن قامت الحجةُ عليهم[(١)].

قال ابن عباس: يريد مَنْ أظلمُ ممَّنْ كتمَ شهادتَه التي أشهد عليها، يريد أن الله أشهدهم في التوراة والإنجيل: أنه باعث فيهم محمد بن عبد الله من ذرية إبراهيم، وأخذ على ذلك مواثيقهم أن يبيّنوه للناس ولا يكتموه، فكتموه وكذبوا فيه[(٢)].

وقال مجاهد[(٣)] والربيع[(٤)]: الشهادةُ في أمر إبراهيم والأنبياء الذين ذكرهم وأنهم كانوا حنفاء مسلمين، فكتموها، وقالوا: إنهم كانوا هودًا أو نصارى[(٥)].

وحكى ابن الأنباري عن بعضهم: أن هذا من كلام المسلمين، يريدون: من أظلم منا إن تابعناكم على ما تقولون، بعد ما وقفنا على كذبكم بإعلام الله إيّانا، وكتمان أمر محمد، والشهادة له بالنبوة، بعد أن ثبتت[(٦)]

---

(١) «البحر المحيط» ١/ ٤١٥.

(٢) هذا من رواية عطاء التي تقدم ذكرها في المقدمة، ويذكر قريب منه عن غير ابن عباس عند الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٧٤-٥٧٥، وابن أبي حاتم ١/ ٢٤٦.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٧٤.

(٤) أخرجه الطبري ١/ ٥٧٥، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٤٦.

(٥) رجح هذا القول الطبري في «تفسيره» ١/ ٥٧٥-٥٧٥ مبينًا أن هذه الشهادة جاءت بعد ذكر هؤلاء الأنبياء؛ فأولى بها أن تكون متصلة بهم لا بموضوع آخر، والشهادة التي عندهم ما أنزل الله إليهم في التوراة والإنجيل من الأمر بمتابعة هؤلاء المذكورين من الأنبياء، وأنهم كانوا حنفاء مسلمين فكتموا ذلك حينما دعاهم إليه رسول الله ﷺ إلى الإسلام. ورجحه كذلك أبو حيان في «البحر» ١/ ٤١٥، مبينًا أنه أشبه بالسياق.

(٦) في (م): (ثبت).

عندنا نبوته بإخبار الله تعالى إيّانا.

١٤١- قوله تعالى ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أي: ثواب ما كسبت ﴿وَلَكُم﴾ ثواب ﴿مَّا كَسَبْتُمْ﴾[(١)] وحَسُنَ تكريرُ هذه الآية؛ لأن الحجاج إذا اختلفت مواطنه حَسُنَ تكريرُه للتذكير به[(٢)].

١٤٢- قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ الآية، نزلت في تحويل القبلة إلى الكعبة.

قال ابن عباس: عَنَى بالسفهاء يهود المدينة[(٣)]، وقال الحسن: يعني مشركي مكة.

وقال السدي: يعني منافقي المدينة، وذلك أن المشركين قالوا لما توجه النبي ﷺ إلى الكعبة: قد اشتاق محمد إلى مولده، ومولد آبائه، وقد توجه نحو قبلتكم، وهو راجع إلى دينكم. وقالت اليهود: قد تردد على محمد أمره، ولا يدري أين يتوجه. وقالت المنافقون استهزاءً بالإسلام والمسلمين: ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ﴾[(٤)]، والسفهاء: جمع سفيه، وهو الخفيف إلى ما لا يجوز له أن يخِفّ إليه[(٥)]، وذكرنا هذا فيما تقدم.

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٨.

(٢) ينظر: «الوسيط» ١/ ٢٢٤، «البحر المحيط» ١/ ٤١٥، وقال: وليس ذلك بتكرار؛ لأن ذلك ورد إثر شيء مخالف لما وردت الجمل الأولى بإثره، وإذا كان كذلك فقد اختلف السياق فلا تكرار، بيان ذلك: أن الأولى وردت بإثر ذكر الأنبياء فتلك إشارة اليهم، وهذه وردت عقب أسلاف اليهود والنصارى فالمشار إليه هم.

(٣) أخرجه الطبري ٢/ ١، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٤٧.

(٤) ينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٥٨.

(٥) ينظر: «اللسان» ٤/ ٢٠٣٢ (سفه).

وقوله تعالى: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ أي: عَدَلهم وصرفهم[١]، ونذكر أصل هذا الحرف عند قوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨].

وقوله تعالى: ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ القبلة: الوجهة، وهي الفعلة من المقابلة، والعرب تقول: ماله قِبلة ولا دِبرة، إذا لم يهتد لجهة أمره، وأصل القبلة في اللغة: الحالة التي يقابل الشيء غيره عليها، كالجلسة للحال التي يجلس عليها، إلا أنها الآن صارت كالعلم للجهة التي تستقبل في الصلاة[٢].

وقوله تعالى: ﴿الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ يعنون: بيت المقدس، في قول أكثر المفسرين، والضمير في قبلتهم: للنبي ﷺ وأصحابه.

وقال عطاء عن ابن عباس: يريد التي كان عليها إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط[٣]، وهذا على زعمهم؛ لأنهم كانوا يدعون أن قبلة إبراهيم كانت بيت المقدس، وعلى هذا القول الضمير[٤] في ﴿قِبْلَتِهِمُ﴾ لإبراهيم ومن ذُكر بعده، كأنهم قالوا: ما ولّى النبي وأصحابه عن قبلة إبراهيم والأسباط. والقول هو الأول، وعليه المفسرون.

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي: له أن يأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء[٥].

وقيل: أراد بالمشرق الكعبة؛ لأن المصلي بالمدينة إذا توجه إلى الكعبة فهو متوجه إلى المشرق، وإذا توجه إلى بيت المقدس فهو متوجه إلى

---

(١) «تفسير الطبري» ٢/ ٢، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٣٧-١٣٨.
(٢) «اللسان» ٦/ ٣٥١٧ (قبل).
(٣) قريب منه في «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٤٧.
(٤) ساقط من (م).
(٥) كذا في «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٠.

المغرب[١].

وقوله تعالى: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال ابن عباس: إلى دين مستقيم، يريد: أني قد رضيت قبلة أولئك، ورضيت هذه القبلة لمحمد ﷺ. «ودين الله» يسمى: صراطًا مستقيمًا؛ لأنه يؤدي إلى الجنة؛ كما يؤدي الطريق المستقيم إلى البغية[٢].

١٤٣- قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ الآية. قال أهل المعاني: التشبيه في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ يرجع إلى ذكر الأنبياء الذين أنعم الله عليهم، وهم إبراهيم وأولاده، فلما ذكرهم وذكر النعمة عليهم بالكتاب المنزل، والحنيفية المستقيمة، قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: وكما اخترنا إبراهيم وذريته واصطفيناهم، كذلك جعلناكم أمةً وسطًا[٣].

وقيل: هذه الآية تتصل بما قبلها من قوله: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: هديناكم وخصصناكم دونهم بالصراط المستقيم، وتحويل قبلتكم إلى قبلة إبراهيم، وكذلك أنعمنا عليكم نعمة أخرى فقال: إنا جعلناكم عدولًا[٤].

وقوله: ﴿وَسَطًا﴾ الوسط: اسم لما بين طرفي الشيء. قال الفراء: الوَسَط المثقل: اسم، كقولك: رأسٌ وسط وأسفل، ولا تقولن ههنا:

---

(١) ذكره أبو حيان في «البحر» ١/ ٤٢١.

(٢) ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٠.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٥، «تفسير البغوي» ١/ ١٥٨، «تفسير الرازي» ٤/ ٩٦-٩٧.

(٤) ذكر الرازي في «التفسير الكبير» ٤/ ٩٦-٩٧، وجوهًا أخر. وينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ٣-٤، «البحر المحيط» ١/ ٤١٢.

وسْط بالتخفيف، واحتجم وَسَط رأسه، وربما خفف، وليس بالوجه. وجلس وسْط القوم، ولا تقول[١]: وسَط؛ لأنه في معنى بين القوم، وجلس وسَط الدار؛ لأن (بين) لايصلح في هذا الموضع، وربما خفف.

قال الفراء: قال ابن يونس: سمعت وسْط ووَسَط بمعنًى[٢]، قال الشاعر:

قـالـوا يـالَ أشـجـع يـومَ هَـيْـجٍ ووَسْط الدار ضَربًا واحْتِمايا[٣]

قال أحمد بن يحيى: ما اتحدت أجزاؤه فلم يتميز بعضه من بعض فهو وسَط بتحريك السين، نحو: وسَط الدار، ووسَط الرأس والكف، وما أشبهها. وما التفت أجزاؤه متجاورة، بعضها يتميز[٤] من بعض، كالعقد، وحلقة الناس، فهو وسْط[٥]. ومما يصدق هذا ما روي في الخبر: «**الجالس وسْط الحلقة ملعون**»[٦]، لم يرو إلا بالتخفيف، وقال محمد بن يزيد: ما كان اسمًا فهو وسَط، محرّك السين، نحو قولك: وسَط رأسه صلبٌ، ووسَط

---

(١) في (أ): (ولا يقول).

(٢) قال الجوهري: كل وضع صلح فيه بين فهو وسْط، وإن لم يصلح فيه بين فهو وسَط بالتحريك، وقال: وربما سكن، وليس بالوجه. وذكر البيت.

(٣) البيت، نسبه في «اللسان» ٨/ ٤٨٣١ (وسط) لأعصر بن سعد بن قيس عيلان.

(٤) في (م): (يتميز بعضها من بعض).

(٥) نقله عنه بمعناه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٢٨٨٨، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٤، «اللسان» ٨/ ٤٨٣٢ (وسط).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٥/ ٣٨٤ عن حذيفة، في الذي يقعد في وسط الحلقة قال: ملعون على لسان ٢٢٧٥٢، والترمذي (٢٧٥٣) الأدب، باب: كراهية القعود وسط الحلقة، وأبو داود (٤٨٢٦) الأدب، باب: في الجلوس وسط الحلقة، وقال الترمذي: حسن صحيح.

داره واسع، وما كان طرفًا فهو وسْط، مسكن السين، نحو قولك: وسْط رأسه دهن، ووسْط داره رجل أي: في وسط داره، وفي وسط رأسه[١].

قال الفراء: ويقال: وسطتُ القوم سِطةً ووسوطًا إذا دخلت وسطهم: قال الله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ [العاديات: ٥][٢].

فأما التفسير: فقال عُظْم أهل التفسير في قوله: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: عدلًا خيارًا[٣]، وروي ذلك في حديث مرفوع، أخبرناه الأستاذ أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي[٤] رحمه الله، ثنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص الزاهد[٥]، ثنا إبراهيم بن عبد الله الكوفي العبسي[٦]، ثنا

---

(١) نقله عنه بمعناه في «تهذيب اللغة» ٤/ ٢٨٨٨، «اللسان» ٨/ ٤٨٣٢ (وسط).

(٢) نقله عنه بمعناه في «اللسان» ٨/ ٤٨٣٣، ينظر في معاني الوسط: «المفردات» ص٥٣٧-٥٣٨، «البحر المحيط» ١/ ٤١٨، «اللسان» ٨/ ٤٨٣١-٤٨٣٤ (وسط).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٧، وابن أبي حاتم ١/ ٢٤٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٤، «المحرر الوجيز» ٢/ ٤-٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٠.

(٤) هو محمد بن محمد بن محمش الزيادي، أبو طاهر، من شيوخ الواحدي، كان إمام أصحاب الحديث بخراسان، وفقيههم ومفتيهم، أخذ الواحدي عنه، توفي سنة ٤١٠هـ. ينظر: «سير أعلام النبلاء» ١٧/ ٢٧٦-٢٧٨، «تذكرة الحفاظ» ٣/ ١٠٥١.

(٥) هو الإمام الزاهد المعمر أبو بكر محمد بن عمر بن حفص النيسابوري العابد، سمع سهل بن عمار وغيره، روى عنه أبو طاهر بن محمش وغيره، توفي سنة ٣٣٥هـ. ينظر: «سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٣٧٦.

(٦) هو إبراهيم بن عبد الله العبسي الكوفي أبو شيبة، سمع من أبي نعيم وقبيصة والإمام أحمد وغيرهم، وحدث عنه ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة، قال أبو حاتم: صدوق، توفي سنة ٢٦٥هـ. ينظر: «السير» ١١/ ١٢٨، «الجرح والتعديل» ٢/ ١١٠.

وكيع[١]، عن الأعمش[٢]، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**يدعى نوح يوم القيامة، فيقال له**[٣]: **هل بلّغت؟ فيقول: نعم. فيدعى قومه، فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد، فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد** ﷺ **وأمته، فذلك قوله** ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾»[٤].

والوسط: العدل، ثم اختلفوا لِمَ سمّي العدل وسطًا؟ فقالت طائفة: هذا مأخوذ من وسط الوادي والقاع، وهو خير موضع فيه، وأكثره كَلأً وماءً، وذلك أن في غالب الأمر الماء يبرح وسط الوادي؛ لأنه في الصيف وشدة الحر ينحسر عن الأطراف إلى جوف الوادي، فيكون الكلأ هناك أكثر، ولذلك تقول العرب: انزل وسط الوادي، أي[٥]: خير مكان منه[٦]، فعلى هذا (الوسط) اسم وصف به[٧]، ومنه قول زهير:

هم وَسَطٌ يرضى الأنام بحكمهم[٨] .... البيت.

---

(١) هو وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي الكوفي الحافظ، تقدمت ترجمته.

(٢) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي، تقدمت ترجمته [البقرة: ٦٠].

(٣) ساقط من (ش).

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٣٩) كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه﴾، ورواه أحمد ٣/ ٣٢، ٥٨، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٨، وابن أبي حاتم ١/ ٢٤٩.

(٥) في (م): (انزل إلى وسط الوادي إلى)، وفي (أ): (انزل وسط الوادي إلى). وما أثبته موافق لما في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٣.

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢١٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٣.

(٧) ينظر: «اللسان» ٨/ ٤٨٣٤ «وسط».

(٨) البيت تتمته:

إذا نزلت إحدى الليالي بمعظَمِ

ويحتمل على هذا الاشتقاق: أنه أراد: هم وسط بين طرفين:

أحدهما: الغلو.

والثاني: التقصير، وهما مذمومان، وهذا قول الكلبي[١].

قال أهل المعاني: لما صار ما بين[٢] الغلو والتقصير خيرًا منهما[٣] صار الوسط، والأوسط عبارة عن كل ما هو خير، وإن لم يتصور فيه الغلو والتقصير، حتى قالوا: هو من أوسطهم نسبًا، أي: خيرهم، قال الله تعالى: ﴿قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ﴾ [القلم: ٢٨] قيل في تفسيره: خيرهم وأعدلهم[٤]، وقال النبي ﷺ: «**خير هذا الدين النمط الأوسط**»[٥]. فعلى هذا، أمة

= ذكره بهذا اللفظ الجاحظ في «البيان والتبيين» ٣/ ٣٢٥، لكنه قال: يرضى الإله. وهو تحريف مفسد للمعنى، وذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» ص٦٣، ولم ينسبه، وذكره الطبري في «تفسيره» ٢/ ٦، والثعلبي ١/ ١٢٣٤، والسمعاني ٢/ ٨٠، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤١٨، والسمين في «الدر المصون» ١/ ٣٩٣، وقال المعلق على «تفسير الطبري» ٢/ ٦: البيت من معلقة زهير، وروايته كما في «ديوانه» بشرح ثعلب، وفي شرحي التبريزي والزوزني للمعلقات، وكما في جمهرة أشعار العرب للقرشي:

لحيٍّ حلال يعصم الناس أمرهم إذا طرقت إحدى الليالي بِمُعْظَمِ

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٤، وذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ١٥٨.

(٢) من قوله: (الغلو)، ساقط من (ش).

(٣) في (ش): (مبهمًا).

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٤.

(٥) قال العراقي في «تخريج الإحياء» ١/ ١٠٦: حديث: «**عليكم بالنمط الأوسط**»، رواه أبو عبيد في «غريب الحديث» موقوفًا على علي بن أبي طالب، ولم أجده مرفوعا، وذكره في «اللسان» ٨/ ٤٨٣٣ «وسط» من كلام علي. وفي «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٠-١٤١: «**عليكم بالنمط الأوسط، فإليه ينزل العالي وإليه يرتفع النازل**». والنمط: جماعة من الناس أمرهم واحد، وقيل هو الطريقة.

محمد ﷺ وسط، أي: عدول؛ لأنهم لم يغلوا غلو النصارى، ولا قصّروا تقصير اليهود، في حقوق أنبيائهم، بالقتل والصلب[١].

وقالت طائفة: وَسَط جمع واسط، وفَعَل يجوز في جمع فاعل، نحو: خدَم ونشَأ. والواسط: الذي يسِطُ الشيء، أي: يتوسطه، قال الشاعر:

وَسَطتْ نسبتي الذوائبَ منهم كلُّ دار فيها أبٌ لي عظيم[٢][٣]

وفلان من واسطة قومه، أي: من أعيانهم، وهذا يحتمل أمرين:

أحدهما: أن نسبه توسط نسبهم، فهو كريم الطرفين، أبوه وأمه من ذلك النسب.

والثاني: أنه أخذ من واسطة القلادة؛ لأنه يجعل فيه أنفَسَ خَرَزها. قال بعض سعد بن زيد مناة:

ومَن يفتقِرْ في قومه يحمَدِ الغنى وإن كان فيهم واسطَ العَمِّ مُخْوِلا[٤]

قوله: واسط العم، يحتمل المعنيين[٥].

وقوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد: على جميع الأمم، وذلك أن[٦] الله تعالى إذا جمع الأولين والآخرين، أتى بالناس أمة بعد أمة، فيؤتى بأمة نوح، فيسألهم عما أرسل

---

(١) ينظر: «المحرر الوجيز» ١/ ٣-٥.

(٢) سقطت من (م).

(٣) البيت لحسان بن ثابت في «ديوانه» ص٢٢٥.

(٤) البيت لجابر بن الثعلب الطائي، ينظر: «ديوان الحماسة» ١/ ١٠٩.

(٥) ينظر: «زاد المسير» ١/ ١٥٤.

(٦) في (م): (لأن الله).

إليهم، فينكرون أن نوحًا بلّغهم ما أرسل به إليهم، فيقول الله تعالى لنوح: ما فعلت فيما أرسلتك؟ فيقول: بلّغته قومي فكذّبوني وعصوك، فيقول الله له: زعموا أنك لم تبلّغهم فهل لك شهيد؟ فيقول: نعم، محمد وأمته، فيدعى بأمة محمد، فيقول الله تعالى: بم تشهدون لنوح؟ فيقولون: نشهد أنه قد بلّغ رسالاتك، فكذبوه وعصوك، فتقول أمة نوح: هؤلاء بعدنا يا رب؛ كيف يشهدون علينا؟ فيقولون: ربنا أرسلت إلينا رسولًا، فآمنا به وصدقناه، فكان فيما أنزلت عليه ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥] إلى قوله: ﴿۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾[الشعراء: ١١١]. قال: ثم يؤتى بأمة بعد أمة فيشهدون عليهم[(١)].

وشهداء: لا ينوّن؛ لأن فيه ألف التأنيث، وألف التأنيث يبنى معها الاسم، وجعل الجمع بألف التأنيث كما جعل بهاء التأنيث، نحو: أَجْرِبَة، وأغْرِبَة، وضَرَبَة، وكَتَبَة[(٢)]. وقال ابن زيد في هذه الآية: الأشهاد أربعة: الملائكة، والأنبياء، وأمة محمد ﷺ، والجوارح، وهذا كقوله: ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر: ٦٩]. وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر: ٥١][(٣)].

---

(١) ذكره بمعناه من غير نسبة الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٣٦، وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٥٨، و بمعناه: حديث أبي سعيد عند البخاري (٧٣٤٩) كتاب الاعتصام، باب: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، ورواه الترمذي (٢٩٦١) كتاب التفسير، باب: ومن تفسير سورة البقرة، والنسائي في «التفسير» ١/ ١٩٧، وابن ماجه (٤٢٨٤) كتاب الزهد، باب: صفة أمة محمد ﷺ.

(٢) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٠ بتصرف، وأجربة: جمع جريب، والأصل فيه: كل أرض ذات حدود، ثم استعمل في مقدار معين من الأرض، وهو يستعمل في المساحة والكيل. وضربة: جمع ضارب.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١١.

وقوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ قال المفسرون: وذلك أن محمدًا ﷺ يُسأل عن حال أمته، فيزكّيهم، ويشهد بصدقهم[١].

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أي: لكم[٢]، كقوله[٣]: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] أي: للنصب، وقيل: معناه: على صدقهم، فهو من باب حذف المضاف[٤].

قال ابن جريج: قلت لعطاء: ما معنى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؟ قال: أمةُ محمد شهداءُ على من ترك الحق من الناس أجمعين[٥]، حين جاءه الهدى والإيمان، فذكر الله في كتابه ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ يشهد على أنهم آمنوا بالحق حين جاءهم، وقبلوا، وصدّقوا به.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ اختلف أهل المعاني في هذا، فقال بعضهم: إن الله تعالى تعبّد نبيه والمسلمين بالصلاة إلى بيت المقدس حيث[٦] كانوا بمكة في أول الأمر مخالفةً للمشركين؛ ليتبين إيمان المؤمن ونفاق المنافق، إذ كانت العرب تحب الكعبة، وترغب في الصلاة إليها، ولا يعجبهم الصلاة إلى بيت المقدس، فتعبّدهم الله بما يشقّ

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩-١١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٥. وقال في «البحر المحيط» ١/ ٤٢٢: وفي شهادته أقوال: أحدها: شهادته عليهم أنه قد بلغهم رسالة ربه. والثاني: شهادته عليهم بإيمانهم. والثالث: يكون حجة عليهم. والرابع: تزكيته لهم و تعديلهم. ثم عزا هذا القول لأكثر المفسرين.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٥.

(٣) في (م): (لقوله).

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٤٢٣.

(٥) رواه «الطبري» في «تفسيره» ٢/ ١١، وابن أبي حاتم ١/ ٢٥٠، والبغوي ١/ ١٥٩.

(٦) في (ش): (حين).

عليهم، امتحانًا واختبارًا؛ ليظهر إيمان المؤمن عند صبره على ما يحبّ، ويتبين نفاق المنافق عند خلافه ربَّه في إيثاره هواه، فكأنه قال: تعبدناكم بالصلاة إلى بيت المقدس برهةً من الدهر؛ لنمتحنكم بذلك، ونختبركم.

وعلى هذا التأويل خبر ﴿جَعَلْنَا﴾ محذوف، معناه: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها قبلة إلا لهذا، فحذف المفعول الثاني؛ لإحاطة العلم، ويقال: إن ﴿جَعَلْنَا﴾ هاهنا لا يقتضي[1] مفعولًا ثانيًا؛ لأنه في تأويل نصبنا.

وقال بعضهم: إن النبي ﷺ لما[2] هاجر إلى المدينة أمر بالتوجه إلى الكعبة مخالفة لليهود وامتحانًا للمؤمنين، وعلى هذا التأويل[3] تقدير الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ فيكون من باب حذف المضاف[4]، ويحتمل أن يكون التقدير: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة، فأضمر المفعول الثاني، كما ذكرنا في الوجه الأول.

وتحتمل الآية على هذا التأويل وجهًا ثالثًا، وهو أنّ ﴿كُنتَ﴾ بمعنى: أنت[5]، والتقدير: وما جعلنا القبلة التي أنت عليها -وهي: الكعبة- قبلةً،

---

(١) في (ش): (تقتضي).

(٢) ساقطة من (ش).

(٣) في (م): (وعلى هذا التقدير تأويل الآية).

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٦.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٦، «البغوي» ١/ ١٥٩، «الكشاف» ١/ ١٩٩، وروي هذا عن ابن عباس.
ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٢٣، وقال: وهذا من ابن عباس إن صح: تفسير معنى، لا تفسير إعراب؛ لأنه يؤول إلى زيادة كان الرافعة للاسم والناصبة للخبر، وهذا لم يذهب إليه أحد.

فحذف المفعول الثاني، أو أراد بـ (جعلنا) معنى نصبنا، كما بينا.

ويجوز أن يريد بمعنى الكون: الحال، كقوله: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] أي: من هو في الحال صبي، وكقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ [آل عمران: ١١٠] أي: أنتم. ويؤكد هذا التأويل الثاني: أن جماعة من اليهود لما صرفت القبلة إلى الكعبة، قالوا للمسلمين: أخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس، أكانت هدًى أو ضلالةً؟ فإن كانت هدًى، فقد تحولتم عنها، وإن كانت ضلالة، لقد دنتم الله بها؟ فقال المسلمون: إنما الهدى ما أمر الله به، والضلالة ما نهى الله عنه، عيّروهم بنسخ القبلة[1].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ والله تعالى عالم لم يزل، ولا يجوز أن يحدث له علم.

واختلف أهل المعاني في وجه تأويله[2]:

فذهب جماعة إلى أن العلم له منزلتان: علم بالشيء قبل وجوده، وعلم به[3] بعد وجوده، والحكم للعلم بعد الوجود؛ لأنه يوجب الثواب والعقاب، والمتعبد بالشيء إذا لم يُطع وعصى عَلِمَه اللهُ تعالى عاصيًا، وإذا

---

(١) ذكره مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٤٥-١٤٦، والثعلبي ١/ ١٢٣٨. وتنظر بعض الآثار التي تدل على هذا عند الطبري ٢/ ١١-١٢، وابن أبي حاتم ١/ ٢٤٨. وتنظر الوجوه الإعرابية في: «البحر المحيط» ١/ ٤٢٣، «التبيان» للعكبري ص٩٨.

(٢) ينظر في وجوه تأويل هذا: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢-١٤، «تفسير البغوي» ١/ ١٦٠، «المحرر الوجيز» ٢/ ٧-٨، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٣، «البحر المحيط» ١/ ٤٢٤.

(٣) سقطت من (ش).

أطاع عَلِمَه الله مطيعًا، وكان قبل أن أطاع لم يعلمه مطيعًا علمًا يستحق به الثواب، وإن كان في معلوم الباري أنه يطيع.

فمعنى قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي: لنعلم العلم الذي يستحق العامل به الثواب والعقاب، وتبدل الأحوال على المعلوم لا يقتضي تبدل العلم وتغيره، وهذا مذهب جماعة من أهل النظر[1]. ويؤيده: ما روي عن ابن عباس: أنه فسر العلم هاهنا: بالرؤية، وقال: معنى ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾: إلا لنرى[2]، وهذا راجع إلى ما ذكرنا؛ لأنه إنما يراه إذا علمه موجودًا.

وحكى ابن الأنباري، عن الفراء، أنه قال: يجوز أن يكون الله جل اسمه أضاف العلم إليه، وهو للمخاطبين[3] في المعنى، كما يجتمع جاهل وعاقل، فيقول الجاهل: الحطب يحرق النار. ويقول العاقل: النار تحرق الحطب، وسنجمع بينهما؛ لنعلم أيهما يحرق صاحبه؟. ومعناه: لتعلم أنت فينسب إلى نفسه فعل غيره، كذلك معنى الآية: إلا لتعلموا أنتم. ومثله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ [محمد: ٣١] على هذا التأويل.

ويجوز في سَعَة العربية إضافة الفعل إلى من ليس له في الحقيقة، كقول العرب: طلعت الشِّعرى، وانتصب العود على الحرباء، معناه: انتصب الحرباء على العود، فنسب الانتصاب إلى غير فاعله، ومثله في الكلام: لا أرينَّك ههنا، أوقع النهي على غير المنهي؛ لأن المنهيَّ المخاطب، وذكرنا

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٧، «تفسير السمعاني» ٢/ ٨٣، البغوي في «تفسيره» ١/ ١٦٠، «التفسير الكبير» ٤/ ١١٥.

(٢) ذكره الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٣-١٤، ولم ينسبه لابن عباس، ثم رد عليه، وذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٥٥.

(٣) في (أ): (المخاطبين).

هذا في قوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وقيل: أراد ليعلم محمد ﷺ، فأضاف علمه إلى نفسه تخصيصًا وتفضيلًا، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧] وقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ [الزخرف: ٥٥][١] وتحقيق هذا القول: أنه تعالى أراد: ليعلم حزبنا من النبي والمؤمنين، كما يقول الملك: فعلنا بمعنى: فعل أولياؤنا، ومنه: فتح عُمَرُ السواد، وجبى الخراج، وإن لم يتول ذلك بنفسه[٢].

وقوله تعالى: ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: يطيعه في التوجه[٣] إلى بيت المقدس[٤].

﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي: يرتد فيرجع إلى الشرك دين آبائه[٥].

ويجوز أن يكون المراد: ممن هو مقيم على كفره[٦]؛ لأن جهة الاستقامة إقبال وخلافها إدبار، وكذلك وصف الكافر بأنه أدبر واستكبر، هذا إذا قلنا: المراد بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ بيت المقدس

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٣، والثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٣٨.

(٢) قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٢/ ٨ عن الأقوال السابقة: وهذا كله متقارب، والقاعدة: نفي استقبال العلم بعد أن لم يكن. وقال أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٢٤: فهذه كلها تأويلات في قوله: (لنعلم) فرارًا من حدوث العلم وتجدده؛ إذ ذاك على الله مستحيل، وكل ما وقع في القرآن مما يدل على ذلك أُوِّل بما يناسبه من هذه التأويلات.

(٣) في (ش): (التوحيد).

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٤.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥، «زاد المسير» ١/ ١٥٥، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٠، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٤.

(٦) ينظر: «التفسير الكبير» ٤/ ١٠٥.

وإن قلنا: إن المراد هناك: التحويل عن بيت المقدس، وهو أظهر التأويلين[١]، فمعنى قوله: ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: يوافقه في التوجه إلى الكعبة، والانحراف عن بيت المقدس ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ﴾ أي: يرتّد عن الدين فيرجع إلى اليهودية، أو إلى ما كان عليه. وذلك أن الله تعالى جعل نسخ القبلة عن الصخرة إلى الكعبة ابتلاء لعباده المؤمنين، فمن عصمه ووفقه صدَّق الرسول في ذلك، وعلم أن لله[٢] تعالى أن يتعبد عباده بما شاء، وأن له أن ينسخ ما تعبدهم به، فيحولهم إلى غير ذلك، وأن الصلاح لهم فيما يأمرهم به، ومن لم يعصمه شَكَّ في دينه، وتردد عليه أمره، وظن أن محمدًا في حَيْرة من أمره، فارتد عن الإسلام.

والانقلاب على العَقِب: عبارة عن الانصراف إلى حيث أقبل منه؛ لأن عقبَ الإنسان يكون وراءه، فإذا رجع إلى وراء يقال: نكص على عقبيه، وانقلب على عقبيه، أي: انصرف راجعًا[٣].

قال ابن عباس: ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ﴾ يريد: من يرجع إلى دينه الأول[٤]، يعني: المنافقين، وسمي العقب عقبًا؛ لأنه يتلو القدَمَ، وأصل هذا الباب: الإتباع[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ قال سيبويه: ﴿وَإِن﴾ تأكيد شبيه

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٢٥.

(٢) في (م) و(ش): (الله).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٠.

(٤) هذه من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها بالمقدمة.

(٥) ينظر: «المفردات» ص٣٤٣-٣٤٤، «اللسان» ٥/ ٣٠٢٢ (عقب).

باليمين؛ لذلك دخلت اللام في جوابها[١].

قال أبو إسحاق: دخلت اللام مع إن، لأنها لو لم تدخل كان الكلام جحدًا، فلولا اللام كان المعنى: (ما كانت كبيرة)، فإذا جاءت (إن واللام) فمعناهما التوكيد للقصة[٢].

وأما التفسير: فقال ابن عباس[٣] ومجاهد[٤] وقتادة[٥]: وقد كانت التولية إلى الكعبة لكبيرة.

قال ابن زيد[٦]: وقد كانت الصلاة إلى الكعبة لكبيرة ثقيلة، إلا على الذين هدى الله، وقال أبو العالية: وإن كانت القبلة لكبيرة[٧]، يعني: الكعبة. وقيل: إنه يعني: بيت المقدس[٨]، أي: وإن كان اتباعها لكبيرًا إلا على الذين هدى الله.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ قال المفسرون: قالت اليهود للمسلمين لما حُوِّلت القبلة إلى الكعبة: إن كان هذا التحويل حقًّا

---

(١) ينظر: «الكتاب» لسيبويه ٤/ ٢٣٣، ٢/ ١٤٠.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٠، وينظر: «التبيان» للعكبري ٩٨، «البحر المحيط» ١/ ٤٢٥.

(٣) رواه عنه الطبري ٢/ ١٥، وابن أبي حاتم ١/ ٢٥١.

(٤) رواه عنه الطبري ٢/ ١٥، وابن أبي حاتم ١/ ٢٥١.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ١٥، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٥١.

(٦) رواه عنه الطبري ٢/ ١٦.

(٧) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٥، بلفظ: عن أبي العالية (وإن كانت لكبيرة) أي: قبلة بيت المقدس (إلا على الذين هدى الله)، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٥١، وجعل قوله كقول مجاهد.

(٨) وعلى هذا المعنى حمله الطبري ٢/ ١٦.

فإنَّ من مات منكم وهو يصلي إلى بيت المقدس مات على الضَّلالة، وكان قد مات رجال من المسلمين قبل تحويل القبلة، فانطلق عشائرهم إلى النبي ﷺ، فقالوا: يارسول الله، صرفك الله إلى قبلة إبراهيم، فكيف بإخواننا الذين ماتوا منا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾[1] أي: تصديقكم بأمر تلك القبلة.

قال الفراء: أسند الإيمان إلى الأحياء من المؤمنين، والمعنى: فيمن مات من المسلمين. وإنما أضيف إلى الأحياء؛ لأن الذين ماتوا على القبلة الأولى كانوا منهم. فقال: ﴿إِيمَـٰنَكُمْ﴾ وهو يريد: إيمانهم؛ لأنهم داخلون معهم في الملة، وهو كقولك للقوم: قد قتلناكم وهزمناكم، يريد: قتلنا منكم، فيواجههم بالقتل وهم أحياء[2].

ويمكن أن يحمل على العموم، بأن أراد: إيمان الأحياء والأموات[3].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الرأفة: أخص من

---

(١) روي بهذا اللفظ في: «تفسير الطبري» ٢/ ١٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٥١، «تفسير مقاتل» ١/ ٧٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٣٩، «الكفاية» للحيري ١/ ٧٩، «أسباب النزول» للواحدي ص٤٥-٤٦، «تفسير البغوي» ١/ ١٢٣. وروى البخاري (٤٠) كتاب الإيمان، باب: الصلاة من الإيمان، عن البراء بن عازب أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا، فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: (وما كان الله ليضيع إيمانكم).

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٣-٧٤.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٨.

الرحمة وأرق، قال الفراء: الرأْفة والرآفة، مثل: الكأبة والكآبة[١].

وقال أبو زيد: رَأَفْتُ بالرجل، أَرْأَفُ به رأفةً، ورآفةً، ورَؤُفْتُ أَرْؤُفُ به، كلٌ من كلام العرب[٢]. وفي الرؤوف قراءتان[٣]:

أحدهما: رؤوف على وزن فعول.

والثانية: رؤف على وزن رَعُف.

فمن قرأ على فَعُول؛ فلأنه أكثر في كلامهم من فَعُل، ألا ترى أن باب صبور وشكور، أكثر من باب حذُر ويقُظ، وإذا كان أكثر في كلامهم كان أولى. يؤكد هذا: أن صفات الله قد جاءت على هذا[٤] الوزن، نحو: ﴿غفور شكور﴾، ولا نعلم فَعُلًا فيها قال الشاعر:

نطيع إلهنا ونطيع ربًا ... هو الرحمن كان بنا رؤوفًا[٥]

ومن قرأ على وزن «رَعُف»، فقد قيل: إنه غالبُ لغة أهل الحجاز، ومنه قول الوليد بن عقبة بن أبي معيط[٦]:

---

(١) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٢٣، وينظر: «لسان العرب» ٣/ ١٥٣٥ (رأف)، «البحر المحيط» ١/ ٤٢٦.

(٢) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٢٣، وينظر: «لسان العرب» ٣/ ١٥٣٥ (رأف). وينظر في بيان معاني الرؤوف: «اشتقاق أسماء الله» للزجاجي ص٨٦.

(٣) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وشعبة عن عاصم: (رؤف)، بهمزة من غير واو. وقرأ الباقون بواو بعد الهمزة. ينظر «السبعة» ص١٧١، «النشر» ٢/ ٢٢٣.

(٤) في (أ)، (م): (على وزن رعف الوزن).

(٥) البيت لكعب بن مالك الأنصاري في «ديوانه» ص٢٣٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٠ وروايته: نطيع رسولنا، «لسان العرب» ٣/ ١٥٣٥ «رأف»، وروايته: نطيع ربنا، «تاج العروس» ١٢/ ٢٢١ (رجف).

(٦) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط، واسم أبي معيط أبان بن عمرو، أسلم يوم فتح=

وشرُّ الطالبين[1] فلا تَكُنْه   يقاتل عمَّه الرؤوفَ الرحيما[2]

وكثر ذلك حتى قاله غيرهم، قال جرير:

ترى للمسلمين عليك حقًّا   كفعل الوالد[3] الرؤوف الرحيم[4][5]

١٤٤- قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ الآية. قال المفسرون: كانت الكعبة أحبَّ القبلتين إلى رسول الله ﷺ.

قال ابن عباس: لأنها كانت قبلة أبيه إبراهيم[6].

وقال مجاهد[7] ومقاتل[8] وابن زيد[9]: لأنه كره موافقة اليهود[10].

= مكة، كان من الشعراء المطبوعين، قال الأصمعي كان شاعرًا كريمًا، توفي بالرقة. ينظر: «أسد الغابة» ٥/ ٤٥١، «الإصابة» ٣/ ٦٣٧.

(١) في (أ)، (م): (للطالبين).

(٢) البيت للوليد في «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٣٠، ابن عطية في «تفسيره» ٢/ ١٢، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٥، «البحر المحيط» ١/ ٦٠١، «أنساب الأشراف» ص١٤٠، «تاريخ الطبري» ٥/ ٢٣٦. وورد البيت في بعض المصادر هكذا:

وشر الظالمين للظالمين فلا تكنه   يقابل عمه الرؤف الرحيمُ

(٣) في (ش): (الوليد).

(٤) البيت لجرير في «ديوانه» ص٤١٢، «الخزانة» ٤/ ٢٢٢، «الكامل» للمبرد ٢/ ١٣٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤١، «البحر المحيط» ١/ ٦٠١.

(٥) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٢٩-٢٣٠.

(٦) رواه عنه الطبري ٢/ ٢٠، وابن أبي حاتم ١/ ٢٥٣، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٤٢.

(٧) رواه عنه الطبري ٢/ ٢٠، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٤٢، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٢٦٩ إلى عبد بن حميد.

(٨) ذكره الثعلبي ١/ ١٢٤٢، والحيري في «الكفاية» ١/ ٨٠.

(٩) رواه عنه الطبري ٢/ ٢٠، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٤٢.

(١٠) وثم قول ثالث روي عن السدي، وهو ليتألف العرب لمحبتها في الكعبة. ينظر «البحر المحيط» ١/ ٤٢٨.

وقال عامة المفسرين: إن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا بمكة يصلّون إلى الكعبة، فلما هاجروا إلى المدينة أمره الله أن يصلي نحو صخرة بيت المقدس؛ ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى إلى قبلتهم[(١)].

وقال ابن زيد: قال الله لنبيه ﷺ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ﴾ فقال: هؤلاء اليهود يستقبلون بيتًا من بيوت الله، فلو استقبلناه، فاستقبله النبي ﷺ سبعة عشر شهرًا[(٢)].

ثم رأى أن الصلاة إلى الكعبة أدعى لقومه إلى الإسلام، فقال لجبريل: وددت[(٣)] أنّ الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها، فقال له جبريل: إنما أنا عبد مثلك، وأنت كريم على ربك، فادع ربك وسَلْه، ثم ارتفع جبريل، وجعل رسول الله يديم النظر إلى السماء؛ رَجَاء أن يأتيه جبريل بالذي سأل ربه، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾[(٤)].

---

(١) عزاه لعامة المفسرين: الثعلبي ١/ ١٢٤١. وينظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد برقم ٢١، «صحيح البخاري مع الفتح» ١/ ٩٥، ومسلم (٥٢٥) كتاب المساجد، باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، «تفسير الطبري» ٢/ ٢٠، «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» لمكي ص١٢٦، «تفسير البغوي» ١/ ١٦١، «التفسير الكبير» ٣/ ١٠٩، «تفسير الخازن» ١/ ١٢٠، «العجاب» لابن حجر ١/ ٣٩٦.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٠ بلفظ: ستة عشر شهرًا، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٤٢، ويوحي صنيع الواحدي أن ما بعده تبع له، وليس الأمر كذلك.

(٣) في (م): (وودت).

(٤) كذا في «تفسير مقاتل» ١/ ١٤٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٣، «تفسير البغوي»، عن مجاهد ١/ ١٦١، «العجاب» لابن حجر ١/ ٣٩٥، وقال في «الدر المنثور» ١/ ٢٦٩: أخرجه أبو داود في «ناسخه» عن أبي العالية. وذكره الواحدي ص٤٦،=

قال أصحاب المعاني: أراد: تَقَلُّبَ عينيك، فذكرهما بلفظ الوجه، كما ذكر الأعين بلفظ الوجوه في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وذلك أنّ ما تقع به المواجهة يسمّى وجهًا، كاللحية قد يطلق عليها اسم الوجه. ويجوز أن يريد نفس الوجه؛ لأنه كما يقلب عينيه في السماء يقلب وجهه[1].

وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: في النظر إلى السماء.

وقوله تعالى: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً﴾ يقال، وَلَّيْتُكَ القبلة،: إذا صيرتَه يستقبلها[2] بوجهه، وليس في (فعلت) منه هذا المعنى؛ لأنك إذا قلت: وَلِيتُ الحائط، ووليت الجدران، لم يكن في قولك دلالة على أنك واجهته. فَفَعَّلت من هذه الكلمة ليس بمنقول من (فَعَلت) الذي هو وَلِيتُ، فيكون على حد قولك: فَرِحَ وفرّحْتُه، ولكن المعنى الذي هو المواجهة عارض[3] في فَعّلت، ولم يكن في (فَعَلْت)، وإذا كان كذلك كان فيه دلالة على أن النقل لم يكن من فَعَلت، كما كان قولهم: ألقيتُ متاعَك بعضَه على بعض، لم يكن النقل فيه[4] من: لقي متاعك بعضه بعضًا، ولكن

= عن ابن عباس من رواية الكلبي، وأخرج بعضه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٠، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ص١٥، من طريق علي بن طلحة عن ابن عباس.

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٣، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٣، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٥، والوجه الثاني هو الذي ذكره الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٠.

(٢) في (م): (مستقبلها).

(٣) في (ش): كأنها (يمارض).

(٤) في (ش): (فيه دلالة).

(ألقيت) كقولك: أسقطت، ولو كان منه زاد مفعول آخر في الكلام، ولم يحتج في تعديته إلى المفعول الثاني إلى حرف الجر في قولك: ألقيت متاعك بعضه على بعض، كما لم يحتج إليه في قولك: ضرب زيد عمرًا، وأضربته إياه، ونحو ذلك. فكذلك: وَلَّيْتُكَ قبلةً، من قولك: وَلِيتُ، كألقيت، من قولك: لَقِيتُ(١).

وقد جاءت هذه الكلمة مستعملة على خلاف المقابلة والمواجهة، وذلك نحو: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ﴾ [البقرة: ٨٣] ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ [يوسف: ٨٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٤] ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس: ١] ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا﴾ [النجم: ٢٩] فهذه مع(٢) دخول الزيادةِ الفِعْلَ. وفي غير الزيادة قوله: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [النمل: ١٠] وقوله: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] وقوله: ﴿مُّدْبِرِينَ﴾ حال مؤكدة؛ لأن في ﴿وَلَّيْتُم﴾ دلالة على أنهم مدبرون، وهذا على نحوين: أما ما لحق التاءُ أولَه، فإنه يجوز أن يكون من باب: تَحَوَّب(٣) وتأثم، إذا ترك الحُوب(٤) والإثم، فكذلك إذا ترك الجهة التي هي المقابلة. وأما الذي لا زيادة فيه، فيجوز أن تكون الكلمة استعملت على الشيء وعلى خلافه، كالحروف المروية في الأضداد، وقد روي في الأضداد: ولّى: إذا أقبل، وولّى: إذا أدبر(٥).

---

(١) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٣٠.
(٢) في (ش): فهذا (دخول).
(٣) في (أ)، (م): (تحرب).
(٤) في (أ)، (م): (الحرب).
(٥) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٣١-٢٣٢ بمعناه.

وقوله تعالى: ﴿تَرْضَىٰهَا﴾ أي: تحبها وتهواها[١]؛ لأن النبي ﷺ كان راضيًا بالقبلة الأولى، مطيعًا لله في حال صلاته إليها[٢]، ولكنه أحبَّ أن[٣] تكون قبلته الكعبة؛ للمعاني التي ذكرنا[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ أي: أقبل وجهك نحوه.

وقوله تعالى: ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ﴾ أي: قصدَه ونحوَه، ومعنى الشطر: النحو عند أهل اللغة، يقولون: وَلِّ وجْهَك نحوَ الموضع، وشطرَه، وتلِقَاءه بمعنًى.

قال الشاعر:

وأظعنُ بالقوم شَطْرَ الملو ك حتى إذا خَفَق المِجْدَحُ[٥]

وقال آخر:

أقول لأم زِنباعَ أقيمي صُدورَ العِيسِ شَطْرَ بني تميمِ[٦]

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٣.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٢.

(٣) أن ساقطة من (م).

(٤) تقدمت في أول الآية.

(٥) البيت لدرهم بن زيد الأنصاري، في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٤، «مجمل اللغة» ١/ ١٨٠، «الكشاف» ١/ ٢٠١، «أساس البلاغة» ٢/ ٧٢، «تاج العروس» ٤/ ٢٢ (جرح)، «لسان العرب» ١/ ٥٥٩، ٢/ ١٢١٤. والمجدح: نجم من النجوم كانت العرب تزعم أنها تمطر به، كقولهم الأنواء. وجواب إذا خفق المجدح، في البيت الذي بعده وهو قوله:

أمرت صحابي بأن ينزلوا فناموا قليلًا وقد أصبحوا

(٦) البيت لأبي زنباع الجذامي، في «الدرر» ٣/ ٩٠، «لسان العرب» ٤/ ٢٢٦٣ «شطر»، ولأبي ذؤيب الهذلي في «شرح أشعار الهذليين» ١/ ٣٦٣، وبلا نسبة في «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ٢/ ٧٠٥.

وقال سُدَيف:

أقِمْ قصدَ وجهك شطرَ العراق وخالَ الخليفة فاستَمْطِرِ[١]

قال أبو اسحاق: لا اختلاف بين أهل اللغة أن الشطر معناه: النحو. قال: وقول الناس: فلان شاطر، معناه: إنه قد أخذ في نحو غير الاستواء. قال: ونصب قوله: ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ﴾ على الظرف[٢].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَرَامِ﴾ بمعنى المحرم، وأصله: من المنع، وسمِّيت تلك البقعة حرامًا لما منع فيها من أشياء لم تمنع في غيرها[٣]، ونذكر الكلام في الحرام والحرمات في موضع آخر. ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ في بر أو بحر[٤]، وذكرنا الكلام في حيث عند قوله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩].

﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ فيه إضمار واختصار، أي: وحيثما كنتم، وأردتم الصلاة، فولّوا وجوهكم شطره.

قال المفسرون: إن أول ما نسخ من أمور الشرع أمر القبلة[٥]. وهذه

---

(١) البيت بلا نسبة في «جمهرة اللغة» ٢/ ٧٢٨.

(٢) بتصرف من، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٢، ونقل الإجماع على النحو ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٥٦، وينظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٢٠-٢٢١، «التبيان» للعكبري ص٩٩. وينظر في معاني الشطر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٠-٢١، «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ص٦٠، «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٦٤، «المفردات» ص٢٦٤، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٦.

(٣) ينظر: «لسان العرب» ٢/ ٨٤٧-٨٤٨.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٤.

(٥) قاله ابن عباس كما رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٥٣ عنه، ورواه أبو داود في ناسخه كما في «الدر المنثور» ١/ ٢٦٩، ورواه الطبري عن الحسن وعكرمة ٢/ ٤، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤١.

الآية نزلت ورسول الله ﷺ في مسجد بني سلمة، وقد صلّى بأصحابه[١] ركعتين من صلاة الظهر، فتحول في الصلاة نحو الكعبة، وحول الرجالَ مكانَ النساء، والنساءَ مكانَ الرجال، فسمي ذلك مسجد القبلتين[٢]. فلما حولت القبلة إلى الكعبة قالت اليهود: يا محمد، ما أُمرت بهذا، وإنما هو شيء تبتدعه من تلقاء نفسك! فأنزل الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ﴾[٣]، والكناية في ﴿أَنَّهُ﴾ يجوز أن ترجع إلى المسجد الحرام، أي: إنهم عالمون أن المسجد الحرام قِبْلَة إبراهيم وأنه حق.

---

(١) في (م): (أصحابه).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٤٤ عن مجاهد وغيره، وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٦٢، (الخازن) ١/ ١٢١.

(٣) ذكره مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٤٦، وذكره هكذا الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٤٤، والبغوي ١/ ١٦٢، وأخرج الطبري ٢/ ٢٤-٢٥ نحوه عن السدي، وقد اختلفت الروايات كثيرًا في الوقت والمكان والكيفية التي غيرت فيها القبلة، وقد ذكر جملة منها: السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٢٦٧-٢٧٣ .

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» ١/ ٥٠٣: اختلفت الرواية في الصلاة التي تحولت القبلة عندها، وكذا في المسجد، فظاهر حديث البراء هذا أنها الظهر، وذكر محمد بن سعد في «الطبقات» قال: يقال: إنه صلى ركعتين من الظهر في مسجده بالمسلمين، ثم أمر أن يتوجه إلى المسجد الحرام، فاستدار إليه، ودار معه المسلمون، ويقال: زار النبي ﷺ أم بشر بن البراء بن معرور في بني سلمة، فصنعت له طعامًا، وحانت الظهر، فصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ركعتين، ثم أمر فاستدار إلى الكعبة، واستقبل الميزاب، فسمي مسجد القبلتين. قال ابن سعد: قال الواقدي: هذا أثبت عندنا. وذكر ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٥٧، خلاف العلماء في وقت تحويل القبلة فلينظر.

ويجوز أن تعود الكناية إلى التولية[1]، لأن قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ دل على المصدر، كما أن قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠] دل على البخل، فكنى عنه بقوله: ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾. والتولية وإن كان في لفظ المؤنث فهو مصدر، وحكى ابن الأنباري: أن أبا عمرو الدوري روى عن الكسائي: أن الهاء تعود على الشطر[2]، والمعنى عنده: لَيَعْلَمُون أن شطره الذي تحولتم إليه هو الحق من ربهم[3].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد أنكم يا معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي، وما أنا بغافل عن ثوابكم وجزائكم. وإن اليهود يطلبون سخطي، وما أنا بغافل عن خِزْيِهم في الدنيا والآخرة[4].

١٤٥- وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، معنى (لئن): ما تستقبل، ومعنى (لو): ماض، وحقيقة معنى (لو): أنها يمتنع بها الشيء لامتناع غيره، تقول: لو جئتني لأكرمتك، أي: لم تجئني، فلم أكرمك، فإنما امتنع إكرامي لامتناع مجيئك[5]. ومعنى إن ﴿وَلَئِنْ﴾: أنه يقع بهما الشيء لوقوع غيره، تقول: إن تأتني أكرمْك، فالإكرام يقع بوقوع

---

(١) وهذا اختيار الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٣، وينظر: «زاد المسير» ١/ ١٥٦-١٥٧، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٧.

(٢) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٣٠.

(٣) ينظر في الأقوال: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٣، «زاد المسير» ١/ ١٥٧، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٠، «الدر المنثور» ١/ ٢٦٧-٢٦٩.

(٤) ذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ١٦٣.

(٥) بمعناه من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٤، وينظر: «الكتاب» لسيبويه ٤/ ٢٢٤، «المقتضب» للمبرد ٣/ ٧٥.

الإتيان[١].

فقولهم: (لئن) تستعمل فيما يستقبل، وجوابها يقع بالمستقبل، و(لو) تستعمل في الماضي، وجوابها يقع بالماضي، كقولك: لئن قمتَ لأقومنّ، ولو قمتَ قمتُ، هذا معنى الكلمتين ووضعهما في الأصل.

ثم إنّ العرب لما استجازت في الفعل المستقبل والماضي أن يقوم أحدهما مقام الآخر، استجازت تقريب إحدى هاتين الكلمتين من الأخرى في الجواب؛ لذلك أجيبت لئن بجواب لو في هذه الآية[٢]. ومثل هذا من تقريب إحداهما من الأخرى في التنزيل قوله: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا﴾ [الروم: ٥١] أجيب (لئن) بجواب (لو). وأجيبت (لو) بجواب (لئن) في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ﴾ [البقرة: ١٠٣] فقوله: ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ ميعاد للثواب في المستقبل، ومثل هذا يكون جوابًا لقولك: لئن. وهذا معنى قول الفراء؛ لأنه قال: أجيبت لئن بجواب لو؛ لأن الماضي وليها، كما يلي لو، فأجيبت بجواب لو، ودخلت كل واحدة منهما على أختها، وشبهت كل واحدة بصاحبتها[٣].

---

(١) بمعناه من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٤، وينظر: «الكتاب» لسيبويه ٣/ ٧٧، و١٠٧، و١٠٨، «المقتضب» للمبرد ٢/ ٤٦-٤٧، و٣٦٢.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٣.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٤، واختاره الطبري ٢/ ٢٤، ورده الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢٢٤، وينظر: «التبيان» للعكبري ص٩٩، وقال متعقبا رأي الفراء: وهو بعيد؛ لأن إن للمستقبل، ولو للماضي. وقال أبوحيان، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٠: اللام في (ولئن) هي التي تؤذن بقسم محذوف متقدم، فقد اجتمع القسم المتقدم المحذوف والشرط متأخر عنه، فالجواب للقسم، وهو قوله: (ما تبعوا)؛ ولذلك لم تدخله الفاء، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، وهو=

فأما التفسير: فإن اليهود والنصارى طلبوا من النبي ﷺ الآيات، فأنزل الله هذه الآية، وقد علم أهل الكتابين أن محمدًا حقّ، وصفته ونبوته في كتابهم، ولكنهم جحدوا مع تحقق علمهم، وما تغني الآيات عند من يجحد ما يعرف[(١)]؛ لذلك قال -عز من قائل-: ﴿مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ﴾.

فإن قيل: كيف قال هذا، وقد آمن منهم كثير؟

قيل: هذا إخبار عن جميعهم أنهم كلهم لا يفعلون[(٢)] ذلك[(٣)].

وقيل: إنه أراد الفريق الذين هم أهل العناد، وهم الذين عناهم بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ﴾[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ﴾ حسم بهذا إطماع اليهود في رجوعه ﷺ إلى قبلتهم؛ لأنهم كانوا يطمعون. وأكّد بهذا أنه لا ينسخ التوجه

= منفي بما، ماضي الفعل، مستقبل المعنى. ثم رد مذهب الفراء بقوله: وهذا الذي قاله الفراء هو بناء على مذهبه أن المقسم إذا تقدم على الشرط جاز أن يكون الجواب للشرط دون القسم، وليس هذا مذهب البصريين، بل الجواب يكون للقسم بشرطه المذكور في النحو، واستعمال (إن) بمعنى (لو) قليل، فلا ينبغي أن يحمل على ذلك، إذا ساغ إقرارها على وضع أصلها. وقال ابن عطية في: «المحرر الوجيز» ٢/ ١٧: وجاء جواب لئن كجواب لو، وهي ضدها في أن لو تطلب المضي والوقوع، وإن تطلب الاستقبال؛ لأنهما جميعا يترتب قبلهما معنى القسم، فالجواب إنما هو للقسم، لا أن أحد الحرفين يقع موقع الآخر، هذا قول سيبويه.

(١) ينظر: «تفسير مقاتل» ١/ ١٤٧، «تفسير الطبري» ٢/ ٢٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٥، «الكفاية» ١/ ١٨، «تفسير البغوي» ١/ ١٦٣.

(٢) في (ش): (لا يعقلون).

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ١٧، «التفسير الكبير» ٤/ ١٢٥، ونسبه إلى الحسن.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٣١.

إلى الكعبة[١]، وقيل في هذا: إنه لما قال: ﴿مَا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ﴾ قال: ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ على المقابلة، كما تقول: ما هم بتاركي إنكار الحق، وما أنت بتارك الاعتراف به، ويكون الذي جرّ الكلام الثاني التقابل للكلام الأول، وهو حسن من كلام البلغاء[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ أخبر أنهم وإن اتفقوا في الظاهر على النبي ﷺ مختلفون فيما بينهم. فاليهود تستقبل بيت المقدس، والنصارى تستقبل المشرق. واليهود لا تتبع قبلة النصارى، ولا النصارى تتبع قبلة اليهود[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ أي: صليت إلى قبلتهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ أن قبلة الله الكعبة ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: إنك إذن مثلهم[٤]، وأجيبت (لئن) ها هنا بجواب مثلها؛ لأنه أراد فيما يستقبل من الزمان.

وذكر أهل التأويل في قوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ وجهين:

أحدهما: أن الخطاب له ﷺ في الظاهر وهو في المعنى لأمته، كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١].

والثاني: أن الله تعالى خاطب نبيه -عليه السلام- بهذا مهددًا أمته، أي: إذا استحققت منا مثل ذا الجزاء عند مخالفة، لو وقعت منك، ولن تقع أبدًا

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٤، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٢.

(٢) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٣٢.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٤، ٢٥، والثعلبي ١/ ١٢٤٦، «التفسير الكبير» ٤/ ١٢٦، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٢، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٧-١٨.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٦.

كانوا هم أجدر وأخلق، بتكاثف الأوزار، واجتماع الآثام، عند ما يظهر منهم من إيثار الضلال والانحراف عن الحق.

وذكر **وجه ثالث**: وهو أن معنى ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم﴾ أي: في المداراة معهم حرصًا على إيمانهم ﴿إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لنفسك، إذ قد أعلمتك أنهم لا يؤمنون[١].

وذكرنا الكلام في معنى (إذن) عند قوله: ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣].

١٤٦- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ الآية، الكناية في ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾ تعود إلى محمد ﷺ عند أكثر المفسرين[٢]. وكنى عن محمد، وقد تقدم ذكره في الخطاب؛ على عادة العرب في تلوين الخطاب.

ويشهد بصحة[٣] هذا التأويل: ما روي أن عبد الله بن سلام قال لما نزلت هذه الآية، وسئل عن معرفته محمدًا ﷺ، فقال: والله لأنا بمحمد وصحة نبوته أعرف مني بابني؛ لأني لا أشك في أمره، ولا أدري ما أحدث النساء[٤].

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٤، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٨-١٩.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٦، وعزاه في «المحرر الوجيز» ٢/ ٢١ إلى قتادة ومجاهد، وعزاه في: «زاد المسير» ١/ ١٥٨ إلى ابن عباس، ولم يذكر ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٢٠٧ غيره، وقال في «البحر المحيط» ١/ ٤٣٥: « واختاره الزجاج ورجحه التبريزي، وبدأ به الزمخشري » وهو الذي رجحه أبو حيان.

(٣) في (م): (على صحة).

(٤) أخرجه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٤٦، من حديث ابن عباس، وفيه الكلبي، وينظر «الفتح السماوي» ١/ ١٩٥، «الوسيط» للواحدي ١/ ٢١٥، وذكره السمرقندي في «بحر العلوم» ١/ ١٦٦، والحيري في «الكفاية» ١/ ٨٢، =

وقال قتادة[١] والربيع[٢] وابن زيد[٣]: معناه: يعرفون أن أمر القبلة حق[٤].

وقوله تعالى: ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ قال ابن عباس: يعني النبي ﷺ وصفته في التوراة[٥]، وقال قتادة[٦] والربيع[٧]: يريد به: القبلة، والمسجد، والبيت، وأمر الكعبة[٨].

= والسمعاني في «تفسيره» ٢/ ٩٢، والواحدي في «أسباب النزول» ص٤٧، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٦٤، وأورده القرطبي في «تفسيره» بصيغة التمريض ٢/ ١٤٩. وعزاه ابن حجر في «العجاب» ١/ ٣٩٩ إلى يحيى بن سلام.

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٥، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٥٥.

(٢) رواه عنه الطبري ٢/ ٢٦، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٥٥، وروي عنه ما يوافق القول الأول، أخرجه عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ كما في «الدر المنثور» ١/ ٢٧١.

(٣) رواه عنه الطبري في ٢/ ٢٦.

(٤) وهذا اختيار الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٦، ورواه أيضًا عن ابن عباس والسدي، كما رواه ابن أبي حاتم عنهما في «تفسيره» ١/ ٢٥٥، وينظر: «زاد المسير» ١/ ١٥٨، قال الحافظ ابن حجر في «العجاب» ١/ ٤٠٠: وحاصله أن الضمير في قوله: (يعرفونه) للنبي ﷺ، وهو في آية الأنعام بعيد، وأما في آية البقرة فمحتمل، وقد جاء أن الضمير للبيت الحرام، كذا قال مقاتل بن سليمان.

(٥) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٤٧، ولم ينسبه لأحد، ورواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٦-٢٧، وابن أبي حاتم ١/ ٢٥٦ عن مجاهد، كما رواه ابن جرير ٢/ ٢٧، عن قتادة وخصيف بن عبد الرحمن.

(٦) روى الطبري في «تفسيره» عن قتادة ٢/ ٢٧ ما يوافق القول الأول.

(٧) رواه عنه الطبري ٢/ ٢٧، وابن أبي حاتم ١/ ٢٥٦.

(٨) ينظر: «تفسير مقاتل» ١/ ١٤٨، وعزاه في «زاد المسير» ١/ ١٥٨ إلى السدي، وقد جمع الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٤٧ بين القولين.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ لأن الله بيّن ذلك في كتابهم.

١٤٧- ثم قال: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: هذا الحق من ربك[١].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ لفظ خاص، ومعناه العموم، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد غيره[٢].

والمعنى: فلا تكونن من الممترين في الجملة التي أخبرتك من أمر القبلة، وعناد من كتم النبوة، وامتناعهم من الإيمان بك[٣]، والمِرْيَة: الشك، ومنه: الامتراء والتماري[٤].

١٤٨- قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ﴾ مختصر، أراد: ولكل أهل دين وِجهة[٥]. والوِجهة: اسم للمتوجَّه إليه. وقيل: الوجهة: الجهة.

قال الفراء: تقول العرب: هذا أمر ليس له وِجْهَةٌ، وليس له وَجْه[٦].

قال: وسمعت العرب تقول[٧]: وجِّه الحجر، وجِهةٌ مَّا لَه، وَوِجهةٌ مَّا لَه، ووَجهةٌ مَّا لَه[٨]، وجِهة مَّا له، ووَجْه ما له، معناه: ضعه غير هذه

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٧.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤، وقال: وكل ما ورد عليك من هذا النحو فهو سبيله.

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ٢١، ٢٢، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٤٩-١٥٠.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٧، «زاد المسير» ١/ ١٥٨، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٥٠، وقال الراغب في «المفردات» ص٤٦٩: المرية: التردد في الأمر، وهو أخصمن الشك، والامتراء والمماراة: المحاجة فيما فيه مرية.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٨.

(٦) في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٠ زيادة: وليس له جهة.

(٧) سقطت من (م).

(٨) في «معاني القرآن» ١/ ٩٠، وسمعتهم يقولون: وجه الحجر، جهةٌ ما له، ووجهة ما له، ووجهٌ ما له. وينظر: «اللسان» ٨/ ٤٧٧٥، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٢ «وجه».

الوَضْعة، والضِّعة والضَّعَة[(١)]. وأصله في البناء[(٢)]، يقولون: إذا رأيت الحجر في البناء لم يقع موقعه فأدِرْه، فإنه سيقع على جهته[(٣)].

قال أبو اسحاق: ومثله: وَضْعة وضِعَة وضَعَة[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ ذكرنا معنى التولية في قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ [البقرة: ١٤٤]. وقوله: ﴿هُوَ﴾[(٥)] ضمير اسم الله[(٦)] وقد حذف من الكلام أحد مفعولي الفعل الذي يتعدى إلى مفعولين وهو التولية، والتولية تقتضي[(٧)] مفعولين، كقوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً﴾ [البقرة: ١٤٤]. والتقدير هاهنا: الله موليها إياه، وإياه ضمير كل الموجَّه[(٨)] المولَّى، وتولية الله إياه إنما هي بأمره له بالتوجه إليها، أو بإرادته ذلك، هذا قول أبي علي[(٩)].

---

(١) في (ش) لم يكرر: ما له. وليس فيها: والضعه والضعة.

(٢) في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٠: ويقولون: ضعه غير هذه الوضعة، والضِّعة والضَّعة، ومعناه: وجِّه الحجر فله جهة، وهو مَثَلٌ.

(٣) من «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٠ بتصرف، وينظر في معاني الكلمة: «المفردات» ص٥٢٩، «اللسان» ٨/ ٤٧٧٦ (وجه).

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٥، ونصه: وكذلك يقال: ضَعَةٌ، ووَضْعة، وضِعَة.

(٥) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٥٩: وفي هو ثلاثة أقوال: أحدها: أنها ترجع إلى الله تعالى، فالمعنى: الله موليها إياهم، أي: أمرهم بالتوجه إليها. والثاني: ترجع إلى المتولي، فالمعنى: هو موليها نفسه، فيكون هو ضمير كل. والثالث: يرجع إلى البيت، قاله مجاهد، أمر كل قوم أن يصلوا إلى الكعبة.

(٦) قوله: (اسم الله) سقطت من (ش).

(٧) قوله: (أحد مفعولي..) سقطت من (ش).

(٨) في (ش): (المؤخر).

(٩) ينظر: «الحجة» ٢/ ٢٣٩.

وقال أبو إسحاق: قال أكثر أهل اللغة[١]: هو ضمير لكل، المعنى: هو مولّيها وَجْهَة، وجاء قوله: ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ على لفظ كل، ولو قيل: هم[٢] مولّوها على المعنى كما قال: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧] كان حسنًا، يريد: كل أهل وجهة هم الذين ولّوا وجوههم إلى تلك الجهة[٣]، ونحو هذا قال الفراء، فقال: هو مولّيها: مستقبلها، الفعل لكلٍ، يريد: كلٌّ مولّي وجهه إليها.

والتولية في هذا الموضع: الإقبال، وفي ﴿يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾ [آل عمران: ١١١] ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥] انصراف، وهو كقولك في الكلام: انصرِفْ إليّ، أي: أقبِلْ إلي، وانصرف إلى أهلك، أي: اذهب إلى أهلك[٤]، وهذا وجه آخر في ولّى، بمعنى: أقبل، وبمعنى: أدبر، غير ما ذكرنا في قوله ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ أنّ (ولّى) من الأضداد.

قال الزجاج: وكلا القولين جائز[٥]، أي: أن يكون ﴿هُوَ﴾ كناية عن الله تعالى. وأن يكون كناية عن كلّ.

---

(١) في «معاني القرآن» للزجاج: قال بعض أهل اللغة. وهو أكثر القول.

(٢) في (أ)، (م): (هو).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٥، وليس عنده: وجاء قوله كان حسنًا، وقال في «البحر المحيط» ١/ ٤٣٧: (وهو)، من قوله: (موليها)، عائد على (كل)، على لفظه، لا على معناه، أي: هو مستقبلها وموجه إليها صلاته التي يتقرب بها، والمفعول الثاني لموليها محذوف؛ لفهم المعنى، أي: هو موليها وجهه أو نفسه، قاله ابن عباس وعطاء والربيع، ويؤيد أن هو عائد على كل، قراءة من قرأ: هو مولاها.

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٥ بمعناه.

(٥) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٥.

وقرأ ابن عامر[١]: (هو مولّاها)[٢]. وعلى هذه القراءة الكناية تعود إلى كل فقط، والمفعولان مذكوران، وذلك أنه حذف الفاعل، وأضاف المفعول الأول إلى المفعول الآخر، الذي هو ضمير المؤنث العائد إلى الوجهة، أي: كلٌّ وُلِّي جهةً، وهذه القراءة تؤول في المعنى إلى القراءة الأولى[٣]؛ لأن التولية في المعنى استقبال، وما استقبلك فقد استقبلته، وما استقبلته فقد استقبلك.

وقال أبو[٤] الحسن النحوي فيما قرأته عليه: من قرأ بفتح اللام فحجته قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً﴾ فلما كان الله هو الذي يولّي القبلةَ فالإنسان مولًّى[٥] إياها، ومن قرأ بكسر اللام قال: لما كان الله هو الذي يولّي المتوجه القبلة؛ كان إسناد التولية إليه أولى. وموضع ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ رفع؛ لأنها جملة وقعت صفةً لقوله ﴿وِجْهَةٌ﴾[٦].

وقال الحسن في هذه الآية: هو كقوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحج: ٦٧][٧].

---

(١) في (م): (عباس). وعند الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٨٥: وقرأ ابن عباس وغيره. وكذا عند الطبري ٢/ ٢٩.

(٢) ينظر: «السبعة» ص١٧١، «الكشف» لمكي ١/ ٢٦٧، «النشر» ٢/ ٢٢٣.

(٣) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٤٠، وزاد: ألا ترى أن في (موليها) ضمير اسم الله ﷻ، فإذا أسند الفعل إلى المفعول به، وبناه له، ففاعل التولية هو الله تعالى، كما كانت القراءة الأخرى كذلك.

(٤) في (ش) سقطت (أبو).

(٥) في (ش) و(م): كتبت (مولي) بنقطتين.

(٦) ينظر: «التبيان» للعكبري ص٩٩-١٠٠، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٧.

(٧) وفي «البحر المحيط» ١/ ٤٣٧: وقال الحسن: وجهة: طريقة، كما قال: (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا).

وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ قال أهل التفسير: أراد: إلى الخيرات، فحذف حرف الجر[(١)]، كقول الراعي:

ثنائي عليكم يَا ابْنَ حَرْبٍ وَمَنْ يَمِلْ

سواكم فإني مهتدٍ غيرُ مائل[(٢)]

قال النحويون: ودعوى[(٣)] الحذف لا يطرد هاهنا، وليس[(٤)] الحذف من ضرورة هذا الكلام، فإن العرب تقول: استبقنا موضع كذا، أي: قصدناه متسابقين، كقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾ [يوسف: ٢٥] وقوله: ﴿فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ [يس: ٦٦] وقلَّ ما تراه مستعملا مع الخافض.

وقوله تعالى: ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ﴾ قال الفراء: إذا رأيت حروف الاستفهام قد وُصِلت بـ (ما) مثل: أينما، ومتى ما، وكيف ما ﴿أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ﴾ [الإسراء: ١١٠] كانت جزاء ولم تكن استفهامًا. فإذا لم توصل بـ (ما) كان الأغلب عليها الاستفهام، وجاز فيها الجزاء، فإذا كانت جزاءً جزمت الفعلين، الفعلَ الذي مع أينما وأخواتها، وجوابَه، كقوله: ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ﴾. فإذا أدخلت الفاء في الجواب، رفعت الجواب فقلت في مثله من الكلام: أينما تكن فآتيك، ومثله قوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ [البقرة:

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٩، «تفسير البغوي» ١/ ١٦٤، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٩، «الدر المصون» ١/ ٤٠٧.

(٢) البيت للراعي النميري، في مدح يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ينظر «ديوانه» ص١٩١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٩، «الدر المصون» ١/ ٤٠٧ وموضع الشاهد قوله: ومن يمل سواكم، أراد: ومن يمل إلى سواكم.

(٣) في (ش): (ومعنى دعوى).

(٤) سقطت من: (ش) .

١٢٦]. فإذا كانت استفهامًا رفعت الفعل الذي يلي: أين، وكيف، ثم نجزم[١] الفعل الثاني؛ ليكون جوابًا للاستفهام بمعنى الجزاء، كما تقول: هل أدلك على بيتي تأتني؟[٢].

فإذا[٣] أدخلْتَ في جواب الاستفهام فاءً نصبتَ، كما تقول: هل أدلك على بيتي فتأتيني؟ قال: ومثله قوله: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠][٤].

وقال أبو اسحاق: إنما تجزم ما بعدها، لأنها إذا وصلت بما جزمت ما بعدها، وكان الكلام شرطًا، وكان الجواب جزمًا كالشرط، وإن كانت استفهامًا، نحو: أين زيد؟ فأجبته أجبت بالجزم، تقول: أين بيتُك أزرْكَ؟ المعنى: إن[٥] أعرف بيتك أزرك[٦].

قال أبو علي، فيما استدرك عليه[٧]: لا فائدة تحت قوله: إنها إذا وصلت بما جُزِمت[٨]؛ لأنها تجزم ما بعدها في الشرط والجزاء، وُصلت

---

(١) في (م): (وجزمت). في (أ)، (م): (فإن).

(٢) ذكر الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٨٦ مثالًا غير هذا، فقال: كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ ثم أجاب الاستفهام بالجزم، فقال: تبارك وتعالى: (يغفر لكم ذنوبكم).

(٣) في (أ)، (م): (فإن).

(٤) من «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٥-٨٦.

(٥) في (ش): (أين).

(٦) بتصرف يسير من، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٦.

(٧) يعني في كتاب «الإغفال» لأبي علي الفارسي.

(٨) كرر كلام أبي إسحاق في نسخة (ش) وهو زيادة لا داعي لها.

بـ (ما)، أو لم توصل بها، فقوله إذن لا فائدة فيه، ولا نكتة تحته، كما لا فائدة في قول القائل: الفعل يرفعُ الفاعل إذا كان ماضيًا؛ لأنه يرفع ماضيًا كان أو آتيًا[١]، ومما جزم أين[٢] من غير وصلها بـ (ما). قول الشاعر:

أين تصرِفْ بنا الغداة تجدنا نصرف العيس نحوها للتلاقي[٣][٤]

وأما التفسير: فلأهل التفسير في هذه الآية طريقان:

أحدهما: التعميم. **والثاني**: التخصيص.

فأما التخصيص فقوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ أراد: القبلة في الصلاة لكل أهل دين[٥]، كما ذكرنا.

وقوله ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ قال الزجاج: أي: فبادروا إلى القبول من الله ﷻ، وولّوا وجوهكم حيث أمركم الله أن تولوا[٦]. وعلى هذا ﴿الْخَيْرَاتِ﴾ على صيغتها من العموم، وهي مخصوصة؛ لأنه أراد الابتدارَ إلى استقبال الكعبة.

وقوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ قيل: إنه في

---

(١) «الإغفال» ص٣٨٧.

(٢) في (ش): (أي).

(٣) البيت لابن همام السلولي في «الكتاب» ٣/ ٥٨، وبلا نسبة في «الإغفال» ص٣٨٩، «شرح ابن يعيش» ٤/ ١٠٥، «المقتضب» ٢/ ٤٨، «شرح الأشموني» ٣/ ٥٨٠، والرواية في بعض نسخ «الإغفال» وبعض المصادر:

أين تضرب بنا العُداة

(٤) من «الإغفال» ص٣٨٩، باختصار.

(٥) ينظر أثر ابن عباس والسدي وابن أبي زيد ومجاهد والربيع وعطاء في هذا: عند ابن جرير ٢/ ٢٨، ٢٩، وابن أبي حاتم ١/ ٢٥٦-٢٥٧.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٦، وينظر أثر قتادة عند الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٠.

المؤمنين خاصة، ومعناه: إن الذي سبق في علم الله أنه يصلي إلى الكعبة، فأينما يكونوا في شرق الأرض وغربها، وفي أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، يجمعهم الله على التوجه إلى هذه القبلة، فهذا محمول على صرف وجوه الناس إلى الكعبة للصلاة والمناسك[(١)].

وأما التعميم فقوله: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ قال عطاء، عن ابن عباس: يريد: من أراد وجهَ الله قبِلَ اللهُ منه، ومن أراد غير ذلك فإن الله يجزيه[(٢)]، يعني: أن من طلب في جميع ما يأتي وجهَ الله قبِلَ الله منه، ومن رايا وطلب غير الله بعلمه عَلِمَ الله ذلك منه. وهذا كما قال سعيد بن جبير في هذه الآية قال: لكلٍّ طريقةٌ هو مجبور عليها. وهذا كقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤] وكقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

وقوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ قال ابن عباس: يريد: تنافسوا فيما رغب فيه من الخير لكل عنده ثوابه[(٣)(٤)].

١٤٩- وقوله تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي: أينما تكونوا يجمعكم الله للحساب فيجزيكم بأعمالكم[(٥)].

---

(١) ينظر: «زاد المسير» ١/ ١٥٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٩.

(٢) تقدم الحديث عن هذه الرواية.

(٣) تقدم الحديث عن هذه الرواية، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٠ حيث روى عن الربيع وابن أبي زيد ما يدل على العموم، وكذا ابن أبي حاتم ١/ ٢٥٧، وينظر: «زاد المسير» ١/ ١٥٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٩، «التفسير الكبير» ٤/ ١٣١-١٣٣.

(٤) من قوله: (وقوله تعالى:...) ساقط من (أ)، (م).

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٠، والثعلبي ١/ ١٢٤٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٣٩.

١٤٩- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ الهاء تعود على شطر المسجد، ويجوز أن تعود إلى التوجه المدلول عليه بقوله: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾[١]، ومعنى: ﴿لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: بأمره وحكمه[٢].

١٥٠- قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ إنما كرر هذا؛ لأن هذا من مواضع التوكيد؛ لأجل النسخ الذي نُقلوا فيه من جهة إلى جهة للتقرير[٣].

وقوله تعالى ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ قيل: الحجة: فُعلة، من الحجّ الذي هو القصد؛ لأنها مقصودة للمخاصم، ومنه: المحجّة؛ لأنها تقصد بالسلوك. والمخاصمةُ يقال لها: المحاجّة؛ لقصد كل واحد من الخصمين إلى إقامة بينته وإبطال ما في يد صاحبه[٤].

وقوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ اختلف العلماء في وجه هذا الاستثناء، وهم في هذه الآية فريقان:

فريق أوّلوا الآية على سياقها، وصححوا الاستثناء على ظاهره[٥]،

---

(١) وهذا اختيار الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٠، وينظر: «التبيان» للعكبري ص١٠٠.

(٢) قال الطبري ٢/ ٣٠: وإن التوجه شطره للحق الذي لا شك فيه من عند ربك، فحافظوا عليه، وأطيعوا الله في توجهكم قِبَله. وقال في «البحر المحيط» ١/ ٤٣٩: هذا إخبار من الله تعالى بأن استقبال هذه القبلة هو الحق، أي الثابت الذي لا يعرض له نسخ ولا تبديل.

(٣) ينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٦٥، «المحرر الوجيز» ٢/ ٢٤.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٠، «المفردات» ص١١٥، «لسان العرب» ٢/ ٧٧٩ (حجج).

(٥) بين أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٤١ أن الاستثناء في الآية متصل، ونسبه إلى ابن عباس، قال: واختاره الطبري، وبدأ به ابن عطية، ولم يذكر الزمخشري غيره، وذلك أنه متى أمكن الاستثناء المتصل إمكانًا حسنًا كان أولى من غيره.

وهم مجاهد[١] وعطاء[٢] وقتادة[٣] والربيع[٤] والسدي[٥] وابن جرير[٦] وأبو روق[٧][٨]، قالوا: الناس هاهنا اليهود، كانوا يحتجون على رسول الله ﷺ في صلاتهم إلى بيت المقدس، ويقولون: ما درى محمد وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم نحن، ويقولون: يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا[٩]. وهذا كان حجتهم التي كانوا يحتجون بها على المؤمنين، على وجه الخصومة والتمويه بها على الجهال، فلما صرفت القبلة إلى الكعبة بطلت هذه الحجة[١٠].

ثم قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ وهم المشركون، فإنهم قالوا: قد تحيّر محمد في دينه، فتوجه إلى قبلتنا، وعلِم أنّا[١١] أهدى سبيلًا منه، ويوشك

---

(١) ينظر: «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٥٩، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٥١.

(٢) رواه عنه الطبري ٢/ ٣٢، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٥١.

(٣) رواه عنه الطبري ٢/ ٣٢، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٥١.

(٤) رواه الطبري ٢/ ٣٢، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٥١.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ٣٢، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٥١.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣١-٣٥.

(٧) هو عطية بن الحارث الهمداني الكوفي صدوق، صاحب تفسير، عده ابن حجر من طبقة صغار التابعين، ينظر: «تقريب التهذيب» ص٣٩٣ (٤٦١٥)، «الجرح والتعديل» ٣/ ٣٨٢.

(٨) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٤.

(٩) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣١-٣٢، ٢/ ١٩-٢٠، والثعلبي ١/ ١٢٥١، والبغوي ١/ ١٦٥، و«زاد المسير» ١/ ١٥٩-١٦٠، وزاد نسبة هذا القول لابن عباس وأبي العالية ومقاتل.

(١٠) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٦-٢٢٧، «البحر المحيط» ١/ ٤٤٢.

(١١) في (ش): (أننا).

أن يرجع إلى ديننا[١]، فهؤلاء تبقى لهم[٢] الخصومة . والحجةُ قد تكون بمعنى الخصومة، كقوله: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥] أي: لا خصومة[٣].

قال أبو روق: حجة اليهود أنّهم كانوا قد عرفوا أنّ النبيّ المبعوث في آخر الزمان قبلته الكعبة، وأنه يحوَّل إليها، فلما رأوا محمدًا ﷺ يصلي إلى الصخرة واحتجوا بذلك، فصرفت قبلته إلى الكعبة؛ لئلا يكون لهم عليه حجة إلا الذين ظلموا منهم[٤]، يريد: إلا الظالمين الذين يكتمون ما عرفوا من أنه يُحَوَّل إلى الكعبة.

وقال المفضَّل بن سلمة[٥]: المراد بالناس في هذه الآية: جميع الناس، كانوا يحتجّون على النبي ﷺ بأنه[٦] لو كان نبيًّا لكانت له قبلة، ولم يصلّ إلى قبلة اليهود، فلما حُوِّلت قبلته إلى الكعبة، بطل هذا الاحتجاج، إلا أن الظالمين يتعنتون ويخاصمون. فيقول المشركون ومن دان بدينهم:

---

(١) ذكر ذلك الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٢-٣٤، وابن أبي حاتم ١/ ٢٥٨، بسنده عن أبي العالية، ثم ذكر عن مجاهد وعطاء والسدي وقتادة والربيع بن أنس والضحاك، وينظر: «تفسير الثعلبي» ٣/ ١٢٥١، والبغوي ١/ ١٥٦.

(٢) في (أ)، (م): (فهو لانتقالهم الخصومة).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٢.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٥٤، والبغوي ١/ ١٦٥، وقد ذكر الرازي في «تفسيره» ٤/ ١٤٠ أربعة أوجه لتأويل كون الاستثناء متصلًا.

(٥) هو المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب الضبي، لغوي، كان كوفي المذهب في النحو، لقي ابن الأعرابي وغيره من العلماء، توفي في نحو ٢٩٠هـ كما في «الأعلام». ينظر: «إنباه الرواة» ٣/ ٣٠٥، «بغية الوعاة» ٢/ ٢٩٦-٢٩٧، «الأعلام» ٧/ ٢٧٩.

(٦) في (م): (لأنه).

إنما رجع إلى الكعبة؛ لأنها قبلة آبائه وهي الحق، وكذا يرجع إلى ديننا، ويقول اليهود: إنما انصرف عن بيت المقدس مع علمه بأنه حق؛ لأنه يفعل برأيه ويزعم أنه أُمِرَ به. وهذا مذهب أبي إسحاق، فإنه يقول: المعنى: لأن لا يكون للناس عليكم حجة إلا من ظلم باحتجاجه فيما قد وضح له، كما تقول: مالك علي حجة، وحجته داحضة عند الله -عز وجل- قال الله تعالى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ [الشورى: ١٦] فسماها حجة مع بطلانها.

وعلى هذا المذهب موضع (الذين) خفض على البدل من الناس: كما تقول: ما مررت بأحد إلا زيد. ويجوز أن يكون موضعه نصبًا على الاستثناء، كما يستثنى بعد الإيجاب، كقوله: ﴿مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦] من رفعه جعله بدلًا من الواو، ومن نصبه نصبه على الاستثناء[١]، وكذلك: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ [هود: ٨١] رفعًا ونصبًا[٢].

وأما الفريق الثاني فإنهم لم يصححوا الاستثناء، وعدلوا به عن ظاهره، وهم الأخفش والمؤرج والفراء ومعمر بن المثنى. قال الفراء والمؤرج: هذا استثناء منقطع من الكلام الأول، ومعناه: لأن لايكون للناس كلهم عليكم حجة إلا الذين ظلموا فإنهم يحاجّونكم بالظلم. هذا معنى قولهما، ثم قال الفراء: وهو كما تقول في الكلام: الناس كلهم حامدون إلا الظالم لك، فإن ذلك لا يُعتدّ به وبتركه الحمد لعداوته لك، وكذلك: الظالم لا حجة له وقد سمّي ظالمًا.

---

(١) قرأ ابن عامر بنصب قليل والباقون برفعها، ينظر: «السبعة» ص٢٣٥.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو إلا امرأتك برفع التاء. والباقون بنصبها. ينظر: «السبعة» ص٣٣٨.

قال ابن الأنباري: (إلّا) في الاستثناء المنقطع له معنيان:

أحدهما: أن يكون الذي بعدها مستأنفًا، يلابس الأول من جهة عائد عليه منها، أو معنى يقرب به منه، كقول القائل: قعدنا نتذاكر الخير وما يقرّبنا من الله، إلا أن قومًا يبغضون ما كنا فيه. فالذي بعد (إلا) مستأنف، يلبس بالأول من جهة المعنى، وذلك بغضهم لما كانوا فيه، فتأويل إلا: لكن قومًا. ولو لم يلتبس ما بعد (إلا) بما قبلها من وجه لم يكن الاستثناء معنى على جهة إيصال ولا انقطاع، ولذلك يقول النحويون: (إلا) في الاستثناء المنقطع بمنزلة (لكن)؛ لأن الذي بعد (لكن) مستأنف.

وبهذا قال الأخفش في هذه الآية، لأنه قال: معناه: لكن الذين ظلموا، كقوله: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧] يعني: لكن الذين يتبعون الظن ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ١٩-٢٠] يعني: لكن يبتغي، فيكون منقطعًا من الكلام الأول. وأما المتصل فإنه يخرج من أسماء تشاكله ومن فعل يخالف بخروجه منه ما قبله من الأسماء المذكورة، كما تقول: خرج القوم إلا زيدًا، فزيد من جنس القوم قد خالفهم بترك الخروج. والمنقطع لا يكون مخرجًا من الأسماء التي قبل إلا في الظاهر، ولكن من معنى من معاني الكلام يجب به الملابسة كما ذكرنا.

والمعنى **الثاني** في الاستثناء المنقطع: أن يكون مؤكدًا لما قبله، وذلك أن الرجل إذا قال: ارتحل الناس إلا الأثقال، أكّد ارتحال الناس بقوله: إلا الأثقال، وذهب إلى أنه إذا لم يبق إلا الأثقال، كان القوم كلهم مرتحلين، وكان تأويله: ارتحل الناس كلهم. وكذلك: مضى العسكر إلا الأبنية والخيام، معناه: مضوا أجمعون؛ لأنه إذا لم يبق إلا بناء وخيمة كان

القوم غير متخلف منهم واحد. ومنه قوله ﷻ: ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣] معناه :لكن ما قد سلف وأنتم غير مؤاخذين، فهو مستأنف يلابس الأول ،إذ كان أخرج من الأمور التي فيها المآثم والأوزار، فجعل لا مأثم فيه ولا وزر، ومثله قول النابغة:

.... وما بالربع من أحد
إلا أواري .... (١)

معناه: لكن، وضم الاستثناء؛ لأنها كانت مستثناة ممن كان بالربع، فالربع كان يشملهم، وهذا ملابسة بينهما، وأيضًا فإن هذا التأكيد لخلو الأرض؛ لأنه إذا لم يبق في الدار إلا الأواري كان خلوها من الإنس متيقنًا.

فهذان المعنيان ذكرناهما في الاستثناء المنقطع تحتملهما الآية؛ لأن الظالمين وإن لم يكن لهم حجة فهم يموّهون ويحتجون بالباطل، وأيضًا: فإنه إذا لم يكن لأحد عليهم حجة إلا من كان ظالمًا كان في هذا تأكيدًا لنفي الحجة.

فعلى المذهب الأول: الظالمون كانوا ظالمين بشركهم وكفرهم، وعلى المذهب الثاني: كانوا ظالمين لاحتجاجهم بما لا متعلق لهم به . وموضع (الذين) على هذا القول -وهو قول الفريق الثاني- نصب على أكثر العرب؛ لأنهم ينصبون ما كان من الاستثناء المنقطع كقوله:

إلا أواريّ .. .. ..

---

(١) تمام البيتين:

وقفتُ بها أصيلانًا أسائلها ... عيَّتْ جوابًا وما بالربع من أحدِ
إلا الأواريَّ لأيًا ما أبينها ... والنؤيُ كالحوض بالمظلومة الجَلَدِ

ينظر: «ديوانه» ص٩، «الأغاني» ١١/ ٢٧، «الخزانة» ٢/ ١٢٢.

غير أن بني تميم يجيزون البدل، كما يكون الاستثناء متصلًا، وعلى لغتهم ينشد:

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ ... إلّا اليعافيرُ وإلّا العِيسُ[(١)]

فجعل اليعافير بدلًا من الأنيس. والقرآن نزل بلغة أهل الحجاز فلذلك نصب كل مستثنى منقطع من الأول، كقوله: ﴿إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧] وقوله: ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ ثم قال: ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ [يس: ٤٣-٤٤] وكذلك قوله: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾ [الليل: ٢٠][(٢)].

وقال معمر بن المثنى: إلا هاهنا معناها: الواو، فهو عطفٌ عُطِف به ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على ﴿ٱلنَّاسِ﴾. والمعنى: لئلا يكون للناس والذين ظلموا عليكم حجة[(٣)]، واحتُجَّ على هذا المذهب بأبيات منها[(٤)]:

---

(١) الرجز لجران العود في «ديوانه» ص٩٧، «لسان العرب» ٧/ ٣٩٣٨ (كنز)، وأوضح المسالك ٢/ ٢٦١.

(٢) ينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٦٥، وقال في «البحر» ١/ ٤٤٢ مبينًا مثار الخلاف بين من قال بالاتصال والانقطاع هو: هل الحجة هو الدليل والبرهان الصحيح، أو الحجة هو الاحتجاج والخصومة؟ فإن كان الأول: فهو استثناء منقطع، وإن كان الثاني: فهو استثناء متصل.

(٣) ينظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٦٠-٦١، و«تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٥، و«تفسير البغوي» ١/ ١٦٦.

(٤) احتج أبو عبيدة بهذه الأبيات: الأول للأعشى:

إلا كخارجةَ المكلِّفِ نفسَه ... وابني قبيصة أن أَغيبَ وأشهدا

ومعناه: وخارجة. والثاني: لعنز بن دجاجة المازني:

من كان أسرع في تفرق فالج ... فلبونُه جَرِبتْ معًا وأغدَّتِ

إلا كناشرةَ الذي ضيّعتمُ ... كالغصن في غُلَوائه المتنبِّتِ

يريد وناشرة الذي ضيعتم.

وكـل أخٍ مـفـارِقُـهُ أخـوه لَـعَـمْـرُ أبـيـك إلا الـفـرقـدان[١]

فقال: أراد: و الفرقدان أيضًا يفترقان.

وما أنشده الأخفش[٢]:

وأرى لـهـا دارًا بـأغْـدِرَةِ الـسِّـ ـيـدَانِ لـم يَـدْرُس لـهـا رَسْـمُ

إلَّا رَمَـادًا خـامـدًا دَفَـعَـتْ عـنـهُ الـرِّيـاحَ خَـوَالِـد سُـحْـمُ[٣]

أراد: أرى دارًا ورمادًا[٤].

وهذا القول عند الفراء خطأ[٥]؛ لأن (إلا)[٦] لا يُخرج عن الاستثناء إلى النسق حتى يتقدمها عدد لا يصلح أن يستثنى منه، فتجري مجرى الواو إذا بطل فيها معنى الاستثناء، بيانه: قولك: لي على فلان ألفٌ إلا عشرةً إلا

---

(١) البيت. نسب لعمرو بن معدي كرب، ينظر: «ديوانه» ص١٧٨، «الكتاب» ٢/ ٣٣٤، «المؤتلف والمختلف» ص١٥١، ولعمرو أو لحضرمي في «خزانة الأدب» ٣/ ٤٢١. وهو بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٥، «لسان العرب» ٦/ ٣٤٠٢ «فرقد». والفرقدان: نجمان في السماء لا يغربان.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٥٢.

(٣) البيت للمُخَبَّل السعدي، ينظر: «ديوانه» ص٣١٢، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٦، «لسان العرب» ٢/ ١٢٢٥ (خلد)، «المفضليات» ص١١٣-١١٤. والأغدرة: جمع غدير، السِّيدان: أرض لبني سعد. الخوالد: البواقي وعنى بها: الأثافي. سحم: ذات لون يضرب إلى السواد.

(٤) سقط من (ش).

(٥) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٩، وخطأه أيضًا الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٣-٣٤، وقال في «البحر المحيط» ١/ ٤٤٢: وإثبات إلا بمعنى الواو، لا يقوم عليه دليل، والاستثناء سائغ فيما ادعى فيه أن إلا بمعنى الواو، وكان أبو عبيدة يضعِّف في النحو، ثم نقل تخطئة الزجاج لهذا القول.

(٦) كتبت في (ش): (لئلا).

مائةً، لا يصلح استثناء المائة من العشرة، فعادت المائة إلى الألف لا بالاستثناء ولكن بالعطف، كأنك أغفلت المائة فاستدركتها فقلت: اللهم إلا مائة فالمعنى: لي عليه ألف ومائة، وكما قال الشاعر:

ما بالمدينة دارٌ غيرُ واحدةٍ   دارُ الخليفة إلا دارُ مروانا[١]

كأنه قال: ما بالمدينة دار إلا دار الخليفة ودار مروان[٢].

فعند الفراء إنما تكون (إلا)[٣] بمنزله الواو إذا عطفتها على استثناء قبلها، لا يصلح أن يكون الثاني استثناء من الأول، كما بيّنا، ومن الناس من صوّب أبا عبيدة في مذهبه، وصحح قوله بما احتج به من الشعر.

وقال قطرب: الاستثناء في هذه الآية من الضمير في ﴿عَلَيْكُمْ﴾، المعنى: لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا على الذين ظلموا منهم فإن عليهم الحجة[٤]، وهذا الوجه اختيار أبي منصور الأزهري. حكاه لي أحمد بن إبراهيم المقبري -رحمه الله- عن الحسن بن محرم، عنه.

قال أبو بكر بن الأنباري: وهذا عندي بعيد رديء[٥]؛ لأن المكني المخفوض لا ينسق عليه إلا بإعادة الخافض، ولأن[٦] الكاف والميم في عليكم، للمخاطبين، فلو استثنى الذين ظلموا منهم لقال: إلا الذين ظلموا

---

(١) البيت للفرزدق في «الكتاب» ٢/ ٣٤٠، وليس في «ديوانه»، وبلا نسبة في «تذكرة النحاة» ص٥٩٦، «المقتضب» ٤/ ٤٢٥.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٨٩-٩٠.

(٣) سقطت من (ش).

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٧، «التفسير الكبير» ٤/ ١٤٠، «البحر المحيط» ١/ ٤٤٢، وممن ضَّعف هذا: الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٤.

(٥) ساقط من (أ)، (م).

(٦) في (ش): (ولكن).

منكم، فلما قال: (منهم) دلّ بالغيبة على أنّ الذين ظلموا لم[١] يُستثنَوا من الكاف والميم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ الكناية ترجع إلى الذين ظلموا، والمعنى: لا تخشوهم في انصرافكم إلى الكعبة، وفي تظاهرهم عليكم في المحاجّة والمحاربة[٢]، فإني وليكم،أُظْهركم عليهم بالحجة والنصرة[٣].

﴿وَاخْشَوْنِي﴾ في تركها ومخالفتها[٤].

﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ عطف على قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾[٥]، ولكن[٦] أتم نعمتي عليكم بهدايتي إياكم إلى قبلة إبراهيم فتتم لكم الملة الحنيفية[٧].

قال عطاء: عن ابن عباس: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ يريد: في الدنيا والآخرة، أما الدنيا: فأنصركم على عدوكم، وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأولادهم، وأما في الآخرة: ففي رحمتي وجنتي، وأزوجكم من الحور العين[٨].

وقال علي ﷺ: تمام النعمة: الموت على الإسلام.

---

(١) في (ش): (من).

(٢) في (ش): (والمجابهة).

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٧.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٧، والطبري ٢/ ٣٥، و«معالم التنزيل» ١/ ١٦٦.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٨، «البحر المحيط» ١/ ٤٢٢، «التبيان» ص١٠٠.

(٦) هكذا وردت في الأصول، ووردت في «الثعلبي»: ولكي. وهي أوضح في المعنى.

(٧) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٥٨، والطبري ٢/ ٣٥، والبغوي ١/ ١٦٦.

(٨) تقدم الحديث عن هذه الرواية في المقدمة.

وعنه أيضًا: النعم ست: الإسلام[١][٢]، والقرآن، ومحمد ﷺ، والستر، والعافية، والغنى عما في أيدي الناس[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ذكرنا معنى (لعل) فيما تقدم[٤]، ونظمُ الكلام يوجب طرح الواو؛ لأن معناه: ولأتم[٥] نعمتي عليكم لعلكم تهتدون بنعمتي، إلا أنه قد يحسن استعمال الواو في مثل هذا الموضع، ويستفاد منه أن يكون ما بعده جملة مبتدئة تتضمن الاتصال بما سبق من الكلام، ويحسن حذف الواو فيكون حينئذ اتصالًا محضًا لا يتضمن استئناف جملة، مثاله: أن تقول: أعطيتك وأكرمتك أرجو رُشْدك، ويحسن أن تقول: وأرجو رُشْدك، أي: بالإكرام والإعطاء، وإن كانت جملة مبتدئة.

١٥١- قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ الآية، تكلم النحويون وأرباب المعاني في أن الكاف في قوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ بماذا تتعلق، فذكروا فيه قولين[٦]، أحدهما: أنه متعلق بما قبله، وهو من صلة ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي﴾، فيكون المعنى: ولأتم نعمتي عليكم كإرسالي إليكم رسولًا، أي:

---

(١) ساقطة من (ش).

(٢) ذكره عنه الثعلبي ١/١٢٥٨، والبغوي ١/١٦٦.

(٣) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/١٢٥٨، وذكر أبوحيان في «البحر المحيط» ١/٤٤٣: ثمانية أقوال في معنى تمام النعمة، قال فيها: صدرت مصدر المثال، لا مصدر التعيين، وكل فيها نعمة.

(٤) وقد ذكر الثعلبي في هذا الموضع من «تفسيره» ١/١٢٥٨-١٢٦٠: معاني لعل.

(٥) في (ش): (لأتم).

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/٣٦، والثعلبي ١/١٢٦٢.

أتم هذه كما أتممت تلك، وبيان هذا: ما ذكر محمد بن جرير، قال: إن إبراهيم عليه السلام دعا بدعوتين:

إحداهما: قوله ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ الآية [البقرة: ١٢٨].

الثانية: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ الآية [البقرة: ١٢٩] وهو محمد ﷺ، فالله تعالى قال: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى﴾ ببيان شرائع ملتكم الحنيفية، وأهديكم لدين خليلي إبراهيم، ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ يعني[١]: فكما أجبتُ دعوته بابتعاث الرسول، كذلك أجيب دعوته بأن أهديكم لدينه، وأجعلكم مسلمين، فيكون هذا إجابةً لدعوته حيث قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً﴾[٢] وهذا الوجه اختيار الفراء[٣].

القول الثاني: أن ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ جواب لقوله: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ معناه: فاذكروني أذكركم كما أرسلنا، فيكون هذا بمنزلة جزاءٍ له جوابان، أحدهما: مقدم، والآخر: مؤخر، ومثله من الكلام: إذا أتاك عبد الله فَأتِه[٤] تُرْضِه، فقد صارت فأتِه تُرْضِه جوابين[٥].

---

(١) في (ش): (معنى).

(٢) «تفسير الطبري» ١/ ٣٥-٣٦ بتصرف. ورجحه مكي بن أبي طالب في «مشكل إعراب القرآن» ١/ ١١٤، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٤٤.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٢، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٦٢.

(٤) في (ش): كتبت: (فانه).

(٥) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٢، وذكر الثعلبي في «تفسيره» ١/ ٢٦٢، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٤٤ أن هذا قول مجاهد وعطاء والكلبي ومقاتل، وهو اختيار الأخفش والزجاج وابن كيسان والأصم، وردّ الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٦ قول من قال: معنى الآية: فاذكروني كما أرسلنا فيكم رسولا منكم أذكركم =

قال ابن الأنباري: وفسر بعض[١] أصحابنا هذا تفسيرًا شافيًا. فقال: (كما) شرط، والفاء في قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ جوابه، و﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ جواب الشرط المقدر من الأمر في ﴿فَاذْكُرُونِي﴾، وكذلك: إذا أتاك عبد الله فأتِه تُرضِه، (إذا) محمولة على معنى الشرط، والفاء جواب[٢] له، فلما جعل له جواب لشرط مقدر من الإتيان، قال: ولو اقتصر على قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ كان (كما) جوابًا له، فلما جُعِلَ له جوابٌ كان (كما) مذهوبًا به مذهب الشرط.

وهذا القول موافق لتفسير الآية؛ لأن الآية خطاب لمشركي العرب[٣]، خاطبهم الله تعالى بما دلّهم على إثبات رسالة محمد ﷺ فقال: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ﴾ محمدًا، وهو رجل منكم أمي، تعلمون أنه لم يتلُ كتابًا، فأنبأكم[٤] بأخبار الأنبياء، أي: فكما أنعمت عليكم بإرساله ﴿فَاذْكُرُونِي﴾

= وزعموا أن ذلك من المقدم الذي معناه التأخير، فأغربوا النزع وبعدوا من الإصابة، و حملوا الكلام على غير معناه المعروف، وسوى وجهه المفهوم. ثم فسر ذلك، ثم ذكر الرد على من قال بالجزاء الذي له جوابان، فقال: وهذا القول وإن كان مذهبا من المذاهب، فليس بالأسهل الأفصح في كلام العرب.
وذكر في «البحر المحيط» ١/ ٤٤٤: أن مكي بن أبي طالب رد هذا القول، وقال: لأن الأمر إذا كان له جواب لم يتعلق به فاقبله لاشتغاله بجوابه، وقد رد كلامه أبو حيان في «البحر» وفصَّل.

(١) في (م): (وفسر هذا).

(٢) في نسخة (ش): (والفاء جوابها وترضه جواب الشرط مقدر من الإتيان..) والمثبت من نسختي (أ)، (م).

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٦٢.

(٤) سقطت من (ش).

بتوحيدي، وتصديقه ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ برحمتي ومغفرتي والثناء عليكم[١].

قال ابن عباس: قوله: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ﴾ قال: هذا كله للمهاجرين والأنصار، فأوّل الآية الخطابُ عامٌّ؛ لأن الإرسال عام، وباقي الآية خاص؛ لأن تلاوته وتعليمه وتزكيته مما خص الله به أقوامًا دون[٢].

ومعنى قوله: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ أي: يعرضكم لما تكونون به أزكياء، من الأمر بطاعة الله، واتباع مرضاته[٣]، ويحتمل أن يكون المعنى: ينسبكم إلى أنكم أزكياء بشهادته لكم؛ ليعرفكم الناس به، وقد ذكرنا معنى التزكية فيما تقدم[٤].

١٥٢- قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ أصل الذكر في اللغة: التنبيه على الشيء، ومن ذكّرك شيئًا فقد نبهك عليه، وإذا ذكرته فقد تنبهت عليه، والذَّكرُ أَنْبَهُ من الأنثى. وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] أي: شرف لك، من النباهة. ومعنى الذكر: حضور المعنى للنفس، ثم يكون تارة بالقلب، وتارة بالقول، وليس موجبه أن يكون بعد النسيان؛ لأنه يستعمل كثيرًا دون أن يتقدمه نسيان[٥].

---

(١) من كلام الزجاج ١/ ٢٢٨، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٧، والثعلبي ١/ ١٢٦٢- ١٢٦٥، والبغوي ١/ ١٦٧.

(٢) سقط في نسختي: (أ)، (م). وأما في (ش) فبياض بمقدار كلمة ولعلها (أقوام).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٦-٣٧.

(٤) ينظر ما تقدم في قوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩].

(٥) ينظر في الذكر: «البحر المحيط» ١/ ٤٤٥-٤٤٦، «لسان العرب» ٣/ ١٥٠٧- ١٥٠٩ (ذكر)، وقال الراغب في «المفردات» ص١٨٤: الذكر ذكران: ذكر بالقلب، وذكر باللسان، وكل واحد منهما ضربان، ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان، بل عن إدامة الحفظ، وكل قول يقال له ذكر.

قال سعيد بن جُبير: (اذكروني) بطاعتي ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بمغفرتي[(١)]. وقيل: اذكروني بالدعاء أذكركم بالإجابة[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ تقول العرب: شكرته وشكرت له، ونصحته ونصحت له، في أحرف تسمع ولا تقاس. فمن قال: شكرتك، أوقع اسم المنعم موقع النعمة، فعدّى الفعل بغير وسيطة، والأجود: شكرت لك؛ لأنه الأصل في الكلام، والأكثر في الاستعمال[(٣)]. والنعمة محذوفة من الآية؛ لأن معنى الكلام: واشكروا لي نعمتي؛ لأن حقيقة الشكر إنما هو إظهار النعمة، لا إظهار المنعم. وكذلك ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ أي: لا تكفروا نعمتي[(٤)]؛ لأن أصل الكفر إنما هو ستر النعمة[(٥)] لا ستر

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٣٧، وأبو نعيم في «الحلية» ٤/ ٣١٤، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٦٣، وعزاه في «الدر» ١/ ٢٧٣ إلى عبد بن حميد، وأخرجه أبو الشيخ والديلمي من طريق جويبر عن ابن عباس مرفوعًا.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٦٧.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ١/ ٣٧-٣٨، «المفردات» ص٢٦٨، «لسان العرب» ٤/ ٢٣٠٥ (شكر)، قال: يقال: شكرته، وشكرت له، وباللام أفصح، وقال الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٩٢: العرب لا تكاد تقول شكرتك، إنما تقول: شكرت لك، ونصحت لك، ولا يقولون: نصحتك، وربما قيلتا. وقال في «البحر المحيط» ١/ ٤٤٧: وهو من الأفعال التي ذكر أنها تارة تتعدى بحرف الجر، وتارة تتعدى بنفسها وقالوا: إذا قلت شكرت لزيد، فالتقدير: شكرت لزيد صنيعه، فجعلوه مما يتعدى لواحد بحرف جر ولآخر بنفسه، ولذلك فسر الزمخشري هذا الموضع بقوله: واشكروا لي ما أنعمت به عليكم.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٦٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٤٧.

(٥) ينظر في الكفر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٧-٣٨، وقال في «المفردات» ص٤٣٥: وكفر النعمة وكفرانها: سترها بترك أداء شكرها والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالًا، والكفر في الدين أكثر، والكفور فيهما جميعًا.

المنعم. والأصل: لا تكفروني[١] بالياء، إلا أن أكثر ما جاء في القرآن حذف الياءات مع النون[٢][٣]، وقد حذفت مع غير النون، كقوله: ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾[٤] [ق: ٤١].

قال الفراء: وليست تتهيّب العرب حذف الياء من آخر الكلام[٥]، إذا كان ما قبلها مكسورًا، من ذلك ﴿أَكْرَمَنِ﴾ ﴿أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥-١٦] و﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ [النمل:٣٦] ومن غير النون ﴿ٱلْمُنَادِ﴾ [ق: ٤١] و﴿ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٨][٦] يكتفي من الياء بكسر ما قبلها، ومن الواو بضمة ما قبلها، مثل: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق: ١٨] و﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾ [الإسراء: ١١]. وقد تُسقط العرب الواو، وهي واو جِمَاع[٧]، اكتفاءً بالضمة قبلها، فيقال في ﴿ضَرَبُوا﴾: ضَرَبُ، وفي ﴿قَالُوٓا﴾: قالُ، وهي في هوازن وعُليا قيس. قال بعضهم:

إذا ما شاءُ ضرّوا من أرادوا ... ولا يألوهم أحدٌ ضرارا[٨][٩]

---

(١) في (ش)، (م): (لا تكفرون).

(٢) (النون) سقطت من (م).

(٣) ينظر: «الكتاب» لسيبويه ٤/ ١٨٦، «المقتضب» ٤/ ٢٤٦.

(٤) في (م): (ينادى المنادي).

(٥) في(م): (النون).

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٨، وقال فيه: الأكثر الذي أتى به القراء حذف الياءات مع النون.

(٧) في (ش): (اجماع).

(٨) (ما) ساقطة من (أ)، (م). وفيهما: «ضرار». وفي (م)، (ش): (ضربوا)، وهو تحريف.

(٩) البيت بلا نسبة في «الإنصاف» ص٤٣٠، «همع الهوامع» ١/ ٥٨، وأورده البغدادي في «شرح شواهد المغني» ٢/ ٨٥٩، وقال: هذا البيت مشهور في تصانيف =

وأنشد الكسائي:

فلو أنّ الأطِبّا كانُ حولي ... وكان مع الأطبّاءِ الأُسَاةُ[١][٢]

١٥٣- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ قال مقاتل: استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض، وبالصلوات الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب[٣]. وذكرنا أن معنى الصبر في اللغة: الحبس[٤]، فالاستعانة بالصبر هو أن يستعين على دينه بحبس النفس عن[٥] الشهوات والمحارم، وحبسها على[٦] الطاعات[٧]. ومعنى الاستعانة بالصلاة: قال الزجاج: أي: أنكم إذا صليتم تلوتم في صلاتكم ما تعرفون به فضل ما أنتم عليه، وكان ذلك لكم عونًا[٨].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ قال عطاء، عن ابن عباس:

= العلماء، ولم يذكر أحد منهم قائله. وذكر الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٩١ بيتًا هو:

متى تقول خلت من أهلها الدار ... كأنهم بجناحي طائر طاروا

(١) البيت بلا نسبة في «أسرار العربية» ص٣١٧، «جواهر الأدب» ص٢٠٨، وينظر: «الخزانة» ٢/ ٣٨٥. والأُساة: جمع آس، وهو هنا: من يعالج الجرح.

(٢) من «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩١.

(٣) ينظر: «تفسير مقاتل» ١/ ١٥٠، وعبارته: استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض والصلوات في مواقيتها نحو الكعبة، حين عيرتهم اليهود بترك قبلتهم.

(٤) ينظر في الصبر ومعناه وحقيقته: كتاب ابن القيم الماتع: «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين».

(٥) في (ش): (من).

(٦) في (ش): (عن).

(٧) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٣٨.

(٨) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٩.

يقول: إني معكم أنصركم ولا أخذلكم[١].

وقال أبو اسحاق: تأويله: أنه يظهر دينهم على سائر الأديان؛ لأن من كان الله معه فهو الغالب، كما قال ﷻ: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦][٢].

١٥٤- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ يرتفع بإضمار المكني، تقريره: لا تقولوا: هم أموات. ولا يجوز إيقاع القول على الأسماء ،لا يجوز أن تقول: قلتُ عبد الله قائمًا، وإنما يجوز إيقاع القول على[٣] اسم في معنى قول، من ذلك قولك: قلت خيرًا، وقلت شرًا، نصبتهما؛ لأنهما قول، كأنك قلت كلامًا حسنًا أو قبيحًا[٤].

نزلت الآية في قتلى بدر من المسلمين، وذلك أن الناس كانوا يقولون لمن يقتل في سبيل الله: مات فلان، وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها، فأنزل الله هذه الآية[٥].

---

(١) تقدم الحديث عن هذه الرواية في المقدمة.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٢٩.

(٣) من قوله: (الأسماء..) ساقط من (ش).

(٤) بمعناه من كلام الفراء في «معاني القرآن» ١/ ٩٣، «تفسير الطبري» ٢/ ٣٨-٣٩، «المحرر الوجيز» ٢/ ٣٠-٣١، «البحر المحيط» ١/ ٤٤٨.

(٥) ذكره مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٥٠، وعدَّ أسماء القتلى، وأبو الليث السمرقندي في «بحر العلوم» ١/ ١٦٩، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٦٩، والواحدي في «أسباب النزول» ص٤٧-٤٨، والحيري في «الكفاية» ١/ ٨٧، والسمعاني ٢/ ١٠٠، والماوردي مختصرا في «النكت والعيون» ١/ ٢٠٩، وعزاه السيوطي في «الدر» ١/ ٣٨٤ لابن منده في المعرفة، من طريق السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وهذه سلسلة الكذب. وحكى ابن عطية في «المحرر» ٢/ ٣٠-٣١ في سببها، دون أن ينسبه إلى أحد، أن المؤمنين صعب عليهم فراق=

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ أي: بل هم أحياء، والأحسن في حياة الشهداء، وكيفية وصفهم بها[١] ما قال رسول الله ﷺ: «**إن أرواح الشهداء في أجوافِ طيرٍ خُضْرٍ، تسرَحُ في ثمار الجنة، وتشرب من أنهارها، وتأوي بالليل إلى قناديلَ من نورٍ معلّقةٍ بالعرش**[٢]».

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ أي: ما هم فيه من النعيم والكرامة، وقيل ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ أنهم أحياء[٣].

فإن قيل: كيف لا يشعرون وقد أخبر الله بذلك؟

قلنا: أراد: لا يحسّون ذلك؛ لأنهم لا يشاهدون[٤]، وهذا النوع من العلم مقتضى[٥] الشِعْرِ، وذكرنا هذا في أول السورة[٦]، وبيّنّا أنه لهذا المعنى لا يقال: الله يشعر.

١٥٥- قوله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ النون فيه للتأكيد، واللام جواب قسم

= إخوانهم وقراباتهم، فنزلت مسلية لهم، تعظم منزلة الشهداء، فصاروا مغبوطين لا محزونا عليهم. ينظر: «العجاب» لابن حجر ١/ ٤٠٣-٤٠٥، «البحر المحيط» ١/ ٤٤٨.

(١) سقطت من (م).

(٢) أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود (١٨٨٧) كتاب الإمارة، باب: بيان أن أرواح الشهداء في الجنة.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٧٠، «البحر المحيط» ١/ ٤٤٨، وقال: ولكن لا تشعرون بكيفية حياتهم، ولو كان المعنى بأحياء: أنهم سيحيون يوم القيامة أو أنهم على هدى، فلا يقال فيه ولكن لا تشعرون؛ لأنهم قد شعروا به.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٤٠.

(٥) في (ش): (فيقتضي).

(٦) عند قوله: ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾ [البقرة: ٩].

محذوف، وفتحت الواو لالتقاء الساكنين في قول سيبويه، وقال غيره: إنّها مبنية على الفتح[١].

ومعنى ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم﴾ أي: نعاملكم معاملة المبتلي؛ لأن الله تعالى يعلم عواقب الأمور، فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعرف العاقبة، ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلي، فمن صبر أثابه على صبره، ومن لم يصبر لم يستحقّ الثواب، فيكون في ذلك إلزام الحجة[٢].

وقوله تعالى: ﴿بِشَيۡءٖ﴾ ولم يقل: بأشياء، وقد ذكر بعده ما هو أشياء لمكان (من)، والمعنى: بشيء من الخوف وشيء[٣] من الجوع، وهو كقول القائل: أعطني شيئًا من الدراهم، ومن الطعام، فيصير شيء كالمكرر في المعنى، ولو كان (بأشياء) كان صوابًا[٤].

قال ابن عباس: ﴿مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ﴾ يعني خوف العدو[٥]، ﴿وَٱلۡجُوعِ﴾ يعني: المجاعة والقحط، ﴿وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾ يعني: الخسران والنقصان

---

(١) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٠، وعنده: وقال غيره من أصحابه، وتتمة كلامه: وقد قال سيبويه في لام يفعل، لأنها مع ذلك قد تبنى على الفتحة، فالذين قالوا من أصحابه: إنها مبنية على الفتح غير خارجين من قول له، وكلا القولين جائز. ينظر: «الكتاب لسيبويه» ٣/ ٥١٨-٥٢١.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٤١، «تفسير البغوي» ١/ ١٦٩.

(٣) في (م)، (ش): (شيئًا).

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣١٢، «تفسير الطبري» ٣/ ٤١، «البحر المحيط» ١/ ٤٥٠، وقال: أفرده ليدل على التقليل؛ إذ لو جمعه فقال: بأشياء، لاحتمل أن تكون ضروبًا من كل واحد مما بعده.

(٥) ذكره عن ابن عباس: الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٧٤، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٣٦، و«البغوي» ١/ ١٦٩، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٥٩.

في المال وهلاك المواشي، ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ يعني: الموت والقتل. وقيل: المرض. وقيل: الشيب، ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ يعني: الجوائح، وأن لا تخرج الثمرة كما كانت تخرج[(١)].

قال أبو إسحاق وابن الأنباري: تأويل الآية: ولَنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع لتصبروا عليه، فيكون صبركم داعيًا من يخالفكم من الكفار إلى اتباعكم والدخول فيما أنتم عليه، وذلك أنهم يقولون: لم يصبر هؤلاء القوم على هذا الدين الذي امتُحِنوا فيه بما امتِحِنوا ونالتهم فيه الشدائد إلا بعد ما قامت براهينُ صحته عندهم، ولم يداخلهم ريب في أنه هو الحق، فيكون ذلك أدعى إلى الإسلام[(٢)].

قال أبو بكر: وقيل في الآية: ولنختبرنّكم[(٣)] بشيء من الخوف والجوع، لتنالوا به درجةً، وتصلوا معه إلى منزلة لولا هو ما وصلتم إليها، ولكي[(٤)] تتضرعوا في كشفه عنكم، فتكتسبوا بذلك حظًا من الثواب جزيلًا.

وقال الشافعي ﷺ: يعني بالخوف: خوف الله ﷻ، وبالجوع: صيام شهر رمضان، وبنقص من الأموال: أداء الزكوات والصدقات، والأنفس: الأمراض، والثمرات: موت الأولاد؛ لأن ولد الرجل ثمرة قلبه[(٥)]. وقد

(١) هذا من رواية عطاء وقد تقدم الحديث عنها، وقد ذكر هذا بتمامه: الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٧٤، وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٦٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٥٠.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣١.

(٣) في (ش): (لنختبرنكم).

(٤) في (م): (ولكن).

(٥) ذكره عن الشافعي: الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٧٤، والبغوي ١/ ١٦٩، والرازي ٤/ ١٦٧، وأبو حيان في «البحر» ١/ ٤٥٠، وذكره ابن كثير في «تفسيره» ١/ ٢١١ قائلًا: وقد حكى بعض المفسرين، ثم قال: وفي هذا نظر.

سمى رسول الله ﷺ الولد ثمرة القلب(١) في بعض الأحاديث.

وفي قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ دليل على أن من صبر على هذه المصائب أعطاه الله تعالى في العاجل والآجل ما هو أعمّ نفعًا له.

١٥٦- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ﴾ الآية، من الناس من يجعل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ، وخبره قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ومنهم: من يجعله صفة للصابرين(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَصَٰبَتۡهُم﴾ يقال في المصدر: الإصابة، والمُصَابة، والمُصَاب. أنشد الفراء:

فلو أنّا بكينا من مُصَابِ   على حَدَثٍ بكينا سَيِّدَيْنَا

(١) رواه البزار عن ابن عمر، وفيه: أبو مهدي سعيد بن سنان، وهو ضعيف متروك، ينظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي ٨/ ١٥٥، وينظر: «كنز العمال» ١٦/ ٢٨٤، برقم ٤٤٤٨٥. وقد أخرج الترمذي في كتاب الجنائز، باب: فضل المصيبة إذا احتسب ٣/ ٣٣٢، (١٠٢١) عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ قالوا: نعم، قال: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ قالوا: نعم، قال: فماذا قال عبدي؟، قالوا: حمدك واسترجع، قال: ابنوا له بيتًا في الجنة، وسموه بيت الحمد» وقال: هذا حديث حسن، ورواه عبد بن حميد [برقم ٥٥١]، وأبو نعيم في «زوائده على الزهد» لابن المبارك ص١٠٨، وابن حبان في «صحيحه» ٧/ ٢١٠، والثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٧٤، والبغوي في «تفسيره» ١/ ١٣٠، قال ابن حجر في «الكاف الشاف» ص١٢-١٣. أخرجه أحمد [٤/ ٤١٥] وغيره من حديث أبي موسى، وصححه ابن حبان، ورواه البيهقي في الشعب مرفوعًا وموقوفًا وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم ١٤٠٨: الحديث بمجموع طرقه حسن على أقل الأحوال.

(٢) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٥١، وقال عن الأول: إنه محتمل، وعن الثاني: إنه ظاهر الإعراب، وذكر أيضا: أنه منصوب على المدح، أو مرفوع على إضمار هم على وجهين: إما على القطع، أو على الاستئناف.

وأنشد أيضًا:

أَظُلَيْمُ إن مُصَابَكُمْ رَجُلًا أهدى السلامَ تحيةً ظُلْمُ[1]

ومعنى المصيبة: هي التي تصيب بالنكبة، ولا يقال فيما يصيب بخير: مصيبة[2]، وياؤها منقلبة عن واو، هي عين الفعل.

فأما جمعها: فحكى سيبويه: أن بعضهم قال في جمع مصيبة: مصائب فهمز، وهو غلط، وإنما هو مُفْعِلَة فتوهموها فَعِيلَة.

قال: ومنهم من يقول: مصاوب، فجيء به عن الأصل والقياس. هذا كلامه[3]، ومثل هذا الغلط في جمع مصيبة على مصائب بالهمزة: قراءة من قرأ (معائش) بالهمز، وقد شرحنا ذلك مستقصى.

قال أبو علي الفارسي: قول سيبويه: وتوهموها فعيلة، أي: توهموا

---

(١) البيت للحارث بن خالد المخزومي في «ديوانه» ص٩١، «الاشتقاق» ص٩٩، و١٥١، «الأغاني» ٩/ ٢٢٥، «خزانة الأدب» ١/ ٤٥٤، «إنباه الرواة» ١/ ٢٤٩، «اللسان» ٤/ ٢٥١٩، (صوب) «المقاصد النحوية» ٣/ ٥٠٢، «المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية» ٧/ ١٩٠.

وظليم: ترخيم ظليمة، ويروى: أظلوم، وظليم: هي أم عمران زوجة عبد الله بن مطيع وكان الحارث يُنْسب بها، ولما مات زوجها تزوجها.

ورجلًا منصوب بمصاب، يعني: إن إصابتكم رجلًا، وظُلْمُ: خبر إن.

(٢) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٥١.

(٣) بمعناه من «الكتاب» لسيبويه ١/ ٣٥٦، وقال الزجاج فيما نقله الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٩٥٦ «صاب»: أجمع النحويون على أن حكوا مصائب في جمع: مصيبة، بالهمز، وأجمعوا على أن الاختيار: مصاوب، ومصائب عندهم بالهمز من الشاذ، قال: وهذا عندي إنما هو بدل من الواو المكسورة، كما قالوا: وسادة وإسادة.

الياء التي في مصيبة، وهي منقلبة عن العين، التي هي واو الياء التي للمد، التي في نحو سفينة وصحيفة، فهمزوا الياء المنقلبة عن الواو التي هي عين الفعل، كما همزوا الياء التي للمد، في نحو: سفائن وصحائف، ولا تشبه هذه الياء تلك، ألا ترى أن هذه منقلبة عن واو، هي عين أصلها الحركة، وتلك زائدة للمد، لاحظَّ لها في الحركة. ومثل هذا مما حمله أبو الحسن على الغلط: قول بعضهم في جمع مَسيل: مُسْلان، فمسيل مَفعِل، والياء فيه عين الفعل، فتوهم من قال: مُسْلانِ أنها زائدة للمد، فجمعه على فُعلان، كما يجمع قضيب على قُضبان[1]، وعند أبي إسحاق: الهمزة في مصائب بدل من الواو المكسورة على حد إبدالها في إسادة[2].

قال أبو علي: وليس القول عندي كذلك؛ لأن المكسورة غير أول لا تبدل كالمفتوحة، ألا ترى أنهم قالوا: أناةٌ؟ فأبدلوا الواو أولًا، ولم يلزموا البدل غير أول، مع تكررهما في أَحْوويّ ونحوه، فكذلك المكسورة لا يجوز إبدالها غير أول[3] إذ لم تجئ في شيء مكسورة مبدلة غير أول، وإذا كان كذلك، كان قوله في مصائب عاريًا من دلالة تبينه، وخاليًا من نظير يردّ إليه، ويستشهد به[4] عليه، وقول النحويين: إنه على جهة الغلط أشبه

---

(١) ذكر الأزهري في «تهذيب اللغة» ٤/٣٣٩٨ «مسل» أن القياس في مسيل الماء: مسايل، غير مهموز، ومن جمعه: أمسِلة، ومُسُلا، ومُسلانًا، فهو على توهم أن الميم في المسيل أصلية، وأنه على وزن فعيل، ولم يرد به مفعِلا، كما جمعوا مكانا: أمكنة، ولهما نظائر.

(٢) ينظر كلامه فيما نقله الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/١٩٥٦ (صاب).

(٣) من قوله: (تبدل كالمفتوحة..) ساقط من (ش).

(٤) في (أ)، (م): (ويستشهد به دل عليه).

بالصواب من حيث كان أكثر نظيرًا. وقوله إنما يحصل[١] فيه على دعوى مجردة من البرهان.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ أي: نحن وأموالنا لله، ونحن عبيد يصنع بنا ما يشاء، وفي ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ إقرار له بالعبودية ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ﴾ إقرار بالبعث والنشور[٢].

ومعنى الرجوع إلى الله: الرجوع إلى انفراده بالحكم، كما كان أول مرة، إذ قد مَلَّك قومًا في الدنيا شيئًا من الضر والنفع لم يكونوا يملكونه، ثم يرجع الأمر إلى ما كان، إذا زال تمليك العباد[٣].

وقال أبو بكر الوراق: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾: إقرار منّا له بالملك ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾: إقرار على أنفسنا بالهلك[٤]، وظاهر الخطاب في هذه الآية يقتضي أن يكون قول القائل: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ على إثر المصيبة من غير أن يتخللها جزع؛ ليستحق الثواب الموعود. يؤيد هذا: ما روي أن النبي ﷺ قال لامرأة جزعت ثم راجعت: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»[٥]. الصبر الموعود عليه الأجر والثواب[٦].

---

(١) في (ش): كأنها: (يتحصل).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٤٢، «المحرر الوجيز» ٢/ ٣٤، «البحر المحيط» ١/ ٤٥١.

(٣) في (ش): (العبادة).

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٧٧، والرازي في «تفسيره» ٤/ ١٧١، وذكره القرطبي في «تفسيره» ٢/ ١٦١ [دون نسبة].

(٥) أخرجه البخاري (١٢٨٣) كتاب الجنائز، باب: زيارة القبور، ومسلم (٩٢٦) كتاب الجنائز، باب: في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى.

(٦) ينظر في ذلك: كتاب «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» ص١١٤ وما بعدها.

١٥٧- قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ﴾ قد ذكرنا معنى الصلاة واشتقاقها فيما تقدم(١)، وهي في اللغة: الدعاء، ومنه قوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يسكنهم(٢).

وقال أبو عبيدة: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ﴾ يقول: ترحّم من ربهم(٣)، واحتجّ بقول الأعشى:

تقولُ بنتي وقد قَرّبْتُ مُرْتَحِلًا
يا رَبِّ جَنِّبْ أَبِي الأوصابَ والوجعا
عليكِ مِثْلُ الذي صلَّيتِ فاغتمضي
نومًا فإنّ لجنب المرء مضطَجَعا(٤)

يروى (مثل) رفعًا ونصبًا، فمن نصب فهو إغراء، ومن رفع فهو ردّ عليها، كأنه قال: عليك مثل دعائك، أي: ينالك من الخير مثل الذي أردت لي. فأبو عبيدة يجعل صليت بمعنى: ترحمت، وغيره من أهل اللغة يجعله بمعنى: دعوت، وأحدهما يقرب من الآخر؛ لأن المترحم على الإنسان داعٍ له، والداعي للإنسان مترحّم عليه(٥)، ولهذا المعنى كان الصلاة منّا دعاء،

---

(١) تقدم ذلك عند قوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة﴾ [البقرة: ٣].

(٢) ينظر في معنى الصلاة: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٠، «المفردات» ص٢٨٧ قال:.. والصلاة، قال كثير من أهل اللغة: هي الدعاء والتبريك والتمجيد، يقال: صليت عليه، أي دعوت له وزكيت وصلوات الرسول، وصلاة الله للمسلمين هو في التحقيق تزكيته إياهم، ومن الملائكة هي الدعاء والاستغفار كما هي من الناس.

(٣) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ص٦١-٦٢.

(٤) البيتان في «ديوانه» ص١٠٦، وفي «الخزانة» ١/ ٣٥٩، و«مراتب النحويين» ص١٩٤.

(٥) سقطت من (م).

ومن الله تعالى رحمة[١].

وأنشد الأزهري في تفسير هذه الآية قول الشاعر:

صلّى على يحيى وأشياعه ربٌّ كريمٌ وشفيعٌ مُطاعْ[٢]

قال: معناه[٣]: ترحم الله عليه، على الدعاء، لا على الخبر.

ثعلب عن ابن الأعرابي قال: الصلاة[٤] من الله رحمة، ومن المخلوقين: الملائكة والإنس والجن القيام والركوع والسجود والدعاء والتسبيح، ومن الطير والهوام: التسبيح، ومنه قوله: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور: ٤١].

فالصلاة لها معانٍ بالتدريج، أصلها: الدعاء، ثم صارت الرحمة، لما ذكرنا من أن الداعي مترحّم، ثم صارت للمغفرة؛ لأن الترحم يوجب المغفرة، ومن ترحم الله عليه غفر له، وفسر ابن عباس الصلوات في هذه الآية بالمغفرة، فقال: ﴿صَلَوَٰتٌ﴾ أي: مغفرة من ربهم[٥].

---

(١) قال الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢٣١: الصلاة في اللغة على ضربين: أحدهما: الركوع والسجود، والآخر: الرحمة والثناء والدعاء، فصلاة الناس على الميت، إنما معناها الدعاء، والثناء على الله صلاة، والصلاة من الله ﷻ على أنبيائه وعباده معناها: الرحمة لهم والثناء عليهم، وصلاتنا: الركوع والسجود كما وصفنا، والدعاء صلاة.

(٢) البيت للسفاح بن بكير اليربوعي، في «شرح اختيارات المفضل» ص١٣٦٢، وقيل: هو لرجل من قُريع يرثي يحيى بن ميسرة صاحب مصعب بن الزبير. ينظر: «الخزانة» ١/ ١٤١، وبلا نسبة في «لسان العرب» ٤/ ٢٤٩٠ (صلا).

(٣) في (ش): (ومعناه).

(٤) في (ش): (الله من الله). وهو خطأ.

(٥) ذكره عن ابن عباس الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٨٠، وبهذا فسر الطبري الرحمة=

وقيل في قوله ﷺ: «اللهم صلّ على آل[1] أبي أوفى[2]» أي: ارحمهم، واغفر لهم. قال ابن كيسان: وجَمَع الصلوات؛ لأنه عنى بها رحمةً بعد رحمة[3].

وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ قال ابن عباس: ونعمة[4].

وقال أهل المعاني: إنما ذكر الرحمة، ومعنى الصلوات هاهنا: الرحمة؛ لإشباع المعنى، والاتساع في اللفظ[5]. ومثله قوله: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقال ذو الرمة:

لمياءُ في شفتيها حُوَّة لَعَسٌ[6]

= ٢/ ٤٢، ورواه ابن أبي حاتم ١/ ٢٦٥ عن سعيد بن جبير، وفسر ابن كثير هذه اللفظة ص١/ ٢١١، فقال: ثناء من الله عليهم ورحمة. وكأنه يشير إلى تفسير أبي العالية لصلاة الله على نبيه ﷺ حيث قال: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء. ذكره البخاري (٤٧٩٧) كتاب التفسير، باب: (إن الله وملائكته يصلون على النبي). حديث: قبل، ينظر: «فتح الباري» ٨/ ٥٣٢.

(١) سقطت من (ش).

(٢) أخرجه البخاري (٤١٦٦) كتاب المغازي، باب: غزوة الحديبية، ومسلم (١٠٧٨) كتاب الزكاة، باب: الدعاء لمن أتى بصدقته.

(٣) ذكره في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٠.

(٤) ذكره في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٠.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ٤٧٨، «معالم التنزيل» ١/ ١٧٠، «المحرر الوجيز» ٢/ ٣٤.

(٦) عجز البيت:

وفي اللثات وفي أنيابها شَنَبُ

وهو في «ديوانه» ص٣٢، «لسان العرب» ٤/ ٢٣٣٦ (شنب).

وتفعل العرب ذلك كثيرًا إذا اختلف اللفظ، ألا ترى أنّ اللعَس حُوَّة، فكرر لما اختلف اللفظان.

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد: الذين اهتدوا للترجيع[١]. وقيل: إلى الجنة والثواب، وقيل: إلى الحق والصواب[٢]، وكان عمر ﷺ إذا قرأ هذه الآية قال: نعم[٣] العِدلان، ونعمت العلاوة[٤][٥].

١٥٨- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، الصفا: جمع صفاة، وهي: الحجارة.

قال أبو العباس: الصفا: كلُّ حجر لا يخلطه غيره، من طين أو تراب يتصل به، واشتقاقه من صفا يصفو إذا خَلَص[٦]، والمروة: واحدة المرو،

---

(١) هذا من رواية عطاء، وقد تقدم الحديث عنها، وقد ذكره بغير نسبة الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٨١.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨١، «معالم التنزيل» ١/ ١٧٠.

(٣) في (م): (نعمت).

(٤) في (ش) حاشية: (قال عبد المؤمن: أراد بالعدلين: الصلاة والرحمة، وبالعلاوة: الاهتداء).

(٥) الأثر أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» ٢/ ٦٣٤، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٧/ ١١٦، من طريق مجاهد عن عمر، والحاكم ٢/ ٢٧٠، وصححه على شرط الشيخين، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٢٦ من طريق مجاهد عن سعيد بن المسيب عن عمر، ومجاهد لم يلق عمر، وسعيد أدرك عمر ولم يسمع منه. والأثر ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٨١، و«تفسير البغوي» ١/ ١٧٠، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٦٢.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٤٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٢، «المفردات» ص٢٨٦، «البحر المحيط» ١/ ٤٥٤، وذكر أبوحيان =

وهي حجارة بِيض برّاقة، يكون فيها النار[١].

قال الأعشى:

وتُـوَلّـي الأرضَ خُـفَّـًا ذابـلًا فـإذا مـا صـادف الـمَـروَ رَضَـحْ[٢]

وهما اسمان لجبلين معروفين بمكة[٣].

وشعائر الله: واحدتها شعيرة. قال المفسرون وأهل اللغة جميعًا: شعائر الله: متعبداته التي أشعرها الله، أي: جعلها أعلامًا لنا، وهي كلّ ما كان من مَشعر، أو موقف، أو مسعًى، أو منحر[٤]، وهي من قولهم: شعرتُ، أي: علمتُ، وهي كلّها معلومات، وهذا قول الزجاج، واختياره[٥].

= قولين، فقال: وقد قيل: إنه الحجر الأملس، وقيل: هو الصخرة العظيمة، والقول المذكور أعلاه قال: إنه الذي يدل عليه الاشتقاق. وينظر: «اللسان» ٤/ ٢٤٦٨ (صفا).

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٤٣-٤٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٣، «البحر المحيط» ١/ ٤٥٤، وذكر في «البحر» أقوالا أخر هي: الحجارة الصلبة، أو الصغار المرهفة الأطراف، أو الحجارة السود، أو الحجارة البيض، أو الحجارة البيض الصلبة.

(٢) البيت في مدح إياس بن قبيصة الطائي، ينظر: «ديوان الأعشى الكبير» ص٤٠، وفيه: (مجمرًا) بدل (ذابلًا)، وفي «تفسير الطبري» ٢/ ٤٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٣، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٨٠. يصف الشاعر خف ناقته بأنه إذا وطئ المرو -وهي الحجارة الصغيرة- تكسرت من تحت خفها الأحجار، ورضح الحصى: كسرها.

(٣) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٣.

(٤) سقطت مشعر من (أ)، (ش) كما أن فيها تقديمًا وتأخيرًا بين المذكورات.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٣، وينظر «البحر المحيط» ١/ ٤٥٤.

ويحتمل أن تكون الشعائر مشتقة من الإشعار الذي هو[(١)]: الإعلام على الشيء، ومنه: الشعائر بمعنى العلامة؛ ولهذا تسمى الهدايا: شعائر؛ لأنها تُشْعَر بحديدة في سنامها[(٢)] من جانبها الأيمن حتى يخرج الدم. قال الكميت:

شَعَائرَ قُربانٍ بهم يُتَقَرَّبُ[(٣)]

ويحتمل أن يكون من الإعلام بالشيء[(٤)]، وبه قال مجاهد في قوله: ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾. قال: يعني: من الخبر الذي أخبركم عنه[(٥)]، كأنه إعلام من الله عبادَه أمرَ الصفا والمروة[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾ قال الليث: أصل الحج في اللغة: زيارة شيء تعظّمه.

---

(١) في (ش): (هي).

(٢) في (ش): (من أسنامها).

(٣) وشطره الأول:

نُقَتِّلهُم جيلًا فجيلًا، تَراهُمُ

ينظر: «القصائد الهاشميات» للكميت بن زيد ص٢١، في «مجاز القرآن» ١/ ١٤٦، «تفسير الطبري» ٢/ ٤٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٤، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٦٥.

(٤) ينظر: «مجاز القرآن» ١/ ١٤٦، «تفسير الطبري» ٢/ ٤٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٣، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٨٤ وما بعدها، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٤، «المفردات» ص٢٦٥، «تفسير البغوي» ١/ ١٧٢.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٤٤، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٢٨٤.

(٦) قال الطبري في «تفسيره» ٣/ ٢٢٧: وذلك تأويل من المفهوم بعيد، وإنما أعلم الله تعالى ذكره بقوله: (إن الصفا)، عباده المؤمنين أن السعي بينهما من مشاعر الحج التي سنها لهم، وأمر بها خليله إبراهيم ﷺ إذ سأله أن يريه مناسك الحج، وذلك وإن كان مخرجه مخرج الخبر، فإنه مراد به الأمر.

وقال يعقوب والزجاج: أصل الحجّ: القصد، وكلّ من قصد شيئًا فقد حجّه[١].

وقال كثير من أهل اللغة: أصل الحجّ: إطالة الاختلاف إلى الشيء. واختار ابن جرير هذا القول، قال: لأن الحاجّ يأتي البيت قبل التعريف، ثم يعود إليه للطواف يوم النحر، ثم ينصرف عنه إلى منى، ثم يعود إليه لطواف الصَّدَر؛ فلتكرارِهِ[٢] العودَ إليه مرةً بعد أخرى قيل له: حاجّ[٣].

وكلهم احتجوا بقول المخبّل القُريعي[٤]:

يحجُّون سِبَّ[٥] الزِّبرِقانِ المُزَعْفَرا[٦]

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٤.

(٢) في (م): (فلتكرار)

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٤٤-٤٥، «المفردات» ص١١٥، «اللسان» ٢/ ١٨١-٧٧٨ (حجج).

(٤) هو المخبل بن ربيعة بن عوف قتال بن أنف الناقة بن قريع، أبو يزيد، شاعر فحل، هاجر وابنه إلى البصرة، وولده كثير بالأحساء، وهم شعراء، وله شعر كثير جيد، هجا به الزبرقان وغيره، و كان يمدح بني قريع ويذكر أيام سعد. ينظر: «طبقات ابن سلام» ص٦١، «الشعر والشعراء» ٢٦٩.

(٥) في (ش): (سب الزعفران الزبرقان المزعفرًا).

(٦) صدر البيت:

وأشهد من عوف حُلُولًا كثيرةً

ينظر في نسبته إليه «إصلاح المنطق» ص٣٧٢، «تفسير الطبري» ٢/ ٤٤، «البيان والتبيين» ٣/ ٩٧، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٦، «تفسير السمعاني» ٢/ ١٠٦، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٦٥، وروي (المعصفرا) بدل (المزعفرا). وقوله: يحجون أي: يزورون. والسِبّ: العمامة، وقيل: الاست. والزبرقان: هو حصين بن بدر =

وقال سيبويه: ويقال: حَجَّ حِجًّا، كقولهم: ذكر ذِكرًا. وقال الفراء: الحَجّ والحِجّ لغتان[(١)]، يقال: حَجَجْتُ حِجّة للمرة الواحدة، لم يأت عن العرب غيره. ولو قيل: حَجَّة بالفتح كما قالوا: مَرَرتُ به مَرّة، كان صوابًا، مثل: مددته مدّةً، وقددته قدّةً، هذا كلامه. فأما قولهم: حُجٌّ، وهم يريدون: جمع الحاجّ، فقد يمكن أن يكونوا سموا بالمصدر، وتقديره: ذوو[(٢)] حج، قاله أبو علي، قال: وأنشد أبو زيد:

وكأنّ عافيةَ النسور عليهمُ حُجٌّ بأسفلِ ذي المَجَاز نُزُولُ[(٣)(٤)].

وقوله تعالى: ﴿أَوِ اعْتَمَرَ﴾ قال الزجاج: قَصَد[(٥)]، وقال غيره: زار[(٦)]، قال أعشى باهلة:

وراكبٌ جاء من تثليثَ معتمرُ

قال الأزهري: وقد يقال: الاعتمار[(٧)] القصد، وأنشد للعجاج:

لقد سما ابنُ مَعْمَرٍ[(٨)] حينَ اعْتَمَرْ مَغْزًى بعيدًا من بعيدٍ وضَبَر[(٩)]

= الفزاري من سادات العرب. والحلول: الأحياء المجتمعة. ينظر: «اتفاق المباني وافتراق المعاني» ١/ ٢٠٦، «البيان والتبيين» ٣/ ٩٧.

(١) ذكر في «اللسان» ٢/ ٧٧٩ «حجج»، أن الكسائي لا يفرق بين الحِج والحَج، وغيره يقول: الحَج حَج البيت، والحِج عمل السنة.

(٢) في (ش)، (م): (ذو).

(٣) البيت لجرير يهجو الأخطل في «ديوانه»، ص١٠٤، «لسان العرب» ٢/ ٧٧٨، وقال: والمشهور في روايات البيت: حِجّ، بالكسر، وهو اسم الحاج.

(٤) ينظر فيما تقدم «اللسان» ٢/ ٧٧٨-٧٧٩ (حجج).

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٤.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٤٥، «المفردات» ص٣٥٠.

(٧) في (م): (للاعتمار). (٨) في (ش): (معتمر).

(٩) البيت للعجاج يمدح عمر بن عبيد الله التميمي، في «ديوانه» ص١٩، «تفسير =

يعني: حين قصد مغزًى بعيدًا[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ الجناح: الإثم، وأصله: من الجنوح، الذي هو الميل، يقال: جَنَحَ: مال، ومنه قوله: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ﴾ [الأنفال: ٦١] وقيل للأضلاع: جوانح؛ لاعوجاجها. قال ابن دريد: معنى ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: لا ميل إلى مأثم. وجناح الطائر من هذا؛ لأنه يميل في أحد شقّيه، ليس على مستوى خلقته، فمعنى الجناح: الميل عن الحق.

وقال أبو علي الجرجاني: معنى ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ أينما ذكر في القرآن: لا ميل لأحد عليه بمطالبة شيء من الأشياء، هذا هو الأصل، ثم صار معناه: لا حرج عليه، ولا ذنب عليه[(٢)].

قال ابن عباس: كان على الصفا صنم، وعلى المروة صنم، وكان أهل الجاهلية يطوفون بينهما، ويمسحونهما، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كره المسلمون الطواف بينهما؛ لأجل الصنمين؛ فأنزل الله ﷻ هذه الآية، منبهًا لهم[(٣)] على أن الطواف بالصفا والمروة لا تبعة فيه عليهم، وأنه

= الطبري» ٢/ ٤٥، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٥٦٦ (عمر)، «تفسير الثعلبي» ١/ ١١٨٦، «القرطبي» ٢/ ١٦٦، قوله: مغزى: أي غزوًا. ومعنى: ضبر الجواد: تهيأ للوثوب بقوائمه أو جمع قوائمه ليثب ثم وثب. ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٤.

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٨٦.

(٢) ينظر في معنى الجناح: «تفسير الطبري» ٢/ ٤٥، الثعلبي ١/ ١٢٨٩، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٤٦، «المفردات» ص١٠٧، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٦٦، «اللسان» ٢/ ٦٩٧-٦٩٨ (جنح).

(٣) سقطت من (م).

طاعة لله تعالى، وغير تعظيم للصنمين[(١)].

فالآية تدلّ بظاهرها على إباحة ما كرهوه، ولكن السنّة أوجبت الطواف بينهما والسعي، وهو قوله ﷺ: « **يا أيها الناس كُتِبَ عليكم السعيُ فاسعَوا** »[(٢)].

وهو مذهب الشافعي، رضي الله عنه[(٣)]، والواجب أن يبدأ بالصفا،

---

(١) رواه الطبري من طريق عمرو بن حبشي عن ابن عباس ٢/ ٤٦، وضعفه أحمد شاكر، ورواه ابن أبي حاتم ١/ ٢٦٧، وذكره الثعلبي ١/ ١٢٩٠، والواحدي في «أسباب النزول» ص٤٩. وبمعنى هذا ذكر الطبري آثارًا كثيرة عن: أنس، وابن عباس، وابن عمر، والسدي، والشعبي، وابن زيد، ومجاهد. وحديث أنس، رواه البخاري (١٦٤٨) كتاب الحج، باب: ما جاء في السعي بين الصفا والمروة، ولم يذكر المؤلف -رحمه الله- السبب الآخر الذي روته عائشة، وهو أن الأنصار كان يُهّلون قبل أن يسلموا لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المشلل، وكان من أهلّ منها تحرَّج أن يطوف بالصفا والمروة، فلما أسلموا سألوا النبي ﷺ عن ذلك، فقالوا: يا رسول الله: إنا كنا نتحرج أن نطوف بين الصفا والمروة ؟ فأنزل الله الآية. وهذا رواه البخاري في الحج، باب: وجوب الصفا والمروة. «فتح الباري» ٣/ ٤٩٧، ومسلم (١٢٧٧) كتاب الحج، باب: بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٦/ ٤٢٢، حديث (٢٦٩١٧)، وابن خزيمة في «صحيحه» ٤/ ٢٣٢ برقم (٢٧٦٤)، والدارقطني في «سننه» ٢/ ٢٥٥- ٢٥٦، والطبراني في «الكبير» ٢٤/ ٢٥٥، والحاكم ٦/ ٤٢١، والحديث صححه الحافظ المزي، وابن عبد الهادي كما في «الإرواء» ٤/ ٢٧٠، وقواه الحافظ في «الفتح» ٣/ ٤٩٨، وصححه الألباني في «الإرواء» ٤/ ٢٧٠.

(٣) ينظر: «المجموع شرح المهذب» ٨/ ٦٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٩٥، وقد اختلف العلماء في السعي: فمنهم من قال بركنيته، وهذا قول عائشة وعروة ومالك والشافعي، ومنهم من قال بسنيته، روي ذلك عن ابن عباس وأنس وابن الزبير=

ويختم بالمروة، ويسعى بينهما سعيًا، فيكون مسيره من الصفا إلى المروة شوطًا من السبع، وعوده من المروة إلى الصفا شوطًا ثانيًا، فإن بدأ بالمروة إلى الصفا لم يحسب هذا الشوط[١]؛ لأن النبي ﷺ لما دنا من الصفا في حجته قرأ: «﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ ابدأوا[٢] بما بدأ الله به» فبدأ بالصفا فرقي عليه، حتى رأى البيت، ثم مشى حتى إذا تصوّبت قدماه في الوادي سعى[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فيه وجهان من القراءة[٤]:

أحدهما: ﴿تَطَوَّعَ﴾ على تَفَعَّل ماضيًا وهذه القراءة تحتمل أمرين[٥]:

أحدهما: أن يكون موضع تطوَّع جزمًا، وتجعل (مَن) للجزاء، وتكون الفاء مع ما بعدها من قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ في موضع جزم؛ لوقوعها موقع الفعل المجزوم، والفعل الذي هو ﴿تَطَوَّعَ﴾ على لفظ المثال

= ومجاهد وعطاء وابن سيرين، وهو رواية عن أحمد. ومنهم من قال: إنه واجب وليس بركن، وإذا تركه جبره بدم، وهو مذهب الحسن وأبي حنيفة وصاحبيه والثوري. ينظر «أحكام القرآن» للجصاص١/ ١٨، «تفسير الطبري» ٢/ ٤٩، «المغني» ٥/ ٢٣٨، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٤٨، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٦٧، «تفسير ابن كثير» ١/ ٢١٣.

(١) ينظر: «المغني» لابن قدامة ٥/ ٢٣٧.

(٢) في (م): (فابدأوا).

(٣) جزء من حديث جابر الطويل في صفة حجة النبي ﷺ، أخرجه مسلم (١٢١٨) كتاب: الحج، باب: حجة النبي ﷺ.

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف: (يَطَّوَّعْ) بالياء التحتية، وتشديد الطاء، وإسكان العين على الاستقبال، والباقون: بالتاء الفوقية، وتخفيف الطاء، وفتح العين. ينظر «السبعة» ص١٧٢، «النشر» ٢/ ٢٢٣.

(٥) في (م): (وجهين).

الماضي، والمراد به المستقبل، كقولك: إن أتيتني أتيتك.

الثاني: أن لا تجعل (مَن) للجزاء، ولكن تكون بمنزلة الذي، وتكون[١] مبتدأ به، ولا موضع حينئذ للفعل الذي هو ﴿تَطَوَّعَ﴾، والفاء مع ما بعدها في موضع رفع، من حيث كان خبر المبتدأ الموصول، والمعنى فيه معنى الجزاء؛ لأن هذه الفاء إذا دخلت في خبر الموصول أو النكرة الموصوفة؛ آذنت أنّ الثاني إنما وجب لوجوب الأول، كقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] وما: مبتدأ موصول، والفاء مع ما بعدها جواب له، وفيه معنى للجزاء؛ لأن تقديره: ما ثبت بكم من نعمة، أو ما دام بكم من نعمة فمن ابتداء الله إياكم بها، فسبب ثبات[٢] النعمة ابتداؤه [ذلك][٣]، كما أن استحقاق الأجر إنما هو من أجل الإنفاق في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وعلى هذا كل ما في القرآن من هذا الضرب، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ [البروج: ١٠]، وقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٩٥]، ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ [البقرة: ١٢٦]، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، و﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]. ونذكر هذه المسألة مشروحة عند قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤].

---

(١) الأفعال السابقة في (ش) بالفاء (تجعل يكون ويكون).

(٢) في (ش): (ابتدا).

(٣) زيادة يقتضيها الكلام، من كلام أبي على الفارسي في «الحجة» ٢/ ٢٤٦.

الوجه الثاني من القراءة: (يَطَّوَّعْ) بالياء وجزم العين، وتقديره: يتطوع إلا أنّ التاء أُدغم في الطاء لتقاربهما، وهذا حسن؛ لأن المعنى على الاستقبال، والشرط والجزاء الأحسن فيهما[1] الاستقبال، وإن كان يجوز أن تقول: من أتاك أعطيته، فتُوقع الماضي موقعَ المستقبل في الجزاء، إلا أنّ اللفظ إذا كان وافق المعنى كان أحسن[2].

وأما التفسير: فقال مجاهد: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالطواف بهما[3]، وهذا على قول من لا يرى الطواف بهما فرضًا.

وقال مقاتل والكلبي: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ فزاد في الطواف بعد الواجب[4].

ومنهم من حمل هذا النوع على العمرة، وهو قول ابن زيد[5]، وكان يرى العمرة غير واجبة.

وقال الحسن: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ يعنى به: الدين كلّه، أي: فعل غير المفترض عليه، من طواف وصلاة وزكاة ونوع من أنواع الطاعات[6].

---

(١) في (ش): (في هذا).
(٢) ما تقدم من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٤٥-٢٤٨ بتصرف واختصار.
(٣) «تفسير مجاهد» ص٩٢، ورواه الطبري عنه في «تفسيره» ٢/ ٥٠، وعزاه في «الدر المنثور» ١/ ٢٩٢ إلى: سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٦٨ عن أنس قوله: والطواف بهما تطوع، وكذا روي عن ابن عباس، وعزاه في «الدر»: إلى عبد بن حميد، وأبي عبيد في «فضائله»، وابن أبي داود في «المصاحف».
(٤) «تفسير مقاتل» ١/ ١٥٢، وذكره عنهما الثعلبي ١/ ١٣٠٠، والبغوي ١/ ١٧٥.
(٥) رواه الطبري عنه في «تفسيره» ٢/ ٥٢، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٠١.
(٦) ذكره الثعلبي ١/ ١٣٠١، والبغوي في «معالم التنزيل» ١/ ١٧٥.

وهذا أحسن هذه الأقاويل؛ لأن قوله ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ صيغته تدلّ على العموم[(١)].

وقوله تعالى ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ أي: مُجازٍ بعمله ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيّته[(٢)].

قال أهل المعاني: وحقيقة الشاكر في اللغة: هو المظهر للإنعام عليه، والله تعالى لا تلحقه المنافع والمضارّ، فالشاكر في وصفه مجازٍ، ومعناه: المجازي على الطاعة بالثواب، إلا أن اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد، مظاهرة في الإحسان إليهم، كما قال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وهو تعالى لا يستقرض من عوز؛ ولكنه تلطّف[(٣)] في الاستدعاء. كأنه قيل: من الذي يعمل عمل المُقرِض، بأن يقدّمَ، فيأخذ أضعاف ما قدَّمَ في وقت فقره وحاجته[(٤)]!؟

---

(١) رجح الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥١-٥٢ أن معنى ذلك: ومن تطوع بالحج والعمرة بعد قضاء حجته الواجبة عليه.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٠١.

(٣) في (م): (اللطف).

(٤) وقال الزجاجي في «اشتقاق أسماء الله» ص٨٧: فلما كان الله ﷻ يجازي عباده على أفعالهم ويثيبهم على أقل القليل منها، ولا يضيع لديه تبارك وتعالى لهم عمل عامل، كان شاكرًا لذلك لهم، أي: مقابلًا له بالجزاء والثواب. وقال الشيخ السعدي في «تفسيره» ص٧٧: الشاكر والشكور من أسماء الله تعالى: الذي يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه العظيم من الأجر، الذي إذا قام عبده بأوامره وامتثل طاعته أعانه عليه وأثنى عليه ومدحه، وجازاه في قلبه نورًا وإيمانًا وسعة، وفي بدنه قوةً ونشاطًا، وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء، وفي أعماله زيادة توفيق، ثم بعد ذلك يقدم على الثواب الآجل عند ربه كاملًا موفرًا، لم تنقصه هذه الأمور، ومن شكره لعبده أن من ترك شيئا لله أعاضه الله خيرًا منه، ومن تقرب منه شبرًا تقرب منه ذراعًا.

١٥٩- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ قال المفسرون: نزلت في علماء اليهود[١]. وأراد بالبينات: الرجم والحدود والأحكام[٢]، وبالهدى: أمر محمد ﷺ ونعته[٣][٤]. ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ﴾: لبني إسرائيل[٥]. ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: في التوراة[٦].

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٥٠، ونقله عنه ابن حجر في «العجاب» ١/ ٤١١، وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» ١/ ٨٠، ورواه الطبري ٢/ ٥٣، وابن أبي حاتم ١/ ٢٦٨ عن ابن عباس.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٠١، وروى ابن أبي حاتم ١/ ٢٦٩ عن السدي عن أصحابه: [البينات]: الحلال والحرام.

(٣) في (ش): (وبعثه).

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٠١، وقد ذكر هذا الفرق بين البينات والهدى أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٥٨، وقال: والبينات هي: الحجج الدالة على نبوته ﷺ، والهدى: الأمر باتباعه، أو الهدى والبينات، والجمع بينهما توكيد، وهو ما أبان عن نبوته وهدى إلى اتباعه. وقد بين الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٢ البينات بقوله: البينات التي أنزلها الله: ما بين من أمر نبوة محمد ﷺ ومبعثه وصفته في الكتابين اللذين أخبر الله تعالى ذكره أن أهلهما يجدون صفته فيهما. ويعني -تعالى ذكره- بالهدى: ما أوضح لهم من أمره في الكتب التي أنزلها على أنبيائهم.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٣، قال: لأن العلم بنبوة محمد ﷺ وصفته ومبعثه لم يكن إلا عند أهل الكتاب دون غيرهم، ثم قال: وهذه الآية وإن كانت في خاصّ من الناس فإنها معنيّ بها كلُّ كاتمٍ علمًا فرض الله تعالى بيانه للناس. وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٠١، «البحر المحيط» ١/ ٤٥٨.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٦٩، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٠١، و«تفسير البغوي» ١/ ١٧٥، وروى «الطبري» ٢/ ٥٣، عن قتادة أن المراد: التوراة والإنجيل، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٦٩ عن الحسن أن الكتاب: القرآن، قال: وروي عن ابن عباس مثل ذلك، وقال في «البحر المحيط» ١/ ٤٥٨: والأولى والأظهر عموم الآية في الكاتمين، وفي الناس، وفي الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ اختلفوا في اللاعنين ههنا: فقال ابن عباس: كلّ شيء إلا الجنّ والإنس[١]. وعلى هذا إنما قال: (اللاعنون)، ولم يقل اللاعنات؛ لأنه وصفها صفة من يعقل، فجمعها جمع من يعقل، كقوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨]، ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١] ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠][٢].

وقال قتادة: هم الملائكة[٣].

وقال عطاء: الجنّ والإنسان[٤].

---

(١) نسبه إلى ابن عباس: الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢٣٥، والثعلبي «في تفسيره» ١/ ١٣٠٣، والفراء في «معاني القرآن» ١/ ٩٥، والبغوي في «معالم التنزيل» ١/ ١٧٥، ورواه الطبري «في تفسيره» ٢/ ٥٦ عن البراء بن عازب، والضحاك، وقريب منه قول مجاهد وعكرمة حيث قالا: يلعنهم كل شيء حتى الخنافس والعقارب، يقولون: مُنِعْنا القطرَ بذنوب بني آدم. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٤-٥٥، و«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٦٩، وقد رده الطبري: بأنه قول لا تدرك حقيقته إلا بخبر عن الله، ولا خبر.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٥، والثعلبي ١/ ١٣٠٥، والقرطبي ٢/ ١٧١.

(٣) رواه عنه الطبري ٢/ ٥٢ إلا أنه قال في رواية: اللاعنون من ملائكة الله، ومن المؤمنين، وروى ذلك ٢/ ٥٦ عن الربيع بن أنس، وكذا رواه ابن أبي حاتم ١/ ٢٦٩، ورجحه الطبري؛ لأن الله قد وصف الكفار بأن اللعنة التي تحل بهم إنما هي من الله والملائكة والناس أجمعين، في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. وبنحوه قال الزجاج.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٣٠٣، والبغوي ١/ ١٧٥، وعزاه في «الدر المنثور» ١/ ٢٩٦ إلى عبد بن حميد.

وقال ابن مسعود: ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا[(١)] رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى، الذين كتموا أمر محمد ﷺ، وصفته[(٢)].

١٦٠- قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ معنى[(٣)] (إلّا) التخصيص[(٤)]، نحو قولك: جاءني القوم إلا زيدًا، خصصتَ زيدًا بأنه لم يجئ[(٥)].

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾ بعد قوله: ﴿تَابُوا۟﴾ إزالة الإبهام: أن التوبة مما سلف من الكتمان تكفي، ومعنى ﴿وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾ أي: أصلحوا السريرة بإظهار أمر محمد ﷺ[(٦)].

١٦١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ إن قيل: كيف يلعنه الناس أجمعون، وأهل دينه لا يلعنونه؟ قيل: يلعنونه في الآخرة؛ لقوله: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ

---

(١) في (أ) زيادة في الحاشية: (وليس أحدهما بمستحق للعن رجعت).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ٤/ ٣٠٣ من طريق السدي الصغير، عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن مسعود، وهذا إسناد واه، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٠٤ ولفظه: هو الرجل يلعن صاحبه فترتفع اللعنة في السماء ثم تنحدر فلا تجد صاحبها الذي قيلت له أهلًا لذلك، فترجع إلى الذي تكلم بها فلا تجده أهلا، فتنطلق فتقع على اليهود، فهو قوله ﷻ ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾. فمن تاب منهم ارتفعت اللعنة عنه فكانت في من بقي من اليهود. وينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٥، «تفسير البغوي» ١/ ١٧٥.

(٣) في (أ)، (م): (يعنى).

(٤) في (أ)، (م): (للتخصيص).

(٥) «البحر المحيط» ١/ ٤٥٩.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٧٠، «تفسير البغوي» ١/ ١٧٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٧٢.

﴿بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥][١].

وقال قتادة[٢] والربيع[٣]: أراد بـ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾: المؤمنين، وعلى هذا كأنه لم يعتدّ بغيرهم، كما تقول: المؤمنون هم الناس[٤].

وقال السدي: لا يتلاعن اثنان مؤمنان ولا كافران، فيقول أحدهما: لعن الله الظالم، إلا وجبت تلك اللعنة على الكافر؛ لأنه ظالم، وكل أحد من الخلق يلعنه[٥].

١٦٢- قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ معنى الخلود: اللزوم أبدًا، ومنه يقال: أخلد إلى كذا، أي: لزمه، وركن إليه[٦]. والعامل في الخالدين: الظرف من قوله (عليهم)؛ لأن فيه معنى الاستقرار، وهو حال من الهاء والميم في ﴿عَلَيْهِمْ﴾، كقولك: عليهم المال صاغرين[٧]، ومثل هذه الآيات الثلاث: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا﴾، ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ في سورة آل عمران [الآيات: ٨٧- ٨٩]، وذكرنا الكلام هناك بأبلغ من هذا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد:

---

(١) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٦، ورواه الطبري ٢/ ٥٨، وابن أبي حاتم ١/ ٢٧١ عن أبي العالية، قال ابن أبي حاتم: وروي عن قتادة نحو قول أبي العالية، وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٧٦.

(٢) رواه عنه الطبري ٢/ ٥٨، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٧١، والثعلبي ١/ ١٣٠٦.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٥٨.

(٤) رواه ابن أبي حاتم ١/ ٢٧١ عن أبي العالية.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ٥٨، وابن أبي حاتم ١/ ٢٧١. ورجح الطبري العموم.

(٦) ينظر: «المفردات» ص١٦٠.

(٧) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٥٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٦٢.

للرجعة ولا للتوبة ولا للمعذرة[١].

١٦٣- قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ الآية، معنى الوحدة في اللغة: هي الانفراد، يقال: وحَدَ الشيءُ، وهو يَحِدُ حِدَةً، فهو واحد، وجمعه: وُحدان بالضم. والوَحدان بالفتح؛ بمعنى: الواحد، مثل قولهم: فَردان بمعنى: الفَرد. وحقيقة الواحد: شيء لا يتبعض، ويقال أيضًا: وَحَدَ يَوْحَدُ وَحَادةً وَوَحْدةً فهو وحيد[٢].

ويستعمل الواحد على وجهين:

أحدهما: على جهة الحكم والحقيقة.

والثاني: على الوصف والمجاز. فالحكم كقولك: ذاتٌ واحدةٌ، وجزء واحد، والوصف قولك: إنسان واحد، ودار واحدة، فهذا لا ينقسم عن[٣] الجهة التي جرت عليه الصفة، إذ ليس ينقسم من جهة أنه إنسان، وإن انقسم من جهة أنه جسم، وإذا أجريته حكمًا لم ينقسم من وجه من الوجوه.

فأما الواحد في صفة الله تعالى، فقال الأزهري: له معنيان:

أحدهما: أنه واحد لا نظير له، وليس كمثله شيء، والعرب تقول: فلان واحد قومه، وواحد الناس، إذا لم يكن له نظير.

وقال بعضهم: المعنى في الواحد: أنه إله واحد، وربّ واحد، ليس له في إلاهيته وربوبيته شريك؛ لأنّ المشركين أشركوا معه آلهةً فكذّبهم

---

(١) رواه ابن أبي حاتم بمعناه عن الضحاك عن ابن عباس ١/ ٢٧٢.

(٢) ينظر في معاني الواحد: «تفسير الطبري» ٢/ ٦٠، «المفردات» ص٥٣٠، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٤٤، «اللسان» ٨/ ٤٧٧٩-٤٧٨٣ (وحد).

(٣) في (ش): (من).

الله ﷻ، فقال: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[(١)] .

وقال أبو علي: قولهم: واحد، اسم جرى على وجهين في كلامهم:

أحدهما: أن يكون اسمًا.

والآخر: أن يكون وصفًا.

فالاسم الذي ليس بصفة قولهم: واحد المستعمل في العدد، نحو: واحد، اثنان، ثلاثة، فهذا اسم ليس بوصف، كما أنّ سائر أسماء العدد كذلك، وأما[(٢)] كونه صفة فنحو قولك: مررت برجل واحد، وهذا شيء واحد، فإذا أجري هذا الاسم على القديم تعالى جاز أن يكون الذي هو وصف، كالعالم والقادر، وجاز أن يكون الذي هو اسم، كقولنا: شيء. يقوي الأول قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[(٣)] .

ويجمع[(٤)] الواحد واحِدين، كقوله:

فقد[(٥)] رجعوا كحيٍّ واحدينا[(٦)]

---

(١) الذي وجدته في «تهذيب اللغة» للأزهري ٤/ ٣٨٤٧ (وحد): والواحد في صفة الله، معناه: أنه لا ثاني له، ويجوز أن ينعت الشيء بأنه واحد، فأما أحد فلا يوصف به أحد غير الله؛ لخلوص هذا الاسم الشريف له، جل ثناؤه.

(٢) في (م): (فأما).

(٣) نقله عنه الرازي في «التفسير الكبير» ٤/ ١٦٨.

(٤) في (م): (وجمع).

(٥) في (ش): (وقد).

(٦) ورد البيت هكذا:

فَرَدَّ قَواصِيَ الأحياء منهم فقد أضحوا كحيٍّ واحدينا

وهو للكميت، ينظر: «اللسان» مادة: (وحد)، وفيه ورد بلفظ: رجعوا، وينظر: «معاني القرآن» ٢/ ٢٠٨، «عمدة الحفاظ» ٣/ ٣٩٢.

ويكسِّرونه على فُعلان، كقولهم: وُحدان، ويقلبون الواو همزةً، كقولهم: أُحدان، ومنه قوله:

طاروا[١] إليه زَرَافاتٍ ووُحْدانا[٢]

وذلك أنه وإن كان صفة قد يستعمل استعمال الأسماء، فكسروه على فُعلان، كقولهم: راعٍ ورُعْيان.

وأما التفسير: فقال ابن عباس في رواية الكلبي: قالت كفار قريش: يا محمد صِفْ وانسُبْ لنا ربّك. فأنزل الله تعالى سورة الإخلاص، وهذه الآية[٣].

وقال جويبر[٤]، عن الضحاك، عن ابن عباس: كان للمشركين ثلاثمائة وستون صنمًا، يعبدونها من دون الله، فبيّن الله سبحانه لهم أنه واحد، فأنزل هذه[٥].

---

(١) في (أ)، (م): (يطار).

(٢) صدر البيت:

قوم إذا الشرّ أدى ناجذيه لهم

والبيت للعنبري، واسمه: قريط بن أنيف، ويروى لأبي الغول الطهوي. ينظر: «عمدة الحفاظ» ٢/ ٤٩٩.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٣٠٧، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٤٥، والبغوي ١/ ١٧٦، والسمعاني ٢/ ١١٤، والقرطبي ٢/ ١٧٥، ونقله في «البحر المحيط» ١/ ٤٦٢، وإسناده واهٍ، ونقله عنه ابن حجر في «العجاب» ١/ ٤١٣.

(٤) هو جويبر بن سعيد البلخي، روى: عن الضحاك وأبي سهل، وروى عنه: الثوري وابن المبارك ويزيد بن هارون، وهو ضعيف، قال يحي بن معين: ليس بشيء، وكان وكيع لا يسميه استضعافًا له، في قول عن سفيان عن رجل. ينظر: «الجرح والتعديل» ٢/ ٥٤٠-٥٤١.

(٥) ذكره الثعلبي ١/ ١٣٠٧، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٤، ونقله ابن حجر في=

قال أصحابنا: حقيقة الواحد في وصف الباري سبحانه: أنه واحد لا قسيم له في ذاته، ولا بعض له في وجوده، بخلاف الجملة الحاملة التي يطلق عليها لفظ الواحد مجازًا، كقولهم: دار واحدة، وشخص واحد؛ ولهذا قال أصحابنا: التوحيد: هو نفي الشريك والقسيم، والشريك والشبيه، فالله ﷻ واحد في أفعاله، لا شريك له يشاركه في إثبات المصنوعات؟ وواحد في ذاته، لا قسيم له؟ وواحد في صفاته، لا يشبه الخلق فيها[(١)].

وقال أهل المعاني: في الآية تقديم وتأخير، تقديرها: وإلهكم الرحمن الرحيم إله واحد، لا إله إلا هو.

١٦٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، قال المفسرون: لما نزل قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ عجب المشركون، وقالوا: إن محمدًا يقول: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾؛ فليأتنا بآية إن كان من الصادقين، فأنزل الله هذه الآية[(٢)]، وعلّمهم كيفيةَ الاستدلالِ على الصانع، وعلى

= «العجاب» ١/ ٤١٣، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٦٢، وإسناده ضعيف؛ لضعف جويبر.

(١) ينظر في تفسير الواحد: «اشتقاق أسماء الله» لأبي القاسم الزجاجي ص٩٠-٩٣.

(٢) رواه الثوري في «تفسيره» ص٥٤، وسعيد بن منصور في «سننه» ٢/ ٦٤٠، وأبو الشيخ في «العظمة» ١/ ٢٥٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٧٢، والبيهقي في «شعب الإيمان» ١/ ١٣٠، والثعلبي ١/ ١٢٠٨ كلهم عن أبي الضحى. ورواه الطبري ٢/ ٦٠ عن عطاء، وذكرهما الواحدي في «أسباب النزول» ص٥٠-٥١، وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٧٣ عن ابن عباس أن قريشًا سألت النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا، فأوحى الله إليه: إني معطيهم، ولكن إن كفروا عذبتهم عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، فنزلت، وذكره السيوطي في «لباب النقول»=

توحيدِه، وردَّهم إلى التفكر في آياته، والنظرِ في مصنوعاته، على ما عدّها في الآية. وبيَّن أنّ فيما ذكره في هذه الآية من عجيب صنعه، وإتقانِ أفعاله، واتساق صنائعه دليلًا على توحيده، فإن هذه الأفعال لا تحصل في الوجود لو كان لها صانعان؛ لوجوب التمانع بينهما[١]، واستحالة تساويهما في صفة الكمال.

قال أهل المعاني: وجمع السماوات؛ لأنها أجناس مختلفة، كل سماء من جنس غير الأخرى، ووحّد الأرض؛ لأنها كلها تراب[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ فسّر الاختلاف هاهنا تفسيرين يرجعان إلى أصل واحد:

أحدهما: أنه افتعال، من قولهم: خلَفه يخلُفه، إذا ذهب الأول وجاء الثاني خلافه، أي: بعده، فاختلاف الليل والنهار: تعاقبهما في الذهاب والمجيء، ومنه يقال: فلان يختلف إلى فلان، إذا كان يذهب إليه، ويجيء

= ص٣١ وجود إسناده، وروي عن ابن عباس أنها نزلت حين قالوا: انسب لنا ربك وصفه. وينظر: «العجاب» ١/ ٤١٤-٤١٥، «زاد المسير» ١/ ١٦٧.

(١) دليل التمانع: هو أنه لو كان للعالم صانعان، فعند اختلافهما - مثل أن يريد أحدهما: تحريك جسم، والآخر تسكينه، أو يريد أحدهما: إحياءه، والآخر إماتته - فإما: أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد واحد منهما، والأول ممتنع؛ لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع؛ لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون وهو ممتنع، ويستلزم أيضًا عجز كل منهما، والعاجز لا يكون إلها، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجزًا لا يصلح للإلهية. ينظر: «شرح العقيدة الطحاوية» ١/ ٢٨.

(٢) «تفسير البغوي» ١/ ١٧٧، وينظر أيضًا: «تفسير الطبري» ١/ ١٩١-١٩٥، «البحر المحيط» ١/ ٤٦٤.

من عنده، فذهابه يخلف مجيئه، ومجيئه يخلف ذهابه. أحدهما خلاف الآخر، أي: بعده، وكل شيء يجيء بعده شيء، فهو خِلفه . وبهذا فُسِّر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢][١]، قال الفراء: يذهب هذا، ويجيء هذا[٢].

الثاني: قال ابن كيسان[٣] وعطاء[٤] في هذه الآية: أراد: اختلافهما في الطول والقصر، والنور والظلمة، والزيادة والنقصان .

قال الكسائي: يقال لكل شيئين اختلفا: هما خِلْفان وخِلْفتان، وقول زهير:

بها العِينُ والآرامُ يمشين خِلْفةً[٥]

فسّر بالوجهين: تكون مختلفة في ألوانها وتكون يذهب هذا، ويجيء هذا. وهذا القول يرجع إلى معنى الأول؛ لأن معنى الاختلاف في اللغة:

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٦٣ ولم يذكر غيره، «تفسير البغوي» ١/ ١٧٧، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٧٦.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٢٧١، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٠٨، «اللسان» ٢/ ١٢٣٧ (خلف).

(٣) ذكره في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٠٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٦٥.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٠٩، «القرطبي» ٢/ ١٧٦، «البغوي» ١/ ١٧٧.

(٥) عجز البيت:

وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وهو في «ديوانه» ص٥، «جمهرة اللغة» ص٤١٥-٤١٦، «لسان العرب» ٢/ ١٢٣٧ (خلف)، و ٥/ ٢٧٠٠، وبلا نسبة في «رصف المباني» ص١٤٥.وقوله: بها: أي بدار من يتغزل بها، والعين: البقر، واحدها: أعين وعيناء، وذلك لسعة عيونها، والآرام: الظباء الخوالص البياض، والأطلاء: الصغار من البقر والظباء، والمجثم: ما تربض فيه وترقد.

التفرق في الجهات، جهة اليمين والشمال والخلف والقُدّام، ثم شبّه الاختلاف في المذاهب وفي كل شيء بالاختلاف في الطريق[١]، من جهة أن كل واحد من المختلفين على نقيض ما ذهب إليه الآخر، كالمختلفين في الطريق، ولما تفاوت الليل والنهار في النور والظلمة وغيرهما جعل ذلك اختلافا، فهذا أيضًا يعود في الاشتقاق إلى الخلف.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْفُلْكِ﴾ الفُلْك: واحد وجمع، ويذكر ويؤنث، وأصله من الدوران، وكل مستدير فُلك، وفَلَك السماء: اسم لأطواق[٢] سبعة، تجري فيها النجوم، وفَلَكَتِ الجارية: إذا استدارَ ثَدْيُها، وفَلَكَة[٣] المِغْزَلَ من هذا، والسفينة سميت فُلكًا؛ لأنها تدور بالماء أسهل دور[٤]. وإنما كانت للواحد والجمع؛ لأنه على بناء يصلح لها[٥]، فإذا أريد به الواحد ذُكِّر، وإذا أريد به الجمع أُنِّث. ومثلُ الفلك من الجموع التي كسرت الآحاد عليها واللفظ فيهما[٦] واحد: قولهم: ناقة هِجَان، ونوق هِجَان[٧]، ودرع دِلاصٍ، وأدرُع دِلاص[٨]، وشِمال: للخليقة والطبع،

---

(١) في (ش): (بالطريق).

(٢) في (ش): (لأطواف).

(٣) في (م): (وفلك).

(٤) ينظر في الفلك: «تفسير غريب القرآن» ص٦٤، «تفسير الطبري» ٢/ ٦٤، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٣٠-٢٨٣١، «المفردات» ص٣٨٧، «اللسان» ٦/ ٣٤٦٥ (فلك)، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٧٨.

(٥) في (م): (بها).

(٦) في (ش): (فيها).

(٧) (نوق هجان) سقطت من (ش). والهجان: البيض الخوالص.

(٨) دلاص: ملساء ليِّنة.

وجمعه شِمالٌ. ومجيء الجمع على لفظ الواحد مما يدل على قلة حفلهم بالفرق بينهما من طريق اللفظ، وأنهم اعتمدوا في الفرق على دلالة الحال، ومتقدم الكلام ومتأخره[(١)].

وقال سيبويه[(٢)]: الفلك إذا أريد به الواحد فضمة الفاء فيه بمنزلة ضمة[(٣)] باء بُرْد، و خاء خُرْج، وإذا أريد به الجمع ،فضمة الفاء بمنزلة ضمة الحاء في حُمْر، والصاد من صُفْر، فالضمتان وإن اتفقتا في اللفظ فإنَّهما مختلفتان[(٤)] في المعنى، وغير منكر أن يتفق اللفظان من أصلين مختلفين، ألا ترى أن من رخّم منصورًا في قول من قال: يا جار، قال: يامنصُ، فبقّى الصاد مضمومة، كما بَقَّى الراء مكسورة، ومن قال: يا جارُ، فاجتلب للنداء ضمةً قال أيضًا: يا منصُ، فحذف ضمّةَ الصاد، كما حذف كسرة الراء، واجتلب للصاد ضمةَ النداء، كما اجتلب للراء ضمة النداء، إلا أن لفظ: يا منصُ في الوجهين واحد، والمعنيان متباينان.

وقوله تعالى: ﴿تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ﴾ قد مضى الكلام في البحر. والآية في الفلك: تسخيرُ الله تعالى إياها، حتى يجريَها على وجه الماء، كما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِىَ فِى ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٣٢]، ووقُوفُها فوق الماء مع ثقلها وكثرة وزنها.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ أي: بالذي ينفعهم، من ركوبها،

---

(١) ينظر: «تفسير غريب القرآن» ص٦٤، «تفسير الطبري» ٢/ ٦٤، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٣١ (فلك)، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٠.

(٢) قريب منه ما في «الكتاب» ٣/ ٥٧٧، ونقله عنه في «اللسان» ٦/ ٣٤٦٥ (فلك).

(٣) في (م): (ضمها).

(٤) في (م): (فهما مختلفان)، وفي (أ): (فإنهما مختلفان).

والحمل عليها في التجارات، وينفع الحامل؛ لأنه يربح، والمحمول إليه؛ لأنه ينتفع بما حمل إليه[(١)][(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أراد بموت الأرض: جدوبتَها ويُبُوستَها، فسمّاها موتًا مجازًا، وذلك أن الأرضَ إذا لم يصبها مطر لم تُنبت، ولم تُنْمِ نباتًا، وكانت[(٣)] من هذا الوجه كالميت، وإذا أصابها المطر أنبتت، ونحو هذا قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥]، فلما وصفت بالاهتزاز وهو[(٤)] الحركة عند نزول الماء، توصف عند إمساك الماء بالسكون، والعربُ تسمي السكون موتًا[(٥)]، قال الشاعر:

إني لأرجو أن تموتَ الريحُ ... فأسكنَ اليوم وأستريحُ[(٦)]

فيجوز أن يراد بالموت في هذه الآية: ضد الاهتزاز الذي وُصِفَت به عند نزول الماء، ولما سَمّى ذلك موتًا سمّى[(٧)] إزالتَها إحياءً ليتجانس اللفظ[(٨)].

---

(١) ساقط من (ش).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٦٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٠، «تفسير البغوي» ١/ ١٧٧، «تفسير الرازي» ٤/ ١٩٧، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٨٠.

(٣) في (ش) و(م): (وكان).

(٤) في (ش): (وهي).

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٦٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١١، «تفسير البغوي» ١/ ١٧٧، «تفسير الرازي» ٤/ ١٩٨.

(٦) البيت في «اللسان» ٧/ ٤٢٩٥ (موت)، بغير نسبة. وينظر: «شأن الدعاء» ص١١٦، «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٣٨١.

(٧) سقطت جملة: (ذلك موتًا سمي) من (ش).

(٨) ينظر: «تفسير الرازي» ٤/ ١٩٨-١٩٩.

وقوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ البثُّ: النشر والتفريق، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١]، ومنه: ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤]، ويقال: بثثته سِرِّي[١] أبثثته، إذا أطلعته عليه؛ لأنك فرقت بين سرّك وبينك، ويقال للحزن: بَثٌّ؛ لأن صاحبَه لا يصبر عليه حتى يظهره[٢].

وقوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ قال ابن عباس: يريد: كلّ ما دبّ على الأرض من جميع الخلق، من الناس وغيرهم[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ أراد: وتصريفه الرياح، فأضاف المصدر إلى المفعول، وهو كثير[٤]. والرياح: جمع الريح .

قال أبو علي: الريح: اسم على فعل، والعين منه واو، انقلبت في الواحد[٥] للكسرة، فأما في الجمع القليل: أرواح، فصحّت؛ لأنه لا شيء فيه يوجب الإعلال، ألا ترى أن سكون الراء لا يوجب إعلال هذه الواو في نحو: قوم، وعون، وقول. وفي الجمع الكثير: رياح، انقلبت الواو ياء؛ للكسرة التي قبلها، نحو: ديمة ودِيَم، وحِيلَة وحِيَل[٦] .

---

(١) سقطت من (ش).

(٢) ينظر في البث: «الطبري» ٢/ ٦٤، «المفردات» ص٤٧، «اللسان» ١/ ٢٠٨ (بثث).

(٣) لم أجد هذا عن ابن عباس.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٦٤، واختار هذا الوجه، ونقل الرازي في «تفسيره» ٤/ ٢٠١ هذا عن الواحدي، «البحر المحيط» ١/ ٤٦٧، وذكر وجهًا آخر وهو أن يكون تصريف مصدرًا مضافًا للفاعل، أي: وتصريف الرياح السحاب، أو غيره مما له فيه تأثير بإذن الله.

(٥) سقطت من (م) .

(٦) ونقله عنه ابن سيده في «المخصص» المجلد ٢/ السفر التاسع ص٨٣، والرازي في «تفسيره» ٤/ ٢٠١، وينظر: «لسان العرب» ٣/ ١٧٦٣.

وقال ابن الأنباري: إنما سميت الريح ريحًا؛ لأن الغالب عليها في هبوبها المجيء بالرَّوح والرَّاحة، وانقطاعُ هبوبها يُكسِبُ الكربَ والغَمّ، فهي مأخوذة من الروح. وأصلها: رِوْح، فصارت الواو ياء؛ لسكونها وانكسار ما قبلها، كما فعلوا في الميزان والميعاد والعيد، والدليل على أن أصلها الواو: قولهم في الجمع: أرواح[١].

قال زهير:

قِفْ بالديار التي لم يعفُها القدمُ
بلى وغيَّرَها الأرواحُ والدِيَمُ[٢]

ويقال: رِحْتُ الريح أَراحُها، وأُرحتُها أرِيحُها: إذا وجدتها، ومنه الحديث: «**من استُرعي رعيةً فلم يَحُطهم بنصيحة، لم يُرِحْ رائحةَ الجنة، وإن ريحَها لتوجد من مسيرة مائة عام**»[٣].

قال الكسائي: الصواب: لم يُرِحْ، من: أَرَحتُ أُريح، وقال الفراء: لم يَرَح، بفتح الراء. وقال غيرهما: الصواب: لم يرِحْ، من رحت أريح.

---

(١) نقله عنه الرازي في «تفسيره» ٤/ ٢٠١.

(٢) ينظر: «ديوانه» ص١٤٥، «لسان العرب» ٨/ ٤٩٤٢.

(٣) الحديث أصله في الصحيحين، رواه البخاري (٧١٥٠، ٧١٥١) كتاب الأحكام، باب: من استرعى رعية فلم ينصح، ومسلم (١٤٢) في الإيمان، باب: استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، وليس في ألفاظهما: «لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة مائة عام»، ولفظ (لم يرح) في حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا**» رواه البخاري (٣١٦٦) كتاب الجزية، باب: إثم من قتل معاهدًا بغير جرم، (٦٩١٤) كتاب: الديات، باب: إثم من قتل ذميًّا بغير جرم.

قال أبو عبيد: الصواب: بفتح الراء[١]، وأنشد:

ومــاءٍ وَرَدْتُ عــلــى زَوْرَةٍ
كَمَشْيِ السَّبَنْتَى يَراحُ الشَّفِيفَا[٢]

وقال أبو زيد: قال القيسيون: الرياح أربع: الشمال والجنوب والصَّبَا والدَّبُور. فأما الشمال فمن عن يمين القبلة، والجنوب من عن جهة شمالها، والصَّبَا والدَّبور متتابعتان[٣]، فالصَّبا من قبل المشرق، والدَّبور من قبل المغرب، وأنشد أبو زيد البيت لأبي صخر الهذلي:

إذا قلتُ هذا حينَ أسلُو يهيجُني
نسيمُ الصَّبا من حيث يَطَّلِعُ الفَجْرُ[٤][٥]

وربما تسمى الصبا: قبولًا؛ لأنها استقبلت الدبور.

وقال الأصمعي: إذا انحرفت واحدة منهن عن هذه المهابّ فهي نكباء.

---

(١) «اللسان» ٣/ ١٧٦٥: لم يُرح رائحة الجنة: من أرحتُ، ولم يَرَح رائحة الجنة: من رِحتُ أراحُ، ولم يرِح تجعله من راح الشيء أريحه إذا وجدت ريحه، وقال الكسائي: إنما هو لم يُرح رائحة الجنة، من أرحت الشيء فأنا أُريحه، إذا وجدت ريحه، والمعنى واحد، وقال الأصمعي: لا أدري هو من رِحت أو من أرحت؟.

(٢) البيت لصخر الغَيِّ الهذلي في «شرح أشعار الهذليين» ص٣٠٠، «لسان العرب» ٣/ ١٧٦٤، ٣/ ١٨٨٧. والزورة: البعد، وقيل: انحراف عن الطريق، والشفيف: لذع البرد، والسبنتى: النمِر.

(٣) في كتاب «الحجة» ٢/ ٢٥٠: متقابلتان. وهو أصوب.

(٤) البيت لأبي صخر الهذلي في «شرح أشعار الهذليين» ٢/ ٩٥٧، و«شرح شواهد المغني» ١/ ١٦٩، و«لسان العرب» ٥/ ٢٦٨٩ (طلع)، و«مغني اللبيب» ٢/ ٥١٨.

(٥) من كتاب «الحجة» ٢/ ٢٥٠.

قال: وأخبرنا ابن الأعرابي قال: مهبّ الجنوب من مطلع سُهيل إلى مطلع الثُّرَيّا، والصبا من مطلع الثريا إلى بناتِ نَعْشٍ، والشمال من بنات نعش إلى مسقط النسر الطائر، والدبور من مسقط النسر الطائر إلى مطلع سُهَيل.

وقال غيره: الجنوب: التي تجيء من قبل اليمن، والشمال: التي تهبّ من قبل الشام، والدَّبور: التي تجيء من عن يمين القبلة شيئًا، والصّبا: بإزائها[(١)].

والشمال ريح باردة، تكرهها العرب؛ لبردها وذهابها بالغيم، وفيه[(٢)] الحَيَا والخِصْبُ[(٣)]، وإذا سمعت الريح تنسب إلى الشام فهي الشمال الباردة، كقول زياد بن منقذ:

والمطعِمون إذا هبّتْ شاميةً
وباكر الحيَّ من صُرّادها صِرَمُ[(٤)(٥)]

وقال النابغة:

وهبّت الريحُ مِن تلقاءِ ذي أُرُلٍ
تُزجى مع الليل من صُرّادها صِرَمًا[(٦)]

---

(١) من كتاب «الحجة» ٢/ ٢٥٠، و٢٥١ بتصرف وتقديم وتأخير.

(٢) في (ش): (وفيها).

(٣) من كلام الأصمعي، نقله أبو علي في «الحجة» ٢/ ٢٥٥.

(٤) في (أ): ضبطت صِرَم، وفي (ش): صَرَم.

(٥) ينظر: «معجم البلدان» ١/ ٢٠٣ (أشي).

(٦) البيت في «ديوانه» ص٦٣، «لسان العرب» ١/ ٦٥، ٤/ ٢٤٣٩، «مقاييس اللغة» ٣/ ٣٤٥، «أساس البلاغة» (مادة: صرم).

وذُو أُرُلٍ: جبل بأرض غطفان من ناحية الشام، ولكراهتهم الشمال يسمّون كل مكروه عندهم: مشْمولًا، قال زهير:

جرت سُنُحًا[١] فقلت لها مَرُوعًا نَوًى مَشْمُولةٌ فمتى اللِّقاءُ[٢]

مشمولة أي: مكروهة[٣].

وقد صرّح طرفة بأن الشمال شامية، في قوله:

فأنت[٤] على الأدنى شَمالٌ عَرِيّةٌ[٥] شآميّةٌ[٦] تَزوي[٧] الوجوهَ بَلِيلُ

ويحبون الجنوب لدفئها، ولأنها تجيء بالسحاب والمطر[٨]، أنشد الأصمعي لحُميد بن ثور:

فلا يُبْعِدِ اللهُ الشبابَ وقولَنا إذا ما صَبَوْنا صَبْوَةً سَنَتُوبُ

لياليَ أَبْصَارُ الغواني وسمعُها إليَّ وإذ ريحِي لهن جنوبُ[٩]

---

(١) في (ش): (كأنها بسحًا).

(٢) البيت في «ديوانه» ص٥٩، و«لسان العرب» ٤/ ٢١١٣، ٤/ ٢٣٢٩، «أساس البلاغة» ١/ ٥٠٦ (مادة: شمل).

(٣) ينظر: «الحجة» لأبي علي الفارسي ٢/ ٢٥٥.

(٤) في (ش)، (م): (وأنت).

(٥) في (ش): (عزية).

(٦) سقطت من (م).

(٧) في (ش): (تزري).

(٨) من كلام الأصمعي تابع للنقل السابق عنه، نقله أبو علي في «الحجة» ٢/ ٢٥٥، وقطعه المؤلف وأدخل فيه غيره.

(٩) البيتان لحميد بن ثور، وردا في «الإصابة» ١/ ٣٥٦، «الاستيعاب» ١/ ٤٣١، «الأغاني» ١٨/ ١٣٢، «الزاهر» ١/ ٣٦٧. ينظر: «وضح البرهان» ٢/ ٣٣٢.

أي: محبوبة كما تحب الجنوب.

وقال أبو عبيدة: الشمال عند العرب للرَّوْح، والجنوب للأمطار والأنداء، والدَّبور للبلاء، أهونه أن يكون غبارًا عاصفًا، يقْذي[1] العين، وهي أقلهن هُبوبًا، والصَّبا لإلقاح الشجر، وكل ريح انحرفت فوقعت بين ريحين من هذه الأربع فهي نكباء.

وتقول العرب: إنَّ النُّكُب أربع: فنكباء الصبا والجنوب ميباس للبقل ونكباء الصبا[2] والشمال مِعْجاجٌ مِصْراد، لا مطر فيها ولا خير، ونكباء الشمال والجنوب ريح قَرَّة، وربما كان فيها مطر وهو قليل، ونكباء الدبور والجنوب قد تكون في الشتاء والصيف[3]. وقول الخثعمي:

مِن كلِّ فيّاضِ اليدين إذا غدَتْ نكباءُ تُلْوي بالكنيفِ[4] المُوصَدِ[5]

هذه في الشتاء[6][7].

واختلف القراء في ﴿ٱلرِّيَٰحِ﴾ فقرأ بعضهم: بالجمع في مواضع، وبالتوحيد في مواضع[8]، وهم مختلفون فيها. والأظهر في هذه الآية

---

(١) في (م): (يؤذي).

(٢) في (ش): (للصبا).

(٣) في (أ): (كأنها المصيف).

(٤) في (ش): (الكثيف).

(٥) ورد البيت في «ديوان الحماسة» ١/ ٣٣٤.

(٦) في (م): (الثنا).

(٧) ينظر في تفصيلات الريح وأسمائها وأنواعها: «المخصص» لابن سيده ٢ سفر ٩٦٢ وما بعدها.

(٨) فبهذه الآية قرأ حمزة والكسائي وخلف بإسكان الياء وحذف الألف بعدها، على الإفراد، وغيرهم بفتح الياء وألف بعدها على الجمع. ينظر: «السبعة» ص١٧٣، =

الجمع؛ لأن كل واحد من هذه الرياح مثل الأخرى في دلالتها على الوحدانية، وتسخيرها؛ لينتفع الناس بها بتصريفها، وإذا كان كذلك فالوجه أن تجمع؛ لمساواة كل واحدة منها الأخرى. وأما من وحّد فإنه يريد الجنس، كما قالوا[١]: أهلك[٢] الناس الدينار والدرهم، وإذا أريد بالريح الجنس كانت قراءة من وحّد كقراءة من جمع .

فأما ما روي في الحديث من أن النبي ﷺ كان إذا هبت ريح قال: «**اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا**»[٣].

فمما[٤] يدل على أن مواضع الرحمة بالجمع أولى قوله[٥]: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [الروم: ٤٦]، وإنما تبشر بالرحمة، ويشبه أن يكون النبي ﷺ قصد هذا الموضع من التنزيل. ومواضع الإفراد من

= «النشر» ٢/ ٢٢٣، «الحجة» ٢/ ٢٤٨-٢٥١، وقد ذكروا المواضع التي اختلفت فيها القراء في القرآن كله.

(١) في (م): (يقال).

(٢) في (م): (هلك).

(٣) أخرجه الشافعي في الأم ١/ ٢٥٣ باب القول في الإنصات عند رؤية السحاب، وفي «المسند» ١/ ١٧٥ برقم ٥٠٢، باب في الدعاء من طريق العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس، ومن طريق الشافعي أخرجه البيهقي في «معرفة السنن والآثار» ٥/ ١٨٩، وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» ٤/ ١٣٥٢ من طريق العلاء بن راشد، وهو ضعيف، وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» ٤/ ٣٤١، والطبراني في «الكبير» ١١/ ٢١٣ من طريق الحسين بن قيس، وهو متروك. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ١٣٥: رواه الطبراني وفيه: حسين بن قيس، الملقب بحنش، وهو متروك، وقد وثقه حصين بن نمير، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) في (م): (رايدًا).

(٥) في كتاب «الحجة» ٢/ ٢٥٧: ومواضع العذاب بالإفراد، ويقوي ذلك قوله تعالى.

العذاب[١] كقوله: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١].

وقد يختص اللفظ في التنزيل بشيء فيكون أمارة له، فمن ذلك أن عامة ما جاء في التنزيل من قوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ مبهم غير مبيّن، كقوله: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]، وما كان من لفظ (أدراك) مفسّر، كقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ٣]، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ [القارعة: ١٠][٢].

فأما التفسير، فالتصريف في اللغة: التقليب، وهو تَفْعيل من الصَّرف، والصَّرف: القلب عن الشيء. والصَّرِيف: اللبنُ الذي سَكَنَت[٣] رَغْوتُه؛ لانصراف الرغوة عنه، وقيل: لا يُسمَى صريفًا حتى يُنصرف به عن الضرع[٤]، والصريف: الفحل نابيه؛ لأنه يقلب أحدهما بالآخر[٥].

قال المفسرون: ومعنى ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾: تَقْليبُها قَبُولًا ودَبُورًا وشمالًا وجنوبًا، كما بَيّنَّا، وتصريفها مرةً بالرحمة، ومرةً بالعذاب، وتصريفها مرة حارةً، ومرةً باردةً، ومرة لينةً، ومرةً عاصفة[٦].

---

(١) في (أ)، (م): (الإفراد والعذاب).

(٢) من كتاب «الحجة» ٢/ ٢٥٦-٢٥٨ بتصرف.

(٣) في (ش): (سكتت). ولعلها كذلك في (م).

(٤) ينظر في معاني التصريف: «المفردات» ص٢٨٣، «اللسان» ٤/ ٢٤٣٤ (صرف).

(٥) العبارة غير واضحة، وقد يكون صوابها: صرف الفحل نابه، أي: حرقه فسمعت له صوتًا، ولنابه صريف أي: صوت. قال في «اللسان» ٤/ ٢٤٣٦: الصريف: صوت الأنياب، وصرف الإنسان والبعير نابه، وبنابه حرقة فسمعت له صريفًا، وناقة صروف بينة الصريف، وصريف الفحل: تهدُّره.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٦٤، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٧٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١١، «المحرر الوجيز» ٢/ ٥١، «البحر المحيط» ١/ ٤٦٧.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾ سمي السحاب لانسحابه في الهواء[١].

ومعنى التسخير: التذليل، ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ﴾: المطيعة لله تعالى[٢].

١٦٥- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ الآية، لما ذكر الله تعالى الدلالةَ على وحدانيته أَعْلَم أنّ قومًا بعد هذه الدلالة والبيان يتخذون الأنداد، مع علمهم أنهم لا يأتون بشيء مما ذكر[٣]. ومضى الكلام في معنى: (الأنداد)[٤].

قال أكثر المفسرين: يريد بالأنداد: الأضداد[٥] المعبودة من دون الله ﷻ، فعلى هذا، الأصنام أنداد بعضها لبعض، أي: أمثال، ليست أنها أنداد لله تعالى[٦].

وقال السُدِّي: يعنى: بالأنداد أكفاء من الرجال يطيعونهم في معصية الله[٧].

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٢، وينظر: «المفردات» ص٢٣١، «التفسير الكبير» ٤/ ٢٠٢، «اللسان» ٤/ ١٩٤٨.

(٢) ينظر: «المفردات» ٢٣٣، «التفسير الكبير» ٤/ ٢٠٢، «اللسان» ٤/ ١٩٦٣ (سخر).

(٣) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٧، وينظر: «التفسير الكبير» ١/ ٢٠٤، «البحر المحيط» ١/ ٤٦٩.

(٤) ينظر في معنى الند: «تفسير الطبري» ١/ ١٦٣، «المفردات» ص٤٨٩.

(٥) في (ش): (الأصنام). وهو كذلك عند الثعلبي في «تفسيره» ١ / ١٣١٤

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٤، «زاد المسير» ١/ ١٧٠، «معاني القرآن» ١/ ٩٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٦٩، «التفسير الكبير» ٤/ ٢٠٤، ونسبه إلى أكثر المفسرين. وظاهر كلام المفسرين: أنهم اتخذوها أندادًا لله بحسب زعمهم.

(٧) رواه عنه الطبري ٢/ ٦٧، ولفظه: الأنداد من الرجال، يطيعونهم كما يطيعون الله،=

وعلى هذا: المطاعون في معصية الله أنداد[١] للمطيعين، أو هم أندادٌ، بعضُهم[٢] لبعض نِدٌّ، كما قلنا في الأصنام.

وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ قال الليث: يقال: أَحْبَبْتُ الشيءَ فأنا مُحِبٌّ، وهو محبوبُ، قال: ومثله: أحزنته فهو محزون، وأَجَنَّه الله فهو مجنون، وقد جاء مُحَبّ شاذًا في قول عنترة:

بمنزلة المُحَبِّ المكرم[٣]

قال شمر: قال الفراء: وحَبَبْتُ لغةٌ، وأنشد:

فو الله لولا تَمْرُهُ ما حَبَبْتُهُ ولا كان أدنى من عُبيدٍ ومُشرِقِ[٤][٥]

عن أبي زيد: بعير مُحِبّ، وقد أَحَبّ أحبابًا، وهو أن يصيبه مرض أو كسر فلا يبرح مكانه حتى يبرأ أو يموت. قال: والإحباب: هو البروك، فمن

= إذا أمروهم أطاعوهم وعصوا الله. وقد رواه الطبري عن ابن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ باللفظ الذي ذكره المؤلف، وذكر ذلك عند قوله: (فلا تجعلوا لله أندادًا وأنتم تعلمون)، ورواه الطبري ١/ ١٦٣. وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٦٩، فقد بين: أن المراد بالناس: أهل الكتاب، ورجح كونهم أهل الكتاب بقوله: (يحبونهم). فأتى بضمير العقلاء، وباستبعاد محبة الأصنام. ولقوله: (إذ تبرأ)، والتبرؤ لا يناسب إلا العقلاء، وكذا قال الرازي في «تفسيره» ٤/ ٢٠٤.

(١) في (ش): (أندادًا لمطيعين).

(٢) في (ش): (وبعضهم).

(٣) والبيت بتمامه:

ولقَدْ نَزَلْتِ فلا تَظُنِّى غيرَه مني بمنزلة المُحَبِّ المكرم

البيت في «ديوانه» ص١٩١.

(٤) في (م): (ومشرقي).

(٥) البيت لغيلان بن شجاع النهشلي، في «لسان العرب» ٢/ ٧٤٣ (حبب). وروايته: فأُقسِمُ، وبلا نسبة في «الأشباه والنظائر» ٢/ ٤١٠، «مغني اللبيب» ١/ ٣٦١.

الناس من يجعل المحبة مأخوذة من هذا؛ للزوم المحب محبوبه[١].

وفي قوله: ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ طريقان لأهل المعاني: أحدهما: أن المعنى فيه كحب المؤمنين الله، أي: يحبون الأصنام كما يحب المؤمنون ربهم، فأضيف المصدر إلى المحبوب، كقول القائل: أكلتُ طعامي كأكل طعامك، وبعت جاريتي كبيع جاريتك، وهو يريد: كبيعك جاريتك وأكلك طعامك، فيحذف الفاعل، ويضيف المصدرَ إلى المفعول[٢]، كقول الشاعر:

ولستُ مسلِّما ما دمتُ حيًّا على زيد كتسليم الأميرِ[٣]

أراد: كتسليمي على الأمير، هذا قول الفراء[٤]، ويوافقه تفسير ابن عباس[٥]، فإنه قال: يريد: كحب الذين آمنوا الله[٦]، فكثير[٧] من العلماء

---

(١) ينظر: «المفردات» ص١١٢، «البحر المحيط» ١/ ٤٧٠، «اللسان» ٢/ ٧٤٥-٧٤٦ (حبب).

(٢) ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ٥٤-٥٥، «البحر المحيط» ١/ ٤٧٠.

(٣) البيت لعلي بن خالد البردخت، كما في «رسائل الجاحظ» ٢/ ٢٦١، ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١ / ١٠٠، «البيان والتبيين» ٤/ ٥١، «تفسير الطبري» ٢/ ٦٧ «تفسير الثعلبي» ١ / ١٣١٤.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٧.

(٥) نسبه إليه ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٧٠، وابن عطية في «المحرر الوجيز» ٢/ ٥٤.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٦٧، واختار هذا القول، ورواه عن قتادة ومجاهد والربيع وابن أبي زيد، وكذا رواها ابن أبي حاتم ١/ ٢٧٦، ونسبه في «زاد المسير» ١/ ١٧٠ أيضًا إلى عكرمة وأبي العالية ومقاتل. وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٤، وعزاه لأكثر العلماء، «تفسير السمعاني» ٢/ ١٢٠، «الكشاف» ١/ ٢٠٩.

(٧) في (ش): (وكثير).

على هذه الطريقة فلم يثبتوا للكفار حبًا لله، وجعلوا حب الله للمؤمنين[(١)]، وشبهوا حُبَّ الكفار للأصنام بحب المؤمنين لله[(٢)].

الطريق الثاني: أن المعنى فيه: يحبونهم كحب الله، أي: يسوّون بين هذه الأصنام وبين الله ﷻ في الحب، فيكون تقدير الآية: يحبونهم كحبهم الله، فيضاف الحب إلى الله ﷻ، والمشركون هم المُحِبُّون[(٣)]، وعلى المشركين في تسويتهم بين الله ﷻ والأصنام في المحبة أعظم الحجج وأوكدها، إذ أحبوا وعبدوا ما لا ينفع ولا يضر، ولا يحيي ولا يميت. وقد بيّن الله -عز اسمه- ما يدل على هذا المعنى في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. وهذا القول اختيار الزجاج[(٤)] وابن كيسان[(٥)]، وعلى هذا فقد أثبت للمشركين حبًّا لله، شبه حبّهم الأصنام بحبهم الله تعالى.

وقال أبو رَوق: معنى قوله: ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾، أي: يحبون الأصنام حُبًّا لا يستحقّ مثلَ ذلك الحبِّ إلا اللهُ، ويحبونهم كما ينبغي لهم أن يحبوا الله، فالمعنى فيه: كالحب المستحق لله.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾ قال ابن عباس: أي:

---

(١) في (أ)، (م): (المؤمنين).

(٢) في (م): (الله).

(٣) في (م): (المحبين).

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٧، وقال عن القول الأول: (ليس بشيء، ودليل نقضه قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾. والمعنى: أن المخلصين الذين لا يشركون مع الله غيره هم المحبون حقًّا). وهو اختيار الرازي في «تفسيره» ٤/ ٢٠٤.

(٥) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٤.

أثبت وأدوم[١]، وذلك أن المشركين كانوا يعبدون صنمًا فإذا رأوا شيئًا أحسن منه[٢] تركوا ذلك، وأقبلوا على عبادة الأحسن[٣]. وقال قتادة: إن الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء، ويقبل على الله ﷻ، ألا ترى إلى قوله: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ الآية [العنكبوت: ٦٥]، والمؤمن لا يُعرض عن الله في السرّاء والضرّاء والشدة والرخاء، ولا يختار عليه سواه[٤].

وقيل: لأن المؤمنين يوحدون ربهم، والكفار يعبدون مع الصنم أصنامًا، فتنقص محبة الواحد، بضم محبة مجمع إليه، والذي لا يعبد إلا واحدًا محبته له أتم. وهذه الأقوال على طريقة من لم يثبت للمشركين محبة لله. فأما من أثبت لهم محبة لله فالمؤمنون أشد حبًّا منهم؛ لأن الكفار يقولون: إن الله خالقنا ورازقنا، ثم يجعلون معه شركاء، فتضعف محبتهم، وتنقص بذلك، وتتم محبة المؤمنين ربّهم بإفرادهم إياه في العبادة[٥].

وهذا معنى قول الحسن: إن الكافرين عبدوا الله بالواسطة، وذلك قولهم للأصنام: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] وقولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٣] والمؤمنون يعبدونه بلا واسطة؛ لذلك قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾،[٦] ومعنى حب المؤمنين الله:

---

(١) في (م): (ودا).

(٢) في (م): (أخير).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٣١٥، والسمعاني في «تفسيره» ٢/ ١٢١، والبغوي ١/ ١٧٨ ولم ينسبه لابن عباس.

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٥، وذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ١٧٨-١٧٩، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٣٦.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٥-١٣١٦.

(٦) في «تفسير الحسن البصري» ١/ ٩٤، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٣١٥.

حب طاعته والانقياد لأمره، ليس معنى يتعلق بذات القديم سبحانه[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ جواب (لو) محذوف. وقد كَثُر في التنزيل حذفُ جواب (لو) كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ [الرعد: ٣١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعام: ٩٣].

قال أصحاب المعاني: وحذف جواب (لو) في مثل هذا الآي يكون أفحم وأبلغ؛ لذهاب المخاطب المتوعَّد إلى كلّ ضرب من الوعيد، ولو

---

(١) هذا من المؤلف تأويل يخالف ظواهر النصوص، جرى فيه على مذهب الأشاعرة الذين يجيزون إطلاق هذه اللفظة لكنهم يحيلون وقوعه، كما ذكر الرازي في «تفسيره» ٤/ ٢٠٥، فالمؤمنون يحبون الله لذاته، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾، وقال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة ٥٤].

قال ابن القيم في «إغاثة اللهفان» ١/ ١٦٥: وليس شيء يحب لذاته من كل وجه إلا الله ﷻ وحده، الذي لا تصلح الألوهية إلا له. وأما تقسيم المحبة والإرادة إلى نافعة وضارة، فهو باعتبار متعلقها ومحبوبها ومرادها، فإن كان المحبوب المراد هو الذي لا ينبغي أن يحب لذاته ويراد لذاته إلا هو، وهو المحبوب الأعلى الذي لا صلاح للعبد ولا فلاح ولا نعيم ولا سرور إلا بأن يكون هو وحده محبوبه ومراده وغاية مطلوبه، كانت محبته نافعة له. أما الأشاعرة فينفون المحبة بين الله وعبده؛ لأن العقل لا يدل عليها، و كل ما لا يدل العقل عليه فإن الله يجب أن ينزه عنه، وقالوا: إن المحبة لا تكون إلا بين متجانسين، فلا تكون بين رب ومخلوق، وهذه دعوى باطلة يكفي فيها المنع؛ لأن الأصل عدم ثبوت الدعوى، والواقع يدل على ثبوت المحبة بين غير المتجانسين، كما يحب آلاته وبعض بهائمه. علمًا بأن العقل قد دل على ذلك؛ فإثابة الطائعين ونصرهم وتأييدهم وإجابة دعائهم دليل على المحبة. وينظر: «شرح العقيدة الواسطية» للشيخ محمد العثيمين ص١٩٦، «مختصر منهاج القاصدين» ٣٤٣-٣٥٦.

ذكر له ضرب من الوعيد لم يكن مثل أن يبهم[١] عليه؛ لأنه يوطّن نفسه على ذلك المذكور، ومن وطّن نفسه على شيء لم يصعب عليه صعوبتَه على من لم يوطنْ عليه نفسَه. وذكرنا شواهد هذه المسألة في سورة الأنعام، عند قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ﴾ [الأنعام: ٢٧][٢].

وكثر اختلافُ القُرّاء[٣] في هذه الآية، فقرأ حمزة والكسائي وعاصم وأبو عمرو وابن كثير: (ولو يَرى) بالياء، ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ بالفتح فيهما[٤].

والمراد بالرؤية هاهنا: رؤية العين المتعدية إلى مفعول واحد، والفعل في هذه القراءة[٥] مسند إلى الذين ظلموا، و(الذين ظلموا): هم الذين

---

(١) في (ش): (يتهم)، وفي (أ)، (م): غير منقطة ولا واضحة.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٩، و «تفسير الطبري» ٢/ ٦٧، «التبيان» للعكبري ص١٠٥، «البحر المحيط» ١/ ٤٧١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٨.

(٣) ينظر في توجيه القراءات في الآية: «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٧، «تفسير الطبري» ٢/ ٦٧-٦٩، «التبيان» ص١٠٥-١٠٦، «البحر المحيط» ١/ ٤٧١، «الحجة» ٢/ ٢٥٨.

(٤) ينظر: «السبعة» ص١٧٣-١٧٤، «النشر» ٢/ ٢٢٤، «الحجة» ٢/ ٢٥٨، قال في «النشر»: واختلفوا في ﴿ولو ترى الذين﴾ فقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالخطاب، واختلف عن ابن وردان عن أبي جعفر، فروى ابن شبيب عن الفضل من طريق النهرواني عنه بالخطاب، وقرأ الباقون بالغيب. واختلفوا في ﴿يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ فقرأ ابن عامر بضم الياء، وقرأ الباقون بفتحها. واختلفوا في ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ فقرأ أبو جعفر ويعقوب بكسر الهمزة فيهما. وقرأ الباقون بفتح الهمزة فيهما.

(٥) في (ش): (الآية).

كفروا، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وإنما كان ينبغي أن يسند إليهم الفعل؛ لأن النبي ﷺ والمسلمين قد علموا قدرَ ما يشاهدُ الكفارُ ويعاينونه من العذاب يوم القيامة، والمتوعدون في هذه الآية لم يعلموا ذلك، فوجب أن يسند الفعل إليهم[(١)]، وفتحوا ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾، لأنهم أعملوا فيه الرؤية، تقديره: ولو يرون أن القوة. ومعناه: ولو يرى الذين ظلموا شدة عذاب الله وقوته لعلموا مضرّة اتخاذ الأنداد. وقولنا: لعلموا، هو الجواب المحذوف، وإنما قدرنا هذا الجواب مع احتمال غيره؛ لأنه قد جرى ذكر اتخاذ الأنداد في أول الآية[(٢)].

وقال أبو عبيد والزجاج[(٣)]: يجوز أن يكون العامل في (أن) جواب (لو) المقدر؛ لأنه قد جاء في تفسير هذه الآية: لو رأى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الآخرة، لعلموا حين يرونه أن القوة لله جميعًا، ففتحوا (أن) بالجواب المقدر وهو: لعلموا[(٤)].

وضعّف أحمد بن يحيى هذا القول، وقال:[(٥)] العَلَم لو حذف لم يترك صلته، وقال من احتج لهذا القول: حذف الموصول وإبقاء أصله لا ينكر، كقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] في قراءة من نصب، والمراد: ما بينكم، فحذفت (ما) وتُركت صلتها.

وقرأ أبو جعفر: (ولو يرى) بالياء[(٦)]، وكسر (إن القوة) و(إن الله)

---

(١) «الحجة» ٢/ ٢٦١.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٨.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٨.

(٤) في (ش): (وعلموا).

(٥) في (م): (قال).

(٦) في (ش): (بالتاء).

وإنما كَسَر؛ لأن ما قبل (إن) كلام تام، مع ما أضمر فيه من الجواب المقدر؛ لأن تقديره: ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب لآمنوا، أو لرأوا أمرًا عظيما، فلما تم الكلام بقي قوله: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ مستأنف، وإذا استأنف وجب كسره.

قال الفراء: وتكون الرؤية على هذه القراءة واقعة على (إذ) في المعنى، وفتح (أنّ) مع الياء أحسن من كسرهما[١].

وقرأ يعقوب وسَهْل: (ولو ترى) بالتاء، (إن القوة)، و(إن الله): بالكسر فيهما. والخطاب في هذه القراءة[٢] للنبي ﷺ، ولم يقصده[٣] بالمخاطبة؛ لأنه لم يعلم ما يراه الكفار من العذاب في الآخرة، ولكن في قصده المخاطبة[٤] تنبيه لغيره، ألا ترى أنه قد يُخَاطَبُ فيكون خطابه خطابًا للكافة، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ [الأنفال: ٧٠] و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١][٥].

قال أبو إسحاق: وهذا[٦] كما قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۞ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٠٦-١٠٧] وهو بمنزلة: ألم تعلموا. كذلك، (ولو ترى) بمنزلة: ولو ترون، ويكون (إن القوة) مستأنفة كما وصفنا. ويكون الجواب -والله أعلم- لرأيت أمرًا

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٧.
(٢) في (ش): (الآية).
(٣) في (أ)، (م): (يقصد).
(٤) سقطت من (أ)، (م).
(٥) «الحجة» ٢/ ٢٦٢.
(٦) في (ش): (فهذا).

عظيمًا، كما تقول: لو رأيت فلانًا والسياط تأخذه، فتستغني[١] عن الجواب؛ لأن المعنى معلوم[٢].

قال ابن الأنباري: ويجوز في هذه القراءة أن تضمر القول وتعلق (إن) به، ويكون التقدير: ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب لقلت: إن القوة لله جميعا، فانكسرت (إن) مع القول كما انفتحت مع العلم.

وقرأ نافع وابن عامر: (ترى) بالتاء[٣]، وفتح: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ﴾، و﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾، وعلى[٤] هذه القراءة لا يجوز أن يكون العامل في: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ﴾ قوله: (ترى)؛ لأن الرؤية ها هنا: المراد به رؤية البصر، فلم يجز أن تتعدّى إلى (أن)؛ لأنها قد استوفت مفعولها الذي تقتضيه، وهو: (الذين ظلموا)، فإذا لم يجز أن تنتصب (أن) بـ(ترى)، ثبت أنه منتصب[٥] بفعل آخر غير (ترى) الظاهرة، وذلك الفعل هو الذي يقدر جوابا لـ(لو)، كأنه: ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب رأوا أن القوة لله، والمعنى: أنهم شاهدوا من قدرته سبحانه ما تيقنوا معه أنه قوي عزيز، وأن الأمر ليس على ما كانوا عليه من جحودهم لذلك، أو شكّهم فيه[٦].

والاختيار عند الفراء وغيره: كسر (إن) مع المخاطبة؛ لأن الرؤية واقعة على الذين ظلموا، فكان وجه الكلام أن يستأنف (إن).

---

(١) في (م): (تستغني).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٨-٢٣٩، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣١٨.

(٣) في (م): (بفتح التاء وفتح).

(٤) في (أ)، (م): (على).

(٥) في (م): (انتصب).

(٦) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٦٣.

قال الفراء: ولو فتحها على تكرير الرؤية كان صوابًا، كأنه قال: ولو ترى الذين ظلموا إذ[1] يرون العذاب يرون[2] ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[3]. ومن قرأ بالياء ففتحُ ﴿أَن﴾ في قراءته أبين؛ لأنه ينصب ﴿أَن﴾ بالفعل الظاهر دون المضمر.

هذه وجوه اختلاف القراءة في هذه الآية[4]. فإن قيل: كيف جاءت (إذ) في قوله: ﴿إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ مع قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ وهذا أمر مستقبل وإذ لما مضى؟، قيل: إنما جاء على لفظ المضي لإرادة التقريب في ذلك، كما جاء ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧]، فلما أريد فيها من التحقيق والتقريب؛ جاء على لفظ المضي، وعلى هذا جاء في ما هو من[5] أمر الآخرة أمثلة الماضي، كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤]. ومما جاء على لفظ المضي للتقريب من الحال: قول المقيم: قد قامت الصلاة، يقول ذلك قبل إيقاعه التحريم بالصلاة؛ لقرب ذلك من قوله، وعلى هذا قول رؤبة:

أَوْدَيْتُ إن لم تَحْبُ[6] حَبْوَ المُعْتَنِكْ[7][8]

---

(١) من قوله: (فكان وجه الكلام). ساقطة من (ش).

(٢) ليست في (أ)، (م).

(٣) من «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٧-٩٨.

(٤) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٦٣ بتصرف.

(٥) ساقطة من (أ)، (م).

(٦) في (ش): (يحب).

(٧) في (ش): (المعتبك).

(٨) لرؤبة من قصيدة يمدح فيها الحكم بن عبد الملك في «ديوانه» ص١١٨، =

فإنما أراد تقريب مشاركته وإشفاءه عليه، فأتى بمثال الماضي، وجعله سادًّا مسدّ جواب أن، من حيث كان معناه الاستقبال في الحقيقة[1]، وأن الهلاك لم يقع بعد، ولولا ذلك لم يجز، ألا ترى أنه لا يكون: قمتُ إن قمتَ؟ إنما تقول: أقومُ إن قمتَ، وقد جاء كثير مما في التنزيل من هذا الضرب كقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟﴾ [الأنعام: ٢٧]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ [سبأ: ٥١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى﴾ [الأنفال: ٥٠]، فكما جاءت هذه الآية التي يراد بها الاستقبال بإذ، كذلك جاء: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ﴾[2].

وقرأ ابن عامر: (يُرون) بضم الياء، وحجته قوله[3]: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ منصوب على الحال، المعنى: إن القوة ثابتة لله ﷻ في حال اجتماعها[5].

١٦٦- قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾. العامل في ﴿إِذْ﴾ معنى ﴿شَدِيدُ﴾

= «الخصائص»٢/ ٢٨٩، «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٢٦٠ والمعتنك: البعير يصعد في العانك من الرحل ،وهو المتعقد منه.

(١) في (ش): (بالحقيقة).

(٢) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٦٠-٢٦١.

(٣) ساقط من (ش) وكلمة قوله ليست في (م).

(٤) «الحجة» ٢/ ٢٦٤.

(٥) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٩، وينظر: «التبيان» للعكبري ص١٠٧، وهذا إعراب لكلمة: (جميعًا).

من قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ﴾ كأنه قيل: وقت تبرأ[١].

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾ يعنى: المتبوعين في الشرك والشرّ، ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ يعنى: السفلة والأتباع[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ﴾ الباء هاهنا: بمعنى: عن[٣]، كقوله: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] أي: عنه، قال علقمة بن عبدة:

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصيرٌ بأدواء النساء طبيب[٤]

أي: عن النساء.

وقال آخر:

تسائل بي هوازنُ أين مالي وهل لي غيرَ ما أتلفتُ مالُ[٥]

أي: عني.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾ أصل السبب في اللغة: الحبل، قال شمر: قال أبو عبيدة: السببُ: كلُّ حَبْل حَدَرْتَه[٦] من فوق.

---

(١) ينظر: «التبيان» ص١٠٧، وإعرابها إعراب آخرين، فالأول: بدل من إذ الأولى. والثاني: مفعول (اذكر).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٣٩، وتنظر الآثار في ذلك عند الطبري في «تفسيره» ٢/ ٧٠، وابن أبي حاتم ١/ ٢٧٧ عن قتادة وأبي العالية والربيع وعطاء، وينظر: «زاد المسير» ١/ ١٧١، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٠ وعزاه لأكثر أهل التفسير.

(٣) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٠، «التبيان» ١/ ١٠٧، وذكر أنها أيضًا للسببية، والتقدير: وتقطعت بسبب كفرهم، وقيل: إنها للحال، أي تقطعت موصولة بهم الأسباب، وقيل: الباء للتعدية، والتقدير: قطعتهم الأسباب، كما تقول: تفرقت بهم الطرق، أي فرقتهم، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٧٣، «التفسير الكبير» ٤/ ٢١١.

(٤) البيت لعلقمة الفحل في «ديوانه» ص٣٥.

(٥) البيت ليزيد بن الجهم، في «ديوان الحماسة» ٢/ ٣٥٦.

(٦) في (ش): (جدوته).

وقال خالدُ بنُ جَنَبَة: السبب من الحبال: القوي الطويل، قال: ولا يدعى الحبل سببًا حتى يُصْعَدَ به ويُنْزَل، ومن هذا قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ١٥]، فالسبب: الحبل في هذا الموضع، ثم قيل[1] لكل شيء وصلت به إلى موضع أو حاجة تريدها: سبب، يقال: ما بيني وبينك سبب، أي: آصرة رحم، أو عاطفة مودة. وقيل للطريق: سبب؛ لأنك بسلوكه تصل إلى الموضع الذي تريده، قال الله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٥] أي: طريقًا، و(أسبابُ السماء): أبوابُها؛ لأن الوصول إلى السماء يكون بدخولها، قال الله تعالى خبرًا عن فرعون: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ * أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، قال زهير:

ومن هاب[2] أسبابَ المنايا ينلنه ولو رام أسبابَ السماء بسُلَّمِ[3].

والمودة بين القوم تسمى: سببًا؛ لأنهم بها يتواصلون، ومنه قول لبيد:

بل ما تَذكَّرُ من نوارَ وقد نأتْ وتقطّعت أسبابُها ورِمامُها[4][5].

والتي في هذه الآية يعني بها: وُصَلَهم التي كانت تجمعهم، قال ابن

---

(١) في (م): (يقال).

(٢) سقط من (ش).

(٣) البيت في «ديوانه» ص٣٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٢، «السمعاني» ٢/ ١٢٣، «الرازي» ٤/ ٢٣٤، «القرطبي»، «لسان العرب» ٤/ ١٩١٠ (سب).

(٤) البيت في «ديوانه» ص٣٠١، «لسان العرب» ٤/ ١٩١٠ (سب).

(٥) ينظر في معاني السبب: «تفسير الطبري» ٢/ ٧١-٧٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٢، «المفردات» ص٢٢٦، «تاج العروس» ٢/ ٦٦ وما بعدها.

عباس[١] ومجاهد[٢] وقتادة[٣]: يعني: أسباب المودة والوصلات التي كانت بينهم في الدنيا، تقطعت وصارت مخالّتهم عداوة.

وقيل: أراد بالأسباب: الأرحام التي كانوا يتعاطفون بها[٤].

وقال ابن زيد: يعني: الأعمال التي كانوا يؤملون أن يصلوا[٥] بها إلى ثواب الله[٦].

١٦٧- وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ وهم الأتباع. ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ موضع أن رَفْع؛ لأن لو تطلب الفعل[٧]، المعنى: لو وقع كرور، أي: رجعة إلى الدنيا[٨].

﴿فَنَتَبَرَّأَ﴾ جواب التمني بالفاء، كقوله: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢] قال الكسائي: إنما نصب جواب التمني بالفاء[٩]؛ لأن تأويله: لو أنّ لنا أن نَكُرَّ فَنَتَبَرَّأَ[١٠].

---

(١) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٧١، وابن أبي حاتم ١/ ٢٧٨.

(٢) رواه عنه الطبري ٢٧١، وابن أبي حاتم ١/ ٢٧٨.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١٥/ ٦٥، والطبري ٢/ ٧١، وابن أبي حاتم ١/ ٢٧٨.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٧١ بسنده عن ابن عباس، وابن أبي حاتم عن الضحاك ١/ ٢٧٨، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٢٠ عن ابن جريج والكلبي.

(٥) في (م): (يوصلوا).

(٦) رواه عنه الطبري ٢/ ٧٢، ورواه ابن أبي حاتم عن السدي عن أبي صالح ١/ ٢٧٩.

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٠.

(٨) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٠، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٧٣، و«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٧٩.

(٩) ساقطة من (أ)، (م).

(١٠) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٧٣، «التبيان» ١/ ١٠٦، وذكر وجهًا آخر وهو أن (فنتبرأ) منصوب بإضمار أن، تقديره: لو أن لنا أن نرجع فأن نتبرأ، وجواب لو على هذا محذوف، تقديره: لتبرأنا أو نحو ذلك.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كتبرؤ[١] بعضهم من بعض[٢].

﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ﴾ قال الربيع بن أنس: يريهم أعمالهم القبيحة التي سلفت منهم في الدنيا حسراتٍ عليهم في الآخرة[٣]؛ لأنهم إذا رأوا حُسْنَ مجازاة الله المؤمنين بأعمالهم الحسنة تحسروا على أن لم تكن أعمالُهم حسنةً، فيستحقّوا بها من ثواب الله مثلَ الذي استحقه المؤمنون.

وقال ابن كيسان: يعني بأعمالهم: عبادَتَهم الأوثان رجاء أن تقربهم إلى الله، فلما عُذِّبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسّروا وندموا[٤].

قال أبو إسحاق: والحَسْرَةُ: شِدَّةُ الندم، حتى يبقى النادم كالحسير من الدوابّ الذي لا منفعة فيه، ويقال: حَسِرَ فلان يَحْسَر حَسْرَةً وحَسَرًا: إذا اشتدَّ نَدَمُه على أمر فاته، قال المَرَّار:

ما أنا اليومَ على شيء خلا … يا ابنةَ القَيْنِ تَوَلَّى بِحَسِرْ[٥].

أي: بنادم.

وأصل الحَسْر: الكشف، يقال: حَسَر عن ذراعه، والحَسْرَة: انكشاف عن حال الندامة[٦]، والحُسُور: الإعياء؛ لأنه انكشاف الحال

---

(١) في (ش): (كثير).

(٢) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٠، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٢ وذكر وجهًا آخر، أي: كما أراهم العذاب كذلك يريهم الله!

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٧٥، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٢٣، والقرطبي ٢/ ١٩٠.

(٤) ذكره الثعلبي ١/ ١٣٢٣، والواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٥٢، والبغوي ١/ ١٨٠.

(٥) البيت للمرار في «لسان العرب» ٢/ ٨٦٩.

(٦) سقطت من (م).

عما أوجبه طول السفر، والمِحْسرة: المِكْنَسَة[١]؛ لأنها تكشف عن الأرض، والطيرُ تنحسر؛ لأنها تنكشف بذهاب الريش[٢].

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في المشركين الذين أخرجوا النبي ﷺ من مكة.

١٦٨- قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ قال ابن عباس، في رواية أبي صالح: نزلت في الذين حَرَّموا على أنفسهم السوائب والوصائل والبحائر[٣]، وقال في رواية عطاء: يعني: المؤمنين خاصةً[٤].

وقوله تعالى: ﴿حَلَٰلًا﴾ إن شئت نصبته على الحال: ﴿مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وإن شئت نصبته على أنه مفعول: ﴿مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

---

(١) في (ش): كتب (الميليس).

(٢) ينظر في معاني حسر: «تفسير الطبري» ٢/ ٧٣-٧٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٣، «المفردات» ص١٢٥، «تاج العروس» ٦/ ٢٧٣.

(٣) روى البخاري (٤٦٢٣) كتاب: التفسير، باب: ما جعل الله من بحيرة ولا سائبةٍ، عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: التي كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء، والوصيلة: الناقة البكر في أول نتاج الإبل بأنثى، ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بأخرى ليس بينهما ذكر.

(٤) ينظر: «العجاب» ١/ ٤١٧، وفي «البحر المحيط» ١/ ٤٧٨: قال الحسن: نزلت في كل من حرم على نفسه شيئًا لم يحرمه الله عليه، وروى الكلبي ومقاتل وغيرهما: أنها نزلت في ثقيف وخزاعة وبني الحارث بن كعب، قاله النقاش. وقيل: في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة، قيل: وبني مدلج فإن صح هذا كان السبب خاصًا واللفظ عامًا، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. انتهى. وينظر: «زاد المسير» ١/ ١٧٢.

قال الفراء: يقال: قد حَلَّ الشيء فهو يَحِلُّ حَلالًا وحِلًّا، وحَلَّ من إحرامه يَحِلُّ حلالًا، وأصله: من الحَلِّ الذي هو نقيض العَقْد، ومعنى الحلال: المباح الذي انحلت عُقْدة الحظر عنه. ومنه: حلَّ بالمكان، إذا نزل به؛ لأنه حلّ شدّ الارتحال للنزول. وحَلّ الدَّين: إذا وجب؛ لانحلال العُقْدة بانقضاءِ المدة، وحَلَّ من إحرامه؛ لأنه حل عقدة الإحرام. وحلت عليه العقوبة، أي: وجبت، لانحلال العقدة المانعة من العذاب، والحُلّة: الإزار والرداء؛ لأنها تحل عن الطي للبس، ومن هذا: تَحِلَّةُ اليمين؛ لأن عقدة اليمين تنحلّ به[1].

والطيب في اللغة يكون بمعنى: الطاهر، والحلال يوصف بأنه طيب؛ لأن الحرام يوصف بأنه خبيث، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المائدة: ١٠٠]. والأصل في الطيب: هو ما يُسْتَلَذُّ ويستطاب، وَوُصفَ به الطاهر والحلال على جهة التشبيه؛ لأن النجسَ تكرهُهُ النفس فلا يُسْتَلَذّ، والحرام غير مستلَذّ؛ لأن الشرع يزجر عنه[2].

قال ابن عباس: يريد: قد غَنَّمْتُكم مال أعدائكم[3]، فعلى هذا عنى بالحلال الطيب: الغنيمة.

وقال أهل المعاني: أراد كل ما يغتذى به من المطاعم، ولهذا جمع

---

(١) ينظر في الحلال «تفسير الطبري» ٢/ ٧٦، «تهذيب اللغة» ١/ ٩٠٢-٩٠٤ (حلّ)، «المفردات» ص١٣٥، «تاج العروس» ١٤/ ١٥٨-١٦٨.

(٢) ينظر في الطيب: «تفسير الطبري» ٢/ ٧٦، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢١٤٧-٢١٤٨ (طاب)، «المفردات» ٣١٤-٣١٥، «تفسير البغوي» ١/ ١٨٠، «تاج العروس» ٢/ ١٨٨-١٩٢، «البحر المحيط» ١/ ٤٧٩.

(٣) هذا من رواية عطاء، وتقدم الحديث عنها.

بين الوصفين لاختلاف الفائدتين، إذ وصْفُه بأنه حلال يفيد أنه طِلْقٌ، ووصفه بأنه طيب أنه يغتذى به، وهو مُستلَذٌ في العاجل والآجل. فعلى هذا: التراب والخشب طاهر، ولا يحل أكلهما؛ لأنهما ليسا من الطيّب الذي يغتذى به[1].

وقال الزجاج: الأجود أن يكون المعنى: من حيث يطيب لكم، أي: لا تأكلوا مما يحرم[2]. فعلى هذا: المعنى: كلوا حلالًا من حيث يحِلّ لكم، فأما أن يأكل مال غيره فهو حلال في جنسه، ولكن ليس يحلّ له أكله، فهو حلال وليس مما يطيب له.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ قال ابن السِّكِّيت فيما رواه عن اللحياني: الخُطوة والخَطْوة بمعنى، وحكى عن الفراء: خَطَوْتُ خَطْوَةً، والخَطْوَة ما بين القدمين. وقالوا: خطوتُ خُطوةً، كما قالوا: حَسَوتُ حَسْوَةً، والحُسْوة: اسم ما تحسيت، وكذلك غَرفتُ غَرْفةً، والغُرفة: اسم ما اغترفت[3]. وإذا كان كذلك، فالخطوة: المكان المتخطى، كما أن الغرفة: المغترَفة بالكف، فيكون المعنى: لا تتبعوا سبيله، ولا تسلكوا طريقه؛ لأن الخطوة: اسم مكان، وهذا قول عبد الله

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤١، «البحر المحيط» ١/ ٤٧٩.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤١.

(٣) نقل الأزهري في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠٥٢ (خطا): وقال الفراء: العرب تجمع فُعلة من الأسماء على فُعُلات، مثل: حجرة وحجرات، فرقًا بين الاسم والنعت، النعت يخفف، مثل حلوة وحُلْوات، فلذلك صار التثقيل الاختيار، وربما خفف الاسم، وربما فتح ثانيه فقيل: حُجَرات وينظر في معاني الخطوة «تفسير الطبري» ٢/ ٧٦، «المفردات» ص١٥٨، «اللسان» ٢/ ١٢٠٥ (خطا).

ابن مسلم[١] والزجاج[٢]، فإنهما قالا: خُطواتُ الشيطان: طُرُقُه. وإن جعلت الخُطوة بمعنى: الخَطوة كما ذكره اللحياني، فالتقدير: لاتأتموا به، ولا تَقْفُوا أَثَرَه. والمعنيان يتقاربان وإن اختلف التقديران[٣]، وهذا قول المؤرِّج. قال: خطوات الشيطان: آثاره[٤].

وقال الوالبي عن ابن عباس: خُطوات الشيطان: عمله[٥]، وهذا على أن يكون الخُطوة بمعنى الخَطوة، وخَطوة الشيطان: عمله.

وقال الكلبي[٦] والسُّدّي[٧]: يعني: طاعته، وهذا على أنَّ من اقتدى بإنسان واتبع خطاه فقد أطاعه، يريد: لا تطيعوا الشيطان[٨].

وفي الخطوات قراءتان: ضَمُّ العين وإسكانها[٩]، فمن ضم العين فلأن الواحدة خُطوَة، فإذا جمعتَ حركتَ العينَ للجمع، كما فعلت

---

(١) «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٦٤.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤١.

(٣) ما تقدم في معنى الخطوة من قوله: وقالوا: خطوت خطوة، من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٦٧.

(٤) نقله عنه الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٣٢٨، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٧٩.

(٥) أخرجه عنه الطبري ٢/ ٧٦، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٢٧.

(٦) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٣٢٧.

(٧) أخرجه عنه الطبري ٢/ ٧٧، ، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٢٧.

(٨) ذكر الطبري ٢/ ٧٧: أن هذه الأقوال قريب معنى بعضها من بعض؛ لأن كل قائل منهم قولًا في ذلك فإنه أشار إلى نهي اتباع الشيطان في آثاره وأعماله. وقال أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٧٩: وهذه أقوال متقاربة.

(٩) قرأ: نافع وأبو عمرو وشعبة وحمزة بإسكان الطاء، والباقون: بضمها. ينظر: «السبعة» ص١٧٤، «النشر» ٢/ ٢١٦، «البدور الزاهرة» ص٥٤.

بالأسماء التي على هذا الوزن، نحو: غُرْفَة وغُرُفات[1]، وتحريك العين في نحو هذا الجمع فصل بين الاسم والصفة[2]، وذلك أن ما كان اسمًا جمعته بتحريك العين، نحو: تمرة وتمرات، وغرفة وغرفات، وشهوة وشهوات. وما كان نعتًا جمع بسكون العين، نحو: ضَخْمَة وضَخْمَات، وعَبْلَة وعَبْلات، والخطوة من الأسماء لا من الصفات، فتجمع بتحريك العين.

وأما من أسكن العين، فإنهم نووا الضمة، وأسكنوا الكلمة عنها؛ لثقل الضمة، وحذفوها من اللفظ وهم يقدرون ثباتها، ولا يجوز أن يكون جمع فعلة، فتركوها في الجمع على ما كان عليه في الواحد؛ لأن ذلك إنما يجئ في ضرورة الشعر، دون حال السعة والاختيار، كما قال ذو الرُّمَّة:

ورَفْضاتُ الهوى في المفاصل[3]

وإذا كان كذلك، علمتَ أنهم أسكنوا تخفيفًا وهم يريدون الضمة، لأنّ تحريكَ العين فصلٌ بين الاسم والصفة كما ذكرنا، فلا بد من أن يكون التحريك الذي يختصّ بالأسماء دون الصفات منويًّا هاهنا[4].

ووجه آخر لمن سكن: وهو أنه أجرى الواو في خُطْوَة مجرى الياء في نحو: مُدْيَة وكُلية وزُبية، فإنها تجمع بإسكان العين، فيقولون: مُدْيات وكُلْيات. وذلك أنهم لو جمعوا بتحريك العين؛ للزم انقلاب الياء واوًا

---

(١) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٦٧.

(٢) «الحجة» ٢/ ٢٦٨.

(٣) تمام البيت:

أبتْ ذِكَرٌ عَوَّدن أحشاءَ قلبه خفوقًا ورَفْضاتُ الهوى في المفاصلِ

لذي الرمة يتغزل بخرقاء، ويصف الإبل، في: «ديوانه» ص٤١٧.

(٤) من «الحجة» ٢/ ٢٦٨ بتصرف.

لانضمام ما قبلها، فلما لزم الإسكان في الياء جَعَل من أسكن خطوات الواو بمنزلة الياء، كما جعل الياء بمنزلة الواو[١] في قولهم: اتَّسَرُوا[٢]، ألا ترى أن التاء لا تكاد تبدل من الياء، وإنما يكثر إبدالها من الواو، وإنما أبدلوها في اتَّسَرُوا لإجراء الياء مجرى الواو[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ قال المفسرون: قد أبان عداوته لكم بإبائه السجود لآدم، وهو الذي أخرجه من الجنة[٤]، فعلى هذا (مبين): من أَبَان العداوة: إذا أظهرها. ويجوز أن يكون المبين بمعنى: الظاهر هاهنا؛ لأنّ (أبان) يتعدى، ولا يتعدى[٥]. ثم بين عداوة الشيطان فقال: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم﴾ الكلام في إنما نذكره في قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ﴾ [البقرة: ١٧٣].

١٦٩- وقوله تعالى: ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾ قال الليث: يقال: ساء الشيءُ يسوء فهو سيِّئ، إذا قَبُحَ[٦]، والسوء: الاسم الجامع للآفات والداء.

وقال غيره: يقال: ساءه يَسُوءه سَوءًا ومساءةً، والسُّوء الاسم، بمنزلة الضُّرّ، وهو كل ما يسوء صاحبه في العاقبة[٧]، وذكرنا الكلام في (ساء)

---

(١) من قوله: (الياء كما..) ساقط من (ش).

(٢) ضبطت في (ش): (اتسَّروا).

(٣) من «الحجة» ٢/ ٢٦٩ بتصرف.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٨، والقرطبي ٢/ ١٩٢-١٩٣.

(٥) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٨، وينظر: «اللسان» ١/ ٤٠٦ بين، «المفردات» ص٤٥-٤٦، «زاد المسير» ١/ ١٧٢.

(٦) نقله عنه في «اللسان» ٤/ ٢١٣٨ (سوأ).

(٧) ينظر في السوء: «تفسير الطبري» ٢/ ٧٧، «المفردات» ص٢٥٣-٢٥٤، «المحرر الوجيز» ٢/ ٦٢، «زاد المسير» ١/ ١٧٢، «اللسان» ١/ ٤/ ٢١٣٨-٢١٣٩ (سوأ).

عند قوله: ﴿وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]، والفصل بين السَّوء والسُّوء نذكره في سورة التوبة، عند ذكر اختلاف القراء في قوله: ﴿دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ﴾ [التوبة: ٩٨] إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ اسم على ما قَبُحَ من الفعل والقول، كالفاحشة[1].

قال الليث: الفحشاء: اسم الفاحشة، وكل شيء تجاوز قَدْرَه فهو فاحش، وكلُّ أمرٍ لا يكون موافقًا للحق فهو فاحشة وفحشاء. ويقال: فَحُش الرجل يفحُش صار فاحشًا، وأفحَشَ [قال] قولًا فاحشًا[2].

قال عطاء عن ابن عباس: السوء: عصيان الله، والفحشاء: البُخل[3]، وقال في رواية باذان: السوء من الذنوب: ما لا حدّ فيه في الدنيا، والفحشاء: كل ما كان فيه حدّ[4].

﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ من تحريم الحرث والأنعام[5]. قال ابن عباس: يريد: المشركين وكفار أهل الكتاب[6].

---

(١) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٩.

(٢) ينظر في الفحش: «تفسير الطبري» ٢/ ٧٧، «المفردات» ص٣٧٥-٣٧٦، «المحرر الوجيز» ٢/ ٦٢، «البحر المحيط» ١/ ٤٧٧.

(٣) ذكره في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٠ عن عطاء عن ابن عباس في تفسير الفحشاء، وقال: البخل، ولم يذكر تفسير السوء، وذكره بنحوه: أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٨٠[عن عطاء].

(٤) ذكره في «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٢٩، وفي «البحر المحيط» بنحوه ١/ ٤٨٠.

(٥) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٠، الطبري ٢/ ٧٧، «البحر المحيط» ١/ ٤٨٠، «الدر المنثور» ١/ ٣٠٦.

(٦) لم أجده عند الثعلبي.

١٧٠- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ قال ابن عباس: نزلت في اليهود، وذلك حين دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقالوا: نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا خيرًا وأعلم مِنّا[(١)] . فعلى هذا، الآية مُستأنفة، والكناية في لهم عن غير مذكور.

وقال الضحاك، عن ابن عباس: نزلت في كفار قريش[(٢)]، والكناية تعود إلى (من) في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ﴾ [البقرة: ١٦٥][(٣)].

وقال آخرون: نزلت في الذين حرّموا على أنفسهم من الحرث والأنعام[(٤)]، والكناية ترجع إلى (الناس) في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٨] عدل عن المخاطبة إلى الغيبة[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ﴾ إلى آخر الآية، معناه: أيتبعون آباءهم وإن كانوا جهالًا، فترك جواب لو لأنه معروف[(٦)]، والتقدير: أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون يتبعونهم[(٧)]؟

---

(١) رواه الطبري ٢/ ٧٨ بسنده عن ابن عباس، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨١، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٣١، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٨٠، ونقله السيوطي في «اللباب» ص٣١-٣٢. وينظر: «سيرة ابن هشام» ٢/ ٢٠٠.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٧.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٧٨، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٢، «البحر المحيط» ١/ ٤٨٠.

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٢، والبغوي ١/ ١٨١.

(٥) ينظر: «الطبري» ٢/ ٧٨، والثعلبي ١/ ١٣٣٢ ،ورجح هذا الطبري والثعلبي، وقال: لأن هذه القصة عقيب قوله: (يا أيها الناس)، فهي أولى أن تكون خبرًا عنهم من أن تكون خبرًا عن المتخذين للأنداد مع ما بينهما من الآيات وطول الكلام.

(٦) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٣.

(٧) ينظر: «التبيان» ص١٠٩.

والواو في أَوَلو واو العطف دخلت عليها ألف الاستفهام المنقولة إلى معنى التوبيخ[١]، وإنما جعل ألف الاستفهام للتوبيخ؛ لأنه يقتضي ما الإقرار به فضيحة كما يقتضي الاستفهام الإخبار عن المستفهم عنه. وفي هذا حجة عليهم، كأنه قيل: إذا جاز لكم أن تتبعوا آباءكم فيما لا تدرون أعلى حقٍّ هم فيه أم باطل؟ فأنتم كمن قال: نتبعهم وإن كانوا على باطل، وهذا غاية الفضيحة[٢].

والآية تضمنت النهي عن التقليد؛ لأن الله تعالى أنكر عليهم متابعة آبائهم، وأمر بمتابعة العقل والهدى[٣].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ لفظه عام ومعناه الخصوص؛ لأنهم كانوا يعقلون أمرَ الدنيا، ومعناه: لا يعقلون شيئًا من أمر الدين[٤].

قال عطاء عن ابن عباس: لا يعقلون عظمةَ الله، ولا يهتدون إلى دينه[٥].

١٧١- قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ الآية، قال أهل اللغة، الفراء وغيره: النعيق: دعاء الراعي الشاة، يقال: انعَقْ بضَأنِك، أي: ادعُها، وقد نَعَقَ يَنْعِقُ نعيقًا ونَعْقًا ونَعْقانًا ونُعاقًا، إذا صاح بالغنم زجرًا، قال الأخطل:

---

(١) ينظر: «التبيان» ص١٠٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٨٠، وذكر القول الآخر وهو أن الواو للحال.

(٢) «البحر المحيط» ١/ ٤٨١.

(٣) ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ١٩٤، «البحر المحيط» ١/ ٤٨٠.

(٤) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٤.

(٥) قد تقدم الحديث عن هذا الحديث عن هذه الرواية.

فانعِقْ بِضَأْنِك يا جريرُ فإنما   مَنَّتْكَ نَفْسُك في الخَلَاء ضَلالا[(١)(٢)]

وللعلماء من أهل التأويل في هذه الآية طريقان:

أحدهما: تصحيح المعنى بإضمار في الآية.

والثاني: إجراء الآية على ظاهرها من غير إضمار[(٣)].

فأما الذين أضمروا فقد اختلفوا، فقال الأخفش[(٤)] والزجاج[(٥)] وابن قتيبة[(٦)]: تقدير الآية: ومثلك يا محمد، ومثل الذين كفروا في وعظهم ودعائهم إلى الله ﷻ، فَحَذَف أحدَ المثلين اكتفاءً بالثاني، كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، وعلى هذا التقدير: شبه الكفار بالبهائم، وشبه داعيهم بالذي يصيح بها، وهي لا تعقل شيئًا.

وقال الفراء[(٧)] في هذه الآية قولين:

أحدهما: أن تقدير الآية: ومثل واعظ الذين كفروا كمثل الذي ينعق بالغنم، فحذف كما قال: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: أهلها[(٨)].

---

(١) البيت في «ديوان الأخطل» ص٣٩٢، «تفسير الطبري» ٢/ ٨٣، والثعلبي ١/ ١٣٣٦، «خزانة الأدب» ١١/ ١٣٣، «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٤٩٧، «مجاز القرآن» ١/ ٦٤، «وضح البرهان في مشكلات القرآن» ١/ ١٨٣.

(٢) ينظر في معنى نعق: «تفسير الطبري» ٢/ ٨٣، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦١٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٥، «المفردات» ٥٠١، «اللسان» ٧/ ٤٤٧٦.

(٣) ينظر في معنى الآية: «تفسير الطبري» ٢/ ٧٩، «المحرر الوجيز» ١/ ٦٣-٦٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٩٧-١٩٨، «البحر المحيط» ١/ ٤٨١.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٤، ولم أجده في «معاني القرآن» للأخفش.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٢.

(٦) «تأويل مشكل القرآن» ص١٩٩، «تفسير غريب القرآن» ص٦٥.

(٧) ينظر: «معاني القرآن» للفراء بمعناه، وقال بعد ذكر القولين: وكلٌّ صواب.

(٨) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٨١، «البحر المحيط» ١/ ٤٨٢، وهذا اختيار الطبري.

والقول الثاني: أن معنى الآية: ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله ﷻ وعن رسولِهِ كمثل المنعوقِ به من البهائم، التي لا تفقه من الأمر والنهى غير الصوت، فيكون المعنى للمنعوق به[(١)]، والكلام خارج على الناعق، وهو جائز عند العرب، يقلبون الكلام لاتضاح المعنى عندهم، فيقولون: اعرض الحوض على الناقة، وإنما هو: اعرض الناقة على الحوض، وأنشد:

كانت فريضة ما تقول كما كان الزناءُ فريضةَ الرجم[(٢)]

أراد: كما كان الرجمُ فريضةَ الزنا. وعلى هذا حُمِل قوله تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ [القصص: ٧٦] المعنى: أنّ العُصْبَةَ تنوء بالمفاتح[(٣)]. واعترض ابن قتيبة على هذا القول بأن قال: لا يجوز لأحد أن يحكم بهذا على كتاب الله؛ لأن الشاعر يقلب اللفظ ويزيل الكلام عن الغلط، على[(٤)] طريق الضرورة للقافية، أو لاستقامة الوزن، والله تعالى لا يغلط ولا يُضْطر. هذا كلامه[(٥)].

---

(١) ينظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٦٣، «تفسير الطبري» ٢/ ٨١، والثعلبي ١/ ١٢٤٦، «البحر المحيط» ١/ ٤٨٢.

(٢) البيت للنابغة الجعدي في «ديوانه» ص٣٥، «لسان العرب» ٣/ ١٨٧٥ (زني)، وورد غير منسوب في «معاني القرآن» للفراء، «مجاز القرآن» ١/ ٣٧٨، «تفسير الطبري» ٢/ ٨١، والثعلبي ١/ ١٣٣٧.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ١/ ٩٩- ١٠٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٦- ١٣٣٧.

(٤) في (أ)، (م): (على الغلط وعلى طريق).

(٥) «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ص٢٠٠، «البحر المحيط» ١/ ٤٨٢ وقال: وينبغي أن ينزه القرآن عنه؛ لأن الصحيح أن القلب لا يكون إلا في الشعر، أو إن جاء في الكلام فهو من القلة بحيث لا يقاس عليه.

وقول الفراء صحيح وإن أنكره ابن قتيبة، موافق لمذاهب العرب في فنون مخاطباتها، فإنهم يفعلون الشيء للضرورة، ثم يصير وجهًا ومذهبًا لهم في الكلام، حتى يجيزوه وإن لم تدع إليه ضرورة. وعلى هذا الطريق أراد: بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً: البهائم التي لا تعقل ولا تفهم ما يقول الراعي، إنما تسمع صوتًا ولا تدري ما تحته، لو قال لها: كلي واشربي لم تقف على معنى قوله، فالذين كفروا يسمعون كلام النبي ﷺ وهم كالغنم، إذ كانوا لا يستعملون ما يأمرهم به، ولا ينتهون عما نهاهم عنه. وهذا قول ابن عباس[(١)] وعكرمة ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع[(٢)] والسدي[(٣)].

والطريق الثاني في الآية: هو أن معناها: ومثل الكفار في قلة فهمهم وعقلهم، كمثل الرعاةِ يكلمون البَهم والبهم لا تعقل عنهم، وعلى هذا التفسير لا تحتاج الآية إلى إضمار[(٤)].

وقال عبد الرحمنُ بن زيد: معنى الآية: ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام وعبادتهم الأوثان، كمثل الرجل الذي يصيح في جوف الجبال، فيجيبه منها صوت يقال له: الصدى، يجيبه ولا ينفعه[(٥)]، وتقدير الآية على

---

(١) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٠، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨٢.

(٢) رواه عن عكرمة ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع: «الطبري» ٢/ ٧٩، وذكره «الثعلبي» ١/ ١٣٣٤.

(٣) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٠، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨٢.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٣٨، «الوسيط» للواحدي ١/ ٢٥٥، والرازي ٥/ ٨، والقرطبي ٢/ ١٩٧-١٩٨.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٢.

هذا القول: ومثلهم في عبادتهم الأصنام كمثل الناعق بشيء لا يسمع منه الناعقُ إلا دعاءه ونداءه؛ لأن الصدى هو صوته عاد إليه، وذلك أنه إذا قال: يا زيد، سمع من الصدى يا زيد، وليس وراء القول شيء، إلا أنَّ يخيل إليه أن مجيبًا يجيبه، فيقول: يا زيد، وليس فيه فائدة. فكذلك يخيل إلى هؤلاء المشركين أن دعاءهم للأصنام يستجاب، وليس لذلك[١] حقيقة ولا فيه فائدة، والسمع على هذا في قوله: (لا يسمع) منفي عن الناعق لا عن المنعوق به[٢].

قال ابن الأنباري: ويجوز على هذا القول أيضًا: أن يكون السمع منفيًا عن المنعوق به، فيكون المعنى: كمثل الذي ينعق بما لا يسمع ألبتة[٣]. والدعاءُ والنداءُ ينتصبان بـ (ينعق)، و(إلا) توكيد هاهنا، معناها السقوط، كقول الفرزدق:

هم القوم إلا حيث سلّوا سيوفهم وضَحَّوا بلحم من مُحِلٍّ ومُحرِمِ[٤]

معناه: هم القوم حيث سلّوا سيوفهم[٥]. انتهى كلامه.

والتقدير الأول في هذا المعنى أولى مما ذكره أبو بكر؛ لأن السمع إذا كان منفيًّا عن المنعوق به لم يكن للجبل اختصاص بالنعيق به؛ لأن غير الجبل من القفار والرمال والأشجار لا يسمع ألبتة أيضًا، وفي نفي السمع

---

(١) في (م): (مستجاب وليس كذلك).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٨١، والثعلبي ١/ ٣٣٩، والسمعاني ٢/ ١٢٨، والبغوي ١/ ١٨١، والرازي ٥/ ٩.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٨١.

(٤) البيت للفرزدق في «ديوانه» ص٢٠٠.

(٥) من قوله: (معناه هم). ساقطة من (ش).

عن الناعق للجبل اختصاص؛ لأن الصدى إنما يجيب من الجبل، فلهذا كان نفي السمع عن الناعق في هذا القول، أولى من نفيه عن المنعوق به، ولأنه ألْغى (إلا)، وهو شاذ قليل في الاستعمال، ومهما أمكن استعمال حرف في معنى، أولى من إلغائه[1]. وجمهور أهل التأويل على ما ذكرنا أولًا؛ لأن المشهور في كلام العرب أن النعيقَ صوتُ الراعي بالغنم، فإن حمل على غيره من الأصوات لم يكن حقيقة فيه.

١٧٢- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ قال المفسرون: هذا أمرُ إباحةٍ لا ندبٍ، ولا إيجابٍ[2]، وأراد بالطيبات: الحلالات من الحرث والنعم وما حرمه المشركون على أنفسهم منها[3]، وذكرنا لم سُمّي الحلال طيبًا.

وقوله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أراد: إن كانت العبادة لله واجبة عليكم بأنه إلهكم، فالشكر له واجب بأنه محسن إليكم، فمعنى الشرط هاهنا: المظاهرة في الحجاج[4].

١٧٣- ثم بين أن المحرَّم ما هو[5]، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ الآية. ﴿إِنَّمَا﴾ تكون على وجهين[6]:

---

(١) ينظر: «التبيان» للعكبري ص١٠٩.

(٢) ينظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٥١، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٩٨.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٨٣، والثعلبي ١/ ١٣٤٠.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٨٣.

(٥) سقطت: (هو) في (ش).

(٦) ينظر في (إنما) وإعرابها: «تفسير الطبري» ٢/ ٨٤، «الكتاب» لسيبويه ٢/ ١٣٨، و٣/ ١١٦-١٣١، «التبيان» ١/ ١٤٠-١٤١.

أحدهما: أن تكون حرفًا واحدًا، وما بعده من الأفعال يكون عاملًا في الأسماء على حسب عمله، فتقول: إنما دخلت دارَك، وإنما أعجبتني دارُك، وإنما مالي مالُك.

والوجه الآخر: أن تكون حرفين: ما منفصلة عن إنّ، وتكون بمعنى الذي[1]، وإذا[2] كان كذلك وصلتها بما توصل به (الذي)، ثم ترفع الاسم الذي يأتي بعد الصلة، كقولك: إنّ ما أخذت مالُك، وإنّ ما ركبتُ دابتُك، وفي التنزيل كثيرًا ما أتى على الوجهين:

كقوله[3]: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ [هود: ١٢]، فهذه حرفٌ واحد؛ لأن (الذي) لا يصلح في موضع (ما). وأما التي[4] في مذهب (الذي) فقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ [طه: ٦٩]، ولو نصب كيدَ ساحر على أن تجعل (إنما) حرفًا واحدًا كان صوابًا، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، تنصب المودة وترفع، على ما ذكرنا من الوجهين، هذا كله قول الفراء[5].

وقال الزجاج: ﴿إِنَّمَا﴾ إذا جعلته كلمةً واحدةً كان إثباتًا لما يذكر بعده ونفيًا لما سواه، فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ معناه: ما

---

(١) في (ش): (الذين).

(٢) في (م): (وإن.)

(٣) في (م): (زيادة إنما الله إله).

(٤) في (م): (الذي).

(٥) «معاني القرآن» للفراء، وينظر: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٢٩.

حرم عليكم إلا ما ذكر، كقول الشاعر:

وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي[(١)]

المعنى: ما يدافع عن أحسابهم إلا أنا أو مثلي، وإنما صارت كلمة إنما إثباتًا للشيء ونفيًا لما سواه؛ لأن كلمة (إنّ) للتوكيد في الإثبات، و(ما) تكون نفيًا، وإذا قال[(٢)] القائل: إني بشرٌ، فالمعنى: أنا بشرٌ على الحقيقة، وإذا قال: إنما أنا بشرٌ، كان المعنى: ما أنا إلا بشرٌ[(٣)].

والميتة: ما فارقته الروح من غير ذكاة مما يُذبح[(٤)].

وتحريم الميتة مخصوص بالسنة لقوله ﷺ: **«أُحِلّتْ لنا ميتتان»**[(٥)].

---

(١) مطلع البيت:

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما

والبيت للفرزدق في «ديوانه» ص٧١٢، «معاني القرآن» للزجاج، «معاهد التنصيص» ١/ ٨٩.

(٢) في (م): (وإذا كان قال).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٤٢-٣٤٣.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٤٣، «أحكام القرآن» للجصاص١/ ١٣٢، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٥٢، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٠٣-٢٠٤، وتعريف المؤلف رحمه الله ناقص؛ فإنه لم يدخل فيه أيضًا ما ذبح بطريقة غير شرعية، قال الجصاص١/ ١٣٢: «الميتة في الشرع: اسم حيوان الميت غير المذكى، وقد يكون ميتة بأن يموت حتف أنفه من غير سبب لأدمي فيه، وقد يكون ميتة لسبب فعل آدمي إذا لم يكن فعله على وجه الذكاة المبيحة له».

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٢١٨) كتاب الصيد، باب: صيد الحيتان والجراد، وأحمد في «المسند» ٢/ ٩٧، وعبد بن حميد في «المنتخب من مسنده» ص٢٦٠، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» ٢/ ٣٣١، والدارقطني في «سننه» ٤/ ٢٧٢، وابن عدي في «الكامل» ٤/ ٢٧١، والبيهقي في «سننه» ١/ ٢٥٤، كلهم من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه عن ابن عمر مرفوعًا وأخرجه ابن عدي في «الكامل» =

وكذلك الدم يخصه قوله تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الأنعام: ١٤٥] فقيد هناك، وأطلق هاهنا، والمطلق يحمل على المقيد[(١)]، وقولُه ﷺ: «وَدَمَان» وكانت العرب تجعل الدَّمَ في المباعر، وتشويها ثم تأكلها[(٢)]، فحرّم الله تعالى الدم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ أراد: الخنزيرَ بجميع أجزائه، وخص اللحم؛ لأنه المقصود بالأكل[(٣)]، ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أبو عبيد: قال الأصمعي: الإهلال أصله: رفع الصوت، وكل رافع صوتَه فهو مُهِلّ، قال ابن أحمر[(٤)]:

= ١/ ٣٩٧، من طريق عبد الرحمن وأسامة وعبد الله بني زيد بن أسلم وبنو زيد متكلم فيهم. وقد صحح الحديث موقوفًا أبو زرعة في «علل الحديث» ٢١٧١، والبيهقي وهو موقوف له حكم الرفع. ينظر: «حاشية أبي الطيب على سنن الدارقطني» ٤/ ٢٧٢، «السلسلة الصحيحة» ٣/ ١١١، وتحقيق «تفسير الثعلبي» للدكتور خالد العنزي ١/ ١٣٤٦.

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٨/ ٧١، الثعلبي ١/ ١٣٤٣، «أحكام القرآن» للكيا الهراسي ١/ ٧١-٧٢، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٥٢، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٩٩.

(٢) في (م): (وتأكلها).

(٣) وقد حكي الإجماع على هذا، وممن حكاه: السمرقندي ١/ ١٧٧، وابن حزم في «المحلى» ٧/ ٣٩١، وابن رشد في «بداية المجتهد» ١/ ٤٥٢، وابن عطية ٢/ ٦٩، والرازي ٥/ ٢٢، والقرطبي ٢/ ٢٠٥، والشوكاني في «فتح القدير» ١/ ٢٦٢.

(٤) هو عمرو بن أحمر بن العمرو بن تميم بن ربيعة الباهلي، أبو الخطاب، أدرك الإسلام فأسلم، وغزا مغازي الروم، وأصيبت إحدى عينيه هناك، ونزل الشام، وتوفي على عهد عثمان، وهو صحيح الكلام ،كثير الغرائب. ينظر: «طبقات فحول الشعراء» ٢/ ٥٧١، و٥٨٠، و«الشعر والشعراء» ص٢٢٣.

يُـهِـلُّ[١] بـالـفَـرْقَـدِ رُكْـبَـانُـهـا كـمَـا يُـهِـل الـراكـبُ الـمُـعْـتَـمِـرْ[٢]

هذا معنى الإهلال في اللغة، ثم قيل للمُحْرِم: مُهِل، لرفعه الصوت بالتلبية، يقال: أهَلّ فلانٌ بحَجَّةٍ أو عُمْرةٍ، أي: أحْرَم بها؛ وذلك لأنه يرفع الصوت بالتلبية عند الإحرام، والذابحُ مُهِلّ، وذلك لأنه كان يسمي الأوثان عند الذبح، ويرفع صوته بذكرها[٣].

فمعنى قوله: ﴿وَمَآ أُهِـلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يعني: ما ذبح للأصنام[٤]، وهو قول مجاهد[٥] والضحاك[٦] وقتادة[٧].

وقال الربيع[٨] وابن زيد[٩]: يعني: ما ذكر عليه غير اسم الله ﷻ.

---

(١) في (م): (هل).

(٢) البيت في «ديوانه» ص٦٦ ،«مجاز القرآن» ١/ ١٥٠، «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ١٧٣، «تفسير السمعاني» ٢/ ١٣٠، الثعلبي ١/ ١٣٤٦، «لسان العرب» ٣/ ١٥٩٥، و ١٧١٤، ٥/ ٣١٠٢.

(٣) ينظر في الإهلال: «تفسير الطبري» ٢/ ٨٥، والثعلبي ١/ ١٣٤٥، «المفردات» ص٥٢٢، «اللسان» ٨/ ٤٦٨٩.

(٤) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٥.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٥.

(٦) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٥.

(٧) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٥.

(٨) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٥.

(٩) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٦. وقد حكى الإجماع الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٥٧ على أن ما أهل به لغير الله يشمل ما ذبح للأصنام، وذكر عليه غير اسم الله، وحكاه الجصاص في «أحكام القرآن» ١/ ١٥٤، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٨٦، ٨/ ٧١، «النكت والعيون» للماوردي، «معالم التنزيل» ١/ ١٨٣، «فتح القدير» ١/ ٢٦٢، «روح المعاني» ٢/ ٤٢.

قال الكلبي[(١)]: وإن ذبحه مسلم لم يحل أكله، وقال أهل العلم: لو أن مسلمًا ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير الله صار مرتدًّا، وذبيحته ذبيحة مُرتد[(٢)]. وهذا الحكم في غير ذبائح أهل الكتاب، وذبائحهم تحل لنا، لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥][(٣)].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ أي: أُحْوِجَ وأُلجئ، وهو افتُعِل من الضرورة، قال الأزهري: معناه: ضُيق عليه الأمر بالجوع، وأصله: من الضرر وهو الضيق[(٤)].

وقرئ: برفع النون، وكسرها في ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾[(٥)] فمن رفع فللإتباع، ومن كسر فعلى أصل الحركة؛ لالتقاء الساكنين[(٦)]. وفي الآية إضمار، معناه: فمن اضطر إلى شيء مما ذكرنا أنه محرّم، ويدخل تحت قوله: ﴿ٱضْطُرَّ﴾: أن يحوج إليه لبؤس، أو يضطر[(٧)] أو يُكره عليه لخوف، والإكراه مذهب مجاهد[(٨)].

---

(١) لم أجده.

(٢) ينظر: «إعلام الموقعين» ٤/ ٤٠٤،، «المغني» ١٢/ ٢٧٦، و«القول المفيد شرح كتاب التوحيد» ١/ ٢١٤.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٤٨، القرطبي ٢/ ٢٠٨- ٢١٤.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٠، «المفردات» ص٢٩٦-٢٩٧، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٠، «القاموس» ص٤٢٨.

(٥) قرأ أبو عمرو ويعقوب وعاصم وحمزة بكسر النون وضم الطاء، وأبو جعفر بضم النون وكسر الطاء، والباقون بضمهما معًا. ينظر: «النشر» ٢/ ٢٢٥، «البدور الزاهرة» ص٥٤.

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٠، «التبيان» ص١١٠، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٠.

(٧) ليست في: (أ)، (ش).

(٨) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٦.

وقوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ يصلح أن يكون ﴿غَيْرَ﴾ حالًا للمضطر، ولا يصلح أن يكون استثناءً؛ لأن ﴿غَيْرَ﴾ هاهنا بمعنى: النفي؛ ولذلك عطف عليها بلا؛ لأنها في معنى لا[1].

قال الفراء: (غير) في هذا الموضع حال للمضطر، كأنك قلت: فمن اضطر لا باغيًا ولا عاديًا فهو له حلال[2].

وقوله: ﴿بَاغٍ﴾ أصل البغي في اللغة: الفساد وتجاوز الحد، قال الليث: البغي في عدو الفرس: اختيال ومرح، وإنه ليبغي في عدوه. ولا يقال: فرس باغ، والبغي: الظلم والخروج عن النَّصَفة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ [الشورى: ٣٩].

الأصمعي: يقال: بغى الجرح يبغي بغيًا: إذا ترامى بالفساد، وبغت السماء: إذا كثر مطرها حتى تجاوز الحد.

الفراء: يقال للجرح إذا تورّم واشتد: بغى يبغي بغيًا، وبَغَى الجرح والبحر والحساب سواء: إذا طغى وزاد[3].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا عَادٍ﴾ العدْو: هو التعدي وتجاوز ما ينبغي له أن يقتصر عليه، يقال: عدا عليه عَدْوًا وعُدُوًّا وعُدْوانًا وعدًا واعتداءً وتعديًا:

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٨٦، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٣٠، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٠، «التبيان» ص١١٠ قال الثعلبي: وإذا رأيت (غير) تصلح في موضعها (لا)، فهي: حال، وإذا صلح في موضعها (إلا)، فهي: استثناء، فقس على هذا ما ورد عليك من هذا الباب.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٢- ١٠٣.

(٣) ينظر في معاني البغي: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥١، «المفردات» ص٦٥-٦٦، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٠.

ظلمه ظلمًا مجاوزًا للقدر، وعدا طورَه: جاوز قدره[١] ولأهل التأويل في قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ طريقان[٢]:

أحدهما وهو قول ابن عباس في رواية عطاء: غير باغ على المسلمين، ولا عاد عليهم[٣]. وهذا قول مجاهد[٤]، وسعيد بن جُبَير[٥]، والضحاك[٦]، والكلبي[٧] قالوا: غير قاطع للطريق، ولا مفارق للأئمة، مُشاقّ للأمة. وعلى هذا التأويل كل من عصى بسفره لم يحل له أكل الميتة عند الضرورة؛ لأنه باغ عاد، وهو مذهب الشافعي[٨] رحمه الله، قال: إن

---

(١) ينظر في التعدي: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥١، «المفردات» ص٣٢٨-٣٢٩، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٠.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٨٦، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٣-٢٤٤، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥١، «تفسير البغوي» ١/ ١٨٣، «المحرر الوجيز» ٢/ ٧٢-٧٣، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢١٤، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٠-٤٩١.

(٣) تقدم الحديث عن هذا هذه الرواية ص٩٢.

(٤) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٦، ٨٧، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨٣.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٦، ٨٧، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨٤.

(٦) ذكره الثعلبي ١/ ١٣٥١.

(٧) ذكره الثعلبي ١/ ١٣٥١.

(٨) ينظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٥٨، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢١٤، «المغني» ١٣/ ٣٣٣، وقال الكيا الهراسي في «أحكام القرآن» ١/ ٧٤: اختلف قول الشافعي في إباحة أكل الميتة للمضطر العاصي بسفره، ويشهد لأحد القولين قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾، فإنه عام، ويشهد للقول الآخر قوله: ولا تقتلوا أنفسكم، وليس أكل الميتة عند الضرورة رخصة، بل هو عزيمة واجبة، ولو امتنع من أكل الميتة كان عاصيًا، وليس تناول الميتة من رخص السفر، أو متعلقًا بالسفر، بل هو من نتائج الضرورة سفرًا كان أو حضرًا، وهو كالإفطار للعاصي المقيم إذا كان مريضًا، و كالتيمم للعاصي المسافر عند عدم الماء، وهو الصحيح عندنا. ا.هـ=

الإباحة إعانة له على فساده وظلمه، ولكن يتوب ويستبيح[(١)].

والثاني: أن هذا البغي والعدوان يرجعان إلى الأكل، ومعناه: غير آكلها تلذُّذًا من غير اضطرار، ﴿وَلَا عَادٍ﴾ ولا مجاوز ما يدفع به عن نفسه الجوع، وهذا قول السدي[(٢)].

وقال الحسن[(٣)]، وقتادة[(٤)]، والربيع[(٥)]، وابن زيد[(٦)]: (غير باغ) بأكله من غير اضطرار، ولا (عاد) يتعدى الحلال إلى الحرام، فيأكلها وهو غني عنها. وعلى طريقة هؤلاء يُباح للعاصي بسفره تناول الميتة عند الضرورة، وهو مذهب أهل العراق[(٧)].

والتأويل الأول أولى؛ من حيث اللفظ والمعنى.

= وقال القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٢١٤ -معقبا على قول ابن العربي-: وعجبا ممن يبيح له ذلك مع التمادي على المعصية، وما أظن أحدا يقوله، فإن قاله فهو مخطئ قطعا، قلت: الصحيح خلاف هذا؛ فإن إتلاف المرء نفسه في سفر المعصية أشد معصية مما هو فيه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾، وهذا عام، ولعله يتوب في ثاني حال فتمحو التوبة عنه ما كان، وقد قال مسروق: من اضطر إلى أكل الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل حتى مات دخل النار، إلا أن يعفو الله عنه.

(١) «الأم» ٢/ ٢٢٦، وينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٢.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٨٨، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٨٤، ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٣) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٦٥، والطبري ٢/ ٨٧.

(٤) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٧، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨٥.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٧، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٣.

(٦) رواه عنه الطبري ٢/ ٨٧، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٣.

(٧) يعني به الحنفية، ينظر: «أحكام القرآن» للجصاص ١/ ١٥٦، وقد ناقش هذه القضية بتوسع وأجاب على أدلة المانعين، فلينظر: «أحكام القرآن» للتهانوي ١/ ١٢٠.

أما اللفظ: فرجوع البغي والعدوان إلى حال المضطر أولى من رجوعهما إلى أكله، وهو المفهوم من اللفظ؛ لأنه لم يسبق للأكل ذكر حتى يكون البغي والعدوان صفةً له، راجعًا إليه، ومثله من الكلام أن يقال: قد حرم الأمير ركوب الخيل، ولبس السلاح، فمن أُحوِج[١] غير فارٍّ ولا ذاهبٍ فلا حرج عليه، فالذي يسبق إلى الوهم من هذا، ويليق باللفظ، أن معناه: غير فار بنفسه ولا ذاهب، وأن الفرار والذهاب يعود إلى نفس المضطر، لا إلى شيء سواه. وَوِزان التأويل الثاني من هذا الكلام: أن يكون المعنى: غير فار بسلاحه، ولا ذاهب به.

وأما من حيث المعنى: فإن نفس المؤمن يعاف الميتة والدم، ويستقذرهما[٢] استقذارًا يمنعه من أكلهما؛ ولهذا لا يقام الحد على آكلهما؛ لأنه لم يحتج في الزجر عنهما إلى الحد، لا كالخمر فإن لها دواعي من النفس، وإذا كان كذلك فليس يتجاوز أحدٌ في أكل الميتة قدر التشبع عند الضرورة، ولا يتعدى الحلال الذي معه، فيأكلها تلذذًا من غير أن يَرِدَ بهذا نهي، وإن جاز ورود النهي تأكيدًا؛ فلهذين الوجهين: قلنا إن التأويل الأول أولى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ أي: للمعاصي، وفيه إشارة إلى أنه إذا كان يغفر المعصية فإنه لا يأخذُ بما جعل فيه الرخصة.﴿رَّحِيمٌ﴾ حيث رَخَّصَ للمضطر في أكل الميتة[٣].

---

(١) في (ش): (أخرج).

(٢) في (ش): (تعاف وتستقذرهما).

(٣) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٥.

١٧٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية. قال ابن عباس: نزلت في رؤساء اليهود[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ﴾ يجوز أن تعود الكناية إلى الكتمان، والفعل يدل على المصدر، ويحتمل أن تعود الكناية إلى ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، ويجوز أن تعود إلى المكتوم مما أنزل الله[(٢)]. ومعنى قوله: ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ كقوله: ﴿تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٤١]. وقد مرّ.

وقوله: ﴿مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ﴾ ذكر البطن هاهنا زيادة بيان؛ لأنه يقال: أكَلَ فلانٌ المال: إذا بَذَّرَه وأَفْسَدَه[(٣)].

---

(١) ذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٦، والواحدي بأطول من هذا في «أسباب النزول» ص٥٢، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ونقله عنه ابن حجر في «العجاب» ١/ ٤١٩، والسيوطي في «لباب النقول» ص٣٠، وفي «الدر المنثور» ١/ ٣٠٩، وضعف إسناده، ورواه الطبري ٢/ ٨٩، وعبد بن حميد عن قتادة، ورواه الطبري ٢/ ٨٩، وهو في «تفسير سنيد بن داود». كما ذكره الحافظ في «العجاب». عن عطاء، ورواه الطبري ٢/ ٨٩-٩٠، وابن أبي حاتم ١/ ٢٨٥ عن السدي وأبي العالية والربيع بن أنس، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٩١ من وجه آخر عن ابن عباس، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٥ من رواية جويبر عن الضحاك، وضعفه السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٣٠٩، والآية وإن كانت في أحبار اليهود فإنها تتناول من علماء المسلمين من كتم الحق مختارًا لذلك، بسبب دنيا يصيبها. ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ٧٣.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٦، «المحرر الوجيز» ٢/ ٧٤، وذكرها في «البحر المحيط» ١/ ٤٩١، واستظهر الثاني.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٧، «البحر المحيط» ١/ ٤٩١ قال: أو كناية عن ملء البطن؛ لأنه يقال: فلان أكل في بطنه، وفلان أكل في بعض بطنه، أو لرفع توهم المجاز إذ يقال: أكل فلان ماله إذا بذره وإن لم يأكله.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ أي: إلا ما هو عاقبته النار، كما روي في حديث الشارب من آنية الفضة: «**إنما يجرجر في بطنه نار جهنم**»[(١)] وكقوله: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]؛ وقوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، أي: عنبًا، فسماه باسم ما يؤول إليه[(٢)].

وقوله: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. قال المفسرون: أي: لا يكلمهم كلاما ينفعهم ويسرهم، فأما التهديد والمناقشة فقد تكون.

وقيل: معناه: أنه يغضب عليهم؛ لأن ترك التكليم علامة الغضب.

وقيل: لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية[(٣)].

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: لا يطهرهم من دنس ذنوبهم، ولايثني[(٤)] عليهم[(٥)].

١٧٥- قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ معنى الفاء هاهنا: الجواب لما تقدم، وذلك أن ما قبله من الكلام وهو قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٣) كتاب الأشربة، باب: آنية الفضة، ومسلم (٢٠٦٥) كتاب اللباس والزينة، باب: تحريم استعمال أواني الذهب.وقوله (يجرجر) يعني به صوت وقوع الماء في الجوف، وإنما يكون ذلك عند شدة الشرب. ينظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ١٥٤.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٧، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٢.

(٣) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٨، وعزاه لأهل التفسير، «تفسير الطبري» ٢/ ٩٠، وقد اختار الأول، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٥، «زاد المسير» ١/ ١٧٦. والقولان الأخيران فيهما عدول عن ظاهر اللفظ، وتأويل للصفة

(٤) في (أ)، (م): (لا يثني).

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٠، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٨، «زاد المسير» ١/ ١٥٣، وذكر ثلاثة أقوال: لا يثني عليهم، قاله الزجاج، ولا يزكي أعمالهم، قاله مقاتل، ولا يطهرهم من دنس كفرهم، قاله ابن جرير.

ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ ثم قال: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ﴾، كأنه قال: من كان بهذه الصفة فما أصبرهم على النار، فعومل معاملة المعنى الذي تضمنه حتى كأنه قد لفظ به.

فأما المعنى: ففيه وجهان لأهل التأويل[١]:

أحدهما: أن (ما) هاهنا تعجب[٢]، كقولهم: ما أحسن زيدًا. فما: رفع بالابتداء، وأحسن: فعل ماض، وهو خبر الابتداء، وفيه ضمير يرجع إلى ما وهو فاعل أحسن، وزيدًا[٣]: نصب[٤] بأحسن، والتقدير: شيء أحسن هو زيدًا؛ وخُصَّتْ لفظة ما بالتعجب لإبهامها، وهي واقعة على الشيء الذي تتعجب منه، وذلك الشيء ليس مما يعقل[٥].

فإن قيل: قد قلتم: إن (ما) استعمل لإبهامها، فهلا استعمل (الشيء) إذ كان أبهم الأشياء؟

قيل: إن الشيء ربما يستعمل للتقليل، فلو قلت: شيء حسَّن زيدًا، لجاز أن يعتقد أنك تقلل المعنى الذي حسن زيدًا، وأيضًا: فإن الغالب في قولك: شيء حسّن زيدًا، أنه خبر عن معنى مستقر، وما يتعجب منه، فحقه أن يبهرك في الحال، فأما ما قد استقر وعرف فلا[٦] يجوز التعجب منه،

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٠، «المحرر الوجيز» ١/ ٧٥-٧٦، «زاد المسير» ١/ ١٧٦-١٧٧.

(٢) «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٩، قال في «البحر المحيط» ١/ ٤٩٤: والأظهر أنها تعجبية، وهو قول جمهور المفسرين.

(٣) في (أ): (نصبت).

(٤) في (أ): (نصبت).

(٥) «البحر المحيط» ١/ ٤٩٤.

(٦) سقطت من (ش).

ومعنى التعجب: تَغَيُّر النفسِ لما يَرِدُ عَليها مما[١] جُهِل سَبَبُهُ جدًّا، ونقل لفظ الفعل في التعجب من الثلاثي إلى الرباعي؛ لأنا ذكرنا أن التقدير: شيء أحسن زيدًا، فصار زيد مفعولًا لغيره، ولهذا انتصب المتعجب منه؛ لأنه مفعول في الحقيقة، والدليل على أنَّ أحسن هاهنا فعل: لزومُ الفتحِ آخره[٢]. ولو كان اسمًا لوجب أن يرتفع؛ إذ كان خبر المبتدأ، فلما لزمه الفتح دل على أنه فعل ماض. وقد يصغَّرُ فعلُ التعجب، فيقال: ما أُحَيْسِنَ زيدًا، كقول الشاعر:

يا ما أُمَيْلح غزلانًا[٣] شدنّ[٤] لنا[٥]

وتصغيره لا يدل على أنه اسم، وذلك أن فعل التعجب قد لزم طريقةً واحدةً، فجرى في اللفظ مجرى الأسماء، فأدخلوا عليه التصغير تشبيهًا بالاسم، وليس يجب أن يكون الشيء إذا حمل على غيره لشبه بينهما أن يُخرج من جنسه، ألا ترى أن اسم الفاعل قد أُعمل عمل الفعل ولم يخرج من أن يكون اسمًا، وكذلك الفعل أعرب؛ لشبهه بالاسم ولم يخرجه ذلك من أن يكون فعلًا، فكذلك فعل التعجب وإن صُغِّر تشبيهًا بالاسم ؛لم يجب أن يكون اسمًا[٦]. فقد بان بما ذكرنا أن قوله: ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ﴾ إذا

---

(١) في (ش): (ما).

(٢) مذهب البصريين أنه فعل، وأما الكوفيون فيرون أنه اسم. ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٩٤.

(٣) في (م): (عن). وفي (أ): (عزلانًا).

(٤) في (م): (شدان).

(٥) تكملة البيت:

من هؤليائكن الضال والسمر

والبيت للمجنون في «ديوانه» ص١٣٠، ونسب لآخرين.

(٦) ينظر في ما تقدم: «المقتضب» للمبرد ٤/ ١٧٥ وما بعدها.

قلنا: إنه تعجب، فعل منقول من الثلاثي إلى الرباعي، والهاء والميم في محل النصب بوقوع الفعل عليه.

قال ابن الأنباري: ويكون أصبر ههنا بمعنى: صبّر[(١)]، وكثيرًا ما يكون أفعل بمعنى فعّل، نحو: أكرم وكرّم، وخبّر وأخبر، فهذا الذي ذكرنا بيان معنى التعجب وفعله.

فأما التفسير على هذه الطريق: فقال المؤرّج: معناه: فما أصبرهم على عمل يؤديهم إلى النار[(٢)]، أو على عمل أهل النار[(٣)] وهو قول الكسائي وقطرب[(٤)].

وقال أحمد بن يحيى: الصبر معناه هاهنا[(٥)]: الجرأة، أي: ما أجرأهم على أعمال أهل النار[(٦)].

وهذا قول الحسن[(٧)] وقتادة[(٨)] والربيع[(٩)].

---

(١) ينظر: «زاد المسير» ١/ ١٧٧.

(٢) الثعلبي ١/ ١٣٥٩، والحيري في «الكفاية» ١/ ١٠٩، والقرطبي ٢/ ٢١٨، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٩٤.

(٣) سقطت من (أ)، (م).

(٤) عزاه إليهما الثعلبي ١/ ١٣٦٠، والحيري في «الكفاية» ١/ ١٠٩، والقرطبي في «تفسيره» ٢/ ٢١٨، وأبو حيان في «البحر المحيط» ١/ ٤٩٤، وهو قريب من قول المؤرِّخ كما بيّن أبو حيان، ونسبه في «زاد المسير» ١/ ١٧٦ إلى عكرمة والربيع.

(٥) في (م): (الصبر هاهنا معناه).

(٦) ونسبه في «زاد المسير» ١/ ١٧٦ إلى مجاهد.

(٧) رواه عنه الطبري ٢/ ٩١، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٩.

(٨) رواه عنه الطبري ٢/ ٩١، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٩.

(٩) رواه عنه الطبري ٢/ ٩١، وذكره الثعلبي ١/ ١٣٥٩.

قال الفراء: وهذه لغة يمانية، وحكى عن الكسائي قال: قال لي قاضي اليمن: اختصم إليَّ رجلان، فحلف أحدهما على حق صاحبه، فقال له الآخر: ما أصبرك على الله ﷻ[١]! قال الفراء: ففي هذا وجهان: أحدهما: ما أجرأك على الله، والثاني: ما أصبرك على عذاب الله، كما تقول[٢]: ما أشبه سخاءك بحاتم، أي: بسخاء حاتم، فتقيم حاتم مقام السخاء[٣].

قال أهل المعاني: وإنما جاز استعمال الصبر بمعنى الجرأة؛ لأن الصبر حبس النفس على الشدة، والجريء يصبِّر نفسه على الشدة، فلما كانت الجرأة تقتضي الصبر سميت به.

وقال السدي: هذا على وجه الاستهانة[٤][٥]، وقد تقول في الكلام لمن تعرف ضعفه، تستخف به: ما أقواك على هذا الأمر!

وقيل: أراد ما أبقاهم في النار، وما أطول مكثهم فيها، كما يقال: ما أصبر فلانًا على الضرب والحبس، أي: ما أبقاه فيهما[٦].

قال عطاء عن ابن عباس: لم يرد أنهم حين دخلوا النار صبروا عليها،

---

(١) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٣، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٣٥٩، والسمعاني ٢/ ١٣٤.

(٢) في (م): (يقال).

(٣) بتصرف من «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٣، وهذا اختيار الطبري ٢/ ٩٢.

(٤) في (ش): (الاستهابة).

(٥) ذكره الثعلبي ١/ ١٣٦٠ ولم ينسبه، وكذا القرطبي ٢/ ٢٣٦، وقد أخرج الطبري ٢/ ٩١، والثعلبي ١/ ١٣٦٠ عن السدي وعطاء وابن زيد وأبي بكر بن عياش نحوه.

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٥، «تفسير السمرقندي» ١/ ١٧٨، الثعلبي في «تفسيره» ١/ ١٣٦٠، «زاد المسير» ١/ ١٧٦-١٧٧.

ولكنه يريد: فما أعملهم بأعمال أهل النار[١].

قال أصحاب المعاني: ومعنى التعجب من الله أنه يُعجِّب المخلوقين، ويدلُّنا على أنهم قد حلّوا محلّ من يتعجب منه[٢]، ولا يجوز على الله التعجب؛ لأنا قد ذكرنا أن التعجب إنما هو مما لا يعرف سببه، والله تعالى عالم لا يخفى عليه شيء[٣].

الوجه الثاني من التأويل: أن (ما) في هذه الآية استفهام يتضمن التوبيخ، معناه: ما الذي صبرهم؟، وأي شيء صبرهم على النار حين تركوا الحق واتبعوا الباطل؟ وهذا قول عطاء[٤] وابن زيد[٥]، وقد ذكرنا عن ابن

---

(١) تقدم الحديث عن هذه الرواية . وقد ورد هذا عن مجاهد في «تفسيره» ص٩٤، ورواه عنه الطبري ٢/ ٩١، وسعيد بن منصور في «سننه» ٢/ ٦٤٧، وأبو نعيم في «الحلية» ٣/ ٣٣١ .

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٢، «زاد المسير» ١/ ١٧٦ .

(٣) قد دلت النصوص على إثبات صفة التعجب لله، وعقيدة أهل السنة إثباتها كما جاءت دون تأويل، قال الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾، في قراءة ضم تاء الفاعل، وقوله ﷺ: «**عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَره**» رواه أحمد ٤/ ١١-١٢، وقال ﷺ: «**يعجب ربك من شاب ليست له صبوة**» رواه أحمد ٤/ ١٥١، وفيه ضعف، وقوله ﷺ: «**عجب الله ﷻ من قوم بأيديهم السلاسل حتى يدخلوا الجنة**» أخرجه البخاري (٣٠١٠) كتاب الجهاد والسير، باب: الأسارى في السلاسل وغيرها. وحقيقة التعجب: استغراب الشيء، ويكون ذلك لسببين: الأول: لخفاء الأمر على المستغرب المتعجب، وهذا مستحيل على الله؛ لأن الله عليم بكل شيء. والثاني: لخروج ذلك الشيء عن نظائره، وعما ينبغي أن يكون عليه، بدون قصور من المتعجب، وهذا ثابت لله ﷻ، وليس فيه نقص. ينظر: «شرح العقيدة الواسطية» للشيخ محمد العثيمين ٢/ ٤٤٦، «الأسماء والصفات» للبيهقي ٢/ ٤١٥.

(٤) رواه عنه الطبري ٢/ ٩١، وذكره عنه الثعلبي.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ٩١، ورواه أيضا عن أبي بكر بن عياش، وزاد نسبته في «زاد=

الأنباري أصبر بمعنى صبّر.

وقيل: معناه: أيُّ: شيء غرّهم من النار أنهم يصبرون عليها؟.

١٧٦- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى قوله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤] معناه: ذلك العذاب لهم بأن الله نزل الكتاب بالحق فاختلفوا فيه، فأضمر: فاختلفوا فيه(١).

و﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ هو التوراة، واختلافهم فيه: إيمانهم ببعض وكفرهم ببعض(٢). ويجوز أن يريد: القرآن، واختلافهم فيه(٣): قولهم: إنه كهانة، وسحر، ورجز، وأساطير الأولين(٤).

وقال بعضهم: معنى: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: فعلهم الذي يفعلون من الكفر، والاجتراء على الله ﷻ من أجل أن الله نَزَّل الكتاب بالحق. وتنزيله الكتاب بالحق: هو إخباره عنهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾. إلى قوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٦-٧](٥).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي: فآمنوا ببعض

= المسير» ١/ ١٧٧ إلى السدي، وهو قول أبي عبيدة في «مجاز القرآن»، ونسبه في «البحر المحيط» ١/ ٤٩٥ إلى ابن عباس والمبرد، وذكر قولًا ثالثًا وهو أن ما نافية، والمعنى: أن الله ما أصبرهم على النار، أي ما يجعلهم يصبرون على العذاب.

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٢، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٥، «زاد المسير» ١/ ١٧٧، ابن أبي حاتم ١/ ٢٨٦، «المحرر الوجيز» ٢/ ٧٧- ٧٨.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٣، ابن أبي حاتم ١/ ٢٨٦، «المحرر الوجيز» ٢/ ٧٨، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٥.

(٣) (فيه) سقطت من (ش).

(٤) ينظر: «المحرر الوجيز» ٢/ ٧٨، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٥.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٢.

وكفروا ببعض[(١)]. وإن قلنا: الكتاب هو القرآن، فقال ابن عباس: يريد اختلفوا فيما أنزلت عليك[(٢)]. وذكرنا حقيقة معنى الاختلاف عند قوله: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤][(٣)].

وقوله تعالى: ﴿لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ذكرنا معنى (شقاق) عند قوله: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

ومعنى ﴿لَفِى شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: لفي خلاف طويلٍ[(٤)]، ويقال: معناه: بعيدٍ عن الألفة بالاجتماع على الصواب[(٥)].

١٧٧- قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ قرئ (البرُّ) رفعًا ونصبًا[(٦)]، وكلتا القراءتين حَسَن؛ لأن اسم ليس وخبرها، اجتمعا في التعريف، فتكافآ في كون أحدهما اسمًا، والآخر خبرًا، كما يتكافأ النكرتان. وحجة من رفع (البر): أن اسم ﴿لَّيْسَ﴾ مشبهة بالفاعل وخبرها بالمفعول، والفاعل أن يلي الفعل أولى من المفعول، كما تقول: قام زيد، فيلي الاسم الفعل، وإذا

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٦، «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٨، «زاد المسير» ١/ ١٧٧.

(٢) ينظر: «زاد المسير» ١/ ١٧٧، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٥.

(٣) ينظر: ٣/ ٤٣١-٤٣٢.

(٤) ينظر: «تفسير الثعلبي»، «زاد المسير» ١/ ١٧٧، «المحرر الوجيز» ٢/ ٧٨، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٦.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٦، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٨٧، «زاد المسير» ١/ ١٧٧، «البحر المحيط» ١/ ٤٩٦.

(٦) قرأ حمزة وحفص: بالنصب، وقرأ الباقون: بالرفع. ينظر: «النشر» ٢/ ٢٢٦.

قدمت المفعول كان النيةُ به التأخير، كما تقول: ضرب غلامَه زيدٌ[١].

ومن نصب البر، ذهب إلى أن بعض النحويين قال: أَنْ مع صلتها أولى أن تكون اسم ليس؛ لشبهها بالمضمر، في أنها لا توصف كما لا يوصف المضمر، وكان هاهنا اجتمع مُضْمَرٌ ومظهر، والأولى إذا اجتمعا أن يكون المُضْمَرُ الاسم، من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظهر، فكذلك إذا اجتمع (أن) مع مظهر غيره كان أن يكون (أن)[٢] الاسم، والمظهرُ الخبرُ أولى[٣]، وعلى هذا قرئ في التنزيل قوله: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الحشر: ١٧]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٨٢] ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ [الجاثية: ٢٥]، والاختيار رفع البر؛ لأنه روي عن ابن مسعود أنه قرأ: ليس البرُّ بأن[٤]، والباء تدخل في خبر ليس.

واختلف المفسرون في هذه الآية على وجهين: فقال قتادةُ[٥] والربيع[٦] ومقاتل[٧]: عنى الله بهذه الآية: اليهود والنصارى، وذلك أن

---

(١) من «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٧٠ بمعناه.

(٢) (أن) ليست في (ش).

(٣) «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٧١، و ينظر: «معاني القرآن» للزجاج.

(٤) رواه الثعلبي بسنده عن عبد الله، وأبي بن كعب. وينظر: «معاني القرآن» للفراء، «المحرر الوجيز» ٢/ ٧٨، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٢٠، ونسب القراءة لأبي بن كعب أيضًا ، وينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٢.

(٥) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٦٦، والطبري ٢/ ٩٤.

(٦) رواه عنه الطبري ٢/ ٩٥ واختاره، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٨٧.

(٧) لعل المراد به هنا مقاتل بن حيان، كما هو عند الثعلبي، وقد روى عنه ابن أبي حاتم ١/ ٢٨٧ ما يوافق القول الثاني.

اليهود كانت تصلي قِبَلَ المغرب إلى بيت المقدس، والنصارى قِبَلَ المشرق، وزعم كل طائفة أن البر في ذلك، فأخبر الله تعالى أن البر غيرُ دينهم وعملهم، ولكنه ما بينه في هذه الآية. فقال ابن عباس[(١)]، ومجاهد[(٢)]، والضحاك[(٣)]، وعطاء[(٤)]: المراد به المؤمنون، وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا شهد الشهادتين، وصلى إلى أي ناحية[(٥)] كانت، ثم مات على ذلك، وجبت له الجنة، فلما هاجر رسول الله ﷺ، ونزلت الفرائض، وحُدَّتْ الحدود، وصرفت القبلة إلى الكعبة، أنزل اللهُ هذه الآية، فقال: ليس البرُّ كله أن تصلوا ولا تعملوا غير ذلك، ولكن البرَّ ما ذكر في الآية[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ ﴿ٱلْبِرَّ﴾ مصدر، ولا يخبر عن المصادر بالأسماء ومَنْ اسم. واختلف النحويون وأهل المعاني في وجهه. وقال أبو عبيدة: البر، هاهنا، بمعنى: البار[(٧)]، والفاعل قد يسمى بالمصدر، كما يسمى المفعول به، ومنه قوله تعالى﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ

---

(١) رواه عنه الطبري ٢/ ٩٤، وابن أبي حاتم ١/ ٣٨٧.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٤٣، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٧٨، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٢.

(٥) في (م): (جهة).

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٩٤ عن قتادة، وعزاه السيوطي في «الدر» ١/ ٣١٠ إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٤٠-١٤١.

(٧) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٦٥، و«تفسير الطبري» ٢/ ٩٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٧.

﴿غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [تبارك: ٣٠]. أي: غائرًا.

وقالت الخنساء:

فـإنـمـا هـي إقـبـال وإدبـار[1]

أي: مقبلة ومدبرة.

وقال آخر:

هَرِيقي مِنْ دمُوعهما سِجاما ضُباعَ وجَاوبِي نَوْحًا قيامًا[2][3]

أراد: نائحاتٍ قائماتٍ. ومثله قوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢] أي: للمتقي.

وحكى الزجَّاجُ أن معناه: ذا البر، فحذف[4]، كقوله: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣] أي: ذوو درجات[5].

وقال قطرب[6] والفراء[7]: معناه: ولكن البرَّ برُّ من آمن، فحذف المضاف، وهو كثير في الكلام، كقوله: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾

---

(١) صدر البيت:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت

والبيت في «ديوان الخنساء» ص٣٨٣، «الشعر والشعراء» ص٢١٥.

(٢) في (م): (سقاقًا.. حاوي)، وفي (ش): (صباع.. وجاوني).

(٣) البيت في «مجاز القرآن» ١/ ٤٠٤ بلا نسبة، بل قال: وقال باكٍ يبكي هشامَ بن المُغيرة. والطبري ١٥/ ٢٤٩، والقرطبي ١٠/ ٤٠٩، و«شرح أبيات سيبويه» ١/ ٩٤، ٣٥٤.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٦٥.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٨، «البيان في إعراب القرآن» لأبي البركات الأنباري ١/ ١٣٩.

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٨، «البحر المحيط» ٢/ ٣، قال: وعلى هذا خرجه سيبويه. ينظر: «الكتاب» لسيبويه ١/ ٢١٢، وهو اختيار الطبري في «تفسيره» ٢/ ٩٥.

(٧) «معاني القرآن» للفراء. ١/ ١٠٥.

[البقرة: ٩٣] و﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] ويقولون: الجود حاتم، والشعر زهير، والشجاعة عنتر.

وقال النابغة:

وكيف تواصل من أصبحت خِلالتُه كأبي مرحب[1]

قال الفراء: والعرب تخبر عن الاسم بالمصدر، وعن المصدر بالاسم، وتجعل الاسمَ خبرًا للفعل، والفعلَ خبرًا للاسم؛ لأنه أمر معروف المعنى عندهم[2]، وحكي عن العرب أنهم يقولون: إنما البِرُّ الصادقُ[3]: الذي يصل رحمه، ويخفي صدقته، فيجعلون الاسم خبرًا للفعل، وأما الأفعال التي جعلت أخبارًا للأسماء، فقولُ الشاعر:

لَعَمْرُك ما الفتيان أن تَنْبُتَ اللّحى

ولكنما الفتيانُ كلُّ فَتًى نَدِيّ[4]

فجعل نباتَ اللِّحى، وهو مصدر، خبرًا للفتيان[5].

---

(١) البيت في «ديوانه» ص٢٦، «لسان العرب» ٣/ ١٦٠٧ (رحب).

(٢) سقطت من (ش).

(٣) سقطت من (ش).

(٤) قال البغدادي في شرح أبيات «مغني اللبيب»: البيت ملفق من مصراعين من أبيات لابن بيض، وهي:

لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى وتعظم أبدان الرجال من الهبر

ولكنما الفتيان كل فتى ندي صبور على الآفات في العسرِ واليُسْرِ

وقد ذكره غير منسوب الفراء في «معاني القرآن» ١/ ١٠٤، الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٤٥، «أمالي المرتضى» ١/ ٢٠١، «شرح شواهد المغني» ٢/ ٢٦٤، «مغني اللبيب» ٢/ ٦٩١.

(٥) «معاني القرآن» ١/ ١٠٤-١٠٥ للفراء بمعناه.

قال ابن الأنباري: ولا يجوز القياس على هذا، وإنما يستعمل في مثل هذا ما استعملته العرب، لا يجوزُ أن تقولَ: الرُّكوب عبد الله؛ لأن هذا[١] من المجاز، والمجاز لا يقاس بعضه على بعض، إلا أن يُوصفَ رجلٌ بحسن الركوب فيصير عَلَمًا فيه، فيقال فيه: الرُّكوبُ عبدُ الله، كما يقال: الجُودُ حاتم، ولا يقاس على المشهور ما ليس بمشهور.

قال أبو علي: ومثل هذه الآية قوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾. ثم قال: ﴿كَمَنْ ءَامَنَ﴾ [التوبة: ١٩]، وهذا على: أجعلتم أهل سقاية حاج كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج[٢] كإيمان من آمن؛ ليقع التمثيل بين حَدَثَيْن، أو بين فَاعِلَيْن، إذ لا يقع التمثيل بين[٣] حدث وفاعل[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ يريد: الكُتُب، قاله ابن عباس[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ الأكثرون[٦] على أن الكناية في الحب راجعة إلى المال، والتقدير[٧]: وآتى المال على حب[٨] المال،

---

(١) ليست في (أ)، (م).

(٢) الجملة من قوله: (ثم قال..) سقطت من (ش).

(٣) في (م): (من).

(٤) ينظر: «التفسير الكبير» للرازي ٥/ ٣٩.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٤٩، وقال الزمخشري في «الكشاف» ١/ ١٠٩: والكتاب: جنس كتب الله، أو القرآن. ينظر: «تفسير الرازي» ٥/ ٣٧.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٥، ٩٦، و«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٨٨، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٠، «البحر المحيط» ٢/ ٥، وقال: لأنه أقرب مذكور، ومن قواعد النحويين أن الضمير لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل.

(٧) سقطت من (ش).

(٨) في (ش): (حبه).

فأضيف الحب إلى المفعول، كما تقول: اشتريت طعامي كاشتراء طعامك.

قال ابن عباس[١] وابنُ مسعود[٢]: هو أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح. وهذا التفسير يقوي رجوع الكناية إلى المال.

وقال ابن الأنباري: يجوز أن تكون الهاء عائدة على ﴿مَنْ﴾ في قوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ فيكون المصدر مضافًا إلى الفاعل، وتُرِكَ ذكرُ المفعول معه، لانكشاف المعنى.

قال: ويجوزُ أن يعودَ إلى الإيتاء، أي: على حُب الإيتاء، (وآتى) يدل على الإيتاء؛ لأن الفعل يدل على المصدر، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا﴾ [آل عمران: ١٨٠]، أي: البخل، كنى عنه؛ لأن (يبخلون) يدل عليه، ومثله قولُ القَطَامي:

هُمُ الملوكُ وأبناءُ المُلوكِ هُمُ ... والآخذون به والسَّاسَةُ الأُوَلُ[٣]

أراد: والآخذون بالملك، ودلَّ (الملوكُ) عليه، فكنى عنه، وأنشد الفراء[٤]:

---

(١) عزاه إليه في «التفسير الكبير» ٥/ ٣٩.

(٢) رواه عنه ابن المبارك في «الزهد» ص٨، وعبد الرزاق في «المصنف» ٩/ ٥٥، وسعيد بن منصور ٢/ ٦٤٨، والطبري في «تفسيره» ٢/ ٩٥، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٨٨، وبمعنى هذا: حديث أبي هريرة مرفوعًا، رواه البخاري (١٤١٩) كتاب الزكاة، باب: أي الصدقة أفضل، ومسلم (١٠٣٢) كتاب الزكاة، باب: بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح.

(٣) البيت من البسيط، وهو بهذه الصيغة للنابغة في «ديوانه» ص٧٥، «لسان العرب» ١/ ١١٩ مادة (ألا).

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٤- ١٠٥.

إذا نُهي السفيهُ جرى إليه وخَالف والسفيهُ إلى خلاف[1]

أي: إلى السفه، ويكون المعنى على هذا الوجه: لا يعطيه وهو متسخِّط، وهذا الوجْهُ اختيارُ الحسين بن الفضل[2].

وقوله تعالى: ﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ قال مجاهد: هو المنقطع من أهله يَمُرُّ عليك[3].

وقال قتادة: هو الضيفُ ينزل بالرجل[4].

قال أهل المعاني: كل مسافر من حاجٍّ وغازٍ وغيرهما، فهو ابن السبيل؛ لملازمته الطريق، وكل من لزم شيئا نسب إليه، فيقال للشجعان: بنو الحروب، وللناس: بنو الزمان؛ لأنهم لا يَنْفَكُّون منه، ولطيرِ الماءِ: ابنُ الماء، وهو كثير[5].

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ قال ابن عباس: يريد المكاتبين[6]، ويكون التقدير: وفي غزو الرقاب.

---

(١) تقدم تخريج البيت عند تفسير [البقرة: ١٧٧].

(٢) «تفسير الثعلبي»، ٢/ ١٥٠ «المحرر الوجيز» ٢/ ٨١، «زاد المسير» ١/ ١٧٧، «البحر المحيط» ٢/ ٥، وقال عن هذا القول: إنه بعيد من حيث اللفظ، ومن حيث المعنى، أما من حيث اللفظ: فإنه يعود على غير مصرح به، وعلى أبعد من المال، وأما المعنى: فلأن من فعل شيئًا وهو يحب أن يفعله لا يكاد يمدح على ذلك؛ لأن في فعله ذلك هوى نفسه ومرادها.

(٣) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٩٧، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٩٠، وروى مثله عن قتادة.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٩٧، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٢٨٩، وأسنده عن ابن عباس، قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٢/ ٨١: والأول أعم.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٧، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨١.

(٦) عزاه إليه ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٧٨، قال وهو مروي عن علي =

وقيل: فداء الأسارى، وعتق النسمة، وفك الرقبة[١]، والرقاب: جمع الرقبة، وهو مُؤَخَّر أصل العنق، واشتقاقها: من المراقبة، وذلك أن مكانها من البدن مكان الرقيب المشرف على القوم؛ ولهذا المعنى يقال: أعتق الله رقبته، ولا يقال: أعتق الله عُنَقَه؛ لأنها لما سميت رقبةً كانت كأنها تراقب العذاب، ومن هذا يقال للتي لا يعيش لها ولد: رَقُوب؛ لأجل مراعاتها موتَ ولدِها[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ قال المفسرون: أراد: فيما بينهم وبين الله، وبينهم وبين الناس، إذا وعدوا أنجزوا، وإذا حَلَفُوا ونَذَروا وَفَّوا، وإذا قالوا صدقوا، وإذا ائتمنوا أدَّوا[٣].

ارتفع قوله: ﴿وَالْمُوفُونَ﴾ بالعطف على محل (مَنْ) في قوله: ﴿مَنْ

= والحسن وابن زيد والشافعي، ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٩٠ عن سعيد ابن جبير ومقاتل بن حيان والحسن والزهري، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٩٨، وقد حكى الواحدي في «الوسيط» أن جميع المفسرين قالوا: يريد به المكاتبين، والمفسرون ذكروا الخلاف على أربعة أقوال: المكاتبون، وأنهم عبيد يشترون بهذا السهم ويعتقون، وفداء الأسرى، وجميع هؤلاء، وهذا قول ابن عطية وابن العربي في «أحكام القرآن» ١/ ٦٠، واستظهره أبو حيان في «البحر» ٢/ ٦. ينظر: «الإجماع في التفسير» ص١٩٥.

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ١/ ١٢٤٩، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨١، «الكشاف» ١/ ١٠٩، وقال في «زاد المسير» ١/ ١٧٩: رواه مجاهد عن ابن عباس، وبه قال مالك بن أنس وأبو عبيد وأبو ثور، وعنه كالقولين.

(٢) ينظر في الرقاب: «المفردات» ص٢٠٦، «اللسان» ٣/ ١٧٠١ (رقب)، والكلام بنصه عند الرازي في «تفسيره» ٥/ ٤٢.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٦، وينظر: «تفسير الرازي» ٥/ ٤٣، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٢٥.

ءَامَنَ﴾ وهو رفع؛ لأنه خبر لكن، كأنه: ولكن البر من آمن بالله والموفون، أو على المدح على أن يكون خبر ابتداء محذوف، تقديره: وهم الموفون[١].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ قال الكسائي: هو معطوف على ذوي القُربى، كأنه: وآتى المال على حبه ذوي القربي والصابرين[٢].

قال النحويون: إذا عطفت قوله: (والموفون) على الموصول وهو قوله: (من) لا يجوز أن يكون (الصابرين) مِنْ صلة (مَنْ) وقوله: (وآتى المال)، مِنْ صلة (مَنْ)، فإذا نصبت الصابرين بقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾، على ما ذكره الكسائي فقد جعلت ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ من تمام الصلة، ولا يجوز هذا؛ لأنك قطعت ذلك الكلام بالعطف على (مَنْ)، حيث عطفت عليه قوله: ﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾، ولا يجوز العطف على الموصول حتى ينقضي بصلته، كما لا يؤكد ولا يوصف إلا بعد انقضائه بجميع صلته؛ لأن الموصول مع الصلة بمنزلة اسم واحد، ومحالٌ أن يوصف الاسم، أو يؤكد، أو يعطف عليه،

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٧، «التفسير الكبير» ١/ ٤٢، «التبيان» ص١١٢، وذكر وجهًا ثالثًا: وهو أن يعطف (الموفون) على الضمير في (آمن).

(٢) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٧، قال: وإنما امتنع من مذهب المدح - يعني الكسائي - الذي فسرت لك؛ لأنه قال: لا ينصب الممدوح إلا عند تمام الكلام، و لم يتمم الكلام في سورة النساء، ألا ترى أنك حين قلت: (لكن الراسخون في العلم منهم) - إلى قوله: (والمقيمين والمؤتون)، كأنك منتظر لخبره، وخبره في قوله: (أولئك سنؤتيهم أجرًا عظيمًا). والكلام أكثره على ما وصف الكسائي، ولكن العرب إذا تطاولت الصفة جعلوا الكلام في الناقص والتام كالواحد وينظر أيضا: «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٣١، وقال: وهذا القول خطأ بين.

إلا بعد تمامه وانقضائه بجميع أجزائه وما يتصل به، فلا يجوز إذن أن يكون ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ عطفا على قوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

وإذا كان قوله: ﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾ عطفا على الموصول؛ لأن قولَه: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على هذا من تمام الموصول، فلا يجوز الفصل بينه وبين الموصول بالمعطوف على الموصول، ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول: مررت بالضاربين وقوم زيدًا، حتى تقدم زيدًا على القوم، وكذلك سبيل التأكيد والصفة، لو قلت: أعجبني كلامُكَ كلُّه زيدًا، أو أعجبني كلامُك الحسن زيدًا، لم يجز؛ لوصفك الاسم وتأكيدك قبل تمامه بما في صلته.

وإن جعلت قوله: ﴿وَٱلْمُوفُونَ﴾ رفعًا على المدح على ما ذكرنا، لم يصح أيضا قول الكسائي؛ لأن الفصل بين الصلة والموصول يقع به إذا كان مدحًا، كما يقع إذا كان معطوفًا على الموصول، بل الفصل بينهما بالمدح أشنع؛ لكون المدح جملة، والجمل ينبغي أن تكون في الفصل أشنع بحسب زيادتها على المفرد[1].

فإن قيل: أليس جاز الفصلُ بين المبتدأ والخبر بالجملة، كقول القائل: إنّ زيدًا -فافهم ما أقول- رجلُ صدقٍ، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]. ثم قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ ففصل بين المبتدأ والخبر بقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾؟ قيل: ليس الصلة مع الموصول كالمبتدأ مع الخبر؛ لأن اتصال كل واحد منهما بالآخر أشد من اتصال المبتدأ وخبره، لأن مجراهما مجرى حروف الاسم

---

(١) ذكر هذا بمعناه الرازي في «تفسيره» ٥/ ٤٤.

الواحد وأجزائه، وعلى حسب شدة الاتصال يقبح الانفصال، وليس كذلك المبتدأ مع خبره، ألا ترى أنَّ كل واحد منهما ليس كَجُزْء[١] الآخر. وإذا كان الأمرُ على ما ذكرنا، لم يَجُزْ الفصل بين بعض الصلة وبعض؛ لأن عطفَك على الموصول بالمفرد والجملة وتأكيدَك إياه ووصفَك له وإبدالَك منه يؤذن كل ذلك بالتمام والانقضاء، فلا يسوغ أن يذكر ما يؤذن بالتمام ويدل عليه ثم يتم بعد؛ لأن ذلك نَقْصٌ وفساد[٢].

فأما[٣] قول الشاعر:

ذاك الذي وأبيك يَعرِف مالكٌ والحقُّ يَدفَع تُرَّهاتِ الباطلِ[٤]

ففصل بين الصلة والموصول بالقسم، وهو جملة؛ لأن القسم، وإن كان في الأصل جملة، فإنه لا توصف به النكرة، ولا توصل به الموصول، كسائر الجمل، فالفصلُ بها -لجريها مجرى غير الجمل في هذه المواضع- أسهَل وأسْوَغ من الفصل بغيره؛ لمخالفة القسم سائر الجمل. وأيضًا فإن للقسم مداخل ليس لغيره من الجمل، ألا ترى أن القسم قد دخل بين الشرط وجزائه في نحو: إن تأتني والله آتك، ولا يدخل عليه غيره من الجمل.

فالقسم مما[٥] قد اتسع بالفصل فيه؛ لكثرته، ويقع مواقع لم يقع غيره، فلا يلزم إذا اتسع فيه ففصل به أن يفصل بغيره. ألا ترى أنهم اتسعوا في الفصل بالظرف، ففصلوا به بين إن واسمها، وليس يوجب فصلهم بذلك

---

(١) في (ش): (ليس كَجَسر الآخر).
(٢) ذكر هذا بمعناه الرازي في «تفسيره» ٥/ ٤٤.
(٣) في (ش): (وأما).
(٤) البيت لجرير في «ديوانه» ص٥٨٠، «لسان العرب» ١/ ٤٣١ (تره).
(٥) في (م): (ما).

فصلهم بغيره. وكذلك يجوز الفصل بالقسم في الصلة، ولا يجوز ذلك في غيره، فبان[١] بما ذكرنا أنه لا وجه لقول الكسائي، وهذا كله كلام أبي علي. ثم قولُ الكسائي ضعيف أيضًا في المعنى؛ لأنه يَضْعُفُ أن يُقَال: معنى الآية: ولكن البرّ من آمن بالله وآتى الصابرين. والصحيح: أنَّ ما بعد ﴿ءَامَنَ﴾ تَعدادٌ لأفعال ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ وأوصافه.

والوجه في نصب ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ قولُ الفراء، وهو أنه ذهب به إلى المدح، وإن كان مِنْ صفة ﴿مَنْ﴾، والعرب تعترض في صفات الواحد إذا تطاولت بالمدح أو الذم، فينصبون بعض المدح، وإن كان الاسم رفعًا، كأنهم ينوون إخراج المنصوب بمدح مجدد غير متبع لأول الكلام، من ذلك قولُ الشاعر:

لا يَبْعَدَنْ قومي الذين هُمُ ... سَمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ
النازلينَ بكلِّ مُعْتَرَكٍ ... والطيبين معاقِدَ الأزْرِ[٢]

فنصبوا النازلين والطيبين على المدح.

وأنشد أيضًا:

إلى الملك القَرْمِ وابنِ الهمام ... وليثَ الكتيبةِ في المُزْدَحمْ[٣]

---

(١) في (ش): (فان).

(٢) البيتان لخرنق بنت بدر بن هفّان، ترثي زوجها ومن قتل معه، في «ديوانها» ص٤٣، «معاني القرآن» للفراء، «لسان العرب» ٧/ ٤٤٥٤ (نضر). وفي «الكتاب» لسيبويه ٢/ ٦٤، لكن قال: (والطيبون) قال الفراء: وربما رفعوا (النازلون) (الطيبون)، وربما نصبوهما على المدح، والرفع على أن يُتْبَعَ آخرُ الكلام أوّلَه.

(٣) البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٥، «الإنصاف» ص٣٧٦، «الخزانة» ١/ ٢١٦.والقَرْم: السيد المعظم.

فنصب ليثَ الكتيبة على المدح، والاسم قبله مخفوض[١].

وقال أبو علي مختارًا هذا القول: الأحسن عندي في هذه الأوصاف التي تعطف وتذكر للرفع من موصوفها والمدح أو النقص منهم والذم: أن يخالف[٢] بإعرابها، ولا يجعل كلها جارية على موصوفيها؛ لأن هذه المواضع من مواضع الإطناب في الوصف، والإبلاغ في القول، فإذا خُولِفَ بإعراب الأوصاف كان أشدَّ وأوقعَ فيما يعني لضرورةِ الكلام، وكونه بذلك ضروبًا وجملًا[٣]، وكونه في الإجراء على الأول وجهًا واحدًا وجملةً واحدة[٤]. ونص سيبويه في قوله: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢] أنه نصبٌ على المدح. انتهى كلامه[٥].

ومعنى المدحِ والذمِّ في النحو: أن العربَ لما أطنبت في وصفٍ بمدح أو ذم سلكت طرقًا، وأتت بأوصاف كثيرة، فلذلك خالفت بإعراب الأوصاف، تنويهًا بالموصوف وتنبيهًا على المراد، كأنهم ظنوا أنهم لو أجروا الأوصافَ على نحوٍ واحدٍ، كانوا قد أَتوا بوصفٍ واحدٍ. وأما علة اختلاف الحركة في المدح والذم: فقال الفراء: أصل المدح والذم من كلام السامع، وذلك أن الرجل إذا أخبر الرجل، فقال له: قام زيد، أثنى السامع عليه، فقال: ذكرت والله الظريف، ذكرت العاقل، وهو والله الظريف، هو العاقل، فأراد المتكلم أن يمدحه بمثل ما مدحه به السامع،

(١) من «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٦ بتصرف، واختاره الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٠٠.
(٢) في (ش): (لا تخالف).
(٣) في (م): (وحولًا).
(٤) نقله عنه الرازي في «تفسيره» ٥/ ٤٥، ونقله في «البحر المحيط» ٢/ ٧-٨.
(٥) «الكتاب» لسيبويه ٢/ ٦٣-٦٥.

فجرى الإعراب على ذلك[١].

وقال الخليل: المدح والذم ينصبان على معنى: أعني الظريفَ[٢].

وأنكر الفراء هذا القول[٣]، وقال: (أعني) إنما تقع تفسيرًا للاسم المجهول، والمدح يأتي بعد المعروف، ولو اطرد لنا إضمار (أعني) لأجزنا[٤]: قام زيدٌ أخاك، على معنى: أعني أخاك، وهذا لا يقوله[٥] العرب أصلًا[٦]. قال: والذم بمنزلة المدح، يقال: مررت بزيدٍ الخبيثِ، والخبيثَ، ومن هذا: قوله ﷻ ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]. وقد تدخل الواو على المنصوب على المدح والذم ويكون[٧] نكرةً، فيقال: مررت برجل ينصفُ من يُناظرهُ، وعاقلًا لبيبًا عالمًا، قال الشاعر:

ويأوي إلى نسوة عُطَّلٍ   وشُعثًا مراضيعَ مثل السَّعَالِي[٨]

فنصب شعثًا على الذم. وقال آخر:

---

(١) نقله الرازي في «تفسيره» ٥/ ٤٥، وينظر: «الكتاب» لسيبويه ٢/ ٦٥.

(٢) نقله الرازي في «تفسيره» ٥/ ٤٥.

(٣) ليست في (أ)، (م).

(٤) في (ش): (لأجرينا).

(٥) في (ش): (بالتاء وفيهما).

(٦) نقله الرازي في «تفسيره» ٥/ ٤٥.

(٧) في (ش): (بالتاء).

(٨) البيت، وهو لأمية بن أبي عائذ الهذلي، في «شرح أشعار الهذليين» ٢/ ٥٠٧، ذكره الفراء في «معاني القرآن» ١/ ١٠٨ ولم ينسبه، وفي «لسان العرب» ٣/ ١٦٦١ (رضع). ويروى: وشعث على النعت كما ذكر الفراء. وهذا البيت في وصف صائد وإعساره. وعطل: هن اللواتي لاحلي عليهن، وشعث: جمع شعثاء، وشعثها من قلة التعهد بالدهن والنظافة. والسعالي: ضرب من الغيلان، الواحد: سعلاة.

إلى الملك القرم وابن الهمام وليثَ الكتيبة في المزدحم[١]

فنصب ليثَ على المدح.

وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلْبَأْسَآءِ﴾ قال ابن عباس: يريد الفقر، وهو اسم من البؤس.(والضراء) قال: يريد المرض[٢]. وهما اسمان على فعلاء ولا أَفْعل لهما؛ لأنهما ليسا بنعتين[٣].

(وحين البأس) قال ابن عباس: يريد القتال في سبيل الله والجهاد[٤]. ومعنى البأس في اللغة: الشدة، يقال: لا بأس عليكم في هذا، أي: لا شدة ولا حرج، ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ [الأعراف: ١٦٥] شديد، ثم تسمى الحرب بأساء لما فيها من الشدة، والعذاب يسمى بأسًا لشدته، قال الله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤] وقال: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ [الأنبياء: ١٢] وقال: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٢٩] كل هذا معناه: العذاب[٥].

وقوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ أي: أهل هذه الأوصاف هم الذين صدقوا في إيمانهم[٦]. وهذه الواوات في الأوصاف في هذه الآية

---

(١) سبق تخريج البيت.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٩١، ورواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٩٩، عن ابن مسعود والربيع وقتادة والضحاك وابن جريج.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٠، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٠٠، «التفسير الكبير» للرازي ٥/ ٤٥.

(٤) رواه الطبري ٢/ ١٠١، وابن أبي حاتم ١/ ٢٩٢ عن ابن مسعود ومجاهد وقتادة والربيع والضحاك وسعيد بن جبير والحسن وأبي العالية ومرة ومقاتل بن حيان.

(٥) ينظر في معاني البأس: «تهذيب اللغة» ١/ ٢٥٥ (بأس)، «المفردات» ص٧٥، «التفسير الكبير» ٥/ ٤٥.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٠١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧١، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٢.

للجمع، فمن شرائط البر وتمام شرط البار أن يجتمع فيه هذه الأوصاف، ومن قام بواحدة منها لم يستحق الوصف بالبر، فلا يظنن ظان أن الموفي بعهده على انفراد هذا الوصف فيه من جملة من قام بالبر، وكذا الصابر في البأساء حتى يستكمل هذه الأوصاف، وقد تدخل الواو في الأوصاف لموصوف واحد بقوله:

إلى الملك القرم ....[1]

البيت الذي أنشدناه آنفًا، دخلت الواو في هذه الأوصاف وهي لموصوف واحد. ولهذه النكتة اختلف السلف في هذه الآية، فقال بعضهم: هذه الصفة خاصة بالأنبياء؛ لأن غيرهم لا تجتمع فيه هذه الأوصاف كلها، وقال بعضهم: هذه عامة في جميع المؤمنين[2].

١٧٨- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾، كُتِبَ هاهنا، بمعنى: فُرض وأُوجب، كقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٨٠]. وأصله: أن من أراد إحكام شيء والاستيثاق منه كَتَبَه؛ لئلا ينساه، فقيل في كل مفروضٍ واجب: كتب، بمعنى: أحكم ذلك. وقيل: أصلُه: ما كتبه الله في اللوح المحفوظ، ومن هذا قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١]، أي: قضى الله ذُلك، وفرَغَ منه، وحَكَم به، ومثله قوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ [الحشر: ٣]، أي: حكم بإخراجهم من دورهم، وقوله: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، وقوله: ﴿لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ

---

(١) تقدم تخريج البيت.

(٢) نقله بتمامه الرازي في «تفسيره» ٥/ ٤٥ وصرح فيه بالنقل عن الواحدي.

عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، كل هذا من القضاء.

ويكون (كتب) بمعنى[١]: جعل، كقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢] وقوله: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣] وقوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦][٢].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْقِصَاصُ﴾ معنى القصاص في اللغة: المماثلة والمساواة، وأصله من قولهم: قصصت أثره، إذا تتبعته[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القصص: ١١]، فكأن المفعول به يتبع ما عُمِلَ به فَيَعْمَلُ مثله[٤]. والقِصَاص مصدر؛ لأنه فعال من المفاعلة.

قال الفراء في كتاب المصادر: قاصَصْته قَصَصًا، وأَقْصَصْتُه: إذا أقدته من أخيه إقْصَاصًا، ويقال: قَصَصْتُ أثره قَصَصًا وقَصًّا، وقَصَصْتُ عليه الحديثَ قَصَصًا، قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣].

وقال في قَصِّ الأثر: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤] والقَصُّ جائز في هذين. هذا كلامه. وأراد بالقصاص هاهنا: المماثلة في النفوس والجروح.

---

(١) في (أ): (يعنى).

(٢) ينظر في معنى (كتب): «تفسير الطبري» ٢/ ١٠٢، ١٠٣، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٣، «المفردات» ص٤٢٥-٤٢٧، «البحر المحيط» ٢/ ٧-٨، قال الراغب: ويعبر عن الإثبات والتقدير والإيجاب والفرض والعزم، بالكتابة، ووجه ذلك: أن الشيء يراد، ثم يقال، ثم يكتب، فالإرادة مبدأ، والكتابة منتهى، ثم يعبر عن المراد الذي هو المبدأ إذا أريد توكيده بالكتابة التي هي المنتهى.

(٣) في (م): (تبعته).

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٦.

وقال الأزهري: أصل القَصّ: القطع. قال أبو زيد: قَصَصْتُ ما بينهما، أي: قطعت. قال الأزهري: والقِصَاص في الجِرَاح مأخوذ من هذا، وهو أن يُجْرحَ مثلَ ما جَرَح، أو يُقْتل مثل ما قتل[١]، والقول الأول أشهر؛ لأن القصاص والمقاصة في غير الجراح، يقال: قَاصَّه في الحساب وغيره: إذا أخذ الشيء مكان غيره.

وقال الليث: القصاص والتقاص[٢] في الجراحات والحقوق شيء بشيء[٣]، وهذا يبين أن معنى القصاص اعتبار المماثلة والمساواة[٤]. وليس معنى الآية أن القصاص واجب علينا حتى لا يسعنا تركه، ولكن معناه: أن اعتبار المماثلة بين القتلى فرضٌ علينا، فالفَرْضِية ترجع إلى اعتبار المماثلة بين[٥] الدماء، لا إلى نفس القصاص، حتى يلزم قَتْلُ القاتلِ حتمًا، فالقصاص حيث يجب إنما يجب إذا وُجِدَتْ المساواة، وهذا يؤكدُ أنَّ القولَ في اشتقاق القِصَاص في اللغة إنما هو من الاتباع، لا من القطع كما قاله الأزهري؛ لأنه لو كان من القطع لوجب القصاص حتى لا يسعنا تركه[٦].

---

(١) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٧٦ (قصّ)، وعبارته: والقصاص في الجراح مأخوذ من هذا، يجرحه مثل جرحه إياه، أو قتله به.

(٢) في (ش): (والتقصاص).

(٣) نقله عنه في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٧٦، «لسان العرب» ٦/ ٣٦٥٢ (قصّ).

(٤) ينظر في معنى القصاص «تفسير الطبري» ٢/ ١٠٢-١٠٣، «اللسان» ٦/ ٣٦٥٢ (قصّ).

(٥) في (أ)، (م): (من).

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٠٢، ١٠٦، «زاد المسير» ١/ ١٨٠، «التفسير الكبير» ٥/ ٤٨، قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٣: وصورة فرض القصاص هو=

قوله تعالى: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾ أراد: الحر يقتص بالحر، فحذف لدلالة ذكر القصاص عليه. والحر: نقيض[١] العبد، قال أهل الاشتقاق: أصله من الحَرِّ الذي هو ضد[٢] البرد، وذلك أن الحُرّ له من الأنفة وحرارة الحمية ما يبعثه على المكرمة، بخلاف العبد، ثم قيل للأكرم من كل شيء: حُرٌّ تشبيهًا بالرجل الحر[٣].

قال المفسرون: نزلت الآية في حَيَّيْنِ من العَرَبِ، لأَحَدِهِما طَولٌ على الآخر، فكانوا يتزوجون نساءهم بغير مهور، فقتلَ الأوضعُ منهما من الشريف قتلى، فحلف الشريف لَيَقْتُلَن الحرَّ بالعبد، والذكرَ بالأنثى. وليضاعفن الجراح، فأنزل الله هذه الآية؛ ليعلم أن الحر المسلم، كفء للحر المسلم، وكذلك العبد للعبد، والذكر للذكر، والأنثى للأنثى[٤].

= أن القاتل فرض عليه إذا أراد الولي القتل الاستسلام لأمر الله، والانقياد لقصاصه المشروع، وأن الولي فرض عليه الوقوف عند قتل قاتل وليه، وترك التعدي على غيره، كما كانت العرب تتعدى وتقتل بقتيلها الرجل من قوم قاتله، وأن الحكام وأولي الأمر فرض عليهم النهوض بالقصاص وإقامة الحدود، وليس القصاص باللزام، إنما اللزام أن لا يتجاوز القصاص إلى اعتداء، فأما إذا وقع الرضى بدون القصاص من دية أو عفو فذاك مباح، فالآية معلمة أن القصاص هو الغاية عند التشاح.

(١) في (ش): (يقتص).

(٢) في (م): (نقيض).

(٣) ينظر في معاني الحر: «تهذيب اللغة» ١/ ٧٨٠-٧٨٣، «اللسان» ٢/ ٨٢٧-٨٣٢.

(٤) ينظر في سبب النزول «تفسير الطبري» ٢/ ١٠٣، «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٨، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٣-٨٤، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٥، «أسباب النزول» للواحدي ص٥٢-٥٣، «زاد المسير» ١/ ١٨٠، «العجاب» لابن حجر ١/ ٤٢٣-٤٢٦، «لباب النقول» للسيوطي ص٣٢-٣٣، وقد استطرد الطبري -رحمه الله- في ذكر أسباب نزول للآية، وكلها تدور حول هذا المعنى الذي ذكره الواحدي.

ولم تدل[١] الآية على أن الذكر لا[٢] يقتل بالأنثى، ولكنها بينت أن من قُتِلتْ له أُنْثَى فقال: لا أقتل بها إلا رجلًا متعدٍّ غير منصف، فأما قتل الذكر بالأنثى فمستفاد من إجماع الأمة؛ لأنهما تساويا في الحرمة، والميراثِ، وحدِّ الزنى، والقذف وغير ذلك، فوجب أن يستويا في القصاص[٣].

قال الفراء: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥][٤] وكان عنده هذه الآية تدل على أن الرجل إنما يُقتل بالذَّكَر ولا يُقتل بالأنثى؛ لأنه قال: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ فلما لم يعمل بهذا وعمل بقوله: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ جعل هذه الآية منسوخة، والصحيح أن هذه الآية غير منسوخة؛ لأن حُكْمَ الآية ثابتٌ، ولم تدلَّ على أن الذكرَ لا يقتل بالأنثى[٥].

---

(١) في (ش): (تدلك).

(٢) في (م): (لم).

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٧٧، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٠٥، «أحكام القرآن» للكيا الهراسي ١/ ٤٤، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٦٣، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٢٧، «البحر المحيط» ٢/ ١١ وقد حكى هؤلاء الثلاثة الإجماع على ما ذكره المؤلف. «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٤، «تفسير البغوي» ١/ ١٨٩.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٩.

(٥) ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٢٧، قال ابن عطية في «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٤-٨٥: روي عن ابن عباس أن الآية نزلت مقتضية أن لا يقتل الرجل بالمرأة، ولا المرأة بالرجل، ولا يدخل صنف على صنف، ثم نسخت بآية المائدة: (أن النفس بالنفس)، قال القاضي أبو محمد (ابن عطية): هكذا روي، وآية المائدة إنما هي إخبار عما كتب على بني إسرائيل، فلا يترتب النسخ إلا بما تلقي عن رسول الله ﷺ، من أن حكمنا في شرعنا مثل حكمهم، وروي عن ابن عباس فيما ذكر أبو=

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ معنى العفو: هو ترك الواجب من أَرْشِ[١] جناية، أو عقوبة ذنب، أو ما استوجبه الإنسان بما ارتكبه من جناية فصفح عنه وترك له من الواجب عليه[٢].

وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ أراد: من دم أخيه، فحذف المضاف للعلم به[٣]، وأراد بالأخ: المقتول، سماه أخًا للقاتل، فدل أن أخوة الإسلام بينهما لا تنقطع، وأن القاتل لم يخرج عن الإيمان بقتله[٤][٥].

وفي قوله: (شيْء) دليل على أن بعض الأولياء إذا عَفَا سَقَطَ القود؛ لأن شيئًا من الدمِ قد بطل بعفو البعض[٦]، والله تعالى قال: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾، والكنايتان في قوله: ﴿لَهُۥ﴾ و﴿أَخِيهِ﴾ ترجعان إلى (مَنْ) وهو القاتل[٧]، ولا يحتاج أن يقال: أخيه المقتول؛ لأن هذا الحكم لا

= عبيد وعن غيره أن هذه الآية محكمة، وفيها إجمال فسرته آية المائدة، وأن قوله هنا: (الحر بالحر)، يعم الرجال والنساء، وقاله مجاهد.

(١) الأرش: ما يأخذه المشتري من البائع إذا اطلع على عيب في المبيع، وأروش الجنايات والجراحات من ذلك، لأنها جابرة لها عما حصل فيها من النقص، وسمي أرشا ؛ لأنه من أسباب النزاع، يقال: أرَّشت بين القوم إذا أوقعت بينهم. «النهاية» ص٣٣.

(٢) وهو قول ابن عباس ومجاهد وعطاء والشعبي وقتادة والربيع وغيرهم. ينظر: «تفسير عبد الرزاق» ١/ ٦٦، «تفسير الطبري» ٢/ ١٠٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٩٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨١.

(٣) «البحر المحيط» ١/ ١٢.

(٤) في (ش): (بقلبه).

(٥) «البحر المحيط» ١/ ١٢، «التفسير الكبير» ٥/ ٥٤، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٨.

(٦) «البحر المحيط» ١/ ١٣، «التفسير الكبير» ٥/ ٥٤.

(٧) «تفسير البغوي» ١/ ١٩١.

يثبت ولا يوجد إلا عند القتل.

هذا الذي ذكرنا من معنى قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ هو الذي عليه عامة المفسرين وأهل المعاني وإن لم[1] يبينوا هذا البيان.[2]

وقال الأزهري: هذه الآية فيها إشكال، وقد فسرها ابن عباس وغيرُه من المفسرين على جهة التقريب وقدر أفهام من شاهدهم من أهل عصرهم. وأهلُ عصرنا لا يكادون يفهمون عنهم ما أومأوا إليه حتى يزاد في البيان، ويوضح بعض الإيضاح، ونسأل الله التوفيق.

حدثنا محمد بن إسحاق، ثنا المخزومي، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار[3] عن مجاهد قال: سمعت ابن عباس يقول: كان القِصَاصُ في بني إسرائيل ولم تكن الدية، فقال الله لهذه الأمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ إلى قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ﴾ قال: فالعفو أن تقبل الدية في العمد[4].

قال الأزهري: وليس العفو في قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ﴾ عفوًا من ولي[5]

---

(١) (لم) سقطت من (م).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٠٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٨، «تفسير البغوي» ١/ ١٩١، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٦٦، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٨، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٣٤، وذكر خمس تأويلات للآية، وقال: هذا قول ابن عباس وقتادة ومجاهد وجماعة من العلماء.

(٣) هو: أبو محمد عمرو بن دينار المَكِّي الأثرم الجمحي مولاهم، تابعي إمام حافظ ثقةٌ ثبت، توفي سنة ١٢٦هـ. ينظر: «الجرح والتعديل» ٦/ ٢٣١، «التقريب» ص٤٢١ (٥٠٢٤).

(٤) الحديث: أخرجه البخاري (٤٤٩٨) كتاب التفسير، باب: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص)، والطبري في «تفسيره» ٢/ ١٠٧، كلاهما بهذا الإسناد.

(٥) في (ش): (ولا).

الدم، ولكنه عفو من الله -جل ذكره-، وذلك أنه لم يكن لبني إسرائيل أن يأخذوا الدية، فجعلها الله لهذه الأمة عفوًا منه وفضلًا، مع اختيار ولي الدم ذلك في العمد، فذلك قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ أي[١]: من عفا الله له بقبول الدية مع اختياره، أي: تَفَضَّل اللهُ عليه من هذه الأمة، ولم يكن ذلك الفضلُ لمن تَقَدَّمَه، قال: وقوله: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ ﴿مِنْ﴾ هاهنا بمعنى البدل، المعنى: فمن عفا الله له بقبول الدية بدل أخيه المقتول. والعرب تقول: عوّضت[٢] له من حقه ثوبًا: أي، أعطيته بدل حقه ثوبًا، وما أعلم أحدًا فسر من هذه الآية ما فسرته، فتدبره، فإنه صعب، واقبله بِشُكْرٍ إذ بان لك صوابه، انتهى كلامه[٣].

ولقد أعجب بقوله، وزلّ[٤] فيما تكلف، وليس الأمر على ما ذكر، فإن[٥] قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ﴾ عفو من ولي الدم بإباحة الله تعالى ذلك، ولو

---

(١) لخص الواحدي كلام الأزهري، وهذا تمام هذه الجملة ٣/ ٢٢٦ : أي: من عفا الله -جل اسمه- له بالدية حين أباح له أخذها بعدما كانت محظورة على سائر الأمم، مع اختياره إياها على الدم، (اتباع بالمعروف)، أي: مطالبة للدية بمعروف، وعلى القاتل أداء الدية إليه بإحسان، ثم بين ذلك فقال: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، لكم يا أمة محمد، وفضل جعله لأولياء الدم منكم، ورحمة خصكم بها، ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾، أي: من سفك دم قاتل وليه بعد قبوله الدية، ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، والمعنى الواضح في قوله: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾، أي: أحل له أخذ الدية بدل أخيه المقتول، عفوًا من الله وفضلًا مع اختياره، فليطالب بالمعروف.

(٢) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٨٣ (عاض).

(٣) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٢٨٣ (بمعناه).

(٤) في (م): (وزاد).

(٥) في (م): (ما ذكرنا وقوله).

كان العفو من الله تعالى لتعيّنت[١] الدية وسقط القصاص أصلًا، ولا معنى لقوله: أي: من عفا الله له بقبول الدية، أي: تفضل الله به عليه؛ لأن هذا رُخِّص لولي الدم في العفو، وهذا التفضل من الله، هذا العفو على القاتل لا على ولي الدم. وقوله: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ أي: بدل أخيه المقتول[٢] ليس بشيء؛ لأن قوله: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ عام في كل المقتول، ليس المراد به[٣] أخوة النسب، وعلى ما ذكره يختص بالأخ من[٤] طريق النسب، والحكم في كل مقتول سواء، وليس لتخصيص الأخ فائدة، ومن تأمل هذا ظَهَرَ له فساد قوله.

وقوله: ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ على معنى: فعليه اتباع بالمعروف، ولو كان في غير القرآن لجاز: فاتباعًا وأداءً على معنى: فليتبع اتباعًا، وليؤد أداءً[٥]. قال الفراء: وهو بمنزلة الأمر في الظاهر، كما تقول: من لقي العدو فصبرًا واحتسابًا، فهذا نصب[٦]، ورفعه جائز، على معنى: فعليه. ومثله في القرآن كثير، كقوله: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وليس شيء من هذا إلا ونصبه جائز على أن توقع عليه الأمر. ومما جاء منصوبًا قوله:

---

(١) في (م): (لم ثبتت).

(٢) في (م): (العفو).

(٣) ليست في (م).

(٤) ليست في (ش).

(٥) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٩، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١١٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٢.

(٦) في (م): (نصبه).

﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤][١]. والمعروف: كل ما يتعارفه الناس ولا ينكرونه، ثم صار اسمًا للإحسان والجود والأخلاق الجميلة، لأنها مما لا ينكر، وأراد بالمعروف هاهنا: ترك التشديد[٢] على القاتل في طلب الدية، ومعناه: فعلى[٣] وليِّ المقتول الاتباع[٤] بالمعروف في المطالبة بالدية[٥]، وهو معنى قول ابن عباس: يطلبُ هذا بإحسان، ويؤدي هذا بإحسانٍ[٦].

وقال بعضهم: قوله: ﴿فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف، والمعنى: فالأمر اتباعٌ بالمعروف، أو فالحكم فيه اتباع بالمعروف[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَأَدَآءٌ﴾ الأداء: اسم، من قولك: أدَّيْتُ إليه المال، وقد ينوب عن المصدر فيقال: أدّيت أداءً، كما يقال: سَلَّمْتُ

---

(١) من «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٠٩-١١٠ بتصرف كبير، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١١٠، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٤٨-٢٤٩.

(٢) في (أ)، (م): (التشدد).

(٣) بياض في (م).

(٤) في (ش): (اتباع).

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٠٩، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٩.

(٦) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٠٩.

(٧) وهذا اختيار الطبري في «تفسيره» ٢/ ١١٠، وينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٤٥، «المحرر الوجيز» ٢/ ٨٩، وقال: فاتباع رفع على خبر ابتداء مضمر، تقديره: فالواجب والحكم اتباع، وهذا سبيل الواجبات، كقوله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾، وأما المندوب إليه فيأتي منصوبًا، كقوله تعالى: ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]، قال في «البحر المحيط» ٢/ ١٤: ولا أدري هذه التفرقة بين الواجب والمندوب إلا ما ذكروا من أن الجملة الابتدائية أثبت وآكد من الجملة الفعلية في مثل قوله: ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ﴾ [هود: ٦٩].

سلامًا، وكلَّمْتُ كلامًا، قال الله تعالى: ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا﴾ [الأحزاب: ٤٩]. وقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ﴾ الكناية ترجع إلى العافي، ودل عليه ﴿عُفِيَ﴾، لأنا قد ذكرنا أنَّ الفعل يدل على الفاعل، فكأنه ذُكِر(١)(٢).

وقوله: ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ قال ابن عباس، في رواية عطاء(٣): يريد: أن يؤديَ الدية في نجومها، ولا يَمْطُلَه، ولا يذهبَ بشيء(٤) منها، هذا هو الإحسان.

قال المفسرون: إن الله تعالى أمر الطالب أن يطلب بالمعروف، ويتبع الحق الواجب له، من غير أن يطالبه بالزيادة، أو يكلفه ما لا يوجبه الله، أو يشدد عليه(٥). كل هذا تفسير المعروف، وأَمَرَ المطلوب منه بالإحسان في الأداء، وهو ترك المَطْل والتسويف، وهذا لا يختص بثمن الدم، بل كل دين فهذا سبيله(٦).

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد حيث جعل الدية لأمتك يا محمد(٧).

---

(١) في (ش): كأنها: (ذكره).

(٢) ينظر تفسير الواحدي لقوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧].

(٣) في (م): (شيئًا).

(٤) تقدم الحديث عن هذه الرواية .

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٢.

(٦) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٥٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٣٥-٢٣٦. وقوله: بل كل دين فهذا سبيله، ففي حق الطالب قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. وفي حق المطلوب قال النبي ﷺ: **«مطل الغني ظلم يحل عرضه وعقوبته»**.

(٧) رواه الطبري بمعناه ٢/ ١١١، وابن أبي حاتم ١/ ٢٩٦.

قال قتادة: لم تحلّ الدية لأحد غير هذه الأمة[١].

قال المفسرون: إن الله تعالى كتب على أهل التوراة أن يُقِيدُوا[٢]، ولا يأخذوا الدية، ولا يعفوا؛ وعلى أهل الإنجيل أن، يعفوا ولا يقيدوا ولا يأخذوا الدية؛ وخيّر هذه الأمة بين القصاص والدية والعفو، فقال: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، أي: التخيير بين هذه الأشياء[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ قال ابن عباس: يريد: كما كانت الجاهلية تفعل، تقتل من قوم القاتل عِدَّةً[٤].

وقال آخرون: أي: ظَلَم فوثب على القاتل فقتله بعد أخذ الدية[٥].

وفي هذه الآية أدلة على القدرية:

أحدها: قوله في افتتاح الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ ولا خلاف أن القصاص واقع في قتل العمد، فلم يسقط اسم الإيمان عن القاتل بارتكاب هذه الكبيرة.

والثاني: ما ذكرنا في قوله: (من أخيه).

والثالث: قوله: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ وهما يلحقان

---

(١) رواه الطبري عنه بمعناه ٢/ ١١١، وابن أبي حاتم ١/ ٢٩٦.

(٢) في (ش): (ولا يفتقدوا).

(٣) روي نحوه عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والربيع وقتادة. ينظر البخاري (٤٤٩٨) كتاب التفسير، باب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾، «تفسير الطبري» ٢/ ١١٠، وابن أبي حاتم ١/ ٢٩٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٨٥.

(٤) لم أجده في الطبري ولا ابن أبي حاتم ولا البغوي، وذكر الرازي هذا القول ولم ينسبه لأحد ٥/ ٥٥.

(٥) تنظر الآثار التي أوردها الطبري ٢/ ١١٢، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع والحسن وعكرمة والسدي وابن زيد، وكذا عن ابن أبي حاتم ١/ ٢٩٧.

المؤمنين[١].

١٧٩- قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ قال عُظْمُ أهل التأويل[٢]: معناه: أن سافكَ الدم إذا أُقيد منه ارتدع من كان يهمّ بالقتل، فكان في القصاص بقاءٌ؛ لأنه إذا علم أنه إن قَتَل قُتِلَ أَمْسَكَ وارتدع عن القتل، ففيه حياةٌ للذي همّ بقتله، وحياةٌ للهامّ أيضًا، وقد أخذ الشاعر هذا المعنى ونقله عن القصاص إلى العتاب فقال:

أبلغ أبا مالك عنى مُغَلغَلةً   وفي العتاب حياة بين أقوام[٣]

يريد: أنهم إذا تعاتبوا أصلح ما بينهم العتابُ، وكَفُّوا عن القتل، فكان[٤] في ذلك حياةٌ. أخذه المتمثلون فقالوا: بعض القتل أحيا للجميع، وقالوا: القتل أقل للقتل[٥].

---

(١) ذكر هذا الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٩١ في مقام الاستدلال على أن القاتل لا يصير كافرًا، ولا يخلد في النار، وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٩١.

(٢) ينظر في بيان كون القصاص حياة: «تفسير الطبري» ٢/ ١١٤، ١١٥، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٩٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٩١، «تفسير البغوي» ١/ ١٩١، «المحرر الوجيز» ٢/ ٩١، «التفسير الكبير» ١/ ٥٦، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٣٧-٢٣٨، «البحر المحيط» ٢/ ١٥.

(٣) البيت لهمام الرقاشي في «مقاييس اللغة» ٤/ ٣٧٧، ولعصام بن عبيد الزماني في «تاج العروس»، وبلا نسبة في «لسان العرب» ٦/ ٣٢٨٩ (غلل).

(٤) في (ش): (فكفوا عن القتل وكان).

(٥) ينظر: «تأويل مشكل القرآن» ص٦٦/ ٦٧، «أحكام القرآن» للجصاص١/ ١٥٩، ويروى المثل بلفظ: القتل أنفى للقتل، وأوفى للقتل، وأكف للقتل. ينظر: «الصناعتين» لأبي هلال العسكري ص١٨١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٩١، «التفسير الكبير» ٥/ ٥٦، «الدر المصون» ٢/ ٣٥٧، وعزاه ابن كثير ١/ ٢٢٣-٢٢٤ لبعض الكتب المتقدمة.

وقال السدي: كانوا يقتلون بالواحد الاثنين والعشرة والمائة، فلما قصروا على الواحد كان في ذلك حياة[١].

وقال عطاء عن ابن عباس: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ فرح، وأراد: أن ولي الدم إذا استوفى القصاص تشفّى بذلك وطابت نفسه، فالتذ بالحياة، ولولا القصاص لتنغص بعيشه، فكأن حياته موتًا. وقد يبلغ بالإنسان القصور عن إدراك الثأر إلى أن يتمنى الموت، سيما العرب، فإنهم أشد الأمم حفاظًا، وأحرصهم على إدراك الثأر، والأخذ بالطوائل، وكل عيشٍ يراد الموتُ فيه موت، فإذا زال سبب تمني الموت بالقصاص كان فيه حياة. ويجوز أن يكون المعنى في هذا ما تذهب إليه العرب من أن قتل القاتل إحياء للمقتول، يقولون: أحيا فلان أباه، إذا قتل قاتله، ومنه:

أحيـا أبـاه هـاشـمُ بـنُ حَـرمَـلـه[٢]

يعني: قتل قاتله، فسماه إحياءً، فعلى هذا في القصاص حياة للمقتول على معنى: أن المراد بالحياة قتل قاتله.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أولوا: واحدها ذو، وهو من الجموع التي لا يفرد واحدها من لفظه، كالنفر[٣] والرهط والقوم والخيل

---

(١) رواه بمعناه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١١٥، وذكره الواحدي في «الوسيط» ١/ ٢٦٨، والرازي في «تفسيره» ٥/ ٥٦.

(٢) تمامه:

إذ الـمـلـوكُ حـولـه مُـرَعـبـلـه.

البيت لعامر الخصفي، ذكره في «الاشتقاق» لابن دريد ص٢٩٠، «السيرة النبوية» لابن هشام ١/ ١١٢، ١١٣، «الإصابة» ٣/ ٦١٦ وفيه قصة هذا البيت.

(٣) في (م): (كالنفس).

والإبل والنساء[١].

﴿الأَلْبَابِ﴾ جمع لُبّ، ولُبُّ الشيء: خالصُه، وهو الذي يَتَركَّبُ عليه القِشْر، وكذلك اللُّبَاب، يُقال: لبابُ القَمح والفستق، ولُبّ اللَّوز[٢] والجوز. وسمي العقل لُبًّا تشبيهًا به؛ لأنه أشرف خصال المرءِ، وأصل لُبّ: اللزوم، يقال: أَلَبَّ بالمكان، إذا لزمه لزوم لُبِّ الشّيء له، واللَّبَبَ: الرمل المتراكم، سمي للزوم بعضه بعضًا، ومنه قولُ ذي الرمة:

. . . . أفضى بها لَبَبُ[٣]

وقال ابن المظفر: اللَّبَابَةُ: مصدر اللَّبيب[٤]، وقد لَبِبْتَ تَلَبُّ، وهكذا قال الفراء

وغيرُه: لَبَّ يَلَبُّ: إذا عَقَل، ومنه قول صفية[٥] في ابنها الزبير[٦] وضربته، فقيل لها: لم ضربتيه؟ فقالت: أضربه كي يَلِبّ، ويقود الجيش ذا

---

(١) ينظر: «القاموس» ص١٣٣.

(٢) في (م): (الموز).

(٣) تمام البيت هكذا:

براقةُ الجِيدِ واللبات واضحة   كأنها ظبية أفضى بها لبب

ينظر: «ديوانه» ص٥٩.

(٤) في (أ): (اللبب).

(٥) هي: صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشية الهاشمية، عمة رسول الله ﷺ، أم الزبير بن العوام شقيقة حمزة، صحابية، توفيت سنة ٢٠هـ- في خلافة عمر. ينظر: «أسد الغابة» ٧/ ١٧٢-١٧٤، «الأعلام» ٣/ ٢٠٦.

(٦) هو: الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أبو عبد الله، أمه صفية بنت عبد المطلب، هو أول من سل سيفًا في سبيل الله، ما تخلف عن غزوة غزاها الرسول ﷺ، أحد المبشرين بالجنة، قتل سنة ٣٦هـ. ينظر: «الاستيعاب» ٢/ ٨٩، «أسد الغابة» ٢/ ٢٤٩-٢٥٢.

اللَّجَبْ[١].

وقرأتُ على سعيد بن محمد، قال: قرأت على أبي علي الفارسي، قال: قرأت على أبي إسحاق الزجاج، قال: قرأت على المبرد، عن يونس: لَبِبْتُ لبابًا، وليس في المضاعف حرف على فَعُلت غير هذا، ولم يروه أحدٌ غير يونس[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: الدماء مخافة القصاص[٣].

١٨٠- قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ الآية. يعني: إذا تيقن حضور الموت، ورأى أعلامه، ولم يشكُك في قربهِ منه.

فقوله: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ يريد: أسبابَ الموت ومقدماته، من العلل والأمراض. وكان الإيصاء فرضًا قبل نزول أسباب الموت، ولكن يتضيق عند نزول سبب الموت حتى لا يجوز التأخير، فلذلك[٤] قال: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ ليس أنه قبل الحضور لم يكتب عليه[٥]. وإنما قال:

---

(١) الخبر في «اللسان» ٧/ ٣٩٧٩ «لبب»، وفيه فقالت: ليَلَبَّ، ويقود الجيش ذا الجلب، أي: يصير ذا لُب، ورواه بعضهم: أضربه لكي يلَبَّ، ويقود الجيش ذا اللجب، قال ابن الأثير: هذه لغة أهل الحجاز، وأهل نجد يقولون: يلِبّ، بوزن فَرَّ يَفِرُّ.

(٢) ينظر في معاني اللبيب: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٢٤-٣٢٢٦، «المفردات» ص٤٤٩، «اللسان» ٧/ ٣٩٧٩ (لبب).

(٣) «تفسير الطبري» ٢/ ١١٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٩٢.

(٤) في (ش): (فكذلك).

(٥) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٩٣، «البحر المحيط» ٢/ ١٦، وذكر قولًا آخر: وهو أن المراد بالموت حقيقته لا مقدماته، فيكون الخطاب متوجهًا للأوصياء والورثة أن ينفذوا الوصية.

﴿كُتِبَ﴾، لأنه أراد بالوصية الإيصاء، أو للفصل بين الفعل والوصية؛ لأن الكلام لما طال كان الفاصل بين المؤنث والفعل كالعوض من تاء التأنيث، والعرب تقول: حَضَرَ القاضي امرأةٌ، فَيُذَكِّرون؛ لأن القاضي فَصَل بين الفعل وبين المرأة. وقد أحكمنا هذا فيما سبق[1]. ورفع ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ من وجهين:

أحدُهما: على ما لم يسم فاعله، والثاني: على الابتداء، ويكون ﴿لِلْوَٰلِدَيْنِ﴾ الخبر، وتكون الجملة في موضع رفعٍ بـ﴿كُتِبَ﴾، كما تقول: قيل: عبدُ الله قائم، فترفع عبدَ الله بقائم، وقائمًا بعبد الله، وتكون الجملة في موضع رفعٍ بـ (قيل)[2].

وقوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ الخيرُ: اسم جامعٌ للمالِ وغيرِه، والخيرُ يراد به المالُ في كثيرٍ من القرآنِ، كقوله: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، ﴿مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤][3].

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالشيء الذي يعلم ذوو التمييز أنه لا حيف فيه، فهو العدل الذي لا ينكر، يعني: لا يزيد على الثلث[4].

---

(١) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٦٠، «المحرر الوجيز» ٢/ ٩٢-٩٤.

(٢) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٠، وينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١١٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٩٣، «التفسير الكبير» ١/ ٦٠، «البحر المحيط» ١/ ١٩.

(٣) ينظر في معاني الخير: «المفردات» ص١٦٧-١٦٨، «البحر المحيط» ١/ ١٧.

(٤) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٠، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١١٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٩٤، «المحرر الوجيز» ٢/ ٩٧.

وقوله تعالى: ﴿حَقًّا﴾ أي: حقَّ ذلك عليكم حقًّا[١].

وقوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: المؤمنين الذين يتقون الشرك[٢].

وقد اجتمعت العلماء على نسخ هذه الآية[٣].

وكان السبب في نزول هذه الآية: أن أهل الجاهلية كانوا يوصون بمالهم للبعداء رياءً وسمعةً، ويتركون العيالَ عالةً، فصرف الله بهذه الآية ما كان يُصرف إلى البعداء إلى الأهلِ والأقرباء، فَعُمِل بها ما كان العمل صلاحًا، ثم نسختها آية المواريث[٤]، فكانت الوصية للوالدين والأقربين فرضًا على من مات وله مال، حتى نَزَلَتْ آيةُ المواريث في سورة النساء، فأجمعوا على نسخ الوصية للوالدين والأقربين الذين يرثون[٥]؛ لقوله ﷺ:

---

(١) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥١، وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٩٤، «المحرر الوجيز» ٢/ ٩٧، «البحر المحيط» ١/ ٢١، وقيل: نصب على المفعول، أي: جعل الوصية حقًّا، وقيل: على القطع من الوصية.

(٢) «تفسير الطبري» ٢/ ١١٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٩٤.

(٣) تابع المؤلف - رحمه الله - الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢٤٩ في هذا الإجماع، وسيأتي في كلامه ما يدل على نقض هذا الإجماع، وممن ذكر الخلاف في الآية فأطنب: الإمام الطبري في «تفسيره» ٢/ ١١٦، ولو قال -رحمه الله-: أجمع العلماء على نسخ حكم هذه الآية في القريب الوارث، لكان مقاربا، وهذا ما ذكره بعد عدة أسطر.

(٤) أشار إلى هذا الزجاج في «معاني القرآن» ١/ ٢٥٠، وذكره الرازي ٥/ ٦٠.

(٥) رواه عن ابن عباس: البخاري (٢٧٤٧) كتاب الوصايا، باب: لا وصية لوارث، وأبو داود (٢٨٦٩) الوصايا، باب: ما جاء في نسخ الوصية للوالدين، والدارمي ٢/ ٤١٩-٤٢٠، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٢٣٠، والطبري ٢/ ١١٧-١١٩.

«ألا إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث»[(١)] .

فأما الأقرباء الذين لا يرثون، والوالدان اللذان لا يرثان بكفر أو رقٍّ، فهل تجب الوصية لهم؟ اختلفوا، فذهبت جماعة إلى أن الوصية للوارث نسخت، والوصيّة لهؤلاء الذين لا يرثون لم تنسخ، وهو[(٢)] مذهب مسلم بن يسار، والعلاء بن زياد[(٣)(٤)]، ومسروق[(٥)] والحسن[(٦)]، حتى قال

(١) أخرجه الترمذي (٢١٢٠) كتاب الوصايا، باب: ما جاء لا وصية لوارث، والنسائي ٦/ ٢٤٧ كتاب الوصايا، باب: إبطال الوصية للوارث، وأبو داود (٢٨٧٠) كتاب الوصايا، باب: ما جاء في الوصية للوارث، وابن ماجه (٢٧١٣) كتاب الوصايا، باب: لا وصية لوارث، وأحمد في «المسند» ٤/ ١٨٦-١٨٧، عن أبي أمامة الباهلي. وقال الترمذي: حسن صحيح.وحسنه الحافظ في «التلخيص الحبير» ٣/ ١٠٦، وللحديث روايات ذكرها الزيلعي في «نصب الراية» ٤/ ٤٠٣، وقال الحافظ في «الفتح» ٥/ ٣٧٢ بعد أن ذكر رواياته: ولا يخلو إسناد كل منها من مقال، لكن مجموعها يقتضي أن للحديث أصلًا، بل جنح الشافعي في الأم إلى أن هذا المتن متواتر .
وقال ابن عبد البر في «التمهيد» ٢٣/ ٤٤٢ : استفاض عند أهل العلم ، وقوله : لا وصية لوارث استفاضة هي أقوى من الإسناد والحمد لله .
وقد ذكره السيوطي ضمن الأحاديث في كتابه: «الأزهار المتناثرة» ص١١٩؛ وكذا الكتاني في «نظم المتناثرة من الحديث المتواترة» ص١٧٦، ينظر: «نصب الراية» للزيلعي ٤/ ٤٠٣.

(٢) في (م): (وهذا).

(٣) العلاء بن زياد بن مطر العدوي، أبو نصر البصري، ثقة، أحد العباد، توفي في ولاية الحجاج سنة ٩٤ هـ. ينظر: «الثقات» ٥/ ٢٤٦، «تهذيب التهذيب» ٣/ ٣٤٣.

(٤) رواه عن مسلم والعلاء في أثر واحد: ابن أبي شيبة في «المصنف» ١١/ ١٦٦، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٢٣٢، والطبري في «تفسيره» ٢/ ١١٨.

(٥) هو: أبو عائشة، مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني، تابعي ثقة ، من أخص تلاميذ ابن مسعود، كان عابدًا فقيهًا مقرئًا، توفي سنة ١٦٢هـ، وقيل بعدها. ينظر: «السير» ٤/ ٦٣-٦٩، «الأعلام» ٧/ ٢١٥.

(٦) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١١٨.

الضحاك: من مات ولم يُوص لذي قرابته فقد ختم عمله بمعصية[١].

وقال طاوس: إن أوصى للأجانب[٢] وترك ذوي قرابته نزع منهم، ورد إلى ذوي قرابته[٣].

فعلى قول هؤلاء: النسخُ تناول بعض أحكام الآية وهو الوصية للوارث[٤]. والأكثرون من العلماء -وهو الذي يعمل به اليوم- على أن حكم الآية كلّه[٥] منسوخ، ولا تجب على أحد وصية لأحد قريب ولا بعيد. وإذا أوصى فله أن يُوصِي لكل من شاء من الأقارب والأباعد إلا الوارث[٦].

قال أبو عبيد: وعلى هذا القول أجمعت العلماء من أهل الحجاز وتهامة والعراق والشام، منهم سفيان ومالك الأوزاعي[٧] والليث، وجميع

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١١٦، وسعيد بن منصور في «السنن» طبعة الأعظمي ١/ ١٣٥، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١/ ٤٨٤، ومكي في «الإيضاح» ١٤٤.

(٢) في (ش): (الأجانب).

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» ٩/ ٨١، والطبري ٢/ ١١٧، وعزاه في «الدر» ١/ ٣١٩ إلى عبد بن حميد، وذكره الثعلبي ٢/ ١٩٨، والرازي ٥/ ٦٣.

(٤) عزا الطبري في «تفسيره» ٢/ ١١٧، ١١٨ القول بذلك أيضا إلى ابن عباس وقتادة والربيع وإياس بن معاوية.

(٥) سقطت من (م).

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١١٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٩٩، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٠، «الناسخ والمنسوخ» للنحاس ١/ ٤٨٤، «تفسير البغوي» ١/ ١٩٢، «المحرر الوجيز» ٢/ ٩٧، «البحر المحيط» ١/ ١٧، «التفسير الكبير» ٥/ ٦٢.

(٧) هو: أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو يحمد الأوزاعي، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أحد أئمة الدنيا فقهًا وعلمًا وورعًا وفضلًا وزهدًا، توفي سنة ١٥٩هـ. ينظر: «السير» ٧/ ١٠٧-١٣٨، «الأعلام» ٣/ ٣٢٠.

أهل الآثار والرأي، وهو القول المعمول به، أن الوصية جائزة للناس كلهم، ما خلا الورثة، غير واجبة[١].

والخير في هذه الآية حمل على المال الكثير[٢]، فقد روي عن علي رضي الله عنه أنه دخل على مريض يعوده، فقال: إني أريد أن أوصي، فقال علي: إن الله ﷻ يقول: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ وإنما تدع شيئًا يسيرًا، فَدعه لعيالك، فإنه أفضل[٣].

وروي أيضًا أن رجُلًا قال لعائشة رضي الله عنها: إني أريد أن أوصي، قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف، قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة، قالت: إنما قال الله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ وإن هذا شيء يسير،[٤] فاتركه

---

(١) «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ص٢٣١.

(٢) الخير هنا: المال، في قول جميع المفسرين، وقد اختلف المفسرون فيه: فمنهم من جعل له حدًا معينًا، فمن ترك ذلك أوصى، وإلا فلا، واختلفوا في ذلك الحد، ومنهم من قيده بوصف، وهو المال الكثير عرفا كما بينه الواحدي، ومنهم من أطلق في القليل والكثير، كما روي عن الزهري، ونصره الطبري. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢١، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٢٩٩، «التفسير الكبير» ٥/ ٥٩، «البحر المحيط» ١/ ١٧.

(٣) رواه الثوري في «تفسيره» ص٥٥، وعنه عبد الرزاق في «المصنف» ٩/ ٦٣، والدارمي في «سننه» ٢/ ٤٠٥، والطبري في «تفسيره» ٢/ ١٢١، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٢٩٨، وسعيد بن منصور في «سننه» ٢/ ٦٥٩، والبيهقي ٦/ ٢٧٠، وابن أبي شيبة في «المصنف»١١/ ٢٠٨، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٣٠١، وقال: صحيح على شرط الشيخين وتعقبه الذهبي بقوله: فيه انقطاع يعني الانقطاع بين عروة بن الزبير وعلي ﷺ.

(٤) في (م): (شيئًا يسيرًا).

لعيالك[١].

١٨١- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ الكناية تعود إلى الإيصاء؛ لأن الوصيةَ في معنى الإيصاء، ودالة[٢] عليه، كقوله: ﴿فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ [البقرة: ٢٧٥] أي: وعظ. وقيل: الهاء[٣] راجعة إلى الحكم والفرض، إذ كان تأويل ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ﴾: فرض عليكم، فكأنه قال: فمن بدل فرض الله، فيدل ﴿كُتِبَ﴾ على الكَتْبِ فيُكْنى عنه.

وقيل: الكناية تعود إلى معنى الوصية، وهو قول أو فعل[٤]، قال المفسرون: أي فمن غيّر الوصية من الأوصياء والأولياء والشهود ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾ من الميت[٥].

وما: صلة زائدة. والكناية في ﴿سَمِعَهُ﴾ ترجع إلى حيث رجعت الكناية[٦] في ﴿بَدَّلَهُ﴾. وقيل: (ما) بمعنى: الذي، والكناية في ﴿سَمِعَهُ﴾

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ١١/٢٠٨ ، وسعيد بن منصور في «السنن» ٦٥٦/٢ ، والطبري في «تفسيره» ٢/ ١٢١، والبيهقي في «الوصايا»، باب: من استحب ترك الوصية إذا لم يترك شيئًا كثيرًا ٦/ ٢٧٠، ونحوه عن عبد الرزاق في الوصايا، باب: الرجل يوصي وماله قليل ٩/ ٦٣.

(٢) في (ش): (دالة) بلا واو عطف.

(٣) في (م): (إنها).

(٤) ينظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٦٧، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥١، «تفسير الطبري» ٢/ ١٢١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٠٧.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢٠٧/٢، «البحر المحيط» ٢/ ٢٢، «التفسير الكبير» ٥/ ٦٤، «التبيان» للعكبري ص١١٤.

(٦) سقطت من (م) .

راجعة إليه. والمعنى: فمن بدله بعد الذي سمعه، أي: من تغليظ الإثم في التبديل، والعادة في الوصايا أن يُذْكَر فيها تغليظٌ على من بدَّلَها، وهذا فيه بعد؛ لأن التغليظَ ذُكِر بعد قوله: ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ فيبعد أن تجعل ما بمعنى الذي[1].

وقوله: ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ﴾ أي: إثم التبديل على الذين يبدلونه[2]، أي: على من بدل الوصية، وبرئ الميت[3].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ قد سمع ما قاله الموصي ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيته وما أراد، وعليم بما يفعله الوصي[4]. ويحتمل أن يكون المنهي عن التبديل المُوصي، نهي عن تغيير الوصية عن المواضع التي بين الله سبحانه، وأمر أن يوصي على الوجه الذي أمر الله، وعلى هذا قوله: ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ أي: عن[5] الله تعالى[6].

١٨٢- قال الكلبي: كان الأولياءُ والأوصياءُ يمضون وصية الميت بعد نزول هذه الآية وإن كانت مستغرقة للمال، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾[7] أي: خشي، وقيل: علم.

---

(١) ينظر في هذه الأقوال: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢٢، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٠٠، «التبيان» للعكبري ص١١٤، «التفسير الكبير» ٥/ ٦٤، «البحر المحيط» ٢/ ٢٢.

(٢) من قوله: (فيبعد) ساقط من (ش).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢٢، ١٢٣، «الثعلبي» ٢/ ٢٠٨، «البغوي» ١/ ١٩٤.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢٣، «الثعلبي» ٢/ ٢٠٨، «البغوي» ١/ ١٩٤.

(٥) في (م): (من).

(٦) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٦٤.

(٧) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٢١٧، لكنه قال: ثم نسختها هذه الآية: (فمن خاف من موص جنفا). وذكره البغوي ١/ ١٩٤، وروى عبد الرزاق في «المصنف» ٩/ ٨٩ عن سفيان الثوري نحوه.

والخوف[١] والخشية يستعملان بمعنى العلم؛ لأن في الخشية والمخافة طرفًا من العلم؛ لأن القائل إذا قال: أخاف أن يقع أمر كذا، كأنه يقول[٢]: أعلم، وإنما يخاف لعلمه بوقوعه، فاستعمل الخوف في العلم، قال الله تعالى: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٠] أي: علمنا، ومنه ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ [الأنعام: ٥١] وقوله: ﴿إلّا أن يخافا ألا يقيما﴾ [البقرة: ٢٢٩][٣].

وقوله: ﴿جَنَفًا﴾ أي: ميلًا، يقال: جَنِفَ يَجْنَفُ جَنَفًا: إذا مال، وكذلك تجانف، ومنه قوله: ﴿غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ﴾ [المائدة: ٣][٤].

قال ابن عباس: يريد: خطأ من غير تعمدٍ[٥].

قال عطاء: هو أن يُعطي عند حضور أجله بعض ورثته دون بعض[٦].

وقال طاوس: جنفُه: توليجه، وهو أن يوصي لولد ولده، يريدُ ولدَه[٧].

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ إِثۡمًا﴾ أي: قصدًا للميل، قال السُّدّي[٨] والربيع[٩]

---

(١) في (ش): (فالحوف).
(٢) في (م): (قال).
(٣) ينظر: «تفسير غريب القرآن» ص٦٧، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٠١، «الثعلبي» ٢/ ٢٠٨، «المحرر الوجيز» ٢/ ٩٨، «البغوي» ١/ ١٩٤، «التفسير الكبير» ٥/ ٦٦.
(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢٣، «المفردات» ص١٠٨، «التفسير الكبير» ٥/ ٦٥.
(٥) رواه الطبري ٢/ ١٢٤، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠٢، وقال: وروي عن أبي العالية ومجاهد والضحاك والسدي والربيع بن أنس نحو ذلك.
(٦) رواه عنه الطبري بنحوه ٢/ ١٢٤، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠١.
(٧) رواه عنه الطبري بنحوه ٢/ ١٢٥، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠١.
(٨) رواه عنه الطبري ٢/ ١٢٥.
(٩) رواه عنه الطبري ٢/ ١٢٧.

وعطية[١]: الجنف: الخطأ، والإثم: العمد.

فمن قال: (خاف) معناه: خشي قال: تأويل الآية: من حَضَر مَرِيضًا وهو يُوصي، فخاف أن يخطئ في وصيته فيفعل ما ليس له، أو يتعمد جورًا فيها فيأمر بما ليس له، فلا حَرَجَ عليه أن يُصلح بينه وبين ورثته، بأن يأمره بالعدل وهذا قول مجاهد[٢].

ومن قال خاف: معناه علم، قال: الميت إذا أخطأ في وصيته، أو حاف فيها متعمدًا، فلا حَرَجَ على من علم ذلك أن يُغَيِّرَه، ويصلح بعد موتِه بين ورثته وبين المُوصَى لهم، من وليّ أو وصيّ أو والي أمر المسلمين، ويردَّ الوصيَة إلى العدل. وهذا معنى قول ابن عباس[٣] وقتادة[٤] والربيع[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ يريد: بين الورثة والمختلفين في الوصية، وهم المُوصَى لهم. وسياق الآية وذكر الوصية يدل عليهم، فكنى عنهم[٦].

وقال الكسائي والفراء[٧]: قوله: (أصلح) يدل على أن الصلح يكون

---

(١) رواه عنه الطبري ٢/ ١٢٧.

(٢) «تفسير مجاهد» ١/ ٩٦، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢٣، وعزاه في «الدر» ١/ ٣٢٠ إلى عبد بن حميد، وهذا اختيار الطبري.

(٣) رواه عنه الطبري ٢/ ١٢٤، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠٣، وروي عن أبي العالية وطاوس والحسن وإبراهيم وسعيد بن جبير وقتادة والربيع بن أنس ومقاتل نحو ذلك.

(٤) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٦٩، والطبري ٢/ ١٢٤، والجصاص في «أحكام القرآن» ١/ ١٧١.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٢٤، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٣٠٣.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢١٦، «التفسير الكبير» ٥/ ٦٧، «البحر المحيط» ١/ ٢٤.

(٧) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١١١.

بين الورثة والمُوصَى لهم، قال الكسائي: لأنّ أصلح لا يكون على واحد، لا تقول: أصلحت بينَه، ولكن بينهما، أو بينهم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾ إنما قال للمتوسط للإصلاح: ليس عليه إثم، ولم يقل فله الأجر؛ لأنه ذكر إثم التبديل، ونفى الإثم عن المصلح، ليبين أنه ليس بمبدل(١).

١٨٣- قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ الآية، الصيام: مصدر صام كالقيام، وأصله في اللغة: الإمساكُ عن الشيء والتركُ له، ومنه: قيل للصمت: صوم، لأنه إمساك عن الكلام، قال الله تعالى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦] ،وصام النهار: إذا اعتدل وقام قائم الظهيرة، قال امرؤ القيس:

فَدَعْها وسَلِّ الهَمَّ عنكَ بجَسْرةٍ ذَمُولٍ إذا صامَ النهارُ وهَجَّرا(٢)

وقال آخر:

حتى إذا صَام النهارُ واعتَدَلْ(٣)

---

(١) «التفسير الكبير» ٥/ ٦٧، وذكر أربعة أوجه.

(٢) البيت لامرئ القيس في «ديوانه» ٦٣ ، «الكامل» للمبرد ٣/ ٨٩، «أساس البلاغة» (مادة: كنز). «لسان العرب» ٤/ ٢٥٣٠ (صوم) والجسرة: الناقة النشيطة، والذمول: هو «السير» السريع، وهجّرا: من الهاجرة، وهي شدة الحر. ينظر: «الديوان» ص٦٣.

(٣) ورد هذا الرجز بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٢٦، بعده عنده:

وسال للشمس لعابٌ فنزل

وكذا في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٨١، وفي «لسان العرب» ٣/ ١٥٢٤، ٣/ ١٩٠١ (ذوب، زيق)، بالرواية التالية:

وقام ميزان النهار فاعتدل

وصامت الريح: إذا ركدت، وصام الفرس: إذا قام على غير اعتلاف، ومنه قول النابغة:

خيل صيامٌ وخيلٌ غير صائمة[١]

ويقال: بكرة صائمة: إذا قامتْ فلم تَدُر، وقال الراجز:

والبكراتُ شَرُّهن الصائمه[٢]

ومَصَام الشمس: حيث تَستَوى في مُنتصف النهار، وكذلك مَصَام النجم، وروي في شعر امرئ القيس:

كَأنَّ نُجومًا عُلِّقَتْ في مَصَامِها
بأَمْراسِ كَتّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ[٣]

هذا هو الأصلُ في اللغة[٤].

وفي الشريعة: هو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع مع اقتران النية به[٥].

---

(١) عجز البيت:

تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

في ملحق «ديوانه» ص٢٤٠، «الكامل» للمبرد ٣/ ٨٩، «لسان العرب» ٥/ ٣٠٧٧ (مادة: علك)، ٤/ ٣٥٢٩ (مادة: صوم).

(٢) ذكره في «البحر» ٢/ ٢٦، ولم ينسبه، وذكره في «اللسان» ٢/ ٣٣. وقوله: الصائمة: أي التي لا تدور.

(٣) ينظر: «ديوانه» ص١٩، «اللسان» ٤/ ٢٥٣٠ (مادة: صوم).

(٤) ينظر في (مادة: صوم): «تفسير الطبري» ٢/ ١٢٨، «الثعلبي» ٢/ ٢٢٥، «المفردات» ص٢٩٣، «البحر المحيط» ٢/ ٢٦، «اللسان» ٤/ ٢٥٣٠، «أساس البلاغة» ٢/ ٣٣.

(٥) ينظر في تعريفه: «المغني» ٤/ ٣٢٣ - ٣٢٥، «المحرر الوجيز» ٢/ ٩٩-١٠٢.

وإجماعُ المفسرين على أن المراد بهذا الصيام صيام شهر رمضان[١]، وقد كان الفرض في ابتداء الإسلام صومَ يوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر، فنسخ ذلك بصيام رمضان قبل قتال بدر بشهرين[٢].

---

(١) حكى الواحدي هذا الإجماع في «الوسيط» ١/ ٢٧٢، ولا يسلم له؛ لورود الخلاف؛ حيث يرى جماعة أن المراد صيام ثلاثة أيام من كل شهر، أو صيامها وصيام عاشوراء، على خلاف بين القائلين بذلك، وبه قال قتادة وعطاء، وروي عن ابن عباس.
وقد بيَّن الحافظ في «الفتح» ٨/ ١٧٨ أن الناس اختلفوا في التشبيه الذي دلت عليه الكاف، هل هو على الحقيقة، فيكون صيام رمضان قد كتب على الذين من قبلنا ؟ أو المراد: مطلق الصيام دون وقته وقدره ؟ قولان، والثاني قول الجمهور. وينظر في ذكر الخلاف: «تفسير الطبري» ٢/ ١٣٠، «المحرر الوجيز» ٢/ ٩٩-١٠٢، «النكت والعيون» ١/ ٢٣٥، «الإجماع في التفسير» ص١٩٩-٢٠٠.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢٩-١٣٠، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٠٤-٣٠٥، «الدر المنثور» ١/ ٣٢٢.
قال البغوي ١/ ١٩٦: قيل: كان في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر، ثم نسخ بصوم رمضان، ويقال: نزل صوم شهر رمضان قبل بدر بشهر وأيام، قال محمد بن إسحاق: كانت غزوة بدر يوم الجمعة ، لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان على رأس ثمانية عشر شهرًا من الهجرة، ثم ذكر حديث عائشة في الصحيحين، قالت: كان يوم عاشوراء يومًا تصومه قريش في الجاهلية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان كان هو الفريضة، وترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه. البخاري (٢٠٠٢) كتاب الصوم، باب: صوم عاشوراء، ومسلم (١١٢٥) كتاب الصوم، باب: صوم عاشوراء.

وقوله تعالى: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ قال بعضهم: التشبيه عائد إلى الإيجاب، فنحن متعبدون بالصيام كما تعبد الله من قبلنا من الأمم وأهل الكتابين[1].

وقيل: إن التشبيه يعود إلى وقت الصوم، وقدر الصوم[2]، وذلك أن الله تعالى فرض صيام رمضان على اليهود والنصارى، فأما اليهود فإنها تركت الشهر وصامت يومًا من السنة تزعم[3] أنه يوم غَرَق فِرعون، وكذبت في ذلك أيضًا؛ لأن ذلك اليوم يوم عاشوراء على لسان رسول الله ﷺ.

فأما النصارى فإنهم حَوَّلوا صيامهم إلى فصل اعتدال الهواء؛ لأنهم ربما صاموه في القيظ، فكان يشتدُّ عليهم، فاستدعوا أحبارهم أن ينقلوا الصوم إلى وقت اعتدال الهواء، ويزيدوا عليه زيادة، ففعلوا، وزادوا عشرة أيام، ثم إن حبرًا لهم اشتكى فمه، فنذر إن[4] شُفي أن يزيد في صومهم عشرة أيام، فبَرَأ فزاد، فصومهم اليوم خمسون يومًا. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١][5].

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢٩، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٠١.

(٢) روي عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٢٩، ١٣٠، «ابن أبي حاتم» ١/ ٣٠٥، «الثعلبي» ٢/ ٢٣٢، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٠١.

(٣) في (ش): (بزعم).

(٤) في (ش): (لأن).

(٥) رواه الطبري ٢/ ١٢٩ عن السدي، وذكره الفراء في «معاني القرآن» ١/ ١١٢، والثعلبي ٢/ ٢٣٣، والبغوي ١/ ١٩٥، وعند الثعلبي أن الذي اشتكى ملك وليس حبرًا، وقد روي نحوه مرفوعًا إلى النبي ﷺ، فقد روى البخاري في «التاريخ الكبير» ٣/ ٢٥٤، والطبراني في «الكبير» ٤/ ٢٢٦، «الأوسط» ٩/ ٩٠، والنحاس=

وقال الشعبي: إنهم أخذوا بالوثيقة فصاموا قبل الثلاثين يومًا، وبعدهَا يومًا ثم لم يزل الآخر يَسْتَنّ بسُنَّة القرن[١] الذي قبله حتى صاروا إلى خمسين يومًا، ولهذا كره صوم يوم الشك[٢].

قال أبو إسحاق: وموضع ﴿كَمَا﴾ نصب على المصدر، المعنى: فرض عليكم فرضًا كالذي فرض على الذين من قبلكم[٣].

وقال ابن الأنباري: يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من الصيام، يراد بها: كتب عليكم الصيام مشبهًا ومماثلًا ما كتب على الذين من قبلكم[٤].

وقال أبو علي الفارسي: هو صفة لمصدر محذوف، تقديره: كتابة كما كتب يعني: مثل ما كتب عليهم، فحذف المصدر، وأقيم نعته مقامه، قال: ومثله في الاتساع والحذف قولهم في صريح الطلاق: أنتِ واحدة،

= في «الناسخ والمنسوخ» ١/ ٤٩٢ عن دغفل بن حنظلة، والطبراني في الكبير وقفه عليه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٣/ ١٤٢: رواه الطبراني في «الأوسط» مرفوعًا، ورواه الطبراني في الكبير موقوفًا على دغفل، ورجال إسنادهما رجال الصحيح، وقال الدكتور المنيع في تحقيق «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٣٤: الحديث مرسل، دغفل بن حنظلة مخضرم، ولم يصح أن له صحبة.

(١) في (ش): (القران).

(٢) ذكره الفراء في «معاني القرآن» ١/ ١١١، ورواه الطبري عنه ٢/ ١٢٩، والثعلبي ٢/ ٢٣٤، وقد ورد النهي عن صيام يوم الشك في أحاديث، منها: حديث أبي هريرة، رواه البخاري (١٩١٤) كتاب الصوم، باب: لا يتقدمن رمضان بصوم يوم ولا يومين، ومسلم (١٠٨٢) كتاب الصوم، باب: لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين.

(٣) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥١، وليس فيه الجملة الأولى.

(٤) ينظر: «التبيان» ١/ ١٤٨، «المحرر الوجيز» ١/ ٢٥٠.

يريدون: أنت ذات تطليقة واحدة، فحذف المضاف والمضاف إليه، وأقيم صفة المضاف إليه مقام الاسم المضاف إليه[١].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد كي تخافوني في حدودي وفرائضي[٢].

وقال السُدي: لكي تتقوا الأكل والشرب والجماع في وقت وجوب الصوم[٣].

وقال الزجاج:[٤] لتتقوا المعاصي، فإن الصيام وصلةٌ إلى التقى؛ لأنه يكف الإنسان عن كثير مما تطلَّع إليه النفسُ من المعاصي، و(لعل) هاهُنَا على ترجي العباد، والله ﷻ من وراء العلم أيتقون[٥] أم لا؟ ولكن المعنى: أنه ينبغي لكم بالصوم أن يقوى رَجاؤكم في التقى[٦].

١٨٤- قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ في انتصاب الأيام وجوه:

أحدُها: أنها[٧] ظرف لكُتب، كأنه: كتب عليكم الصيام في هذه الأيام، هذا قول الزجاج[٨].

---

(١) ينظر: «التبيان» ١/ ١٤٨، وزاد وجهًا رابعًا، وهو أن يكون في موضع رفع صفة للصيام، «المحرر الوجيز» ١/ ٢٥٠، «البحر المحيط» ٢/ ٢٩.

(٢) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٢، وينظر معنى لعل في: «المفردات» ص٤٥٤.

(٣) رواه عنه الطبري ٢/ ١٢٩، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠٥.

(٤) من قوله: (يريد: كي) مكرر في نسخة (م)، وفيه تقديم وتأخير.

(٥) في (ش): (أتتقون).

(٦) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٢، وينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٣١، فيه مناقشات للأعاريب المذكورة.

(٧) في (م): (آنه).

(٨) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٢.

وقال الفراء: هي نصب على خبر ما لم يسم فاعله؛ لأن كل ما لم يسم فاعله، إذا كان فيه اسمان أحدهما غير الآخر رفعتَ واحدًا ونصبت الآخر، كما تقول: أُعطي عبدُ الله المال، ولا تبال أكان المنصوب معرفةً أو نكرة، فإن كان الآخر نعتًا للأول، وهما معرفتان، رفعتهما جميعًا، فقلت: ضُربَ عبدُ الله الظريفُ، رفعتَه؛ لأنه عبد الله، وإن كان نكرة نصبته، قلت: ضُرِبَ عبدُ الله راكبًا وماشِيًا ومظلومًا[1].

قال أبو إسحاق: ليس هذا بشيء، لأن الأيام هَاهُنَا معلقة بالصوم، وزيدٌ والمال مفعولان لأُعطي، فلك أن تقيم أيهما شئت مقام الفاعل، وليس في هذا إلّا نصب[2] أيام بالصيام[3].

ونصر أبو علي الفارسي قول الفراء، وقال: يجوز أن ينتصبَ الأيام انتصاب المفعول به على السعة، وهو أن يكون الأيام اسمًا لا ظرفًا، فتخرجها من حيّز الظروف إلى حيز الأسماء، متسعًا فيها، وهذا الاتساع كثير واسع في الظروف، وقد جاء التنزيل به، وهو قوله: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣]، فجواز الإضافة إليهما[4] دل على خروجهما من الظرف، ومتى وقعت الإضافة إلى هذه الأسماء المستعملة ظروفًا أخْرَجَتها الإضافة عن ذلك وأدخلتها في حَيِّزِ الأسماء، وقد نص سيبويه على جواز هذا في قوله: يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدار.

---

(١) من «معاني القرآن» للفراء ١/ ١١٢، وقد خطأ أبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٣١ قول الفراء وناقشه.

(٢) في (ش): (ونظر).

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٢.

(٤) في (م): فجواز إليهما وفي (ش): (إليها).

وإذا كان هذا الاتساع على ما ذكرت لك في الكثرة والحسن ومجيء التنزيل به، فلم ينكر أن تحمل هذه الآية أيضًا عليه، وإذا حمل عليه، كان بمنزلة: أُعطي زيدٌ المال، ولا يمتنع على هذا التقدير أن تكون الأيام ظرفًا لـ(كُتِبَ)، ولا شيءَ يمنع من كون الأيام ظرفًا لكُتِبَ؛ لأن الصّيَام مفروض مكتوب في أيام معدودات، وإذا كان ظرفًا له لم يمتنع أن يتسع فيه، فينتصب انتصاب المفعول به، وإذا نصب انتصاب المفعول به كان بمنزلة: أُعطى زيدٌ المال، وصار الأيام في موضع المال، لا إشكال في جواز هذا الوجه، فقد بان أن ما منعه أبو إسحاق من إجازة أن ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ بمنزلة أعطي زيدٌ المال جائز غير ممتنع.

وعند أبي علي يجوز أن تُعمل (الصيام) في الأيام، ثم[1] يجوز في انتصاب الأيام الوجهان اللذان ذكرنا إذا أعملت فيها(كتب)، من الظرف والانتصاب على المفعول به، فالظرف أن تجعل الأيام ظرفًا للصيام لا للكتابة، كما تقول: كتب عليكم الدخول يوم كذا، يجوز[2] أن تجعل اليوم ظرفًا للدخول، وإن جعلت الأيام مفعولًا به لصيام أعملت الصيَام وهو مصدر، فنصبت به، والمصدر يعمل عمل الفعل، كقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وهو كثير، ومثله:

لحِقتُ فلم أنكُلْ عن الضرب مِسْمَعَا

قال أبو علي: والأجودُ فيمن جَعَل الأيامَ معمول الصيام أن ينصب على أنه ظرف ولا يجعله مفعولًا للمصدر؛ لأنه يعمل المصدر وفيه الألف

---

(١) (ثم) ساقطة من (ش).

(٢) في (ش): (ويجوز).

واللام إعمال الفِعل، وذلك لا يحسن؛ لأن الفعل نكرة، فحُكْمُ ما قام مقامه ويعمل عمله أن يكون مثلَه، وإن كان أصحاب سيبويه قد أجازوه.

فأما[1] قوله: عن الضرب مسمَعًا، فقد قيل فيه: إن مسمعًا مفعول (لحقت) دون الضرب، فإن قيل: الإضافة في التعريف كالألف واللام، وقد جاء المصدر عاملًا في الإضافة، كقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ﴾ [البقرة: ٢٥١] قيل: الإضافة أسهل من الألف واللام، ألا ترى أن الإضافة قد تقدر فيها الانفصال كثيرًا والألف واللام لا تشبهها، فلهذا رجَّحْنا قول من جعله ظرفًا، ولا يمتنع كون الأيام ظرفًا للصيام؛ لأن الصيام فيها، كما أن الكتابة فيها. وجمهور المفسرين على أن المراد بالأيام المعدودات: شهر رمضان[2].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم﴾ إلى قوله: (أخر) فيه معنى الشرط والجزاء، أي: من يكن منكم مريضًا أو مُسافرًا فأفطر فليقض. وإذا قدرت فيه معنى الشرط كان المراد بقوله: ﴿كَانَ مِنكُم﴾ الاستقبال لا المضي، كما تقول: من أتاني أتيته، وفي الآية إضمار؛ لأن التقدير: فأفطر فعدة؛ لأن القضاء إنما يجب بالإفطار لا بالمرض والسفر، ومثله قوله: ﴿أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]، والحذف كثير في كلام العرب إذا كان فيما[3] أُبقي دليلٌ على ما أُلقي، قال ذُو الرمة :

---

(١) في (ش): (وأما).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٣١، ١٣٢، وهو اختياره، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٣٦، «البحر المحيط» ١/ ٣٠.

(٣) في (م): (ما).

فلما لبسن الليل أو حين نصَّبت   له من خذا آذانها وهو جانح[(١)]

أراد: أو حين أقبل[(٢)].

ونذكر في الآية التي بعد هذه حكم المرض والسفر في الصوم.

وأصل السَّفَر من الكشف، وذلك أنه يكشف من أحوالِ الرجالِ وأخلاقهم، والمِسفَرة: المكنس؛ لأنها تُسِفر التراب عن الأرض، والسَّفيرُ: الداخل بين اثنين للصُّلح؛ لأنه يكشف المكروه الذي اتصل بهما، والمُسْفِر: المضيء؛ لأنه قد انكشف وظهر، ومنه: أسفر الصبح، والسِّفْرُ: الكتاب؛ لأنه يكشف عن المعاني ببيانه، ومنه ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥]، أي: كتبة؛ لأن الكاتب يكشف عن المعاني، وسفرتِ المرأةُ عن وجهها: إذا كشفت النقاب[(٣)].

قال الأزهري: وسمي المسافر مُسَافرًا، لكَشْفِه قناع الكِنِّ عن وَجْهه، وبروزه للأرض الفضاء، وسُمي السَّفرُ سَفَرًا؛ لأنه يسفر عن وجوه المسافرين وأخلاقهم، فيظهر ما كان خافيًا مِنْهَا[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ﴾ أي: فعليه عدة، كقوله: ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨] والتقدير: فعليه صومُ عِدّةٍ، ويكون هذا من باب حذف المضاف[(٥)].

---

(١) البيت في «ديوانه» ص٨٩٨.

(٢) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٣٩، «البحر المحيط» ٢/ ٣٢-٣٣، «التبيان» ص١١٦.

(٣) ينظر في السفر: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٠١، «المفردات» ص٢٣٩، «لسان العرب» ٤/ ٢٠٢٤ (سفر).

(٤) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٧٠٢ (سفر).

(٥) «تفسير الطبري» ٢/ ١٣٢، «البحر المحيط» ٢/ ٣٢، «التبيان» ١/ ١١٦.

وقال أبو إسحاق: التقدير فالذي ينوب عن صومِهِ عِدة[1]. والعِدَّةُ: فِعْلَة من العَدِّ، وهو بمعنى المعدودة، كالطِّحْن بمعنى المطحون، ومنه يُقَالُ للجماعة المعدودة من الناس: عِدَّة، وعِدّة المرأة من هذا[2].

وقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أراد غير أيام مرضه أو سفره[3]. و(أُخَر) لا ينصرف؛ لأنها جمع أُخرى تأنيث آخر، وآخَرَ على وزن أفعل، وما كان على وزن أفعل فإنه يُستَعمل مع مِنْ أو بالألف واللام، فيقالُ: زيدٌ أفضل من عمرو، وزيد الأفضل، والألف واللام مُعاقبة لـ (مِن) في باب أفعل، فكان القياس يُوجب أن يقال: زيد آخر من عمرو، كما يقال: أقدم من عمرو، إلا أنهم حذفوا (من) من آخر؛ لأن لفظه اقتضى معنى مِنْ، فأسقطوا (مِنْ) اكتفاء بدلالة اللفظ عليه، والألف واللام تعاقب (مِنْ)، فلما جاز استعماله بغير الألف اللام صار آخر وأُخر وأُخْرى معدولة عن حكم نظائرها؛ لأن الألف واللام استعملتا فيها، ثم حُذفتا.

فإن قيل: الخروج عن النظائر يُوجب للاسم البناء، فهلا بُني آخر وأُخرى وأخَرُ؟ قيل: إنها وإن خرجت عن حكم نظائرها فليس هو خروجًا مُبَاينًا لما عليه الأسماء، وإنما هو خروج عن حكم تعريفٍ إلى تنكير، وأكثر الأسماء يلحقها التعريف والتنكير، فلم يكن لهذه المخالفة قوةٌ توجب البناء، إلا أنه قد نقصت بهذا العدل لها درجة عن حكم أخواتها، فجعل هذا العدل لها من أقسام العلل المانعة للصرف، فاجتمع فيها في حال

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٢.

(٢) ينظر: «المفردات» ص٣٢٧، «البحر المحيط» ٢/ ٣٢-٣٣، «لسان العرب» ٥/ ٢٨٣٢-٢٨٣٦ (عدد).

(٣) «تفسير الطبري» ٢/ ١٣٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٤٠.

التنكير العدل والصفة، فلذلك لم تنصرف، ومعنى الصفة: أنها مما يوصف به، ألا ترى أنها صفة للأيام في هذه الآية[١].

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ قال الأزهري: يُقَال: طَاقَ يَطُوقُ طَوْقًا، وأَطَاق يُطِيقُ إِطَاقَةً وطَاقَةً، كما يقال: طاع يَطُوعُ طَوْعًا، وأَطَاع يُطِيعُ إِطَاعة وطَاعَةً، والطَّاعَة والطاقة: اسمان يوضعان موضع المصدر[٢].

وقوله تعالى: ﴿فِدْيَةٌ﴾ الفِدْيَة: الجزاء والبدل، من قولك: فديته بكذا، أي[٣]: أعطيته بدلًا منه[٤]، كقوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧]، ومضى الكلام في هذا عند قوله: ﴿أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾ [البقرة: ٨٥].

وقوله تعالى: ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قرأ أهل المدينة والشام بإضافة الفِدْيَةِ إلى الطَّعَام وجمع المساكين[٥].

ومعنى الآية: وعلى الذين يطيقون الصيامَ فأفطروا فديةُ طعامٍ؛ لأن

---

(١) ينظر: «المفردات» ص٢٣، «البحر المحيط» ١/ ٣٤، «اللسان» ١/ ٣٨ (أخر).

(٢) «تهذيب اللغة» ١/ ١٣١ (طبق).

(٣) في (م): إذا.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٤١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٥٤، «المفردات» ص٣٧٦، «مجمل اللغة» ٣/ ٧١٤.

(٥) هذا إجمال في ذكر القراءات، تفصيله: قرأ نافع وأبو جعفر وابن ذكوان بحذف تنوين(فدية)، وجر(طعام) وجمع (مساكين)، وفتح نونه بغير تنوين، والباقون بتنوين(فدية)، ورفع(طعام)، وإفراد (مساكين)، وكسر نونه منونة، إلا هشامًا فقرأ بجمع مساكين كقراءة نافع ومن معه. ينظر: «النشر» ٢/ ٢٢٦، «البدور الزاهرة» ص٥٦.

الفدية وجبت بالإفطار لا بالإطاقة، وإنما أضافوا الفدية إلى الطعام، وهي طعام؛ لأن الفدية اسم للقدر الواجب، والطعام اسم يعم الفدية وغيرها، فهذه الإضافة من الإضافة التي تكون بمعنى من، وهو أن تضيف الاسم إلى اسم[1] يقع على الاسم الأول، كقولك: ثوبُ خَزٍّ، وقميصُ كتانٍ، وخاتم حديد، والمعنى: ثوبٌ من خَزٍّ، وقميصٌ من كتان، وخاتم من حديد. ألا ترى أنك تطلق على الثوبِ اسم الخز، وعلى القميص اسم الكتان، وعلى الخاتم اسم الحديد، كذلك ها هنا التقدير: فديةٌ من طعام، فأضفت الفدية إلى الطعام، وأنت تطلق على الفدية اسم الطعام. وجمعوا المساكين؛ لأن الذين يطيقونه جماعة، وكل واحد منهم يلزمُهُ طَعامُ مِسْكِين[2].

وقرأ الباقون: (فِديةٌ) منونةً ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ على واحد، جعلوا ما بعد الفدية تفسيرًا لها، ووحَّدُوا المسكين؛ لأن المعنى: على كل واحد لكل يوم إطعام مسكين.

ومثل هذا في المعنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ﴾ وليس جميع القاذفين يُفرَّقُ فيهم جلد ثمانين، إنما على كل واحد منهم جلد ثمانين[3] فكذلك على كل واحد منهم طعام مسكين، فأفرد هذا كما جَمَعَ قوله: ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ﴾.

وقال أبو زيد: أتينا الأميرَ فكسانا كلَّنا حُلّةً وأعطى كلَّنا مائةً، قال:

---

(١) في (ش): (الاسم).

(٢) ينظر: «الحجة» ٢/ ٢٧٣-٢٧٤، «تفسير الطبري» ٢/ ١٤١، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٠٦، «البحر المحيط» ٢/ ٣٧.

(٣) من قوله: (إنما على..) ساقطة من (ش).

معناه: كسا كلَّ واحدٍ منّا حُلَّةً وأعطى كل واحدٍ منا مائة[١].

فأما حكم قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾ فقال ابن عباس: كانت الإطاقة أن الرجل أو المرأة كان يصبح صائمًا، ثم إن شاء أفطرَ وأطعمَ لذلك مسكينًا، فنسختها هذه الآية: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[٢] وهذا قولُ سلمة بن الأكوع[٣][٤]، وعبد الرحمن بن أبي ليلى[٥][٦]، وعلقمة بن قيس[٧]، وابن شهاب[٨]، ومذهب أكثر

---

(١) من كلام أبي علي في «الحجة» ٢/ ٢٧٣، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٤١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٤٦-٢٤٧، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٠٧، «البحر المحيط» ١/ ٣٧.

(٢) أبو داود في الصوم، باب: نسخ قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ ٢/ ٣٠٥ برقم ٢٣١٦، من طريق عكرمة، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص٢٠٣، من طريق ابن سيرين، ورواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٤٣، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١/ ٤٩٥، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠٧، من طريق عطاء الخراساني، ورواه الطبري ٢/ ١٣٤ من طريق عطية.

(٣) هو: سلمة بن عمرو بن سنان الأكوع الأسلمي، صحابي ممن بايع تحت الشجرة، غزا مع الرسول ﷺ سبع غزوات، وكان شجاعًا بطلًا راميًا عدّاءً، توفي بالمدينة سنة ٧٤هـ. ينظر: «أسد الغابة» ٢/ ٤٢٣، «الأعلام» ٣/ ١١٣.

(٤) رواه عنه البخاري (٤٥٠٧) كتاب التفسير، باب: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، ومسلم (١١٤٥) كتاب الصيام، باب: بيان نسخ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾، والطبري ٢/ ١٣٤.

(٥) هو: عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري المدني ثم الكوفي، تابعي ثقة، مات بوقعة الجماجم سنة ٨٣هـ. ينظر: «تقريب التهذيب» ص٣٤٩ (٣٩٩٣)، وذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ١/ ٢١٢.

(٦) رواه عنه البخاري (١٩٤٩) كتاب الصوم، باب: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾، والطبري ٢/ ١٣٤، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠٦.

(٧) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٤/ ٢٢٢، وأبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٤٤، والطبري ٢/ ١٣٣، وابن أبي حاتم ١/ ٣٠٨.

(٨) رواه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٤٤، والطبري في «تفسيره» ٢/ ١٣٤.

العلماء[١]، قالوا: كان في ابتداء إيجاب الصوم من شاء صام ومن شاء أفطر وافتدى بالطعام، ثم نسخ الله سبحانه ذلك بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ﴾ قال ابن عباس: زاد في الصدقة، يعني: على المُدِّ الوَاحِدِ[٢]؛ لأنه كان يجب مدٌّ واحدٌ على من أطاق الصومَ فَأَفْطَر قبل النسخ، في قول أهل الحجاز وأكثر العلماء[٣].

وقال مجاهد[٤] والسُدّى[٥]: يطعم مسكينين، وفي هذا القول أيضًا زيادة الصدقة؛ لأنه إذا زاد مسكينا يجب أن يزيد في الصدقة حتى يكون متطوعًا. وقال ابن شهاب: يريد: من صام الفِدْية فهو خيرٌ له[٦][٧].

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٣٣-١٣٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٥٢، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٧٩، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٠٧، «الناسخ والمنسوخ» لهبة الله بن سلامة ص٤٣، «البحر المحيط» ٢/ ٣٦-٣٧.

(٢) رواه عنه الطبري ٢/ ١٤٢، ورواه ابن جريج وخصيف بن عبد الرحمن عن مجاهد، كما في «تفسير الطبري» ٢/ ١٤٢، «تفسير الثوري» ٥٦، و«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٠٩.

(٣) ينظر: «المغني» ٤/ ٣٩٥، و«تفسير البغوي» ١/ ١٩٧.

(٤) رواه عن مجاهد ابن جريج كما في «تفسير الطبري» ٢/ ١٤٢، وأشار إليها عبد الرزاق في «المصنف» ٤/ ٢٢٣، ورواها عنه خصيف بن عبد الرحمن كما في «تفسير الثوري» ص٥٦، و«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٠٩.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٤٣، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٠٩.

(٦) رواه عنه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٤٥، و«تفسير الطبري» ٢/ ١٤٣، و«تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٠٩.

(٧) قال الطبري ٣/ ٤٤٣: والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الله- تعالى ذكره-=

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: الصوم خيرٌ لكم، فالجملة ابتداء وخبر.

والمعنى: والصوم خيرٌ لكم من الإفطار والفدية، وهذا إنما كان خيرًا لهم قبل النسخ، وبعد النسخ فلا يجوز أن يقال: الصوم خيرٌ من الإفطار والفدية[١].

١٨٥- قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ الآية، الشهر: مأخوذ من الشهرة، تقول شَهَرَ الشيء يَشْهَرُه شَهْرًا: إذا أظهره، وسمي الشَّهْرُ شهرًا لشهرة أمره في حاجة الناس إليه في معاملاتهم، ومحل ديونهم، وقضاء نسكهم في صومهم وحجهم وغير ذلك من أمورهم.

قال الليث: والشهر: ظهور الشيء، وسمي[٢] الهلال شهرًا، قال ابن الأعرابي: لأنه يشهر به[٣].

= عمم بقوله: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾، فلم يخصص بعض معاني الخير دون بعض، فإن جمع الصوم مع الفدية من تطوع الخير، وزيادة مسكين على جزاء الفدية من تطوع الخير، وجائز أن يكون الله- تعالى ذكره -عنى بقوله: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾، أيَّ هذه المعاني تطوع به المفتدي من صومه فهو خير له؛ لأن كل ذلك من تطوع الخير ونوافل الفضل. وقد ذكر ابن العربي ١/ ٨٠ قول من قال: (فمن تطوع)، أي: زاد على طعام مسكين، وقيل: من صام، وهذا ضعيف؛ لقوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. معناه: الصوم خير من الفطر في السفر، وخير من الإطعام، وتحقيق ذلك أن الصوم الفرض خير من الإطعام النفل، والصدقة النفل خير من الصوم النفل.. اهـ.

(١) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٣.

(٢) في (م): (ويسمى).

(٣) نقله عنه في «اللسان» ٤/ ٢٣٥١ (شهر).

وقال الزجاج: سمي الهلال شهرًا لشُهْرتِه وبيانه[١].

وقال بعضهم: سُمي الشهر شهرًا باسم الهلال إذا أهلّ سمي شهرًا. والعرب تقول: رأيتُ الشَّهْرَ، أي: رأيت هلاله، قال ذو الرمة:

يرى الشَّهْرَ قَبْلَ الناسِ وهو بخيلُ[٢]

وقد أَشْهَرْنا، أي: أتى علينا شَهْرٌ.

قال الفراء: ولم أسمع منه فعلًا إلا هذا[٣]. وارتفع على البدل من الصيام، كأن المعنى: كتب عليكم شَهْرُ رمضانَ. ويجوز أن يكون ابتداءً، وخَبرُه الذي مع صلته، كقولك: زيد الذي في الدار[٤].

وقال الأخفش: ارتفع على أنه خبر ابتداء محذوف، المعنى: هي شهر رمضان[٥]؛ لأن قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ تفسيرٌ للأيام المعدُودات، وتبيين لها، ونحو هذا قال الفراء[٦]، أراد: ذلكم شهر رمضان، الصيام شهر رمضان، أي: صيامه كما قال في: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟﴾ [النور: ٢] أي: فيما فرض عليكم الزانية والزاني، أي: حكمهما، وكذلك: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ﴾ قال: والأشبه أن يكون ﴿ٱلَّذِى﴾ وصفًا، ليكون النص قد وقع على الأمر بصيام الشهر، يعني: أَنَّكَ إن جعلت الذي خبرًا

---

(١) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٩، ونقله عنه في «اللسان» ٤/ ٢٣٥١ (شهر).

(٢) البيت في «ديوانه» ص٥٦١، وورد في «البحر المحيط»: نحيل.

(٣) ينظر في معاني الشهر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٤٤، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٦٤، «المفردات» ص٢٧٣، «اللسان» ٤/ ٢٣٥١ (شهر).

(٤) ينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٣.

(٥) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٥٢.

(٦) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١١٢.

لم يكن شهر رمضان منصوصًا على صومه بهذا[١] اللفظ، إنما يكون مخبرًا عنه بإنزال القرآن فيه، قال: وإذا جعلت الذي وصفًا كان حقُّ النظر أن يكنى عن الشهر في قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ كقولك: شهر رمضان المبارك من شهده فليصمه، قال: وهذا كقوله: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١-٢] و﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١-٢] ونحو ذلك، يعنى: أن ذكر الابتداء أعيد ولم يُكْنَ عنه للتعظيم، كذلك في هذه. والفاء في قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ﴾ داخل على خبر الابتداء، وليس من حق خبر الابتداء[٢] دخول الفاء عليه. ونذكر الكلام فيه إذا انتهينا إليه[٣].

و﴿رَمَضَانَ﴾ لاينصرف للتعريف وزيادة الألف والنون، مثل: عثمان وسَعْدان. واختلفوا في اشتقاق ﴿رَمَضَانَ﴾، فقال بعضهم: هو مأخوذ من الرمض، وهو حرُّالحِجَارة من شدّة حَرِّ الشمس، والاسم: الرَمْضَاء، رَمِضَ الإنسان رَمَضًا: إذا مشى على الرَمضاء، والأرض رَمِضَة، فسُمي هذا الشهر رمضَان؛ لأن وجوبَ صَومه وافقَ بشِدَّة الحرّ، وهذا القول حكاه الأصمعي عن أبي عمرو[٤].

وحكي عن الخليل أنه قال: مأخذه من الرَّمَضِي[٥]، وهو من السَحاب

---

(١) في (ش): (فهذا).

(٢) في (م): (المبتدأ).

(٣) ينظر: «معاني القرآن» للفراء ١/ ١١٢-١١٣، «تفسير الطبري» ٢/ ١٤٦-١٤٩، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٦٣، «التبيان» ص١١٨، «البحر المحيط» ١/ ٣٨-٣٩، «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٣٨.

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٢٦٧، وقد ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٦٨ (رمض) ولم ينسبه لأحد.

(٥) عند الثعلبي: (الرمض).

والمطر: ما كان في آخرِ القَيْظ وأول الخريف، سمّي رَمَضِيًا لأنه يُدرِك سُخونةَ الشمس وحَرَّها، فسمي هذا الشهر رمضان؛ لأنه يغسل[1] الأبدان من الآثام[2].

وقيل: هو من قولهم: رَمَضْتُ النصْلَ أرمِضُه رَمْضًا: إذا دقَقْتَه بين حجرين ليرقَّ، ونصل رَميض ومَرْمُوض، فسمي هذا الشهر رمضان لأنهم كانوا يرمُضُون فيه أسلحتهم، ليقضوا منها أوطارهم في شوالٍ قبل دخول الأشهر الحرم، وهذا القول يُحْكَى عن الأزهري[3]، وعلى القولين الأولين يجب أن يكون هذا الاسم إسلاميًا، وقبل الإسلام لا يكون له هذا الاسم، وعلى ما حكاه الأزهري، الاسم جاهلي[4].

وروي مرفوعًا أن النبي ﷺ قال ذات يوم لأصحابه: «**أتدرون لم سمي شعبان**؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**لأنه يشعب**[5] **فيه خير كثير لرمضان**»، أتدرون لم سُمي رمضان؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**لأنه يرمض الذنوب**»[6]. والإرماض: الإحراق.

---

(١) في (م): زيادة (لأنَّ وجوب صومه يغسل).

(٢) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٢٦٩، وعزاه الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٦٩ (رمض) إلى أبي عمرو.

(٣) لم يذكره في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٦٨، وذكره أبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٢٦، ولم ينسبه لأحد.

(٤) ينظر في رمضان: «تفسير الطبري» ٢/ ١٤٤، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٦٨-١٤٦٩، «المفردات» ص٢٠٩، «اللسان» ٣/ ١٧٣٠، «البحر المحيط» ٢/ ٢٦ (رمض).

(٥) سقطت من (ش).

(٦) أخرجه ابن الشجري في «أماليه» ٢/ ١٠٢.

وروى سلمة عن الفراء، يقال: هذا شهر رمضان، وهما شهرا ربيع، ولا يُذكَر الشهرُ مع سائر أسماء الشهور العربية[1]، ونحو هذا يروى عن مجاهد[2]، أنه كره أن يقال: رمضان.

وروى أنس أن النبي ﷺ قال: «**لا تقولوا رمضان، انسبوه كما نسبه الله في القرآن، فقال: شهر رمضان**»[3].

وقوله تعالى: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ قال ابن عباس: أنزل القران جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان، فوضع في

---

(١) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٦٩، وزاد، يقال: هذا شعبان قد أقبل، وكذا في «اللسان» ٣/ ١٧٣٠ (رمض).

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٤٤، ورواه ابن أبي حاتم عن جماعة منهم مجاهد ومحمد بن كعب القرظي، وقال ابن أبي حاتم ١/ ٣١٠: ورخص فيه ابن عباس وزيد بن ثابت.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» عن أنس ٢/ ٢٦٥، وليس في شئ من المصادر الحديثية عن أنس، بل روى من حديث أبي هريرة وابن عمر وعائشة ﵃ عند ابن عدي في «الكامل» ٧/ ٥٣، والبيهقي ٤/ ٢٠١والجوزقاني في «الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير» ٢/ ٨٨ ، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٠، وحكم ابن الجوزي عليه في «الموضوعات» ٢/ ١٨٧ بأنه موضوع لا أصل له ، وقال المعلمي في تعليقه على «الفوائد المجموعة» ص٨٧ موضوع بلا ريب ، وضعفه القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٢٧٨، وقال: والصحيح جواز إطلاق رمضان من غير إضافة كما ثبت في الصحاح وغيرها .

روى مسلم (في الصيام، باب: فضل شهر رمضان برقم ١٠٧٩)، عن أبي هريره أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الرحمة، وغلقت أبواب النار، وصُفِّدت الشياطين**». ورواه البخاري برقم [١٨٩٨] ثم ذكر القرطبي آثارًا كثيرة كلها بإسقاط الشهر.

بيت العزة في سماء الدنيا، ثم نزل به جبريل على محمد ﷺ نجومًا[١] عشرين سنة[٢].

وقال سفيان بن عيينة: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ معناه: أنزل في فضله القرآن. وهذا اختيار الحسين بن الفضل، قال: ومثله: أن تقول: أنزل في الصديق كذا آية، تريد في فضله[٣].

وقال ابن الأنباري: أنزل في فرضه وإيجاب صومه على الخلق القرآن. كما تقول: أنزل الله في الزكاة كذا وكذا تريد في فرضها، وأنزل في الخمر كذا تريد في تحريمها[٤]. فأما[٥] القرآن فهو اسم لكلام الله تعالى

---

(١) سقطت من (ش).

(٢) رواه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ٣٦٧، والنسائي في «تفسيره» ٢/ ١٣١، والحاكم ٢/ ٢٤٢، وصححه، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٧/ ١٣١، والطبري ٢/ ١٤٤-١٤٥، وابن الضريس في «فضائل القرآن» ص١٢٥، والطبراني في «الكبير» ١١/ ٣٠٥، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٢٦٩، وصحح إسناده الحافظ في «الفتح» ٩/ ٤.

قال القرطبي: «ولا خلاف أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظ ليلة القدر جملة واحدة، فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ثم ذكر قول مقاتل: أنزل من اللوح المحفوظ كل عام ليلة القدر إلى سماء الدنيا قلت: وقول مقاتل هذا خلاف ما نقل من الإجماع» انتهى كلامه.

(٣) ذكره الرازي عن سفيان ٥/ ٨٥، «البحر المحيط» ٢/ ٣٩.

(٤) نسب ابن الجوزي هذا القول في «زاد المسير» ١/ ١٨٥، وأبو حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٣٩ إلى مجاهد والضحاك، وذكر ابن الجوزي قولًا ثالثًا نسبه إلى ابن إسحاق وأبي سليمان الدمشقي، وهو أن القرآن ابتدئ بنزوله فيه على النبي ﷺ.

(٥) في (م): (وأما).

واختلفوا[١] في اشتقاقه وهمزه، فقرأه ابن كثير بغير همز[٢].

أخبرنا سعيد بن العباس القرشي[٣] كتابة، ثنا أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري، ثنا محمد بن يعقوب المعقلي، عن محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم[٤]، أنّ الشافعي، رحمه الله، كان يقول: القرآن اسم، وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت، ولكنه اسم لكتاب الله، مثل التوراة والإنجيل، قال: ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن، كما تقول: وإذا قرأت القران[٥]. وقول الشافعي: إنه اسم لكتاب الله يشبه أنه ذهب إلى أنه ليس

---

(١) ينظر في هذه المسألة «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٢، «التفسير الكبير» ٥/ ٨٦، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٧٨، «اللسان» ٦/ ٣٥٦٣ «قرأ»، «الإتقان» للسيوطي ١/ ١٤٦، «البرهان» للزركشي ١/ ٢٧٧.

(٢) قرأ ابن كثير بنقل حركة الهمزة إلى الراء، وحذف الهمزة في الحالين، وكذلك حمزة عند الوقف، وليس لورش فيه توسط ولا مد ؛ نظرا للساكن الصحيح الذي قبل الهمز، وهكذا كل ما جاء من لفظه في القرآن معرَّفا أو منكرا. ينظر: «النشر» ٢/ ٢٢٦، «البدور الزاهرة» ص٥٦، وقال الأزهري في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٢ (قرأ): وقال أبو بكر بن مجاهد المقرئ: كان أبو عمرو بن العلاء لا يهمز القرآن، وكان يقرؤه كما روي عن ابن كثير.

(٣) هو: سعيد بن العباس بن محمد بن علي القرشي الهروي، قدم بغداد حاجا، وحدث عن أبي حامد بن حسنويه وأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري وغيرهم، توفي سنة ٤٣٣هـ. ينظر: «السير» ١٧/ ٥٥٢-٥٥٣، «تاريخ بغداد» ٩/ ١١٣-١١٤.

(٤) هو: شيخ الإسلام المصري الفقيه، كان عالم الديار المصرية في عصره مع المزني كان أعلم بمذهب مالك وأحفظهم له، وكان عارفا بأقوال الصحابة والتابعين، له مصنف في أدب القضاة، توفي سنة ٢٦٨هـ. ينظر: «السير» ١٢/ ٤٩٧، «وفيات الأعيان» ٤/ ١٩٣، «تقريب التهذيب» (٦٠٢٨).

(٥) ذكره الأزهري بسنده في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٢ (قرأ)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ٢/ ٦٢، ونقله عن الواحدي: الرازي في «تفسيره» ٥/ ٨٦.

بمشتق، وقد قال بهذا جماعة، قالوا: إنه اسمُ كلامِه، يجرى مجرى الأعلام في أسماء غيره، كما قيل في اسم الله: إنه غير مشتق، من معنى يجرى مجرى اللقب في صفة غيره(١).

وذهب آخرون إلى أنه مأخوذ من قَرَنْتُ الشيءَ بالشيء: إذا ضممت أحدَهما إلى الآخر، فسمي لاقتران السور والآيات والحروف، ولأن العبارة عنه: قرن بعضه إلى بعض. فهو مشتق من قرن. والاسم: قران غير مهموز، كما يقال: خرج، والاسم خُراج، ومن هذا يقال للجمع بين الحج والعمرة: قران(٢).

وذكر الأشعري(٣) رحمه الله هذا المعنى في بعض كتبه فقال: إن كلام(٤) الله يسمى قُرآنًا؛ لأن العبارةَ عنه قرن بعضه إلى بعض(٥).

---

(١) نقل ذلك الرازي في «تفسيره» ٥/ ٨٦، وقال بعده: وذهب آخرون إلى أنه مشتق، واعلم أن القائلين بهذا القول منهم من لا يهمزه ومنهم من يهمزه، أما الأولون فلهم فيه اشتقاقان: أحدهما أنه مأخوذ من قرنت.

(٢) نقله عن الواحدي: الزركشي في «البرهان» ١/ ٢٧٨.

(٣) هو: علي بن إسماعيل بن أبي بشر، أبو الحسن تتلمذ في العقائد على الجبائي زوج أمه، وبرع في علمي الكلام والجدل على طريقة المعتزلة، ثم رجع فرد عليهم، وشُهر بمذهب ينسب إليه، وقيل إنه رجع بعده إلى مذهب السلف، له: «مقالات الإسلاميين»، و«الإبانة»، توفي سنة ٣٢٤هـ. ينظر: «شذرات الذهب» ٢/ ٣٠٣، «الأعلام» ٤/ ٢٦٣.

(٤) في (م): (كتاب).

(٥) نقله عن الواحدي: الزركشي في «البرهان» ١/ ٢٧٨. وهذا مذهب الأشاعرة واعتقاد السلف إثبات صفة الكلام لله تعالى على الوجه اللائق به سبحانه من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. [الشورى: ١١].

وقال الفراء: ظن أن القرآن سمي من القرائن، وذلك أن الآيات يصدق بعضها بعضًا، ويشبه بعضها بعضًا، فهي قرائن، فمذهب هؤلاء أنه غير مهموز[(١)].

وأما الذين همزوا اختلفوا، فقالت طائفة: إنه مصدر القراءة.

قال أبو الحسن اللحياني[(٢)(٣)]: يقال: قرأت القرآن، فأنا أقرأه قَرْأً[(٤)] وقراءةً وقرآنًا، وهو الاسم، قوله: وهو الاسم يعني: أن القرآن يكون مصدرًا لقرأت، ويكون اسمًا لكتاب الله، ومثل القرآن من المصادر: الرُّجْحَان والنُّقْصَان والخُسْران والغُفْران[(٥)]، قال ابن مقبل[(٦)]:

يُقَطِّعُ اللَّيلَ تسبيحًا وقرآنا[(٧)]

أي: قراءة، هذا هو الأصل، ثم المقروء، ويسمي قرآنًا لأن المفعول يسمى بالمصدر، كما قالوا للمشروب: شراب، وللمكتوب: كتاب، واشتهر هذا الاسم في المقروء حتى إذا طرق الأسماع سبق إلى القلوب أنه المقرُوء، ولهذا لا يجوز أن يقال: القرآن مخلوق مع كون القراءة مخلوقةً؛

---

(١) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٨٦.

(٢) هو: علي بن المبارك، وقيل ابن حازم، أبو الحسن اللحياني، تقدم.

(٣) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٢ (قرأ).

(٤) في (م): (قراء).

(٥) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٨٦، «اللسان» ٦/ ٣٥٦٣ (قرأ).

(٦) هو: الشاعر تميم بن أبي بن مقبل العجلاني، تقدم.

(٧) صدر البيت:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به

والبيت لحسان بن ثابت في رثاء الخليفة عثمان ﷺ كما في «المغني» ١/ ٢١٨، رقم ٣٦٣، «البحر المحيط» ٢/ ٣٢، ومعنى الأشمط: شيب اللحية.

لأن القرآن أشهر تسمية للمقروء[١].

وقال أبو إسحاق الزجاج[٢]: معنى قرآن معنى الجمع، يقال: ما قَرَأَتْ هذا الناقة سلًا قط، إذا لم يَضْطَم رحمها على ولد، وهذا مذهب أبي عبيدة[٣]، قال: إنما سُمي القرآن قرآنًا لأنه يجمع السور ويضمها، وأصل القرآن: الجمع، وأنشد قول عمرو:

هِجَان اللون[٤] لم تَقْرأُ جَنِينَا[٥]

أي: لم تجمع في رحمها ولدًا، ومن هذا الأصل: قُرء المرأة، وهو أيام اجتماع الدم في رحمها.

وقال قُطْرب[٦] في (القرآن) قولين:

أحدهما: ما ذكرنا وهو قول أبي إسحاق وأبي عبيدة.

والثاني: أنه سُمي قرآنًا؛ لأن القارئ يُظهرُه ويبينه ويلقيه من فيه، أخذ من قول العرب: ما قَرَأَتِ الناقة سلًا قَط، أي: ما رمت بولد، ونحو

---

(١) «التفسير الكبير» ٥/ ٨٦، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٧٨.

(٢) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٣، وينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٥.

(٣) ينظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ١-٤، «التفسير الكبير» ٥/ ٨٦، «البرهان» للزركشي ١/ ٢٧٧، «اللسان» ٦/ ٣٥٦٣.

(٤) في (م): (اللون).

(٥) البيت لعمرو بن كلثوم في معلقته وأوله:

ذِراعَيْ حُرَّةٍ أَدْمَاءَ بِكْرٍ

وينظر: «شرح المعلقات العشر» ١١١، «الجمهرة» ٧٦، «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٢ «لسان العرب» (مادة: قرأ)، و«تفسير القرطبي» ٣/ ١١٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ١٧٠.

(٦) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٢، «التفسير الكبير» ٥/ ٨٦.

هذا قال أبو الهيثم واللّحياني، أي: ما أسقطت ولدًا قَط، وما طرَحت، وتأوِيلُه: ما حَمَلَتْ قَطّ. وأنشد قول حميد:

أَرَاهـا الـولـيـد أن الـخـلا فـتـشـذّرتْ
مرَاحًا ولـم يقـرأ[١] جنينًا ولا دمًا[٢]

قال: معناه: لم ترمِ بجنين، وسمي قرء المرأة من هذا على مذهب أهل العراق، والقرآن يلفظه القارئ من فيه ويلقيه، فسمي قرآنًا، ومعنى قرأت القرآن: لفظت به مجموعًا[٣].

قال أبو إسحاق: وهذا القول ليس بخارج من الصحة وهو حسن. قَرَأْتُه أي: جَمَعْتُه[٤].

فبيّن على هذا أنه اسمٌ منقول من اسمِ هذا الحدث، كما أن قولنا: (زيد) في اسم رجل منقول من مصدر زاد يزيد، فأما دخول لام التعريف فيه بعد النقل فكدخوله في الحارث والعباس والفضل بعد النقل.

ومذهب الخليل وسيبويه في هذه الأسماء التي يسمى بها، وفيها الألف واللام: أنها بمنزلة صفات غالبةٍ، كالنابغة والصَّعِق، وهذا فيما ينقل من الصفات، فأما الفضل فإنما[٥] دخله الألف واللام لأنه[٦] أيضًا

---

(١) في (ش): (تقرأ).

(٢) البيت لحميد بن ثور في «ديوانه» ص٢١، «لسان العرب» ٦/ ٣٥٦٥ (قرأ).

(٣) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٢، «اللسان» ٦/ ٣٥٦٥.

(٤) «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩١٢.

(٥) في (م): (فإنه).

(٦) في (م): (فإنه).

على[١] وعلى هذا دخلت اللام في قولنا: القرآن، ومن هذه الأسماء ما يكون اللام فيه تعريفًا ثانيًا، كما قالوا في اسم الشمس: إلاهة والإلاهة[٢]، ومنها ما يكون اللام فيه زائدة، نحو قوله:

يا ليت أم العمرو كانت صاحبي[٣]

قال: وقول من يقول: إنّ القرآن غير مهموز من قَرَنْتُ الشيء بالشيء سهو، وإنما هو تخفيف الهمزة ونقل حركتها إلى الساكن قبلها، فصار اللفظ به كفُعَال، من قرنت، وليس منه، ألا ترى أنك لو سميت رجلًا بقُرَان[٤] مخفف الهمزة لم تصرفه في المعرفة، كما لا تصرف عثمان، ولو أردت به فعالا من قرنت لا تصرف في المعرفة والنكرة، ذكر ذلك أبو علي في المسائل الحلبية[٥].

وقوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ أي: هاديًا، وهو حال قد سَدّ مَسَدّ المفعول الثاني لأنزل[٦]، و﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ عطف على قوله ﴿هُدًى﴾،

---

(١) بياض في نصف سطر في نسخة (أ) (م) وفي نسخة (ش) الكلام متصل كما هو مثبت والكلام غير واضح.

(٢) سقطت من (ش).

(٣) عجز البيت:

مكان من أشتى على الركائب

ولم يعرف قائل هذا الرجز، والبيت ورد في «الأغفال» ١/ ٢٦٧، «المخصص» ١/ ١٦٨، «الإنصاف» ص٢٧٢، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٤٧، «الصحاح» ٣/ ١٦٩، «اللسان» ٢/ ١٥٦٣ (ربع). وانظر ص ٤٨ من هذا المجلد.

(٤) في (ش): (بقرأت).

(٥) «المسائل الحلبية» ص٢٩٧، وينظر: «البرهان» للزركشي ١/ ٢٧٨.

(٦) ينظر: «معاني القرآن» للأخفش ١/ ١٥٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٧٨، «البحر المحيط» ٢/ ٤٠.

وتأويله: أنزل القران بيانًا للناس(١).

والبيِّنات: جَمْعُ بينة، يقال: بانَ الشيءُ يبين بيانًا فهو بين، مثل: بيِّع بمعنى بايع. والبيِّنات: الواضحات(٢).

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ يريد: من الحلال والحرام والحدود والأحكام.

وذكرنا معنى الفرقان في قوله: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ [البقرة: ٥٣] قال عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾: يريد: من الرشاد إلى مرضاة الله، ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾ يريد: فرّق فيه بين الحق والباطل، وبيّن لكم ماتأتون وما تَذَرُونُ.

وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ﴾ زعم الأخفش والمازني: أن الفاء ههنا زائدة، وذلك أن الفاء تدخل للعطف أو للجزاء أو زيادة، وليس للعطف ولا للجزاء ههنا مذهب(٣)، ومن زيادة الفاء: قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨] وقول الشاعر:

لا تجزعي إنْ مُنْفِسًا أهلكته وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي(٤)

ألا ترى أن إحدى الفاءين لا تكون إلا زائدة؛ لأن (إذا) إنما تقتضي جوابًا واحدًا.

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٤٠.

(٢) ينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٩٩.

(٣) نقله عنه في «التفسير الكبير» ٥/ ٨٧-٨٨، والعكبري في «التبيان» ص١١٧، ١١٨.

(٤) البيت للنمر بن تولب في «ديوانه» ص٧٢، وانظر: «لسان العرب» ٨/ ٤٥٠٣ (نفس).

قال أبو علي: ولا يمتنع[(١)] أن يكون دخول الفاء لمعنى الجزاء؛ لأن شهر رمضان وإن كان معرفة فليس معرفة[(٢)] بعينه[(٣)]، ألا ترى أنه شائع في جميع هذا القبيل، لايراد به واحدٌ بعينه، فلا يمتنع من أجل ذلك من معنى الجزاء، كما يمتنع ما يشار به إلى واحد مخصوص، ومن ثم لم يمتنع ذلك في صفة الموت في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ﴾ [الجمعة: ٨] لأن الموت ليس يراد به موتٌ بعينه، إنما يراد به الشِّيَاع ومعنى الجنس وخلاف الخصوص، والجزاءُ بوجبُ الشِّياع والإبهام واستغراق الجميع، ويكون التقدير فيه: الذي أنزل فيه القرآن من هذه الشهور التي سمي الواحد منها رمضان فمن شهده فليصمه[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ﴾ أي: حضر. ومعنى الشهود في اللغة: الحضور[(٥)]، ومفعول شهد محذوف؛ لأن المعنى: فمن ﴿شَهِدَ﴾ منكم البلد أو بيته، يعنى: لم يكن مُسَافِرًا[(٦)].

---

(١) في (ش): (لا يمتنع).

(٢) ليست في (أ) و(م).

(٣) في (ش): (معينة).

(٤) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٨٨، قال: وأقول: يمكن أن يقال الفاء هاهنا للجزاء، فإنه تعالى لما بين كون رمضان مختصًا بالفضيلة العظيمة التي لا يشاركه سائر الشهور فيها، فبين أن اختصاصه بتلك الفضيلة يناسب اختصاصه بهذه العبادة، ولولا ذلك لما كان لتقديم بيان تلك الفضيلة هاهنا وجه، كأنه قيل: لما علم اختصاص هذا الشهر بهذه الفضيلة فأنتم أيضا خصوه بهذه العبادة.

(٥) ينظر: «التبيان» ص١١٥، «البحر المحيط» ٢/ ٤١.

(٦) المراجع السابقة.

وقوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرَ﴾ انتصابه على الظرف، ولا يجوز أن يكون مفعولًا به؛ لأنه ما من أحدٍ غَابَ أو حضر إلّا وهو يشهد الشهر، لكن المعنى: من شهد منكم بيته في الشهر[1]، ولا بدّ أيضًا من إضمار حال الشاهد وصفته، التي بوجودها يجب الصوم، وهو أن يقال: من شهد منكم الشهر عاقلًا بالغًا مقيمًا صحيحًا[2].

قوله: ﴿فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾، قال ابن عباس وأكثر أهل التأويل: معناه: فليصم ما شَهِدَ منه؛ لأنه إن سافر في حال الشهر كان له الإفطار[3].

وذهب طائفة إلى أنه إذا شهد أول الشهر مقيمًا ثم سافر لم يحل له الإفطار. وهو قول النخعي[4] والسُدي[5] وابن سيرين[6] ومذهب

---

(١) «إعراب القرآن» للنحاس ١/ ٢٣٨، «الكشاف» ١/ ١١٤، «البحر المحيط» ١/ ٤١، قال: وقيل: انتصاب الشهر على أنه مفعول به، وهو على حذف مضاف، أي: فمن شهد منكم دخول الشهر عليه، وهو مقيم لزمه الصوم، ثم قال: وقيل: التقدير: هلال الشهر، وهذا ضعيف؛ لأنك لا تقول: شهدت الهلال، إنما تقول: شاهدت، ولأنه كان يلزم الصوم من كل من شهد الهلال وليس كذلك.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٤٨، «أحكام القرآن» للجصاص ١/ ١٨٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٩٨.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» ٣/ ١٨، والطبري ٢/ ١٤٦، والبيهقي ٤/ ٢٤٦، وذكرها الثعلبي ٢/ ٣٠٠، وابن العربي في «أحكام القرآن» ١/ ٨٢، والقرطبي ٢/ ٢٩٩، وروى الطبري في «تفسيره» عن ابن عباس ما يوافق القول الثاني ٢/ ١٤٧.

(٤) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٤٧، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٣١٢.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ١٤٦، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٣١٢.

(٦) رواه عنه عبد الرزاق في «المصنف» ٤/ ٢٦٩، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٣/ ١٨، والطبري ٢/ ١٤٦، ١٤٧، وقد ذكره من روايته عن عبيدة السلماني عن علي مرة، وعن عبيدة مرة أخرى.

جماعة[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أعاد هاهُنا تخييرَ المريض والمسافر وترخيصهما في الإفطار؛ لأن الله تعالى ذكر في الآية الأولى تخيير المقيمين بقوله: ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾، فلو اقتصر على هذا لاحتمل أن يعود النسخ إلى تخيير الجميع، فأعاد بعد النسخ ترخيصَ المسافر والمريض؛ ليعلم أنه باق على ما كان[٢].

والمرض الذي يبيح الإفطار هو كل مرض كان الأغلبُ من أمر صاحبه بالصوم الزيادةَ في علته زيادةً لا يحتمله، والأصل فيه: أنه إذا أجهده الصوم أفطر[٣].

---

(١) وممن حكي عنه هذا: علي وعائشة وابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم، وعبيدة السلماني وسعيد بن جبير وابن الحنفية وسويد بن غفلة وعلي بن الحسين و مجاهد والشعبي وأبو مجلز، وغيرهم. تنظر الروايات عنهم في: «تفسير الطبري» ٢/ ١٤٦، ١٤٧، ابن أبي حاتم ١/ ٣١٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٢٩٨، وقال ابن العربي في أحكام القرآن ١/ ٨٣: وقد سقط القول الأول -يعني: قول هؤلاء- بالإجماع من المسلمين كلهم على الثاني، وكيف يصح أن يقول ربنا: (فمن شهد منكم الشهر فليصم منه ما لم يشهد)، وقد روي أن النبي ﷺ (سافر في رمضان فصام حتى بلغ الكَديد فأفطر وأفطر المسلمون). رواه البخاري برقم (٢٩٥٣) كتاب الجهاد والسير، باب: الخروج في رمضان، ومسلم برقم (١١١٣) كتاب الصيام، باب: جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر ..، وقال جمهور الأمة: (من شهد أول الشهر وآخره فليصم ما دام مقيما، فإن سافر أفطر)، وهذا هو الصحيح، وعليه تدل الأخبار الثابتة. وينظر: «المغني» ١/ ٣٤٣-٣٤٤، «تفسير ابن كثير» ١/ ٢٣١.

(٢) ينظر: «تفسير البغوي» ١/ ١٩٩.

(٣) ينظر: «أحكام القرآن» للشافعي ص١٢١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٠٤، «أحكام =

وحدُّ السَّفَرِ الذي يبيح الإفطار[1]: ستة عشر فرسخا[2] فصاعدًا. والإفطار رخصة من الله للمسافر، فمَنْ[3] أَفْطَرَ فبرخصة الله أخذ، ومن صام ففرضه أدّى، على هذا عامة الفقهاء[4]. ومن أجهده الصوم في السفر كره له ذلك[5]، وفي مثل هذا: جاء ما روي أنه ﷺ قال: «ليس من البر الصوم في

= القرآن» لابن العربي ١/ ٧٧، «تفسير القرطبي» ٢/ ١٥٦-١٥٧، «المغني» ٤/ ٤٠٣، وذكر الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٥٠ أقوال العلماء في المرض الذي يبيح الفطر، فذكر ثلاثة أقوال: **الأول**: هو الذي لا يطيق معه صاحبه القيام لصلاته، ورواه عن الحسن وإبراهيم النخعي. **والثاني**: كل مرض كان الأغلب من أمر صاحبه بالصوم الزيادة في علته زيادة غير محتملة، ونسبه للشافعي. **الثالث**: كل مرض يسمى مرضا، ونسبه لمحمد بن سيرين، ورجح أن من أجهده الصوم جهدا غير محتمل من المرض فله الفطر. وذكر القرطبي أن الجمهور يرون أن من كان به مرض يؤلمه ويؤذيه أو يخاف تماديه أو يخاف تزيده صح له الفطر، وقد ذكر قبل ذلك أن للمريض حالتين: **إحداهما**: أن لا يطيق الصوم بحال، فعليه الفطر واجبا. **والثانية**: أن يقدر على الصوم بضرر ومشقة، فهذا يستحب له الفطر، ولا يصوم إلا جاهل. وهذا من كلام ابن العربي في «الأحكام» ١/ ٧٧.

(١) اختلف العلماء في حد السفر الذي يبيح الفطر على أقوال كثيرة. ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٢٧، «المغني» ٣/ ١٠٥-١١٠، ٤/ ٣٤٥، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٧٧، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٥٧-٢٥٨، والذي في البخاري: كان ابن عمر وابن عباس يفطران ويقصران في أربعة برد، وهي «ستة عشر فرسخا».

(٢) الفرسخ: ثلاثة أميال هاشمية، والميل: ستة آلاف ذراع، والذراع: أربعة وعشرون أصبعا معتدلة معترضة أي: أن طول الفرسخ نحو ٦ كلم. ينظر: «المجموع شرح المهذب» ٤/ ١٩٠، «القاموس» ٣٢٩، «المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري» ص٩٤.

(٣) في (أ)، (م): (ومن).

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣١١، «المغني» ٤/ ٤٠٦.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣١٨-٣٢٢، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٦٠.

السفر»[١] يريد: لمن يشق عليه ويجهده.

وذهب قومٌ من الصَّحَابة إلى أن الإفطار في السفر واجب[٢].

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾ أي: بالرخصة للمسافر والمريض[٣]. واليُسْر في اللغة: معناه: السهولة، ومنه يقال للغِنَى والسَّعَة: اليَسَار؛ لأنه يتسهل به الأمور، واليد اليُسْرى قيل: على التفاؤل باليسر، وقيل: لأنه يتسهل الأمر بمعاونتها اليمنى[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ لأنه لم يشدد ولم يضيق عليكم. وهذه الإرادة ونفي الإرادة تختص بالأحكام لأهل الإسلام[٥][٦]. قال الحسين بن الفضل: يريد الله أن يكون أمره بالصوم عليكم ميسَّرًا، ولم يرد أن يكون أمره بالصوم عليكم مُعَسَّرًا[٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ ذكرنا معنى العدة[٨]، والمدةُ من الأيام تسمى عِدَّة، قال أبو زيد: يقال انقضت عدة الرجل إذا انقضى

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٤٦) (كتاب الصوم)، باب: قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحر، ومسلم (١١١٥) (كتاب الصيام)، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر. من حديث جابر وقد روي من حديث أبي سعيد وأنس.

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥٢ حيث روى ذلك عن عمر وأبي هريرة وعروة بن الزبير، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٠٥، «المغني» ٤/ ٤٠٦، «تفسير ابن كثير» ١/ ٢٣١.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٢٧.

(٤) ينظر: «المفردات» ص٥٥٣، «اللسان» ٨/ ٤٩٥٧-٤٩٦٠ (يسر).

(٥) في (أ)، (م): لأهل (الأحكام) سلام.

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٢٨.

(٧) لم أجده.

(٨) تقدم معنى العدة في الآية السابقة.

أجله[١].

قال عطاء عن ابن عباس: ولتكملوا عدة أيام الشهر، إن كان ثلاثين قضيتم ثلاثين، وإن كان تسعًا وعشرين قضيتم تسعًا وعشرين، عددًا[٢] بعدد[٣]. وروي عنه أيضا يعني: عدة ما أفطرتم، يوما مكان يوم. رواه الكلبي عن أبي صالح عنه[٤]، فحمل ابن عباس إكمال العدة في الروايتين على قضاء رمضان[٥].

ومعنى الواو في قوله: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ﴾ على هذا التفسير: العطف على معنى الكلام لا على ظاهر اللفظ، وذلك أن في إباحته الإفطار للمريض والمسافر تسهيل، فتأويل الكلام: فعل الله ذلك ليسهل عليكم، ولتكملوا العدة إذا أقمتم وبرأتم، والعرب ربما تحمل الكلام على المعاني وتترك اللفظ، أنشد الزجاج[٦]:

بادَت وغُيِّر آيُهنّ مع البلى ... إلا رَواكدَ جمرهُن هباءُ
ومشججٌ أما سواءُ قذاله ... فبدا وغيّبَ سارَه المَعْزَاءُ[٧]

(١) ينظر: «اللسان» ٥/ ٢٨٣٤ (عدد).
(٢) روى الطبري ٢/ ١٥٦، ١٥٧، أثرين عن الضحاك وابن زيد بمعنى ما ذكر.
(٣) تقدم الحديث عن رواية عطاء ص٩٢.
(٤) تقدم الحديث عن رواية الكلبي ص٩٢.
(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥٦، ١٥٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٣٠، «تفسير أبي المظفر السمعاني» ٢/ ١٧٤.
(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٤، وينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٩٢.
(٧) البيت لشماخ بن ضرار، في ملحق «ديوانه» ص٤٢٧-٤٢٨، ولذي الرمة في ملحق «ديوانه» ص١٨٤٠-١٨٤١، «لسان العرب» ٤/ ٢١٩٧. والرواكد: الأثافي، والمَعْزاء بفتح الميم: الأرض الغليظة الصلبة. والمشج: الوتد، والقذال: أعلاه،=

فعطف المشجج على معنى: بها رواكِد ومشجج؛ لأنه لما قال: بادت إلا رواكد ومشجج علم أن المعنى بقيت رواكدُ ومشجج[١].

واحتج ابن الأنباري لهذه الطريقة بقول الشاعر:

قد سالَمَ الحياتُ منه القَدَما الأُفْعُوانَ والشُّجَاع الشَّجْعَما[٢]

رد الأفعوان والشجاع على الحيات بالنصب، وهي مرفوعة على تغليب المعنى وتحلية[٣] اللفظ؛ لأن الحيات إذا سالمت القدم فقد سالمتها القدم. قال: ويحتمل أن تكون الواو عاطفة على مضمر في الكلام يدل عليه المعنى، والتأويل: يريد الله بكم اليُسر، ولا يريد بكم العسر، ليسعدكم ولتكملوا العدة، فحذفت اللام الأولى لوضوح معناها، وبقيت الثانية منعطفة عليها؛ لأن قيام معناها في الكلام يجري مجرى إظهارها.

واختار الفراء هذا القول، وقال: معنى الآية: ولتكملوا العدة في قضاء ما أفطرتم، والواو واو استئناف، واللام من صلة فعل مضمر بعدها، والتقدير: ولتكملوا العدةَ فعلَ ذلك، أو شرع ذلك، أي: الرخصة في الإفطار. ومثله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ

= وساره: سائره. وهذا البيت من شواهد «الكتاب» لسيبويه ١/ ١٧٣-١٧٤.

(١) زيادة يقتضيها الكلام، من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٤.

(٢) اختلف في قائل هذا الرجز، فنسب في «اللسان» ٤/ ٢٢٠١ (شجع) إلى مساور بن هند، ويقال هو لأبي حيان الفقعسي، وفي «كتاب سيبويه» ١/ ١٤٥، لعبد بني عبس، ونسبه الأعلم للعجاج، وفي «شرح شواهد المغني» للسيوطي ص٣٢٩ قال: هو من أرجوزة لأبي حيان الفقعسي، وقيل: لمساور بن هند العبسي، وبه جزم البطليوسي، وقيل: للعجاج، وقال السيرافي: قائله التدمري، وقال الصغاني: قائله عبد بني عبس، انظر: «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة ص١٩٥.

(٣) في (أ): (تخلية).

ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، أي وليكون من الموقنين أريناه ذلك، وروي عن ابن عباس أيضا ما يدل على أن المراد بإكمال العدة إكمالها في الأداء لا في القضاء؛ وهو أنه قال في قوله ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ يعني: عدة أيام الشهر[١]. وتقدير الآية على هذا التفسير: يريد الله بكم اليُسر ولا يريد بكم العُسْر، ويريد لتكملوا العدة. والمفسرون على أن المراد به إكمالُ العِدّة في القضاء[٢].

وفي قوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾، قراءتان: التخفيف والتشديد[٣]، فمن خَفَّفَ فلقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[٤] [المائدة: ٣] وقد قال امرؤ القيس:

طوالُ المتون والعرانين والقنا لِطافُ الخُصور في تمام وإكمال[٥]

ومن شدَّدَ فلأن فَعَّل وأفعل يتعاقبان في أكثر الأحوال، كما ذكرنا في وصَّى وأوصى[٦].

وقال النابغة:

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ١/ ١١٣-١١٤، وينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ٩٢، واختار هذا الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٥٧.

(٢) هذا من رواية عطاء وقد تقدم الحديث عنها، ونسبه الثعلبي ٢/ ٣٢٩، البغوي ١/ ٢٠١ لعطاء.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥٧، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٣، والبغوي ١/ ٢٠١، «المحرر الوجيز» ٢/ ١١٤، ١١٥، «تفسير ابن كثير» ١/ ٢٣٢.

(٤) قرأ يعقوب وأبو بكر بن عياش عن عاصم بتشديد الميم، والباقون بالتخفيف. ينظر: «النشر» ٢/ ٢٢٦، «الحجة» ٢/ ٢٧٤.

(٥) البيت لامرئ القيس في «ديوانه» ص١٣٩.

(٦) ينظر: «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٧٤-٢٧٥.

فكمَّلَتْ مائةً فيها حمامتُها وأسرعت حسبةً في ذلك العددِ[(١)]

واللام في ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ﴾، لام كي[(٢)]، وليستْ لامَ الأمر، ولو كانت لامَ الأمرِ لجاز تسكينُها مع الواو؛ لأنه إذا دخل على لام الأمر الواو أو الفاء أوثم جاز تسكينها وتحريكها، كقوله: ﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾ [الحج: ٢٩]، قرئ بالتسكين والحركة[(٣)(٤)]. ونذكر الكلام فيه في سورة الحج إن شاء الله.

قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد لتعظموا الله على ما أرشدكم له من شرائع الدين[(٥)]. وقال أكثر العلماء[(٦)]: أراد به التكبير ليلة الفطر[(٧)].

قال ابن عباس في هذه الآية: حقٌّ على المسلمينَ إذا رَأَوا هَلالَ

---

(١) «ديوان النابغة» ص١٦.

(٢) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٢٩، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٥٠، «تفسير البغوي» ١/ ٢٠١.

(٣) سقطت من (م).

(٤) ينظر: «الحجة» لأبي علي ٢/ ٢٧٦-٢٧٧، قرأ ابن ذكوان بكسر اللام فيهما، والباقون بالإسكان، وقرأ شعبة بفتح الواو وتشديد الفاء من: وليوَفُّوا، والباقون بسكون الواو وتخفيف الفاء.

(٥) هذا من رواية عطاء، وقد تقدم الحديث عنها ص٩٢. وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٣٣٠ دون عزو لأحد.

(٦) في (م): (المفسرين العلماء).

(٧) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥٧، «تفسير القرطبي» ٢/ ٢٨٦-٢٨٧، «تفسير ابن كثير» ١/ ٢٣٢-٢٣٣.

شوالٍ أن يُكبروا[١].

١٨٦- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ الآية، قال الضحاك: سأل بعض الصحابة النبي ﷺ: أقريب ربُنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله هذه الآية[٢].

وقال الحسن سأل أصحاب النبي ﷺ[٣] فقالوا: أين ربنا؟ فأنزل الله هذه الآية[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: من أوليائي وأهل طاعتي[٥].

---

(١) رواه الطبري عنه في «تفسيره» ٢/ ١٥٧، وذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٣٣٠، وهو مروي عن زيد بن أسلم كما في المصدرين السابقين.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٣٣٣، وكذا البغوي ١/ ٢٠٥، وروى الطبري ٢/ ١٥٨، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٤، وأبو الشيخ في «العظمة» ٢/ ٥٣٥ وغيرهم: عن أبي الصلت بن حكيم عن أبيه عن جده، بمثل حديث الضحاك، وذكر في «الدر المنثور» ١/ ٣٥٢: أنه رواه البغوي في معجمه، وابن مردويه، قال أحمد شاكر: وهذا الحديث ضعيف جدا، منهار الإسناد بكل حال. حاشية «تفسير الطبري» ٢/ ١٥٨، وعزاه السيوطي في «الدر» ١/ ٣٥٢ من حديث أبي بنحوه إلى سفيان بن عيينة في «تفسيره»، وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على الزهد من طريق سفيان عن أبي.

(٣) من قوله: (أقريب . .) ساقطة من (ش).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٧٣، وعنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٥٨، وإسناده صحيح إلى الحسن، لكنه ضعيف لإرساله كما ذكر ذلك أحمد شاكر في تعليقه على الطبري. وعزاه السيوطي في «الدر» ١/ ٣٥٢ من حديث أنس بنحوه إلى ابن مردويه.

(٥) تقدم الحديث عن هذه الرواية .

وقال أهل المعاني: يريد قربَه بالعلم، كما قال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] وقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] يريد بالعلم(١).

وقوله تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ قال ابن عباس: أَتَقَبَّل عبادةَ من عَبَدَني وَوَحَّدني(٢).

---

(١) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٣٤، «الدر المصون» ٢/ ٢٨٩، وقد بين شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» ٥/ ٢٤٧، ٤٦٠ أن ما نطق به الكتاب والسنة من قرب الرب من عابديه وداعيه هو مقيد لا مطلق لجميع الخلق، وذكر رحمه الله أن قرب الله ودنوه من بعض مخلوقاته لا يستلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش، بل هو فوق العرش ويقرب من خلقه كيف يشاء، كما قال ذلك من قال من السلف، وهذا كقربه من عبده موسى لما كلمه من الشجرة، وينظر أيضا: «مجموع الفتاوى» ٦/ ١٣، و«النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى» للشيخ عبد الله المحمود ٢/ ٧٣٥- ٧٥١.

وقال الشيخ ابن عثيمين في «شرحه للعقيدة الواسطية» ٤٦٠ ما خلاصته: اعلم أن من العلماء من قسم قرب الله إلى قسمين، كالمعية، وقال: القرب الذي مقتضاه الإحاطة قرب عام، والقرب الذي مقتضاه الإجابة والإثابة قرب خاص، ومنهم من يقول: إن القرب خاص فقط، مقتض لإجابة الداعي وإثابة العابد، ولا ينقسم، مستدلين بهذه الآية، وبقوله ﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**». رواه مسلم (٤٨٢) كتاب الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، وهذا اختيار شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، وقد أورد على قولهما: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾، وهاتان عامتان في المؤمن والكافر، وأجيب بأن القرب فيهما إنما هو للملائكة، ألا ترى أنه قال بعد الأولى: إذ يتلقى المتلقيان، وهما من الملائكة، وقال في الثانية: ولكن لا تبصرون، أي: لا تبصرون الملائكة وهم حاضرون لقبض الروح.

(٢) هذه من رواية عطاء، وقد تقدم الحديث عنها .

ويصحُّ حملُ الإجابة على القبول إذا حملت الدعاء على العبادة، والدعاءُ ضُرُوبٌ ،فما كان توحيدًا وثناءً على الله، كقولك: يا الله لا إله إلا أنت، وقولك: ربنا لك الحمد يكون عبادة؛ لأنك دعوت الله ثم وحدته وأثنيت عليه، ولهذا يسمى دعاءً، ولما سمى العبادة دعاءً سمى القبول إجابةً؛ ليتجانس اللفظ، ومثله كثير في كلام العرب[١].

وقال ابن الأنباري: ﴿أُجِيبُ﴾ هاهنا معناه: أسمع؛ لأنه أَخْبَر عن قُرْبه تعالى، وظاهر القُرْب يدل على السماع لا على الإجابة، والإجابة قد تكون في بعض المواضع بمعنى السماع؛ لأنها تترتب على السماع، فسمى السماعَ إجابةً، كما تقول: دعوت من لا يجيب، أي: دعوت من لا يسمع.

قال الشاعر:

منزلة صَمَّ صداها وعَفَتْ أرسُمُها إن سُئلتْ لم تُجبِ[٢]

أراد: لم تَسْمَع، فنفى الإجابة؛ لأن نفيها يدل على نفي السمع، وكما جعلوا الإجابة بمعنى السمع جعلوا السمع بمعنى الإجابة، فيقال: سمع الله لمن حمده، يراد به: أَجَابه.

وأنشد أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي:

دعوتُ الله حتى خِفْتُ أن لا يكونَ اللهُ يَسْمَعُ ما أقولُ[٣]

---

(١) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٥ بتصرف، وذكر ضربين آخرين: أحدهما: مسألة الله العفو والرحمة. وثانيهما: هو مسألته من الدنيا. كقولك: اللهم ارزقني مالا وولدا. وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٧.

(٢) البيت بلا نسبة في «لسان العرب» ١/ ٦١٨، ٢/ ١١٥٢.

(٣) البيت لسمير بن الحارث الضبي في «تاج العروس» ١١/ ٢٢٧ (سمع)، وفي «نوادر أبي زيد» ص١٢٤.

أراد: يجيب، وإنما قام أحدهما مقام الآخر؛ لأنهما يترتبان في الوجود[١].

وقال السدي: ما من مؤمن يدعو الله إلا استجاب له، فإما أن عجل له في الدنيا، وإما ادّخر[٢] له في الآخرة، أو دفع به عنه مكروهًا[٣].

و﴿أُجِيبُ﴾ موضعه نصبٌ[٤] على الحَال، تأويله: فإني قريبٌ مجيبًا دعوةَ الداعي، فلما كان مستقبلًا رفع بما في أوله، ويجوز أن يكون مستأنفًا منقطعا مما قبله، ويجوز أن يكون محمولًا على ﴿قَرِيبٌ﴾. تأويله: فإني قريبٌ مجيب، فلما كان في لفظ الاستقبال رفع بالألف، وتأويله الرفع على النعت لقريب[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي: فليجيبوني بالطاعة وتصديق الرسل. وأجاب واستجاب بمعنى[٦].

قال كعب الغنوي[٧]:

---

(١) ينظر: «تفسير البغوي» ١/ ٢٠٦، «البحر المحيط» ١/ ٤٧.

(٢) في (ش): (أخر).

(٣) رواه الطبري عنه في «تفسيره» ٢/ ١٥٩، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣١٤.

(٤) في (ش): (نصبًا).

(٥) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٤٥، وذكر أيضًا إعرابًا آخر، وهو أن أجيب خبر بعد خبر.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥٩، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣١٥، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٣٥.

(٧) هو: كعب بن سعد بن عمرو الغنوي، من بني غنى، شاعر جاهلي حلو الديباجة يقال له: كعب الأمثال؛ لكثرة ما في شعره من الأمثال، أكثر شعره في رثاء أخ له قتل في حرب ذي قار قال عنه الأصمعي بين أصحاب المراثي: ليس في الدنيا مثله. وقد رد الزركلي وعبد العزيز الميمني قولَ الغدادي والبكري: إنه شاعر =

وداعٍ دَعَا يا[1] مَنْ يُجِيبُ إلى النَّدى
فلم يَسْتَجِبْه عندَ ذَاكَ مُجِيْبُ[2]

قال أهل المعاني: الإجابة من العبد لله تعالى: الطاعة، وإجابة كلِّ شيء على وفق السؤال، والله تعالى تَعَبَّدَنا بالطاعة، فالإجابة منّا له أن نطيعه، يقال: سأل فلان فلانًا شيئًا فلم يكن له عنده إجابة، أي: إعطاء لأن سؤاله كان استعطاءً، ويقال: أجابت السماء بالمطر، إذا أرسلت المطر، وأجابت الأرضُ بالنبات إذا أنبتت[3]، قال زهير:

وغيثٍ من الوسمي حُوٍّ تِلاعُه أجابت روابيه النِّجَاءَ هَوَاطِلُه[4].

وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي: ليكونوا على رجاء من إصابة الرشد[5] .

= إسلامي. توفي نحو ١٠ ق هـ. ينظر: «سمط اللآلي» ٧٧٢، «الأعلام» ٥/ ٢٢٧، «جمهرة أشعار العرب» ص٢٥٠.

(١) في (ش): (دعانا).

(٢) البيت في «الأصمعيات» ص٩٦، «الأمالي» لأبي علي ٢/ ١٥١ «مجاز القرآن» ١/ ٦٧ «لسان العرب» ١/ ٢٨٣ (جوب).

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٥٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٣٦، «البحر المحيط» ٢/ ٤٧.

(٤) البيت في «ديوانه» ص١٢٧. و«المخصص» لابن سيده ١٠/ ١٩٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٣٦، والوسمي: أول المطر، وحُوّ: تضرب إلى السواد من شدة خضرة نبتها، والتلاع: مسيل ما ارتفع من الأرض إلى بطن الوادي، والروابي: ما ارتفع من الأرض، وهواطله: مواطره، والهطل: مطر لين ليس بالشديد ينظر: «الديوان بشرح ثعلب» ص١٢٧.

(٥) ينظر: «البحر المحيط» ٢/ ٤٧.

وقال ابن عباس: لكي يرشدوا[1]، ويقال: رَشِدَ يَرشَدُ ورشَدَ يَرْشُدُ: إذا أصاب الرشد، وهو نقيض الغي[2].

١٨٧- قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ الآية قال المفسرون: كان في أول فرض الصيام الجماع محرَّما في ليل الصيام، والأكل والشرب بعد العشاء الآخرة، فأحل الله ﷻ ذلك كله إلى طلوع الفجر[3].

وقوله تعالى: ﴿لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ أراد: لَياليَ الصِّيام، فأوقع الواحد مَوْقِعَ الجماعة[4]، ومنه قول العباس بن مرداس[5]:

فقلنا اسلموا إنا أخوكم فقد برئت من الإِحنِ الصُّدُور

وأما[6] الرفث، قال الليث: الرفث: الجماع، وأصله: قول الفحش، وأنشد الزجاج:

عن اللَّغا ورَفَثِ التَّكَلُّمِ[7]

---

(١) هذا من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها.

(٢) ينظر: «المفردات» للراغب ص٢٠٢، وقال: وقال بعضهم: الرَّشَد أخص من الرُّشْد، فإن الرشد يقال في الأمور الدنيوية والأخروية، والرَّشَد يقال في الأمور الأخروية لا غير، والراشد والرشيد يقال فيهما جميعا.

(٣) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٥، وقد اختصر المؤلف قصة سبب النزول، وهي مطولة، ينظر: في «تفسير الطبري» ٢/ ١٦٥-١٦٧، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٦، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٤٦، وابن كثير ١/ ٢٣٥، ورواها البخاري (١٩١٥، ٤٥٠٨).

(٤) ينظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٦٧.

(٥) انظر التعليق عند تفسير [البقرة: ٦١].

(٦) في (م): (فأما).

(٧) قبله:

وَرَبِّ أسرابِ حجيج كُظَّم

وهو للعجاج، من ميميته الطويلة في «ديوانه» ص٢٩٦، وأسراب: قطع، وكُظَّم: لا تتكلم بالكلام القبيح واللغا بفتح اللام: اللغو من الكلام. «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٩.

يقال: رَفَثَ في كلامه يَرْفُثُ، وأرفث: إذا تكلم بالقبيح، هذا هو الأصل، ثم يكنى به عن الجماع(١).

قال أبو إسحاق: الرَّفَثُ: كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة(٢).

وقال عطاء فيما روى عن ابن عباس: الرفث: الجماع(٣).

قال ابن عباس: إن الله حيي كريم يكني، فما ذكر الله في القرآن من المباشرة والملامسة والإفضاء والدخول والرفث فإنما يعنى به الجماع(٤).

قال الزجاجي: قد تأملنا الألفاظ الواردة عن العرب، المستعملة في معنى الجماع، فما وجدنا فيها لفظةً وُضِعَتْ حقيقة في معنى الجماع حتى

---

(١) ينظر في الرفث: «تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٣٧، «اللسان» ٣/ ١٦٨٦، «المفردات» ص٢٠٥، وقال: الرفث: كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه، وجعل كناية عن الجماع في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾، تنبيها على جواز دعائهن إلى ذلك ومكالمتهن فيه، وعدي بإلى لتضمنه معنى الإفضاء.

(٢) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٥.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٦١ من طريق بكر بن عبد الله المزني عن ابن عباس، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣١٥ من طريق سعيد بن جبير، قال ابن أبي حاتم: وروي عن عطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وطاوس والحسن والضحاك وإبراهيم النخعي، وسالم بن عبد الله والسدي، وعمرو بن دينار وقتادة والزهري ومقاتل بن حيان وعطاء الخراساني نحو ذلك. وينظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ٢٣٥-٢٣٦، «الدر المنثور» ١/ ٣٥٨.

(٤) رواه الثوري في «تفسيره» ص٦٣، والطبري ٢/ ١٦١، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٧، وعزاه في «الدر» ١/ ٣٥٩ إلى ابن المنذر والبيهقي، وذكره الثعلبي ٢/ ٣٤٩، والبغوي ١/ ٢٠٧.

لا تستعمل في غيره، لكن الكلمة إذا كثر استعمالها في معنى ويكون موضوعها لمعنى آخر فإنها تصير حقيقةً فيما استعملت فيه كثيرًا، حتى إذا أطلق لم يعرف غير ذلك، كما تقول في المباضعة، فإن أصلها من البَضْع، وهو قَطْعُ اللحم، فإذا أطلق لم يعرف منه غير معنى الجماع، كما أن نفس قولنا: فَرْج كناية، فإذا أطلقوا الفرج لم يعرف منه غير هذا المعنى المقصود إليه.

وقالوا: بَاضَعَها كأنه باشر بُضْعَها، ولم يقولوا: فارجها، وصارت المباضعة كالحقيقة في معنى الجماع؛ لأنهم لا يستعملونها في غيره، ألا ترى أنهم يقولون: غَشِيَها وتَغَشَّاها، ووَطِئَها وتوطاها، وقربها، وبَطَنَها وتَبَطَّنَها، وكل هذه الألفاظ موضوعةٌ لغير هذا المعنى[1].

وذكر جماعة من أهل هذه الصناعة: أن صريحَ اللفظ المستعمل في المباضعة قولهم: ناك ينيكُ نَيْكا، وليس كما ذهبوا إليه؛ لأن هذه اللفظة مستعارة أيضا، وقد ذكر أبو زيد عن العرب: ناكَ النعاسُ عينَهُ، ونكح النعاس بمعنى[2]، فجعل أصل الكلمة اللزوم والمواظبة.

وأما معنى النكاح فسنذكره عند قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٢١] إن شاء الله.

قال أبو عبيدة: الرّفث إلى نسائكم: الإفضاء إلى نسائكم[3]، قال الأخفش: وإنما عدّاه بإلى لأنه كان بمعنى الإفضاء[4].

---

(١) ينظر: «البحر المحيط» ١/ ٤٨.
(٢) ينظر: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٦٥٩، «اللسان» ٨/ ٤٥٣٧.
(٣) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٦٧، «البحر المحيط» ١/ ٤٨.
(٤) لم أجده في «معاني القرآن» للأخفش.

وقوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ أصلُ اللِّباس: ما يَلْبَسُه الإنسان مما يواري جَسَدَه، ثم المرأة تسمى لباسَ الرّجل، والرجل لباس المرأة؛ لانضمام جسد كل واحد منهما إلى جسد صاحبه، حتى يصير كل واحد منهما لصاحبه كالثوب[1] الذي يلبسه، فلما كانا يتلابسان عند الجماع سمي كل واحد منهما لباسا للآخر[2]. قال الجعدي[3]:

إذا ما الضجيعُ ثنى جيدَها   تثنّتْ فكانت عليه لباسا[4]

والعرب تسمى المرأة: اللباس، والفراشْ، والإزار، وأم العيال، والرَبَضَ[5] والبيت. وقيل في قوله:

فدًى لك من أخي ثقةٍ إزاري[6]

---

(١) في (م): (كالثوب لصاحبه كالثوب).

(٢) ينظر: «تأويل مشكل القرآن» ١٤١، «تفسير الطبري» ٢/ ١٦٢، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٦، «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٢٨، ٣٢٢٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٥١، «البحر المحيط» ١/ ٤٩.

(٣) هو: قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي العامري، شاعر مفلق، صحابي من المعمرين، اشتهر في الجاهلية وسمي النابغة ؛ لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله، هجر الأوثان ونهى عن الخمر في الجاهلية، ثم وفد إلى الرسول ﷺ فأسلم، توفي سنة ٥٠ هـ. ينظر: «الإصابة» ٣/ ٥٣٧، «الأعلام» ٥/ ٢٠٧.

(٤) البيت في «ديوانه» ص٨١، «تأويل مشكل القرآن» ١٤٢ «الشعر والشعراء» ١/ ٢٩٩ «تفسير الطبري» ٢/ ١٦٢، «لسان العرب» ٧/ ٣٩٨٦. ويروى عطفها بدل جيدها. وتداعت بدل تثنت.

(٥) في (ش): (الريض).

(٦) صدر البيت:

ألا أبلغ أبا حفص رسولًا

وهو لنفيلة الأكبر الأشجعي، وكنيته أبو المنهال، وكان كتب إلى عمر بن =

أي: نسائي[١]. ومنه:

أكِـبـرٌ غَـيّـرنـي أم بـيـت[٢]

وقول[٣] الآخر:

جـاء الـشـتـاء ولـمّـا أتّـخِـذْ رَبَـضًـا[٤]

وهذا المعنى الذي ذكرناه في اللباس[٥] هاهنا موافق لما قاله المفسرون، قال الربيع: هن فراش لكم وأنتم لحاف لهن[٦].

وقال ابن زيد في قوله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ قال:

= الخطاب أبياتًا من الشعر يشير فيها إلى رجل كان واليًا على مدينتهم في قصة طويلة. والبيت في «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٥٤ «تاج العروس» ٦/ ٢١، «الإصابة» ١/ ٢٧٣، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٦، «غريب الحديث» للخطابي ٢/ ١٠١. والبيت للنابغة الجعدي، في «الشعر والشعراء» ص٢٥٥، والطبري ٣/ ٤٩٠، وينظر: «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٦.

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٥٤، «غريب الحديث» للخطابي ٢/ ١٠١، «الصحاح» للجوهري ٢/ ٥٧٨.

(٢) البيت لمجهول، ذكره في «الأمالي» لأبي علي ١/ ٢١، وفي «أساس البلاغة» ١/ ٧٢ (بيت)، وفي «لسان العرب» ١/ ٣٩٣ (بيتا).

(٣) في (ش): (وقال).

(٤) عجز البيت:

ياويح كفي من حفر القراميص

وهو في «اللسان» ٣/ ١٥٥٩، بغير نسبة.

(٥) ينظر في اللباس: «تفسير الطبري» ٢/ ١٦٢، ١٦٣، ابن أبي حاتم ١/ ٣١٦، «المفردات» ٤٥٠، «اللسان» ٧/ ٣٩٨٦ (لبس).

(٦) ذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٠٧ بهذا اللفظ، ورواه الطبري عنه ٢/ ١٦٣، ابن أبي حاتم ١/ ٣١٦ ولفظهما: هن لحاف لكم وأنتم لحاف لهن، و كذا ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٣٥٢.

للمواقعة[١]، يريد: أن كلَّ واحد منهما يستر صاحبه عند الجماع عن أبصار الناس،[٢] وهذا من خصائص الإنسان.

قال عمرو بن يحيى[٣]: ليس شيء من الحيوان يتبطن طروقته غير الإنسان والتمساح. وزاد غيره: الدُبُّ. ومعنى تبطن: أتى من جهة البطن[٤].

وقيل: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ أي: سكن لكم وأنتم سكن لهن، وهو قول ابن عباس في جميع الروايات[٥]، وقول مجاهد[٦] وقتادة[٧].

والمعنى: أنكم تلابسونهن وتخالطونهن بالمساكنة، وهن كذلك، أي: قَلَّ ما يَصْبرُ أحد الزوجين عن الآخر.

ويقال: إنما سُمِي الزوجان[٨] لباسًا؛ لسَتر كل واحد منهما صاحبه عما لا يحلّ[٩]، كما جاء في الخبر: (من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه)[١٠].

---

(١) رواه الطبري عنه في «تفسيره» ٢/ ١٦٣.

(٢) «تفسير البغوي» ١/ ٢٠٧.

(٣) في (ش): (عمرو بن بحر) أقول لعله الجاحظ فليلاحظ.

(٤) «حياة الحيوان الكبرى» للدميري ١/ ١٦٤. (ط. دار الفكر).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣١٦، وقال بعده: وروي عن مجاهد وسعيد ابن جبير وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره» عنه ٢/ ١٦٣، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٦.

(٧) رواه الطبري عنه ٢/ ١٦٣.

(٨) في (م): (سمي الزوجين).

(٩) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٦٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٢٥، «تفسير البغوي» ١/ ٢٠٧، «التفسير الكبير» ٥/ ١٠٦، «البحر المحيط» ١/ ٤٨.

(١٠) ذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ٢٠٧، دون إسناد، والحديث لفظه في كتب السنة الأخرى: «**من تزوج فقد استكمل نصف دينه، أو نصف الإيمان**» رواه الطبراني في «الأوسط» عن أنس برقم ٧٦٤٣، ورقم ٨٧٨٩، والأصفهاني في «الترغيب

وإنما وحد[١] اللباس بعد قوله: ﴿هُنَّ﴾ لأنه يجري مجرى المصدر. وفِعَال من مصادر فاعل، وتأويله: هنّ ملابسات لكم.

وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ يقال: خَانه خَوْنًا وخِيانَةً ومَخَانَةً واخْتَانَه اخْتِيانًا: إذا لم يف له، والسيف إذا نبا عن الضريبة فقد خانك، وخَانَه الدهرُ والنعيمُ: إذا تغير حاله إلى شر منها.

قال ابن قتيبة: الخيانة: أن يؤتمن الرجلُ على شيء فلا يؤدي الأمانةَ فيه، وناقض العهدِ خائن؛ لأنه آمن بالعهد فغدره، ومنه قوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ [الأنفال: ٥٨]. أي: نقضا للعهد، ويقال لعاصي المسلمين: خائن؛ لأنه مؤتمن على دينه، ومنه قوله: ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [الأنفال: ٢٧] أي: بالمعاصي[٢].

= والترهيب»، والحاكم ٢/ ١٦١، وصححه، ولفظه عنده: «**من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الثاني**». وضعفه ابن حجر في التلخيص٢٧٩، وقال ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٢/ ٦١٢ (ط. دار الكتب العلمية): هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وإنما يذكر عنه، وفيه آفات منها: يزيد الرقاشي، وهياج يعني ابن بسطام، ومالك بن سليمان. اهـ بتصرف. وينظر: «كشف الخفا» للعجلوني ٢/ ٢٣٩ برقم ٢٤٣٢، «المقاصد الحسنة» للسخاوي ص٦٣٨ برقم ١٠٩٨ (ط. دار الكتاب العربي) وحسن الألباني الحديث بمجموع طرقه كما في «السلسلة الصحيحة» ١/ ٢٠٠ برقم ٦٢٥.

(١) في (ش): (وجد).

(٢) ينظر في «خان»: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٧٤، «الكشاف» للزمخشري ١/ ١١٥، وقال: الاختيان من الخيانة، كالاكتساب من الكسب، فيه زيادة وشدة، «اللسان» ٣/ ١٢٩٤، «المفردات» للراغب ص١٦٧، قال: والاختيان: مراودة الخيانة، ولم يقل تخونوا أنفسكم؛ لأنه لم تكن منهم الخيانة، بل كان منهم الاختيان، فإن الاختيان تحرك شهوة الإنسان لتحري الخيانة. اهـ. أقول: وسبب النزول يدل على وقوعهم في الجماع المحظور.

وقوله: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: تخونونها بالمعصية، قال ابن عباس: يريد فيما ائتمنتكم عليه[١]، وخيانتهم: أنهم كانوا يباشرون ليالي الصيام[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ يريد: عمر وأصحابه، وذلك أنه واقع أهله بعد ما صلى العشاء الآخرة، فلما اغتسل أخذ يبكي، فأتى النبي ﷺ وطلب الرخصة، واعترف رجال بمثل ما صنع عمر فنزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه[٣].

وقوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ أمر إباحة[٤]، والمباشرة: المجامعة؛ لتلاصق البشرتين وانضمامهما[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أكثر المفسرين على أن المراد بهذا: الولد، أي: اطلبوا بالمباشرة ما قضى الله لكم من الولد[٦].

---

(١) هذا من رواية عطاء، وقد تقدم الحديث عنها.

(٢) ينظر أسباب النزول فيما تقدم.

(٣) تنظر الروايات في ذلك عند الطبري ٢/ ١٦٣-١٦٧، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٦، والثعلبي ٢/ ٣٤٦.

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٥٦.

(٥) «تفسير الطبري» ٢/ ١٦٨، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٧، «الثعلبي» ٢/ ٣٥٤، «البغوي» ١/ ٢٠٧، «التفسير الكبير» ٥/ ١٠٨.

(٦) ذكر الآثار في ذلك: الطبري ٢/ ١٦٩-١٧٠، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٧ عن أنس وابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن والسدي والربيع وابن زيد والضحاك بن مزاحم وشريح وعطاء وسعيد بن جبير والحكم بن عتيبة وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان. وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٥٥، «تفسير البغوي» ١/ ٢٠٧، «الدر المنثور» ١/ ٣٥٩.

وقال قتادة: يعنى الرخصةَ التي كتبتُ لكم[١]، وقال معاذ بن جبل[٢] وابن عباس في رواية أبي الجوزاء[٣]: يعني: ليلةَ القدر، وكل هذا مما تحتمله الآية.

وقال أبو إسحاق: الصحيح عندي أن ما كتب الله لنا هو[٤] القرآن، أي: اتبعوا القرآن فيما أبيح لكم فيه[٥] وأمرتم به[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ أمر إباحة حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود[٧] روي في تفسير هذا عن النبي ﷺ أنه قال لعدي بن حاتم: «**إنما ذاك بياض النهار من سواد الليل**»[٨].

وبهذا قال عامة أهل التفسير[٩]، والعرب قد تكلمت بهذا اللفظ في

---

(١) رواه عنه عبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٧١، والطبري ٢/ ١٧٠، وذكره الجصاص في «أحكام القرآن» ١/ ٢٢٧.

(٢) رواه عنه الطبري ٢/ ١٧٠، وذكره عنه الثعلبي ٢/ ٣٥٦، البغوي ١/ ٢٠٧.

(٣) رواه عنه الطبري ٢/ ١٧٠، وابن أبي حاتم ١/ ٣١٧، وذكره الثعلبي ٢/ ٣٥٦، والجصاص في «أحكام القرآن» ١/ ٢٢٧.

(٤) هو: سقطت من (م).

(٥) سقطت من (ش).

(٦) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٦ بمعناه، وقد بين الطبري ٢/ ١٧٠ أن كل الأقوال المذكورة مرادة، وهومما كتب الله، لكن أشبه المعاني بظاهر الآية من قال: إن المراد به الولد ؛ لأنه ورد عقيب قوله: جامعوهن.

(٧) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ١٠٩، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٩١.

(٨) أخرجه البخاري (١٩١٦)كتاب الصوم، باب قول الله: وكلوا واشربوا، ومسلم (١٠٩٠) كتاب الصيام، باب: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر.

(٩) ينظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٦٨، «تفسير غريب القرآن» ص٧٤، «تفسير الطبري» ٢/ ١٧٠-١٧٢، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣١٨، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٦٣، «البغوي» ١/ ٢٠٨.

الليل والنهار، قال أمية الثقفي[١]:

الخيط الأبيض لون الصبح منفلق
والخيط الأسود لون الليل مركوم[٢][٣]

وقال أبو دواد[٤]:

فَلمّا أَضَاءت لنا غُدْوَة ولاحَ من الصُّبْح خَيْطٌ أَنارا[٥]

واختلفوا لم سميا خيطين؟[٦] فقال الأكثرون: إنما[٧] يسمى خيطين عند اختلاط الضوء بالظلام والتفاف أحدهما بالآخر؛ شبها[٨] بخيطين بريمين، ومن هذا يقال: خَيّطَ الشيبُ رأسَه، إذا اختلط السواد بالبياض،

---

(١) هو: أمية بن أبي الصلت بن ربيعة بن عوف، تقدمت ترجمته.

(٢) في (ش): (مزكوم).

(٣) البيت في «ديوانه» ص٧٧، وذكره الثعلبي دون نسبة ٢/ ٣٦٤ ولفظه:
الخيط الأبيض وقت الصبح منصدع والخيط الاسود جوز الليل مركوم
وهو في «تاج العروس»، «الدر المنثور» ١/ ٣٦٠، وقد ورد في «الديوان»، «الدر المنثور» مكموم، بدل: مركوم.

(٤) جارية بن الحجاج بن حذاق، وقيل: حنظلة بن المشرقي، أبو دواد الإيادي، تقدمت ترجمته.

(٥) البيت لأبي دواد الإيادي في «ديوانه» ص٣٥٢، «الأصمعيات» ص١٩٠، «غريب الحديث» للخطابي ١/ ٢٣٣، «لسان العرب» ٣/ ١٣٠٢ خيط. ورواية الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٧٦، سُدْفَة، بدل: غدوة، والسدفة: ظلمة الليل في لغة نجد، والضوء في لغة قيس، وهي أيضًا اختلاط الضوء والظلمة جميعًا وهذا مراد الشاعر. والخيط: اللون هنا يكون ممتدًا كالخيط.

(٦) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٧٦-١٧٧، «تفسير البغوي» ١/ ٢٠٨، «التفسير الكبير» ٥/ ١٠٩-١١٠.

(٧) في (ش): (إنهما).

(٨) في (ش): (شبّها).

ذكره أبو عبيد عن الأصمعي، وأنشد:

حتى تُخَيَّطَ[١] بالبياض قروني[٢]

البيت لبدر الهذلي، وأوله:

آليت لا أنسى منيحة واحدٍ

يعنى بالمنحة: هجاء مهاجيه[٣].

وقرأت على أبي الحسين الفسوي: أخبركم حمد بن محمد، قال: أنشدنا الحسن بن خلّاد، قال: أنشدني دريد، قال: أنشدنا ابن أخي الأصمعي، عن عَمِّه، لرجل يصف ليلًا:

كأن بقايا[٤] الليل في أخرياته مُلاءٌ يبقى[٥] من طيالسة خضرِ
تخال بقاياه التي أسأر الدجى تمدُّ وشِيعًا فوق أرديةِ الفجرِ[٦]

فشبهها بالوشيع، وهو فتائل الغزل؛ لما يتراءى في خلاله من خيوط سوادٍ وبياضٍ.

وقال الزجاج: هما فجران، أحدهما: يبدو أسود معترضًا، وهو الخيط الأسود، والأبيض: الذي يطلع ساطعًا يملأ الأفق[٧]، فعندهما

(١) في (ش): (تخيط).

(٢) عجز بيت ذكر الواحدي بعده صدره، وهو من قول بدر بن عامر الهذلي في «الأغاني» ٢٤/ ١٦٦.

(٣) من قوله البيت: (لبدر... ساقط من: (ش).

(٤) في (ش): (بقانا).

(٥) في (م): (كأنها سقى).

(٦) لم أهتد إلى قائله أو من ذكره.

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٧، والفجر فجران: أحدهما: يسطع في السماء مستطيلا كذنب السرحان (الذئب) ولا ينتشر، وهو الفجر الكاذب، فذاك لا يحل=

الخيطان: هما الفجران، سميّا لامتدادهما، تشبيهًا بالخيطين.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ الفجر: مصدر قولك: فَجَرْتُ الماء أَفْجُره فَجْرًا، وفَجَّرتُه تفجيرًا، فانفجر انفجارًا، إذا سال.

قال الأزهري: أصله: الشق، ومنه: فَجْرُ السِّكْر[1]، فعلى هذا، الفجر في آخر الليل: هو شق عمود الصبح الليل، شَبَّه شقَّ الضوءِ ظُلْمَةَ الليل بفجر الماء الحوض[2].

قال سهل بن سعد[3]: لما نزل قوله: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ كان الرجل إذا أراد الصوم ربط في رجله خيطين أسود وأبيض، فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رِئْيُهُما، فأنزل الله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فعلموا أنه يعني: الليل والنهار[4]. فالأكل للصائم بالليل

= الصلاة، ولا يحرم الطعام على الصائم. والثاني: هو المستطير الذي ينتشر ويأخذ الأفق، وهو الفجر الصادق الذي يحل الصلاة ويحرم الطعام على الصائم، وهو المعني بهذه الآية. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٧٢، والبيهقي ٤/ ٢١٥، «تفسير الثعلبي» ١/ ٣٣٤.

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٧٧، «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٤٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٦٧، «المفردات» ٧٥، «اللسان» ٦/ ٣٣٥١ (فجر).

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٦٧.

(٣) هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي الساعدي، أبو العباس، له ولأبيه صحبة، توفي سنة ٨٨هـ وقيل بعدها. ينظر: «أسد الغابة» ٢/ ٤٧٢، «تقريب التهذيب» ص٢٥٧ (٢٦٥٨).

(٤) رواه البخاري (٤٥١١) كتاب التفسير، باب: قوله: وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض وكذا برقم (١٩١٧) كتاب الصوم، باب: قول الله: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾، ومسلم (١٠٩١) كتاب الصيام، باب: بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر.

منظوم في الإباحة بإباحة المباشرة المذكورة قبله بمثل معناها في التوقيت، فقد أباح ﷻ المباشرة والأكل والشرب في ليالي الصوم وإلى انفجار الصبح، وفي هذا ما يدفع قول من يقول: إن الجنب إذا أصبح قبل الاغتسال لم يكن له صوم؛ لأن المباشرة إذا كانت مباحة إلى انفجار الصبح لم يمكنه الاغتسال إلا بعد انفجار الصبح[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ﴾ جعل الليل منتهى الصوم، ولم يُدْخِل الليلَ في الصوم، كما دخل المرفق في الغسل في قوله: ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]؛ لأن الليل ليس من جنس النهار، والمرفق (من جنس اليد)[(٢)].

قال أحمد بن يحيى: سبيل الغاية الدخول والخروج، وكلا الأمرين فيهما ممكن، كما تقول: أكلتُ السمكةَ إلى رأسها، جائز أن يكون الرأس داخلًا في الأكل وخارجًا منه، وخرج الليلُ من الصوم؛ لأنه لا يشك ذو عقل أن الليل لا يُصام، ودخلت المرافق في الغسل أخذًا بالأوثق، ثم انضم إلى هذا تبيين السنة[(٣)].

---

(١) ينظر: «تفسير الرازي» ٥/ ١١٠، «أحكام القرآن» لابن العربي ١/ ٩٤-٩٥، وقال: ففي ذلك على جواز طلوع الفجر عليه وهو جنب، وذلك جائز إجماعا، وقد كان وقع فيه بين الصحابة رضوان الله عليهم كلام، ثم استقر الأمر على أنه من أصبح جنبا فإن صومه صحيح، وبهذا احتج ابن عباس عليه . ويعني -رحمه الله- بالخلاف بين الصحابة ما روي عن أبي هريرة أنه قال: من أصبح جنبا فلا صوم له، واختلف في رجوعه كما ذكره القرطبي ٢/ ٣٠٥.

(٢) ساقط من (م).

(٣) قد بينت السنة ذلك بقوله ﷺ: «إذا أقبل الليل من هاهنا، وأدبر النهار من هاهنا، وغربت الشمس فقد أفطر الصائم»، رواه البخاري (١٩٤١) كتاب الصوم، باب:=

وقال قوم: (إلى) في هذه الآية للتحديد، وفي آية الوضوء معناه مع. كقوله: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]. وقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢][١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ قال المفسرون: كان الرجلُ يخرجُ من المسجد وهو معتكف فيجامع ثم يعود، فنهوا عن ذلك ما داموا معتكفين[٢]، فالجماع يفسد الاعتكاف، وأما المباشرةُ غيرُ الجماع مما يُقْصَدُ به التلذُّذُ فهو مَكْروه، ولا يفسده، وما لا يقصد به التلذذ فلا يكره[٣].

= الصوم في السفر والإفطار، ومسلم (١١٠١) كتاب الصيام، باب: بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار.

(١) ينظر: «المغني» ٤/ ٤٣٢-٤٣٧، «المحرر الوجيز» ٢/ ١٢٩، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٠٦، «التفسير الكبير» ٥/ ١١١-١١٢، وقد نقل كلام الواحدي هذا برمته.

(٢) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٧، وروى الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٨٠، عن مجاهد والضحاك والربيع وقتادة معنى ذلك، وينظر ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣١٩، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٧٥.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٠-١٨٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٧٤، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣١١، وبين أن من جامع زوجته وهو معتكف عامدا، أنه أفسد اعتكافه بإجماع أهل العلم، واختلفوا فيما عليه إذا فعل ذلك، فأما المباشرة من غير جماع فإن قصد بها التلذذ فهي مكروهة، وإن لم يقصد لم يكره؛ لأن عائشة كانت ترجل رأس رسول الله ﷺ وهو معتكف، رواه البخاري (٢٠٢٨) كتاب الاعتكاف، باب: الحائض ترجل رأس المعتكف، ومسلم (٢٩٧) كتاب الحيض، باب: جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله، وكانت لا محالة تمس بدن رسول الله ﷺ بيدها، هذا قول عطاء والشافعي وابن المنذر، قال أبو عمر(يعني: ابن عبد البر): وأجمعوا على أن المعتكف لا يباشر ولا يقبل، واختلفوا فيما=

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أشار إلى الأحكام التي ذكرها في هذه الآية. وأما معنى الحد، فقالَ الليثُ: فَصْل ما بينَ كلِّ شَيْئين: حد، ومنتهى كل شيء حدُّه.

قال الأزهري: ومن هذا: حدود الأرضين، وحدود الحرم.

قال أهل اللغة: أصل الحد: الصرفُ والمنعُ عن[1] ومنه يقال للمحروم: محدودٌ؛ لأنه ممنوع عن الرزق، ولهذا قيل للبواب: حدَّاد؛ لأنه يمنع الناس من الدخول، قال الأعشى:

وقُمْنا ولَّما يَصِحْ ديكُنَا إلى جَوْنَةٍ عند حَدَّادها[2].

يعني: صاحبها الذي يحفظها ويمنعها[3]، والجونة: الخابية، ومنه قول النابغة:

...... فاحدُدْها عن الفَنَد[4]

= عليه إن فعل. وينظر في المسألة: «الإجماع» لابن المنذر ص٤، «الكافي» لابن عبد البر ١/ ٣٠٨، «فتح الباري» ٤/ ٢٧٢.

(١) في نسختي (أ) (م): (عن)، وكأن في الكلام باقيًا لم يذكر.

(٢) ورد البيت هكذا:

فقمنا ولما يصحْ ديكنا إلى خمرة عند حدّادها

والبيت في «ديوانه» ٦٩، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٨ «مجمل اللغة» ١/ ٢١٠، «الصحاح» ٢/ ٤٦٢ «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٠، والجونة: خابية الخمر «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٠٨.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٠.

(٤) تمام البيت:

إلا سليمان إذ قال الإله له قم في البرية فاحددها عن الفند

والبيت للنابغة الذبياني في «ديوانه» ص١٢، والقرطبي ٩/ ٢٦٠، «البحر المحيط» ٥/ ٣٤٠، «الدر المصون» ٦/ ٥٥٧، «اللسان» ٢/ ٨٠١، «تاج العروس» ٤/ ٤١١=

أي: امنعها. وحَدُّ الدار: ما يمنع غيرها أن يدخلَ فيها، وحدودُ الله: ما منع الله من مخالفتها[١].

قال الأزهري: حدود الله على ضربين.

ضرب منها: ما حُدَّ للناسِ في مطاعمهم ومشاربهم ومناكحهم وغيرها مما أحل وحرم، وأمر بالانتهاء إليها[٢]، ونهى عن تعدّيها.

والضرب الثاني: عقوبات جعلت لمن تعداها[٣] كحد السارق وحد الزاني وحد القاذف، سميت حدودًا؛ لأنها تحدُّ، أي: تمنع من ارتكاب المعاصي التي جعلت عقوباتٍ فيها، وسميت الأولى حدودًا؛ لأنها نهايات أمر الله لا تُتَعَدَّى[٤].

وعلى ما ذكر الأزهري، وهو حسن صحيح، الضرب الأول سمي حدودًا؛ لأنها ممنوعة لا تؤتى، كالأكل بعد الفجر في الصوم، والضرب الثاني: مانعٌ، والمصدر يطلق على المفعول والفاعل كثيرًا، كقولهم: نسجُ اليمن، وضربُ الأمير، وقوله ﷻ: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ [تبارك: ٣٠].

ويؤكد ما ذكرنا من المعنى في الحدود قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أي: لا تأتوها فبيّن أنها ممنوعة[٥].

= (حدد)، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٠، وروايته (المليك) بدل (الإله). والفند: الخطأ في الرأي والقول.

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٥٤٦، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٣٥٧، ٣٠٨، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٧٩، «تهذيب اللغة» ١/ ٧٥٩ (حدد).

(٢) عبارة الأزهري في «تهذيب اللغة» وأمر بالانتهاء عما نهي عنه منها.

(٣) عبارة الأزهري في «تهذيب اللغة» عقوبات جعلت لم ركب ما نهي عنه.

(٤) من «تهذيب اللغة» ١/ ٧٥٩ (حدد) بتصرف.

(٥) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٢، «التفسير الكبير» ٥/ ١١٥.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾ أي: مثل هذا البيان الذي ذكر[(١)].

١٨٨- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أي: لا يأكل[(٢)] بعضكم مالَ بعضٍ. فأضافَ الأموالَ إليهم؛ لأن المؤمنين كجسد واحدٍ في توادِّهم وتعاطفِهم وتَراحمِهم، كذا قال رسول الله ﷺ[(٣)]. ومثله قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩][(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ معنى الباطل في اللغة: الذاهب الزائل، يقال: بَطَلَ الشيء يبطل بُطْلًا وبُطولًا فهو باطل، ويجمع الباطل: بَوَاطل، وأَبَاطِيل جمع أُبْطُولَة، ويقال: بَطَل الأجيرُ يَبْطُلُ بِطَالَة، إذا تَعَطَّل واتبع اللهو، ومثله: تبطّل[(٥)].

---

(١) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٧، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٢٠، «التفسير الكبير» ٥/ ١١٦.

(٢) في (أ): (لأكل).

(٣) عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»** أخرجه البخاري في الأدب باب: رحمة الناس والبهائم (٦٠١١)، ومسلم في: البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم، وتعاضدهم (٢٥٨٦) (٦٠١١) كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، ومسلم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٣، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٣، «تفسير البغوي» ١/ ٢١٠، «التفسير الكبير» ١/ ١١٦. وقال: اعلم أنهم مثلوا قوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم﴾، بقوله: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾، وهذا مخالف لها؛ لأن أكله لمال نفسه بالباطل يصح كما يصح أكله مال غيره.

(٥) ينظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٣٥٠ بطل، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٣، «الصحاح» ٤/ ١٦٣٥، «المفردات» ص٦١، «اللسان» ١/ ٣٠٢ بطل.

قال ابن عباس: يعني: بغير طاعة الله ﷻ، واليمين الكاذبة يقتطع الرجل بها مال أخيه المسلم[1].

قال أهل المعاني: الأكلُ بالباطل على وجهين:

أحدهما: أن يكون على جهة الظلم، من نحو: الغَصْب والخيانة والسرقة، والثاني: على جهة اللهو واللعب، كالذي يُؤْخَذُ في القمار والملاهي ونحوها، كلُّ ذلك من أكل المال الباطل[2].

وقوله تعالى: ﴿وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ في محل ﴿وَتُدْلُوا۟﴾ من الإعراب قولان[3] ذكر في قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ٤٢]. وأصل الإدلاء في اللغة: إرسال الدلو وإلقاؤها في البئر، قال الله تعالى: ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ [يوسف: ١٩] ثم جعل كل إلقاء قول أو فعل إدلاءً، ومنه يقال للمحتج: أدلى بحجته، كأنه يرسلها ليصل إلى مراده إدلاءَ المستقى الدلوَ ليصل إلى مطلوبه من الماء، ويقال: فلان يُدلي إلى الميت بقرابة ورَحِم، إذا كان يَمُتّ إليه من هذا؛ لأنه يطلب الميراث بتلك القرابة طلب

(١) هذا من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في قسم الدراسة.

(٢) ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٣١٧، «زاد المسير» ١/ ١٩٤، ونقل عن القاضي يعلى أن الباطل على وجهين: أحدهما: أن يأخذه بغير طيب نفس من مالكه كالسرقة. والثاني: أن يأخذه بطيب نفسه كالقمار والغناء وثمن الخمر.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٤، «معاني القرآن» للفراء ١/ ١١٥، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣١٩، «التبيان» للعكبري ١/ ١٢٠، وذكر الوجهين، وهما: الجزم عطفًا على لا تأكلوا، والنصب على معنى الجمع أي: لا تجمعوا بين أن تأكلوا وتدلوا، وقيل: نصب بإضمار أن الخفيفة، وقال الأخفش: نصب على الجواب بالواو. ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٦، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٥٣.

المستقي الماء بالدلو[١].

ومعنى قوله: ﴿وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ أي: تلقون أمورَ تلك الأموال بينكم وبين أربابها إلى الحكام.

قال ابن عباس: نزلت في الرجل يكون عليه مال، وليس عليه فيه بينة، فيجحد المال، ويخاصم فيه إلى الحكام، وهو يعرف أن الحقَّ عليه، ويعلم أنه آثمٌ آكلُ حرامٍ[٢].

وقال الحسن: هو أن يكون على الرجل لصاحبه حَقٌّ، فإذا طالبه به دعاه إلى الحاكم فيحلف له، ويذهب بحقه[٣]. وعلى هذا المعنى تفسير لفظ الآية ما ذكره الزجاج، وهو أنه قال: معنى أدلى فلان بحجته: إذا أرسلها، وأتى بها على صحة. قال: فمعنى قوله: ﴿وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ أي: تعملون على ما يوجبه ظاهر الحكم والإدلاء بالحجة، وتتركون ما قد علمتم[٤]، وقد قال ﷺ: «**إنما أنا بشر، ولعل بعضَكم أن يكون أَلْحَنَ بِحُجَّتِه من بعض**» الحديث[٥].

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٤، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٨، «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢١٤ (دلو)، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٤، «المفردات» ص١٧٨، «التفسير الكبير» ٥/ ١١٨.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» عنه ٢/ ١٨٣، وابن أبي حاتم ١/ ٣٢١، وعزاه السيوطي في «الدر» ١/ ٣٦٦ إلى ابن المنذر.

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٣٨٧، وذكر ابن أبي حاتم ١/ ٣٢١، عن الحسن أنه قال: لا تخاصم وأنت تعلم أنك ظالم.

(٤) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٥٨.

(٥) أخرجه البخاري (٧١٦٩) كتاب الشهادات، باب: موعظة الإمام للخصوم، ومسلم (١٧١٣) كتاب الأقضية، باب: الحكم بالظاهر واللحن بالحجة.

والمختار في هذه الآية ما ذكره الفراء، وهو أنه قال: المعنى: لا تصانعوا بأموالكم الحكام؛ ليقتطعوا لكم حقًّا لغيركم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم[(١)].

قال الأزهري: وهذا عندي أصح القولين؛ لأن الهاء في قوله ﴿بِهَآ﴾ للأموال، وهي على قول الزجاج للحجة، ولا ذكر لها في الكلام[(٢)].

واختار ابن قتيبة أيضًا قول الفراء، فقال: يقول: لا تُدْلِ بمالِ أخيك إلى الحاكم ليَحكمَ لك به وأنت تعلم أنك ظالم له[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا﴾ أي: طائفة[(٤)]. ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾ قال ابن عباس: يريد باليمين الكاذبة[(٥)].

وقال غيرُه: بالباطل[(٦)]، يعني: بأن يرشو الحاكم ليقضي له ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مبطلون وأنه لا يحلُّ لَكم[(٧)].

١٨٩- قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ الآية.قال المفسرون: سأل معاذ بن جبل رسول الله ﷺ عن زيادة القمر ونقصانه؟ فأنزل الله هذه الآية[(٨)].

---

(١) نقله عنه الأزهري في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢١٤ (دلو).

(٢) «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢١٤ (دلو).

(٣) «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ص٧٥.

(٤) «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٢٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٦، «البحر المحيط» ٢/ ٥٧.

(٥) هذا من رواية عطاء التي تقدم الحديث عنها في المقدمة.

(٦) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٦.

(٧) «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٢٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٨٦، «البحر المحيط» ٢/ ٥٢.

(٨) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» ١/ ٤٩٣، وعزاه السيوطي في «لباب النقول» =

والأهلة: جمع هِلال، وهو غُرّة القمر حين يراها[١] الناس، يقال لها[٢]: هلال ليلتين، ثم يكون قمرًا بعد ذلك.

وقال أبو الهيثم: يسمى القمر لليلتين من أول الشهر وليلتين[٣] من آخر الشهر: هلالًا، ويسمى ما بين ذلك: قمرًا، وسمي الهلال هلالًا: لأنه حين يرى يُهلّ الناس بذكر الله وبذكره[٤].

ويقال: أُهِلّ الهلال، واستُهِلّ، وأهللنا الهلال، واستَهْلَلْناه[٥]، إذا بُني الفعل للهلال ضُمّ، وإذا بُنِيَ للرائين فُتِح. هذا قول عامة أهل اللغة، وقال شمِر: يقال: استَهَلَّ الهلال أيضًا وشهر مُستَهِلٌّ، وأنشد:

= ص٣٥ أيضًا إلى ابن عساكر في «تاريخ دمشق»، من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به، وذكره أبو الليث في «بحر العلوم» ١/ ١٨٨، والثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٣٩٠، وضعف إسناده السيوطي كما في «الدر» ١/ ٣٦٧، ووهاه المناوي في «الفتح السماوي» ١/ ٢٣٢، وذكره مقاتل في «تفسيره» ١/ ١٦٦ والواحدي في «أسباب النزول» ص٥٦ عن الكلبي، وكذا ذكره الحيري في «الكفاية» ١/ ١٣٢، قال الحافظ في «العجاب»: وقد توارد من لا يد لهم في صناعة الحديث على الجزم بأن هذا كان سبب النزول مع وهاء السند فيه، ولا شعور عندهم بذلك، بل كاد يكون مقطوعا به لكثرة من ينقله من المفسرين وغيرهم. اهـ. وقد روى الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٨٥، عن قتادة والربيع وابن جريج وكذا ابن أبي حاتم ١/ ٣٢٢ عن أبي العالية، قالوا: إن أناسا سألوا رسول الله ﷺ لم خلقت الأهلة؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية

(١) في (م): (تراها).

(٢) في (م) و(أ): (له).

(٣) من قوله: (ثم يكون قمرًا بعد ذلك). ساقط من (أ)، (م).

(٤) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٩٢.

(٥) في (م): (استهللنا).

وشهرٌ مُستهلٌّ بعد شَهْر وحَوْلٌ بعدَه[1] حولٌ جديد[2][3]

قال ابو إسحاق: فِعَالٌ يجمع في أقل العدد على أَفْعِلَة، نحو: مِثَال وأَمْثِلَة، وحِمَارٌ وأَحْمِرَة، وفي أكثر العدد يجمع على فُعُل، نحو: مُثُل وحُمُر، إلَّا أنهم كَرِهوا في التضعيف فُعُلا، نحو هُلُل وحُلُل[4]، واقتصروا على جمع أدنى العدد، كما اقتصروا في ذوات الياء والواو على ذلك، نحو: أَكْسِيَة وأَرْدِيَة، للقليلِ والكثير[5].

أخبرَ اللهُ سبحانه أن الحكمةَ في زيادة القمر ونقصانه زوال الالتباس عن أوقات الناس في حَجِّهم[6]، وحَلِّ ديونهم، وعِدَدِ نسائهم، وأجور أُجَرَائِهم، ومُدَدِ حواملهم، ووقت صومهم وإفطارهم، فقال: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[7]

والمواقيت: جمع الميقات، والميقات: الوقت، كالميعاد بمعنى الوعد. وقال بعضهم: الميقات: منتهى الوقت، قال الله تعالى ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ [الأعراف:١٤٢] والهلال: ميقات الشهر، ومواضع الإحرام:

---

(١) في (م): (بعد).

(٢) البيت بلا نسبة في «لسان العرب» ٨/ ٤٦٩٠ (هلل). ورواية «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٧٨٤ (هلل: ويومٌ بعده يومٌ قريب).

(٣) ينظر في هلال: «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٧٨٤-٣٧٨٨، «المفردات» ص٥٢٢، «اللسان» ٨/ ٤٦٩٠ (هلل).

(٤) في «معاني القرآن» للزجاج: نحو هلل وخلل، فقالوا: أهلة وأخلة.

(٥) من «معاني القرآن» ١/ ٢٦٢.

(٦) في (ش): (حجتهم).

(٧) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٩٢، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٥، «البحر المحيط» ٢/ ٦١.

مواقيت للحج؛ لأنها مقادير يُنْتَهَى[١] إليها[٢]. ولا يصرف مواقيت؛ لأنها غاية للجموع، فصار كأن الجمع تكرر فيها. فإن قيل: لم صرفت ﴿قَوَارِيرَا﴾ [الإنسان: ١٥]؟ قيل: لأنها فاصلة وقعت في رأس آية، فنُوِّن ليجري على طريقة الآيات كما ينون القوافي في مثل:

أقلي اللومَ عاذلَ والعتابا[٣]

فالألفُ بدلٌ من التنوين، وليس هو تنوين الصرف الذي يدل على تَمَكُّن الاسم، وإنما هو للفاصلة[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ قال عامة أهل التفسير: كان أهلُ الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم نَقَبَ في بيته نَقْبًا من مُؤَخَّرِه يخرج منه ويدخل، إلا قريشًا ومن دانوا بدينهم، فبينما رسول الله ﷺ وهو[٥] محرم، ورجل محرم فرآه دخل من باب حائط، فاتبعه ذلك الرجل، فقال له: تنح عنى، قال: ولم؟ قال: دخلت من الباب وأنت محرم! فوقف ذلك الرجل فقال: إني رضيت بسنتك وهديك، وقد

---

(١) في (ش): (تنتهى).

(٢) ينظر في المواقيت: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٩٢، «المفردات» ٥٤٤، «البحر المحيط» ٢/ ٥٩، «اللسان» ٨/ ٤٦٩٠ «هلل».

(٣) عجز البيت:

وقولي إن أصبت لقد أصابا

مطلع قصيدة لجرير يهجو فيها عبيدا الراعي والفرزدق في «ديوانه» ص٨١٣، «أوضح المسالك» ١/ ١٤. وقوله: عاذل: هو مرخم عاذلة، وهو اسم فاعل مؤنث من العذل، وهو اللوم والتوبيخ.

(٤) ينظر: «البحر المحيط» ٨/ ٣٩٧، «أوضح المسالك» ١/ ١٤.

(٥) ساقطة من (ش).

رأيتك دخلت فدخلت على إثرك، فقال النبي ﷺ: «إني أحمس»[١]، يعني: قرشي، وكانت قريش لا تفعل ذلك، قال الرجل: فإن كنت أحمس فإني أحمس[٢] ديننا واحد، فأنزل الله هذه الآية[٣]، وأعلمهم أن تشديدهم في الإحرام ليس ببر، ولكن البِرَّ بِرُّ من اتقى مخالفةَ اللهِ، وأمرهم بتركِ سُنَّةِ

---

(١) الأحمس: هو المتشدد في دينه، والحُمْس: قريش وخزاعة، وكل من ولدت قريش من العرب، وكل من نزل مكة من قبائل العرب، فكانت الحمس قد شددوا في دينهم على أنفسهم، فكانوا إذا نسكوا لم يسلأوا سمنا، ولم يطبخوا أقطا، ولم يدخروا لبنا، ولم يحولوا بين مرضعة ورضاعها حتى يعافه، ولم يحركوا شعرا ولا ظفرا، ولا يبتنون في حجهم شعرا ولا وبرا ولا صوفا ولا قطنا، ولا يأكلون لحما، ولا يلبسون إلا جديدا، ولا يطوفون بالبيت إلا في حذائهم وثيابهم، ولا يمشون المسجد بأقدامهم تعظيما لبقعته، ولا يدخلون البيوت من أبوابها، ولا يخرجون إلى عرفات يقولون نحن أهل الله ويلزمون مزدلفة حتى يقضوا نسكهم. ينظر: «المحبر» ص١٧٨-١٨٠، «سيرة ابن هشام» ١/ ٢١١-٢١٦، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٢، وهذا من تعليق محمود شاكر على «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٧، وقيل: سموا حمسا بالكعبة؛ لأنها حمساء، حجرها أبيض يضرب إلى السواد، والأول أشهر وأصح. «فتح الباري» ٣/ ٦٠٣.

(٢) سقطت من (ش).

(٣) أورده بهذا اللفظ الثعلبي ٢/ ٣٩٤، وكذا ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ص٥٦، دون سند، وقد جمعه من آثار متفرقة كما ذكر الحافظ في «العجاب» ١/ ٤٥٨، وقد روي نحو هذا عن جابر، رواه ابن أبي حاتم ١/ ٣٢٣، والحاكم ١/ ٦٥٧، وصححه وعزاه الحافظ في «الفتح» ٣/ ٦٢١ إلى ابن خزيمة وعبد بن حميد وأبي الشيخ وبقي، وقال في «العجاب» ١/ ٤٥٦: هو على شرط مسلم ولكن اختلف في إرساله ووصله، وروى الطبري ٢/ ١٨٨، وابن أبي حاتم ١/ ٣٢٣ من طريق العوفي عن ابن عباس بنحوه، كما رواه الطبري ٣/ ٥٥٦ عن قيس بن حبتر، وأصل السبب رواه البخاري (١٨٠٣) كتاب العمرة، باب: قول الله تعالى: ﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾، ومسلم (٣٠٢٦) كتاب التفسير من حديث البراء بن عازب.

الجاهلية فقال: وأتوا البيوت من أبوابها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ كقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقد مرَّ.

وذهب أبو عبيدة في تفسير هذه الآية إلى غير ما ذكرنا، وهو أنه قال: معناه: ليس البرُّ بأن تطلبوا الخير من غير أهله، وتلتمسوا الأمر من غير بابه، ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾. أي: اطلبوا الخير من وجهه والأمر من بابه[١]، والقول ما عليه العامة.

واختلف القراء في ﴿ٱلْبُيُوتَ﴾ وأخواته، كالجيوب والغيوب، فقرؤوا بضم أولها وكسره[٢]، فمن ضم فهو الأصل، لأن فَعْلًا يجمع على فُعُول بضم الفاء، ومن كسر فلأجل موافقة الياء، فإن الكسرة أشد موافقة للياء من الضمة، ولا يستقبح ذلك، وإن لم يكن في كلامهم فِعُل؛ لأن الحركة إذا كانت للتقريب من الحرف لم تُكره، ولم تكن بمنزلة مالا تقريب فيه، ألا ترى أنه لم يجئ في الكلام عند سيبويه على فِعِل إلا إِبِل، وقد أكثروا من هذا البناء، واستعملوه على اطراد، إذا كان القصد فيه تقريب الحركة من

---

(١) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٦٨، ولفظه: اطلبوا البر من أهله ووجهه، ولا تطلبوه عند الجهلة المشركين.

(٢) قال في «النشر» ٢/ ٢٢٦: واختلفوا في الضم والكسر من (بيوت، والغيوب، وعيون، وشيوخا، وجيوب) فقرأ بضم الباء من(البيوت وبيوت) حيث وقع: أبو جعفر والبصريان (أبو عمرو ويعقوب) وورش وحفص، وقرأ بكسر الغين من (الغيوب) وذلك حيث وقع: حمزة وأبو بكر، وقرأ بكسر العين من (العيون وعيون)، والشين من(شيوخا) وهو في غافر، والجيم من (جيوبهن)، وهو في سورة النور: ابن كثير وحمزة والكسائي وابن ذكوان وأبو بكر، إلا أنه اختلف عنه في الجيم من جيوبهن.

الحرف، وذلك قولهم ماضغٌ لِهِمٌ، ورجل ضِحِكٌ[١]، وقالوا في الفعل: شِهِدَ ولِعِب، وقد استعملوا في إرادة التقريب ما ليس في كلامهم[٢] على بنائه ألبتة، وذلك نحو شِعِير ورِغيف وشِهِيد، وليس في الكلام شيء على فِعِيل على غير هذا الوجه، فكذلك في ﴿ٱلْبُيُوتَ﴾ يستجاز فيه ما ذكرنا للتقريب والتوفيق بين الحرفين. ومما يدل على جواز ذلك: أنه إذا كانت عين الحرف ياءً جوزوا كسر الفاء في التحقير، فقالوا: عِيَيْنَةٌ وبِيَيْتٌ، بكسر الفاء، للتقريب من الياء، وإن لم يكُن في أبنية التحقير على هذا الوزن. ويدلّ على صحة هذا: أنه قد جاء في الجموع ما لزمته الكسرة في الفاء، وذلك قولهم في جمع قوس: قِسي، فلولا أن الكسر قد تَمَكَّن في هذا الباب للتقريب من الياء ما كان الحرف يجيء على الكسر خاصة حتى لا يستعمل فيه غيره[٣].

١٩٠- قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: في دين الله وطاعته[٤]، قال الربيع[٥] وابن زيد[٦]: هذه أول آية نزلت في القتال، فلما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله، ويكفُّ عمن كف عنه، حتى

---

(١) هكذا بالأصل، وفي الحجة: مِحِك.

(٢) في (م): (الكلام).

(٣) من «الحجة» ٢/ ٢٨٢-٢٨٣ باختصار وتصرف.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٨٩، «الثعلبي» ٢/ ٣٩٨، «البغوي» ١/ ٢١٢.

(٥) رواه عنه الطبري ٢/ ١٨٩، وذكره الثعلبي ٢/ ٣٩٨، والجصاص في «أحكام القرآن» ١/ ٢٥٧.

(٦) رواه عنه الطبري ٢/ ١٨٩، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١/ ٥١٦، والثعلبي ٢/ ٣٩٨.

نزلت: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥] فنُسخت هذه الآية، وأُمِرَ بالقتال مع المشركين كافة.

ومعنى قوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: لا تبدؤوهم ولا تعجلوهم بالقتال قبل تقديم الدعوة[١].

وقال ابن عباس[٢] ومجاهد[٣]: الآية محكمة، أُمر رسول الله ﷺ فيها[٤] بالقتال، ولم ينسخ شيء من حكم هذه الآية.

قالا[٥]: ومعنى قوله: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ أي: لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير ولا من ألقى إليكم السَّلَم وكف يده، فإن فعلتم ذلك فقد اعتديتم[٦].

وقال في رواية الكلبي: نزلت هذه الآيات في صلح الحديبية[٧]، وذلك

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٩٩.

(٢) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٩٠، وابن أبي حاتم ١/ ٣٢٥، وذكره النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١/ ٥١٦، والثعلبي ٢/ ٣٩٩.

(٣) رواه الطبري ٢/ ١٩٠، وابن أبي حاتم ١/ ٣٢٥.

(٤) ساقطة من (ش).

(٥) في (م): (قال).

(٦) روى الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٩٠ هذا القول أيضا عن عمر بن عبد العزيز ثم قال: وأولى هذين القولين بالصواب: القول الذي قاله عمر بن عبد العزيز ؛ لأن دعوى المدعي نسخ آية يحتمل أن تكون غير منسوخة، بغير دلالة على صحة دعواه: تحكمٌ، والتحكم لا يعجز عنه أحد.

(٧) الحديبية: بالتخفيف والتشديد، قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله ﷺ تحتها، وهي على تسعة أميال من مكة، ويقال لها الآن: الشميسي، وصلح الحديبية كان في سنة ست من الهجرة حين منع المشركون رسول الله ﷺ ومعه أصحابه وكانو ١٤٠٠ وقيل: ١٥٠٠، ثم تصالحوا=

أن رسول الله ﷺ لما انصرف من الحديبية إلى المدينة حين صَدَّه المشركون عن البيت صالحهم على أن يرجع عامه القابل، ويُخْلُوا له مكة ثلاثة أيام، فلما كان العام المقبل تجهز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء[(١)]، خافوا أن لا تفي لهم قريش، وأن يصدوهم عن البيت، ويقاتلوهم، وكره أصحاب رسول الله ﷺ قتالهم في الشهر الحرام، في الحرم، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ محرمين ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ يعني: قريشا[(٢)].

= الصلح المعروف، ولم يقع فيه قتال، وفيه أنزل الله: ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾، ينظر: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٣٦٥-٣٧٣، «طبقات ابن سعد» ٢/ ٩٥-١٠٥، «تاريخ الطبري» ٣/ ٧١، «زاد المعاد» ٣/ ٣٨٦.

(١) عمرة القضاء أو القضية كانت في ذي القعدة سنة سبع، وسميت بذلك قيل: لكونها قضاء للعمرة التي صدوا عنها، وقيل من المقاضاة ؛ لأن رسول الله ﷺ قاضى عليها المشركين. ينظر: «سيرة ابن هشام» ٣/ ٤٢٤، «زاد المعاد» ٣/ ٣٧٠.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٤٠٦، والحيري في «الكفاية» ١/ ١٣٤، والواحدي في «أسباب النزول» ص٥٧-٥٨، والبغوي ١/ ٢١٣، وذكره ابن حجر في «العجاب» ١/ ٤٦٥، ثم قال: الكلبي ضعيف لو انفرد، فكيف لو خالف، وقد خالفه الربيع بن أنس، وهو أولى بالقبول منه، فقال: إن هذه الآية أول آية في الإذن للمسلمين في قتال المشركين، وسياق الآيات يشهد لصحة قوله، فإن قوله تعالى عقيبهما: ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه، منسوخ بقوله تعالى: فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم، عند الأكثر، فوضح أنها سابقة، لكن سيأتي في سورة الحج عن أبي بكر الصديق: أول آية نزلت في الإذن في القتال: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾، قلت: ويمكن الجمع، ولفظ الربيع قال: هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة، فكان رسول اله ﷺ يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه، حتى نزلت براءة. اهـ. ولم يرتض ابن كثير ١/ ٢٤٢ هذا فقال: وفي هذا نظر ؛ لأن قوله: الذين يقاتلونكم إنما هو تهييج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله، أي كما يقاتلونكم فاقتلوهم أنتم.

﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟﴾ ولا تظلموا، فتبدؤوا في الحرم بالقتال[(١)].

١٩١- ثم قال: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ قال الليث: ثَقِفْنا فلانًا في موضع كذا، أي: أخذناه، ومصدره: الثَّقْف، وقال الفراء في المصادر: ثَقِفَ يَثْقَفُ ثَقْفًا، وربما ثُقِّل، فقيل: ثَقَفًا[(٢)(٣)].

قال المفسرون: أي: حيث وجدتموهم[(٤)].

وقال الزجاج: معنى الآية: لا تمتنعوا من قتلهم في الحرم وغيره[(٥)]، أينما وجدتموهم وصادفتموهم وظفرتم بهم[(٦)]

وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ يعني: مكة[(٧)] ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ يعني: وشركهم بالله ﷻ أعظم من قتلكم إياهم في الحرم والحُرُم والإحرام[(٨)].

---

(١) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٣٩٩.

(٢) ضبطت في (ش): (ثقفًا).

(٣) ينظر في ثقف: «تفسير الطبري» ٢/ ١٩١، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٣، «اللسان» ١/ ٤٩٢-٤٩٣، «المفردات» ص٨٥، وقال: الثَّقف: الحذق في إدراك الشيء، ويقال: ثقفت كذا إذا أدركته ببصرك لحذق في النظر، ثم يتجوز به فيستعمل في الإدراك وإن لم تكن معه ثقافة.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٩١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٠٧.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٢.

(٦) في (أ): (به).

(٧) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٩١، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٠٨، «تفسير البغوي» ١/ ٢١٣.

(٨) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٠٨، وعبارته في بعض النسخ: في الحرم والحرام والإحرام، «تفسير الطبري» ٢/ ١٩١، ١٩٢، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٤، «تفسير البغوي» ١/ ٢١٤، وقوله: والحُرم: يعني: الأشهر الحرم، والقول الثاني في=

وذكرنا معاني الفتنة عند قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال بعض أصحاب المعاني: سُمِّيَ الكفرُ فتنةً: لأن الكفر إظهار الفساد عند الاختبار، وأصل الفتنة: الاختبار(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ قال مقاتل: نَسَخَ هذا قولَه: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ ثم(٢) نسخ هذا قولُه: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] فهذه الآية ناسخة ومنسوخة، وعنده يجوز الابتداء بالقتال في الحَرَم(٣).

= الآية: ارتداد المؤمن إلى الأوثان أشد عليهم من أن يقتل محقًا، وهذا قول مجاهد. ينظر: «زاد المسير» ١/ ١٩١-١٩٩، وقال الكسائي: الفتنة هاهنا: العذاب، وكانوا يعذبون من أسلم كما في «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٠٨.

(١) ينظر: «زاد المسير» ١/ ١٩٨، «التفسير الكبير» ٥/ ١٣٠.

(٢) ليست في (أ)، (م).

(٣) ذكره عن مقاتل بن حيان: الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٤١٠، وبنحوه رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٢٦، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ص٢٢٨، وفي «زاد المسير» ١/ ١٩٩-٢٠٠، واختاره الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٩٣، والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١/ ٥٢١، ومكي في «الإيضاح» ١٥٧، ونسبه ابن عطية في «تفسيره» ٢/ ١٣٩ للجمهور، وقد ناقش الرازي في «تفسيره» ٥/ ١٢٩-١٣٠ قول مقاتل، ثم ضعفه فقال: وأما قوله: إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، فهذا من باب التخصيص لا من باب النسخ، وأما قوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، منسوخة بقوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، فهو خطأ أيضا؛ لأنه لا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم، وهذا الحكم ما نسخ بل هو باق، مثبت أن قوله ضعيف، ولأنه يبعد من الحكيم أن يجمع بين آيات متوالية تكون كل واحدة ناسخة للأخرى. اهـ. وممن رجح القول بعدم النسخ: ابن العربي في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٥٨، وابن الجوزي. اهـ. في نواسخ القرآن ٢٢٨، بعدم النسخ: ابن العربي في «الناسخ والمنسوخ» ٢/ ٥٨، وابن الجوزي في «نواسخ القرآن» ٢٢٨، =

وقال آخرون: إنهم نُهُوا عن ابتدائهم بقتل أو قتال، حتى يبتدئ المشركون بذلك، وهذه الآية محكمة. ولا يجوز الابتداء بالقتال في الحرم، وعلى هذا أكثر المفسرين، وغلّطوا مقاتلًا فيما قال[١].

وقرأ حمزةُ والكِسائي (ولا تقتلوهم) (حتى يقتلوكم) (فإن قتلوكم) هذه الثلاثة بغير ألف[٢]، وجاز ذلك، وإن وقع القتل ببعض دون بعض؛ لأن العرب تقول: قتلنا بني تميم، وإنما قتلوا بعضهم[٣].

١٩٣- وقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك[٤]، يعني: قاتلوهم حتى يُسْلموا، فليس يُقْبَلُ من المشرك الوثني جِزْيةٌ، ولا يُرضى منه إلا بالإسلام[٥]، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾، أي: الطاعة والعبادة ﴿لِلَّهِ﴾

= والقرطبي ٢/ ٣٣٠، وابن كثير ١/ ٢٤٢ قال النحاس في «الناسخ والمنسوخ» ١/ ٥١٩: هذه الآية من أصعب ما في الناسخ والمنسوخ.

(١) ينظر: «التفسير الكبير» ٥/ ١٣٠، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٣٠، ونسبه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٩٢ إلى مجاهد، وقال القرطبي: وبه قال طاوس، وهو الذي يقتضيه نص الآية، وهو الصحيح من القولين، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه، ثم استدل بحديث ابن عباس، وفيه: وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وقد ذكر -رحمه الله- أدلة الفريقين.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف بحذف الألف في الثلاثة، والباقون بإثباتها. «النشر» ٢/ ٢٢٦-٢٢٧.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٤، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٠٩.

(٤) ينظر: «تأويل مشكل القرآن» ٣٧٤، «تفسير الطبري» ٢/ ١٩٤، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٢٧ حيث ذكر الآثار في ذلك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي والربيع وابن زيد. وينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١١.

(٥) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١١، وقد ذكر عن المفضل بن سلمة الحكمةَ في أخذ الجزية=

وحده، ولا يُعبد دونه شيء[١].

﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ أي: عن الكفر[٢] ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين الواضعين العبادة في غير موضعها[٣]، والذي عليهم إنما سماه عدوانًا على معنى الجزاء والقصاص؛ لأن ما يكون منهم عُدوان فسمي الذي عليهم عدوانًا، كقوله: ﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] وذلك أنه في صورة العدوان من حيث إنه قَتلٌ ونهبٌ واسترقاقٌ[٤].

١٩٤- قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ قال المفسرون: إن النبي ﷺ صُدّ عام الحديبية سنة ستٍ، ثم عاد في سنة سبع، ودخل مكة وقضى العُمرة في ذي القَعدة، فأنزل الله هذه الآية، يريد: ذو القعدة، الذي دخلتم فيه مكةَ، واعتمرتم ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾: ذي القعدة، الذي صددتم فيه عن البيت، يعني: أن هذا جزاء ذاك وبدله. وتأويله: العمرة في الشهر

= من أهل «الكتاب» دون غيرهم، قال القرطبي في «تفسيره» ٢/ ٣٥٣: وقاتلوهم، أمر بالقتال لكل مشرك في كل موضع، على من رآها ناسخة، ومن رآها غير ناسخة قال: المعنى: قاتلوا هؤلاء الذين قال الله فيهم: فإن قاتلوكم، والأول أظهر، وهو أمر بقتال مطلق لا بشرط أن يبدأ الكفار، وقد بين في «زاد المسير» ١/ ٢٠٠ بأن القول بالنسخ إنما يستقيم إذا قلنا إن معنى الكلام: فإن انتهوا عن قتالكم مع إقامتهم على دينهم، وأما إذا قلنا: إن معناه: فإن انتهوا عن دينهم، فالآية محكمة.

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٩٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٢.

(٢) في «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٣: فإن انتهوا عن القتال والكفر.

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٣، «تفسير البغوي» ١/ ٢١٤، أو من بدأ بقتال على التأويل الثاني. ينظر: «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٥٤.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٩٥، ١٩٦، «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٣، «تفسير القرطبي» ٢/ ٣٣٢.

الحرام من سنة سبع بدلٌ من الصدّ في الشهر الحرام سنة ستٍ[١].

والحرمات: جمع حُرْمَة، والحُرْمَة: ما مُنِع من انتهاكه[٢].

والقصاص: المساواة والمماثلة، ذكرنا ذلك. وأراد بالحرمات: الشهر الحرام، والبلد الحرام، وحُرمة الإحرام[٣].

ومعنى قوله: ﴿وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ﴾ أي: اقتصصت لكم منهم، حيث أضاعوا وانتهكوا هذه الحرمات في سنة ستٍ، فقضيتم على زعمهم ما فاتكم في سنة سبع[٤].

قال مجاهدٌ: فَخَرت قريش أن صدت رسول الله ﷺ عن البيت الحرام في الشهر الحرام، في البلد الحرام، فأقصه الله، فدخل عليهم من القابل، في الشهر الحرام، في البلد الحرام، في البيت الحرام، وأنزل الله هذه الآية[٥]، هذا قول أكثر المفسرين[٦].

---

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٩٦-١٩٨، وقد ذكر روايات كثيرة في ذلك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقسم والسدي والضحاك والربيع وابن زيد، ونحوه عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٢٨، وذكر هذا السبب: الثعلبي ٢/ ٤١٤، البغوي ١/ ٢١٥، والواحدي في «أسباب النزول» ص٥٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ١٩٤ وغيرهم.

(٢) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٦، وينظر: «المفردات» ص١٢٢.

(٣) ينظر: «تفسير الطبري» ٣/ ٥٧٩ و«تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٦ و«البغوي» ١/ ٢١٥.

(٤) ينظر: «تفسير الطبري» ٢-١٩٨، «الثعلبي» ٢/ ٤١٦، ويفيد كلام الواحدي هنا أن هذه العمرة قضاء للعمرة التي حصروا عنها عام الحديبية، والقول الآخر: أنها من المقاضاة؛ لقول ابن عمر: لم تكن هذه قضاء ولكن كان شرطًا على المسلمين أن يعتمروا في الشهر الذي حاصرهم فيه المشركون. ينظر: «زاد المعاد» ٣/ ٣٧٨.

(٥) رواه عنه الطبري في «تفسيره» ٢/ ١٩٧.

(٦) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٦.

والصحيح في تفسير هذه الآية: ما قاله ابن عباس في رواية عطاء: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ يريد: إن قاتلوكم في الشهر الحرام، فقاتلوهم في مثله(١)، واختار الزجاج هذا القول، فقال: معناه: قتال الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾ قال ابن عباس: يريد: إن انتهكوا لكم حرمةً فانتهكوا منهم مثل ذلك.

وقال الزجاج: أعلم الله ﷻ أن أمر هذه الحرمات قصاص(٣)، أي: لا يكون للمسلمين أن ينتهكوها على سبيل الابتداء، ولكن على سبيل القصاص. وهذا القول أولى القولين بالصواب، وأشبهها بالآية وبما(٤) قبلها، وهو قوله: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩١] والذي يدل عليه من سياق الآية.

قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي: ظلم، فقاتل، ﴿فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾. وسمى الثاني اعتداءً لأنه مجازاة اعتداء فَسُمِّي بمثل اسمه؛ لأن صورةَ الفِعْلين واحدة، وإن كان أحدهما طاعة والآخر معصية،

---

(١) تقدم الحديث عن رواية عطاء ص٩٢، وقد ذكره البغوي في «تفسيره» ١/ ٢١٥، ولم ينسبه، وروى الطبري ٢/ ١٩٨، وابن أبي حاتم ١/ ٣٢٩ عن عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال: أمركم الله بالقصاص، ويأخذ منكم العدوان، وهي بمعنى ما ذكره الواحدي، وعزا ابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢٠١ هذا القول إلى الحسن البصري.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٤.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٤.

(٤) في (أ)، (م): (بما) بلا واو.

والعرب تقول: ظلمني فلان فظلمته، إذا جازيته بظلمه، وجَهِلَ عَلَيَّ فَجَهِلْتُ عليه، أي: جازيته بجهله. قال عمرو[(١)]:

ألا لا يَجْهَلَن أحدٌ علينا فَنَجْهَل فوق جَهْلِ الجاهلينا[(٢)]

أي: نكافئ على الجهل بأكثر من مقداره، ومثله من التنزيل: قوله ﷻ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤] وقوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩][(٣)]

١٩٥- وقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ كل ما أمر الله به من الخير فهو في سبيل الله، وأكثر ما استعمل في الجهاد؛ لأنه السبيل الذي يقاتل فيه على عقد الدين[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ قال أبو عبيدة[(٥)] والزجاج[(٦)]: التَهْلُكة: الهلاك، يقال: هلك يهلك هَلاكًا وهُلْكًا وهَلَكًا وتَهلُكةً.

---

(١) عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي، شاعر جاهلي، من أصحاب المعلقات، وهو قاتل عمرو بن هند ملك الحيرة، وقد عمّر وأدركته المنية وهو يناهز الخمسين ومائة.

ينظر: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ١٥١، «الشعر والشعراء» ص١٣٧، «خزانة الأدب» ٣/ ١٨٣.

(٢) البيت في «ديوانه» ص٣٣٠ وقد تقدم تخريجه ٢/ ١٤٠.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٥، وينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ١٩٩، ٢٠٠، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٣، ٤١٧، «تفسير البغوي» ١/ ٢١٥.

(٤) من «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٥، «تفسير البغوي» ١/ ٢١٥.

(٥) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٦٨.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٦.

قال الخارزنجي[١]: لا أَعْلَمُ في كلام العَرب مصدرًا على تفعُلة بضم العين إلا هذا[٢].

قال أبو علي: قد حكى سيبويه التَّضُرَّةُ والتَّسُرَّة وقد جاء هذا المثال اسما غير مصدر، حكى سيبويه: التتفل والتنضُب قال: ولا نعلمه جاء صفةً[٣].

وقال الليث: التَّهْلُكَة: كل شيء تصيرُ عَاقبتُه إلى الهلاك.

ومعنى الهَلاكِ: الضياعُ، وهو مصير الشيء بحيث لا يُدْرى أين هو[٤].

ومعنى قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾، لا تأخذوا في ذلك، يقال لكل من أخذ في عمل: قد ألقى يديه فيه[٥]، ومنه:

---

(١) هو: أحمد بن محمد البشتي، أبو حامد المعروف بالخارْزَنجي، إمام الأدب بخراسان في عصره بلا مدافعة، صنف تكملة كتاب العين، وشرح أبيات أدب الكاتب توفي سنة ٣٤٨هـ. ينظر: «الأنساب» ٢/ ٣٠٤ «بغية الوعاة» ١/ ٣٨٨.

(٢) رواه عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٤١٧، والحيري في «الكفاية» ١/ ١٣٦، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٥٩، «الدر المصون» ٢/ ٣١٢.

(٣) ينظر: «الكتاب» لسيبويه ٤/ ٢٧٠-٢٧١، وينظر: «البحر المحيط» ١/ ٥٩.

(٤) ينظر في التهلكة: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٧، «المفردات» ص٥٢٢، «البحر المحيط» ١/ ٥٩، «اللسان» ٨/ ٤٦٨٦ (هلك)، وقال الحافظ في «الفتح» ٨/: وقيل: التهلكة: ما أمكن التحرز منه، والهلاك بخلافه، وقيل: التهلكة: نفس الشيء المهلك، وقيل ما تضر عاقبته، والمشهور الأول . وينظر: «تفسير البغوي» ١/ ٢١٥، «البحر المحيط» ٢/ ٦٠، وقد تكلم كثيرا، يحسن تلخيص كلامه.

(٥) «تفسير الطبري» ٢/ ٢٠٤، ٢٠٥، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٨.

حتى إذا ألقت يدًا في كافر[١]

أي: بدأت[٢] في المغيب[٣].

وقال المبرد: عبر بالأيدي عن النفس، أراد: لا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة، فعبر بالبَعْضِ عن الكُلِّ، كقوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠] ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠][٤]

والباء زائدة، أراد: لا تلقوا أيديكم، يدل عليه قوله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ [النحل: ١٥]. فعدّى بغير الباء[٥].

وقال أبو علي: المعنى لا تقربوا مما يهلككم؛ لأن من ألقى يَدَهُ إلى الشيء فقد قَرُبَ منه، وهذا مبالغة (في الزجر)[٦] وتأكيد؛ لأن النهي إذا وقع عن[٧] مشارفته ومُقاربته فمباشرته أولى بالانتهاء، وكان المعنى: لا تقربوا من ترك الإنفاق في سبيل الله[٨].

---

(١) عجز البيت:

وأَجَنَّ عوراتِ الثُّغُورِ ظَلامُها

والبيت للبيد في «ديوانه» ص٣١٦، و«شرح المعلقات السبع» لأبي عبد الله الزوزني ص٢٢٠، و«شرح المعلقات العشر» للتبريزي ص٢٤٦، و«إصلاح المنطق» ص١٢٧، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٨. والكافر: الليل، والكفر: الستر، والإجنان: الستر أيضًا. «لسان العرب» ٧/ ٣٨٩٧ (كفر).

(٢) في (م): (بدت).

(٣) «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٨.

(٤) نقله عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٤١٨، وابن الجوزي في «زاد المسير» ١/ ٢٠٣.

(٥) ينظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤١٩، «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٣٥٣، «الإنصاف في مسائل الخلاف» لابن الأنباري ٢٤٤.

(٦) سقطت من (م).

(٧) في (ش): (من).

(٨) ينظر في ذكر الأقوال في الآية «تفسير الطبري» ٢/ ٢٠٠-٢٠٢، «البغوي» =

وأكثر أهل التفسير على أن معنى قوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، أي: لا تمسكوا ولا تبخلوا عن الإنفاق في سبيل الله.

والمراد بهذه الآية: النَّهْيُ عن ترك النفقة في الجهاد، إما أن ينفق على نفسه ويخرج، وإما أن ينفق على من يغزو من المسلمين[1]، حتى قال ابن عباس: أنفق في سبيل الله، وإن لم يكن لك إلا سهم أو مشقص، ولا يقولنّ أحدكم: لا أجد شيئًا[2].

وقال السدي، في هذه الآية: أنفق في سبيل الله ولو عقالًا. ﴿وَلَا تُلْقُوا۟

= ١/ ٢١٥-٢١٧، «زاد المسير» ١/ ٢٠٣، «البحر المحيط» ٢/ ٧٠، وذكر تسعة أقوال ثم قال: وهذه الأقوال كلها تحتمل هذه الآية، والظاهر أنهم نهوا عن كل ما يؤول بهم إلى الهلاك في غير طاعة الله، وقال الطبري في «تفسيره» ٣/ ٥٩٣: فالصواب أن يقال: إن الله نهى عن الإلقاء بأيدينا لما فيه هلاكنا، والاستسلام للهلكة وهي العذاب بترك ما لزمنا من فرائضه، فغير جائز لأحد منا الدخول في شيء يكرهه الله منا مما نستوجب بدخولنا فيه عذابه، ثم ذكر أثر ابن عباس: التهلكة: عذاب الله.

(١) ذكر الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٠٠-٢٠٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٣١ الآثار في ذلك عن حذيفة، وابن عباس وعكرمة والحسن ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وأبي صالح والضحاك والسدي ومقاتل بن حيان وقتادة ومحمد بن كعب القرظي، وينظر: «صحيح البخاري» ٥/ ١٨٥، و«تفسير سفيان الثوري» ص٥٩، وسعيد بن منصور في «السنن» ٣/ ٧١٠، وعبد الرزاق في «تفسيره» ١/ ٧٤، والجصاص في «أحكام القرآن» ١/ ٢٦٢.

(٢) رواه عنه سفيان الثوري في «تفسيره» ٥٩، والإمام أحمد في «العلل ومعرفة الرجال» ٢/ ٣٩٥، والطبري ٢/ ٢٠٠، وابن أبي شيبة في «المصنف» ٥/ ٣٣١، والبيهقي ٩/ ٤٥.

بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ لا تقل: ليس عندي شيء[١].

وقال أبو إسحاق معناه: أنكم إن لم تنفقوا في سبيل الله هلكتم، أي: عصيتم الله فهلكتم، وجائز أن يكون هلكتم بتقوّي عدوكم عليكم[٢].

فعلى هذا معنى التهلكة: الهلاك بالعصيان بترك النفقة، والهلاك بقوة العدو عند ترك النفقة في الجهاد.

وقال أبو أيوب الأنصاري[٣]: إنها نزلت فينا معشر الأنصار، لما أعز الله دينَهُ ونَصَر رَسُوله، قلنا: لو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله هذه الآية[٤].

---

(١) رواه عنه الطبري ٢/ ٢٠١، وذكره ابن أبي حاتم ١/ ٣٣١.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ١/ ٢٦٦.

(٣) هو: خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة، أبو أيوب الأنصاري، من بني النجار، صحابي شهد العقبة وبدرا وأحدا والخندق وسائر المشاهد، رحل إلى الشام وغزا مع جيش معاوية القسطنطينية، وتوفي هناك سنة ٥٢هـ. ينظر: «الإصابة» ١/ ٤٠٥، «الأعلام» ٢/ ٢٩٥.

(٤) الحديث رواه الترمذي في التفسير، باب: ومن سورة البقرة ٥/ ٢١٢ وقال: حسن صحيح غريب، والنسائي في «تفسيره» ١/ ٢٣٦، وأبو داود في الجهاد، باب: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ ٣/ ١٢ برقم ٢٥١٢، وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود برقم ٢١٩٣، ولهذا الحديث قصة، عن أسلم بن عمران قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية، وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: مه مه، لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى التهلكة! فقال أبو أيوب: إنما نزلت في الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد. هذا لفظ أبي داود. قال الحافظ في «الفتح» ٨/ ٣٤: وأما مسألة حمل الواحد على العدد الكثير من العدو، فصرح الجمهور بأنه إن كان لفرط شجاعته وظنه أنه يرهب العدو بذلك، أو يجرئ المسلمين عليهم أو نحو ذلك من المقاصد الحسنة فهو حسن، ومتى كان مجرد تهور =

فعلى هذا، التهلكة: الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد.

والمعنى: لا تتركوا الجهاد فتهلكوا، فسمى ترك الجهاد تَهْلُكة؛ لأنه يؤدي إلى الهلاك في الدنيا بقوة العدو وفي الآخرة بالعصيان(١).

وفي الآية قول ثالث، وهو ما روي عن البراء بن عازب(٢): أنه قيل له في هذه الآية: أهو(٣) الرجل يحمل على الكتيبة وهم ألف بالسيف؟ قال: لا، ولكنه الرجل يصيب الذنب فيلقي بيديه(٤) ويقول: لا توبة لي؟(٥).

= فممنوع، ولا سيما إن ترتب على ذلك وهن في المسلمين.

(١) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٠٥، «الثعلبي» ٢/ ٤٢٦، «البحر المحيط» ٢/ ٧٠.

(٢) هو: البراء بن عازب بن حارث الأنصاري الأوسي، صحابي غزا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة غزوة، وهو الذي افتتح الرَّيَّ، وشهد الجمل وصفين مع علي ﷺ، ومات في إمارة مصعب بن الزبير. ينظر: «أسد الغابة» ١/ ٢٠٥، «الإصابة» ١/ ٢٧٨.

(٣) في (ش): (أهوالٌ).

(٤) في (م): (بيده).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٠٢، وابن أبي حاتم في «تفسيره» ١/ ٣٣٢، والحاكم ٢/ ٣٠٢، وقال: صحيح على شرط الشيخين، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٥/ ٤٠٧، والخطابي في «غريب الحديث» ١/ ٥٣٦، وصحح إسناده الحافظ في «الفتح» ٨/ ١٨٥، وروى الطبري في «تفسيره» ٢/ ٢٠٢، وأحمد في «مسنده» ٤/ ٢٨١ عن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق قال: قلت للبراء: الرجل يحمل على المشركين، أهو ممن ألقى بيده إلى التهلكة؟ قال: لا؛ لأن الله ﷻ بعث رسوله ﷺ فقال: فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك، إنما ذلك في النفقة، وذكر الحافظ في «الفتح» ٨/ ١٨٥ أنه إن كان محفوظا، فلعل للبراء فيه جوابين، والأول من رواية الثوري وأبي إسرائيل وأبي الأحوص ونحوهم، وكلٌّ منهم أتقن من أبي بكر بن عياش، فكيف مع اجتماعهم وانفراده.

وهذا القول اختيار يمان[١] بن رِئَاب[٢][٣] والمفضل[٤]، قالا: يقال للرجل إذا استسلم للهلاك ويئس من النجاة: ألقى بيديه[٥].

وقال الفضيل: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ بإساءة الظن بالله[٦]، فعلى هذا القول التهلكة: هو ترك التوبة، والقنوط من رحمة الله، أو إساءة الظن بالله ﷻ في الإخلاف عند الإنفاق[٧].

قال أبو علي الفارسي: الباء في قوله: (بأيديكم) زيادة، المعنى: (ولا تلقوا أيديكم) يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾ [النحل: ١٥] ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ [الحجر: ١٩] و﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [آل عمران: ١٥١] وزيادتها ههنا كزيادتها في قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤][٨].

---

(١) ذكره عنه الثعلبي ٢/ ٤٣٧.

(٢) في (ش): (ريمان بن زيّات). وفي (م): (رباب).

(٣) هو: اليمان بن رباب أو ابن رئاب البصري من رؤساء الخوارج، تقدمت ترجمته.

(٤) ذكره عنه الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ٤٣٧.
وهذا القول مروي أيضًا عن محمد بن سيرين وعبيدة السلماني وأبي قلابة البصري. ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٠٣، «تفسير ابن أبي حاتم» ١/ ٣٣٢، «تفسير عبد الرزاق» ١/ ٣٣٢، «تفسير الثعلبي» ٢/ ٤٣٦-٤٣٧.

(٥) في (م): (بيده).

(٦) رواه سفيان الثوري في «تفسيره» ٥٩، ورواه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» ص١١٧، وذكره الثعلبي ٢/ ٤٤٣، وروى الطبري ٢/ ٢٠٥ عن عكرمة نحوه.

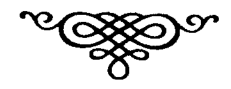
(٧) وروى الطبري ٢/ ٢٠٥، وابن أبي حاتم ١/ ٢٣٢ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: التهلكة: عذاب الله، وهذا قول رابع في معنى الآية.

(٨) ينظر: «تفسير الطبري» ٢/ ٢٠٥، «تفسير البغوي» ١/ ٢١٥، وقال: وقيل: الباء في موضعها، وفيه حذف، أي: لا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة، واختار أبو =

وقوله تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾ معناه على القول الأول في التهلكة: أنفقوا في سبيل الله، فمن أنفق في سبيل الله فهو محسن.

قال ابن عباس: أي[1]: أحسنوا الظن بالله، فإنه يُضَاعِفُ الثواب، ويُخْلِفُ لكم النفقة[2]، فالإحسان على هذا محمول على إحسان الظن بالله في الخُلْف، وعلى القول الثاني: جاهدوا، والمجاهد في سبيل الله محسنٌ، وعلى القول الثالث: تفسير الإحسان إحسان الظن بالله في قبول التوبة وغفران الذنوب[3].

***



= حيان في «البحر المحيط» ٢/ ٧١ أن المفعول في المعنى هو بأيديكم، لكنه ضمن ألقى معنى ما يتعدى بالباء فعداه بها، كأنه قيل: ولا تفضوا بأيديكم إلى التهلكة، ويكون إذ ذاك قد عبر عن الأنفس بالأيدي ؛ لأن بها الحركة والبطش والامتناع.

(١) ليست في (م).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» عن عكرمة ٢/ ٦٠٢، وذكر في «البحر المحيط» ٢/ ٧١.

(٣) ينظر: «زاد المسير» ١/ ٣٠٣، وذكر أن القول الثاني: أحسنوا الظن بالله، قاله عكرمة وسفيان، وهو يخرج على قول من قال: التهلكة: القنوط، والثالث: معناه: أدوا الفرائض، رواه سفيان عن أبي إسحاق.

